

صفحة

- المقصد الثاني — في ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية، ويتوجه المقصد منها إلى ثلاثة أقطار ... ٥
- القطر الأول — اليمن ... وهو على قسمين ... ٦
- القسم الأول — التهامي، وفيه أربع جمل (والصواب خمس) ... ٨
- الجملة الأولى — في ذكر ما أشتمل عليه من القواعد والمدن؛ وبه قاعدتان ٨
- القاعدة الأولى — تعز ... ٨
- » الثانية — زبيد ... ٩
- الجملة الثانية — في ذكر حيوانه، وحبوبه، وفواكهه، ورياحيته، ومعاملاته وأسعاره ... ١٦
- الجملة الثالثة — في الطريق الموصلة إلى اليمن ... ١٧
- » الرابعة — في ذكر ملوكه جاهلية وإسلاما، أما ملوكه في الجاهلية فعلى عشر طبقات ... ١٧
- الطبقة الأولى — العادية ... ١٨
- » الثانية — القحطانية ... ١٩
- » الثالثة — التباينة ... ٢١
- » الرابعة — الحبيشة ... ٢٥
- » الخامسة — القرمس ... ٢٥
- » السادسة — عمال النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده ... ٢٦
- » السابعة — ملوكها من بني زياد ... ٢٧
- » الثامنة — » من بني مهدي ... ٢٩
- » التاسعة — » من بني أيوب ملوك مصر ... ٢٩
- » العاشرة — دولة بني رسول ... ٣٠

صفحة

- الجملة السادسة — (والصواب الخامسة) في ترتيب هذه المملكة على ما هي عليه في زمن بنى رسول الخ ٣٣
- القسم الثاني — من اليمن التجود؛ وفيه أربع جمل ٣٧
- الجملة الأولى — فيما أشتملت عليه من النواحي والمدن والبلاد ٣٨
- » الثانية — في الطرق الموصلة إلى هذه المملكة ٤٣
- » الثالثة — فيمن ملك هذه المملكة إلى زمن المؤلف ٤٤
- » الرابعة — (وكتبت الثالثة) في ترتيب مملكة هذا الإمام ٥١
- القطر الثاني — مما هو خارج من جزيرة العرب عن مضافات الديار المصرية "بلاد البحرين" وفيه ثلاث جمل ٥٤
- الجملة الأولى — فيما تشتمل عليه من المدن ٥٥
- » الثانية — في ذكر ملوكها ٥٧
- » الثالثة — في الطريق الموصل إليها ٥٧
- القطر الثالث — مما هو خارج من جزيرة العرب عن مضافات الديار المصرية "اليمامة"؛ وفيها ثلاث جمل ٥٨
- الجملة الأولى — فيما أشتملت عليه من البلدان ٥٩
- » الثانية — في ذكر ملوكها ٦٠
- » الثالثة — في الطريق الموصل إليها ٦١
- القطر الرابع — مملكة الهند ومضافاتها؛ وفيه إحدى عشرة جملة ٦١
- الجملة الأولى — فيما أشتملت عليه هذه المملكة من الأقاليم ٦٣
- الإقليم الأول — إقليم السند وما انحدرت في سلكه ٦٣
- » الثاني — » الهند؛ وفيه قاعدتان ٦٧

صفحة

القاعدة الأولى — مدينة دلى	٦٨
» الثانية — مدينة الدواكير	٧٠
الجملة الثانية — في حيوانها	٨١
» الثالثة — في حبوبها وفواكهها ورياحيتها وخضرها واتها وغير ذلك	٨٢
» الرابعة — في المعاملات	٨٤
» الخامسة — في الأسعار	٨٥
» السادسة — في الطريق الموصلة إلى مملكتي الهند والهند	٨٦
» السابعة — في ذكر ملوك الهند	٨٨
» الثامنة — في ذكر عساكر هذه المملكة وأرباب وظائفها	٩١
» التاسعة — في زى أهل هذه المملكة	٩٣
» العاشرة — في أرزاق أهل دولة السلطان بهذه المملكة	٩٤
» الحادية عشرة — في ترتيب أحوال هذه المملكة	٩٥
الفصل الثانى — من الباب الرابع من المقالة الثانية في الممالك والبلدان	
الغربية عن مملكة الديار المصرية؛ وفيه أربع (ست) ممالك	٩٩
المملكة الأولى — مملكة تونس؛ وفيها اثنتان وعشرون جملة	٩٩
الجملة الأولى — في بيان موقعها من الأقاليم السبعة	٩٩
» الثانية — في بيان ما أشتملت عليه هذه المملكة من الأعمال؛	
وهو عملان	١٠٠
العمل الأول — أفريقية	١٠٠
» الثانى — بلاد بجاية	١٠٩
الجملة الرابعة — في ذكر زروعها وحبوبها وفواكهها وبقولها ورياحيتها ^(١)	١١٢

(١) هذا في الأصول وحققتها الثالثة ثم يتسلسل العدد -

صفحة

- الجملة الخامسة - في مواشها ووحوشها وطيورها ... ١١٣
- » السادسة - فيما يتعلق بمعاملاتها من الدينار والدراهم والأرطال ...
- والمكيليل والأسعار ... ١١٤
- » السابعة - في ذكر أسعارها ... ١١٥
- » الثامنة - في صفات أهل هذه المملكة في الجملة ... ١١٥
- » التاسعة - في ذكر من ملكها جاهلية وإسلاما ... ١١٦
- الطبعة الأولى - الخلفاء ... ١١٧
- » الثانية - العبيديون ... ١٢٢
- » الثالثة - ملوكها من بني زيري ... ١٢٤
- » الرابعة - الموحدون ... ١٢٦
- الجملة العاشرة - في متعى ملوك هذه المملكة القائمين بها من الموحدين ... ١٣٣
- » الحادية عشرة - في ترتيب المملكة بها من زى الجند وأرباب ...
- الوظائف ... ١٣٧
- الجملة الثانية عشرة - في ذكر الأرزاق المطلقة من جهة السلطان ... ١٤٠
- » الثالثة عشرة - في ليس سلطان مملكة تونس وليس أشياخه ...
- وسائر جنده وطاعة أهل بلده ... ١٤١
- » الرابعة عشرة - في شعار الملك بما يتعلق بهذا السلطان ... ١٤٣
- » الخامسة عشرة - في جلوس سلطان هذه المملكة في كل يوم ... ١٤٣
- » السادسة عشرة - في جلوسه للظالم ... ١٤٤
- » السابعة عشرة - في خروجه لصلاة الجمعة ... ١٤٥
- » الثامنة عشرة - في ركوبه لصلاة العيدين أو للسفر ... ١٤٦
- » التاسعة عشرة - في خروج السلطان للتتره ... ١٤٧

- صفحة
- الجملة العشرون - في مكاتبات السلطان ... ١٤٨
- « الحادية والعشرون - في البريد المقتر في هذه المملكة ... ١٤٨
- « الثانية والعشرون - في الخلع والتشريف في هذه المملكة ... ١٤٩
- المملكة الثانية - من ممالك بلاد المغرب مملكة تلمسان ؛ وفيها جملتان ١٤٩
- الجملة الأولى - في ذكر حدودها وقاعدتها وما أشتملت عليه من المدن والطريق الموصلة إليها ... (برق. الحمد لله) ... ١٥١
- « الثانية - في حال مملكتها ... ١٥١
- المملكة الثالثة - من بلاد المغرب الغرب الأقصى ، ويقال له بر العدو ؛ وفيه ثلاثة [أربعة] مقاصد ... ١٥٢
- المقصد الأول - في بيان موقعها من الأقاليم السبعة وذكر حدودها وما أشتملت عليه من المدن والجبال المشهورة ؛ وفيه أربع جمل ... ١٥٢
- الجملة الأولى - في بيان موقعها من الأقاليم السبعة ... ١٥٢
- « الثانية - في بيان قواعدها وما أشتملت عليه هذه المملكة من الأعمال الخ ... ١٥٣
- القاعدة الأولى - فاس ... ١٥٣
- « الثانية - سبتة ... (برق. الحمد لله) ... ١٥٧
- « الثالثة - مدينة مراکش ... ١٦١
- « الرابعة - (محملة) ... ١٦٣
- الجملة الثالثة - في ذكر جبالها المشهورة ... ١٧٣
- « الرابعة - في ذكر أنهارها المشهورة ... ١٧٤
- المقصد الثاني - في ذكر زروعها وحبوبها وفواكهها الخ ؛ وفيه خمس جمل ... ١٧٥

صفحة

- الجملة الأولى - في ذكر زروعها وجوبها الخ ... ١٧٥
- » الثانية - في مواشها ووحوشها وطيورها ... ١٧٦
- » الثالثة - فيما تتعامل به من الدنانير والدرهم والأوزان والمكاييل ... ١٧٧
- » الرابعة - في ذكر أسعارها ... ١٧٨
- » الخامسة - في صفات أهلها في الجملة ... ١٧٨
- المقصد الثالث - في ذكر ملوكها وما يندرج تحت ذلك؛ وهم على طبقات ... ١٧٩
- الطبقة الأولى - ملوكها قبل الإسلام ... ١٧٩
- » الثانية - ثواب الخلفاء من بنى أمية وبنى العباس ... ١٧٩
- » الثالثة - الأدارة ... ١٨٠
- » الرابعة - ملوك بنى أبي العافية من مكاسة ... ١٨٢
- » الخامسة - بنو زيري بن عطية ... ١٨٥
- » السادسة - المرابطون من المثلثين من البربر ... ١٨٨
- » السابعة - ملوك الموحدين ... ١٩١
- » الثامنة - ملوك بنى عبد الحق من بنى مرين ... ١٩٤
- المقصد الرابع - في بيان ترتيب هذه المملكة؛ وفيه عشر جمل ... ٢٠٣
- الجملة الأولى - في ذكر الجند وأرباب الوظائف الخ ... ٢٠٣
- » الثانية - في زى السلطان والأشياخ الخ ... ٢٠٣
- » الثالثة - في الأرزاق المطلقه من قبل السلطان على أهل دولته ... ٢٠٤
- » الرابعة - في جلوس السلطان في كل يوم ... ٢٠٥
- » الخامسة - في جلوسه لأظام ... ٢٠٦
- » السادسة - في شعار السلطان بهذه المملكة ... ٢٠٦

صفحة

- الجملة السابعة — في ركوبه لصلاة العيد ... ٢٠٧
- » الثامنة — في خروج السلطان للسفر ... ٢٠٨
- » التاسعة — في مقدار عسكر هذه المملكة ... ٢٠٩
- » العاشرة — في مكاتبات السلطان ... ٢١٠
- المملكة الخامسة — من بلاد المغرب جبال البربر ... ٢١٠
- » السادسة — من ممالك بلاد المغرب جزيرة الأندلس؛ وفيها ست جمل ... ٢١١
- الجملة الأولى. — في ذكر صمك أرضه وحلوه ... ٢١٢
- » الثانية — فيما أشتمل عليه من المدن؛ ويشتمل على عدة قواعد ... ٢١٣
- القاعدة الأولى. — غرناطة ... ٢١٣
- » الثانية — أشبونة ... ٢٢٢
- » الثالثة — بطليوس ... ٢٢٣
- » الرابعة — إشبيلية ... ٢٢٥
- » الخامسة — قرطبة ... ٢٢٦
- » السادسة — طليطلة ... ٢٢٧
- » السابعة — جيان ... ٢٢٩
- » الثامنة — مرسية ... ٢٣٠
- » التاسعة — بلنسية ... ٢٣١
- » العاشرة — مرسطة ... ٢٣٢
- » الحادية عشرة — طرطوشة ... ٢٣٣
- » الثانية عشرة — برشونة ... ٢٣٣
- » الثالثة عشرة — يبلونة ... ٢٣٤

صفحة	
٢٣٤	الجملة الثالثة — في ذكر أنهارها
٢٣٦	» الرابعة — في الموجود بالأندلس
٢٣٦	» الخامسة — في ذكر ملوك الأندلس ؛ وهم على طبقات
٢٣٦	الطبقة الأولى — ملوكها بعد الطوفان
٢٣٧	» الثانية — الاشباية
٢٣٨	» الثالثة — الشبوهات
٢٣٨	» الرابعة — القوط
٢٤١	» الخامسة — ملوكها على أثر الفتح الإسلامى
٢٤٤	» السادسة — بنو أمية
٢٤٧	» السابعة — ملوك بنى حود من الإدارة
٢٤٨	» الثامنة — ملوك الطوائف بالأندلس
٢٥٨	الطائفة (وصوابه الطبقة) التاسعة ملوك المرابطين من ثتونة
٢٦٠	» (») العاشرة بنو الأحمر
٢٧٠	مملكة قشتالة
٢٧٠	» البرتغال
٢٧٠	» برشلونة
٢٧١	» نبرة مما على قشتالة
٢٧١	الجملة السادسة — في ترتيب هذه المملكة (مملكة الأندلس)
	الفصل الثالث — (أى من الباب الرابع) من المقالة الثانية في الجهة
	الجنوبية عن مملكة الديار المصرية : من مصر والشام
٢٧٣	والبحر ومضافاتها ؛ والمشهور منها ست ممالك

صفحة	
٢٧٣	المملكة الأولى - بلاد البجا
٢٧٥	» الثانية - » النوبة
٢٧٩	» الثالثة - » البرنو
٢٨٠	» الرابعة - » الكاتم
٢٨٢	» الخامسة - » مالى ومضافاتها؛ وفيها ثمان جمل
٢٨٢	الجملة الأولى - فى ذكر أقاليمها ومنها
٢٨٧	» الثانية - فى الموجود بهذه المملكة
٢٩٢	» الثالثة - فى معاملة هذه المملكة
٢٩٢	» الرابعة - فى ذكر ملوك هذه المملكة
٢٩٨	» الخامسة - فى أرباب الوظائف بهذه المملكة
٢٩٩	» السادسة - فى عساكر سلطان هذه المملكة وأرزاقهم
٢٩٩	» السابعة - فى زى أهل هذه المملكة
٣٠٠	» الثامنة - فى ترتيب هذه المملكة
	المملكة السادسة - من ممالك بلاد السودان مملكة الحبشة؛
٣٠٢	وهى على قسمين
٣٠٣	القسم الأول - بلاد النصرانية؛ ويشتمل على ست جمل
٣٠٤	الجملة الأولى - فى ذكر قواعدها
٣٠٤	» الثانية - فى الموجود بها
٣٠٧	» الثالثة - فى ذكر معاملاتهم وأسعار بلادهم
٣٠٧	» الرابعة - » زبيهم وصلاتهم
	» الخامسة - » بطارقة الإسكندرية الذين عن توليتهم تنشأ
٣٠٨	ولاية ملوك الحبشة

صفحة

- الجملة السادسة - في ترتيب مملكتهم ... ٣٢٣
- القسم الثاني - من بلاد الحبشة مايد مسابى الحبشة؛ ويشتمل
على ست جمل ... ٣٢٤
- الجملة الأولى - فيما أشتملت عليه من القواعد والأعمال ... ٣٢٥
- » الثانية - في الموجود بهذه الممالك (أى ممالك السودان) ... ٣٢٩
- » الثالثة - في معاملهم وأسعارهم ... ٣٣١
- » الرابعة - في ملوكهم ... ٣٣٢
- » الخامسة - في زى أهل هذه المملكة ... ٣٣٣
- » السادسة - في شعار الملك وترتيبه ... ٣٣٤
- الفصل الرابع - من الباب الرابع من المقالة الثانية في الجهة الشمالية عن
ممالك الديار المصرية ومضافاتها خلا ما تقدم ذكره؛
وينقسم إلى قسمين ... ٣٣٨
- القسم الأول - ما بيد المسلمين مما فى شرق الخليج الفسطنطينى فيما
بينه وبين أرمينية وهى البلاد المعروفة ببلاد الروم؛
وفيه خمس جمل ... ٣٣٨
- الجملة الأولى - فيما أشتملت عليه من القواعد؛ وهى على ضربين ... ٣٤٠
- الضرب الأول - القواعد المستقرة بها الملوك والحكام ... ٣٤٠
- » الثانى - من هذه البلاد ما لم يسبق إلى صاحبه مكتبة عن
الأبواب السلطانية بالديار المصرية ... ٣٤٩
- الجملة الثانية - فى ذكر الموجود بهذه البلاد ... ٣٥٦
- » الثالثة - فى معاملاتها وأسعارها ... ٣٥٧

صفحة

الجملة الرابعة — في ذكر من ملك هذه البلاد ؛ وأشتهر من ملوكهم

طوائف ... ٣٥٨

الطائفة الأولى — أولاد قرمان ... ٣٦٥

» الثانية — بنو الحميد ... ٣٦٦

» الثالثة — بنو أيدين ... ٣٦٧

» الرابعة — بنو منتشا ... ٣٦٧

» الخامسة — بنو أورشان بن عثمان جق ... ٣٦٧

الجملة الخامسة — في زى أهل هذه المملكة وترتيب الملك بها ... ٣٦٩

القسم الثانى — من الجهة الشمالية عن الديار المصرية مايد ملوك

النصارى ؛ وهو ثلاثة أضرب ... ٣٦٩

الضرب الأول — جزائر بحر الروم ... ٣٦٩

» الثانى — ما شمالى بحر الروم ؛ وهو جهتان ... ٣٧٦

الجهة الأولى — ما هو فى جهة الغرب عن الخليج القسطنطينى ؛

وهو قطران ... ٣٧٦

القطر الأول — ما بين الخليج المذكور وبين جزيرة الأندلس ؛ ويشتمل

على ممالك كبار وممالك صغار ... ٣٧٦

المملكة الأولى — (من الممالك الكبار) مملكة القسطنطينية ؛

وملوكها طبقات ... ٣٧٦

الطبقة الأولى — من ملك منهم قبل القياصرة ... ٣٨٢

» الثانية — القياصرة قبل ظهور النصرانية فيهم ... ٣٨٤

صفحة

- الطبقة الثالثة — القياصرة المنتصرة إلى الفتح الإسلامي ... ٣٩٢
- » الرابعة — ملوك الروم بعد الفتح الإسلامي ... ٣٩٧
- المملكة الثانية — مملكة الألمان ... ٤٠٣
- » الثالثة — مملكة البنادقة ... ٤٠٤
- » الرابعة — الجنوئين ... ٤٠٥
- » الخامسة — بلاد رومية ... ٤٠٦
- المملكة الأولى — (من الممالك الصغار) مملكة المرا ... ٤٠٩
- » الثانية — بلاد الملفجوط ... ٤٠٩
- » الثالثة — بلاد إفرنس ... ٤١٠
- » الرابعة — مملكة بولية ... ٤١٠
- » الخامسة — بلاد فقيرية ... ٤١٠
- » السادسة — بلاد التسفان ... ٤١١
- » السابعة — بلاد البيازنة ... ٤١١

القطر الثاني — ما غربي الخليج القسطنطيني الأرض الكبيرة ؛

- وفيه ثلاث ممالك ... ٤١٢
- المملكة الأولى — مملكة الفرنج القديمة (مؤيد بهاء الدين) ... ٤١٢
- » الثانية — الجلائقة ... ٤١٤
- » الثالثة — اللبردية ... ٤١٥
- الجهة الثانية — ماشمال مدينة القسطنطينية وبحر نيطش الخ ... ٤١٦

المقالة الثالثة

- في ذكر أمور تشترك فيها أنواع المكاتبات والولايات؛ وفيها أربعة أبواب... ٤٢٣^٢
- الباب الأول - في الأسماء والكنى والألقاب؛ وفيه فصلان ... ٤٢٣
- الفصل الأول - في الأسماء والكنى؛ وفيه طرفان ... ٤٢٣
- الطرف الأول - في الأسماء؛ وفيه جملتان .. ٤٢٣
- الجملة الأولى - في أصل التسمية والمقصود منها وتوزيع الأسماء
وما يستحسن منها وما يستقبح ... ٤٢٤
- « الثانية - في مواضع ذكر الأسماء في المكاتبات والولايات؛
وفيها أربعة أنواع ... ٤٢٧
- النوع الأول - اسم المكتوب عنه ... ٤٢٧
- « الثاني - » « إله ... ٤٢٨
- « الثالث - » « بسبه ... ٤٢٩
- « الرابع - » « من تصدر إليه الولاية ... ٤٣٠
- الطرف الثاني - في الكنى؛ وفيه ثلاث جمل ... ٤٣٠
- الجملة الأولى - في جواز الكنية؛ وهي على نوعين ... ٤٣١
- النوع الأول - كنى المسلمين ... ٤٣١
- « الثاني - كنى أهل الكفر والفسقة والمبتدعين ... ٤٣٢
- الجملة الثانية - فيما يكنى به؛ وهو على نوعين ... ٤٣٣
- النوع الأول - كنى الرجال ... ٤٣٣
- « الثاني - كنى النساء ... ٤٣٥

صفحة

الجملة الثالثة — في التكني في المكتبات والولايات ؛ وهو على ثلاثة أنواع ٤٣٦	
النوع الأول — تكني المكتوب عنه ٤٣٦	
» الثاني — تكنية المكتوب إليه ٤٣٧	
» الثالث — » » بسببه ٤٣٧	
الفصل الثاني — من الباب الأول من المقالة الثالثة في الألقاب ؛ وفيه طرفان ٤٣٨	
الطرف الأول — في أصول الألقاب ؛ وفيه جملتان ٤٣٨	
الجملة الأولى — في معنى اللقب والنعت وما يجوز منه وما يمنع ٤٣٨	
» الثانية — في أصل وضع الألقاب والنسب المؤدية إلى المدح ٤٤٠	
الطرف الثاني — في بيان معاني الألقاب ؛ وفيه تسع جمل ٤٤٤	
الجملة الأولى — في الألقاب الخاصة بأرباب الوظائف المعتمدة التي بها انتظام أمور المملكة وقوامها ؛ وهي قسمان ٤٤٤	
القسم الأول — الألقاب الإسلامية ؛ وهي نوطان ٤٤٤	
النوع الأول — » القديمة المتداولة الحكم إلى زمان المؤلف ؛ وهي صنفان ٤٤٤	
الصنف الأول — ألقاب أرباب السيوف ٤٤٤	
» الثاني — » أرباب الألقلام ٤٥١	
النوع الثاني — الألقاب المحدثه ؛ وهي أربعة أصناف ٥٥٣	
الصنف الأول — المفردة ؛ وهي ضربان ٥٥٣	
الضرب الأول — مالفظه عربي ٥٥٣	
» الثاني — » عجمي ٤٥٤	

صفحة

الصف الثاني - المركبة؛ وهي ثلاثة أضرب ... ٤٥٥

الضرب الأول - ماتمحص تركب من اللفظ العربي ... ٤٥٥

» الثاني - » » العجمي؛ ولهذا الضرب

حالتان ... ٤٥٦

الحالة الأولى - أن تكون الإضافة إلى لفظ دار ... ٤٥٧

» الثانية - » إلى غير لفظ دار ... ٤٦٠

الضرب الثالث - ماتركب من لفظ عربي ولفظ عجمي؛ وله حالتان ... ٤٦١

الحالة الأولى - أن يصدر بلفظ أمير ... ٤٦١

» الثانية - أن لا يصدر اللقب بلفظ أمير ... ٤٦٢

الصف الثاني - ألقاب أرباب الأقاليم؛ وهي على خمسة أضرب ... ٤٦٣

الضرب الأول - » » الوظائف من العلماء ... ٤٦٣

» الثاني - » » الكتاب ... ٤٦٤

» الثالث - ألقاب أرباب الوظائف من كتاب الأموال ... ٤٦٥

» الرابع - » » من أهل الصناعات .. ٤٦٧

» الخامس - » » من الأتباع والخواشي

والخدم؛ وهم طائفتان ... ٤٦٨

الطائفة الأولى - الأعوان، وهم نمطان ... ٤٦٨

اللفظ الأول - ماتمحصت ألفاظه عربية ... ٤٦٨

» الثاني - ماتمحص لفظه عجميا ... ٤٦٨

الطائفة الثانية - أرباب الخدم؛ وهم نمطان ... ٤٦٩

اللفظ الأول - ما يضاف إلى لفظ النار ... ٤٦٩

» الثاني - ما لا يمتد بالاضافة إلى دار ولا غيرها ... ٤٧٠

صفحة

- القسم الثاني — من ألقاب أرباب الوظائف ألقاب أرباب الوظائف
- من أهل الكفر؛ والمشهور منهم طائفتان ... ٤٧٢
- الطائفة الأولى — النصارى ... ٤٧٢
- » الثانية — اليهود ... ٤٧٤
- الجملة الثانية — في ذكر الألقاب المرتبة على الأصول العظام؛ وهي نومان ٤٧٥
- النوع الأول — ألقاب الخلفاء المرتبة على لقب الخليفة؛ وهي صنفان ٤٧٥
- الصف الأول — ماجرى منها مجرى العموم ... ٤٧٥
- » الثاني — ألقاب الخلافة الخاصة بكل خليفة؛ وهي خمس طوائف ٤٧٧
- الطائفة الأولى — خلفاء بني العباس ... ٤٧٧
- » الثانية — خلفاء بني أمية بالأندلس ... ٤٧٨
- » الثالثة — الخلفاء الفاطميون ببلاد الغرب ثم بالديار المصرية ٤٧٨
- » الرابعة — الخلفاء الموحدون الذين ملوك إفريقية بتونس من
- بقاياهم على عهد المؤلف ... ٤٧٩
- » الخامسة — جماعة من ملوك الغرب ممن لاشبهة لهم في دعوى
- الخلافة ... ٤٧٩
- النوع الثاني — ألقاب الملوك المختصة بالملك؛ وهي صنفان ... ٤٨٠
- الصف الأول — الألقاب العامة؛ وهي ضربان ... ٤٨٠
- الصف الأول — الألقاب القديمة؛ والمشهور منها ألقاب ست طوائف ٤٨٠
- الطائفة الأولى — التبابعة ملوك اليمن ... ٤٨٠
- » الثانية — ملوك الفرنس ... ٤٨١
- » الثالثة — مصر من بعد الطوفان من القبط ... ٤٨٢

صفحة	
٤٨٢	الطائفة الرابعة — ملوك الروم
٤٨٣	» الخامسة — « الكنعانيين بالشام
٤٨٣	» السادسة — « الحبشة
	الضرب الثاني — الألقاب المستحدثة ؛ والمشهور منها ألقاب
٤٨٤	ست طوائف
٤٨٤	الطائفة الأولى — ملوك فرغانة
٤٨٤	» الثانية — « أشروسنة
٤٨٤	» الثالثة — « الجلالقة
٤٨٥	» الرابعة — « فرنسة
٤٨٥	» الخامسة — « البندقية
٤٨٥	» السادسة — « الحبشة في زماننا
٤٨٦	الصف الثاني — من النوع الثاني الألقاب الخاصة
٤٨٨	الجملة الثالثة — في الألقاب المفترعة على الأسماء ؛ وهي أربعة أنواع
٤٨٨	النوع الأول — ألقاب أرباب السيوف ؛ وهم صنفان
٤٨٨	الصف الأول — ألقاب الجند من الترك ومن في معانهم
٤٨٩	» الثاني — « الخدام الحصيان
٤٨٩	النوع الثاني — ألقاب أرباب الأقلام ؛ وهي على صنفين
٤٨٩	الصف الأول — ألقاب القضاة والعلماء
٤٩٠	» الثاني — « الكتاب من القبط
٤٩٠	النوع الثالث — ألقاب عامة الناس من التجار والعلماء السلطانية ونحوها
٤٩٠	» الرابع — « أهل الذمة من الكتاب والصيارف

صفحة	
الجملة الرابعة - في أصل وضع الألقاب الجارية بين الكتاب ثم آتياها	
إلى غاية التعظيم ومجاورتها الحد في الكثير	٤٩١
» الخامسة - في بيان الألقاب الأصول، وذكر معانيها وأشتقاقها؛	
وهي صفان	٤٩٣
الصف الأول - ما يقع في المكاتبات والولايات	٤٩٣
» الثاني - من الألقاب الأصول ما يختص بالمكاتبات دون	
الولايات	٥٠٠
الجملة السادسة - في بيان الألقاب المفردة على الأصول المتقدمة؛	
وفيها مهيمنان	٥٠٣
المهيمن الأول - في بيان أقسامها؛ وهي على نوعين	٥٠٣
النوع الأول - المفردة؛ وهي صفان	٥٠٣
الصف الأول - المنجزة عن ياء النسب	٥٠٣
» الثاني - الملحق بها ياء النسب	٥٠٣
النوع الثاني - المركبة	٥٠٥

استفادات قناري - وقع في ص ٣٢ س ٦ من هذا الجزء بياض وحقيقته كما ذكره في "بغية المستفيد"
(وروى بعده ابنه الملك الناصر أحمد ابن الملك الأشرف الخ)

(تم فهرست الجزء الخامس من كتاب صبح الأعشى)

صَبْحُ الْأَمْسِكِ

الجزء الخامس

دار الكتب الحيدوية

كتاب

صنح الأربعة

نالت

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء الخامس

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب الحيدوية

طبع
بالطبعة الأميرية بالقاهرة

١٣٣٣ هـ
١٩١٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

المقصود الثاني

(في ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية)

قد تهتم في الكلام على مملكة الديار المصرية ومضافاتها ذكر جزيرة العرب، وأنه يحتملها: من جهة الغرب بحر القلزم، ومن جهة الجنوب بحر الهند، ومن جهة الشرق بحر فارس، ومن جهة الشمال الفُرات. وأنها تحتوى المجاز ونجدا وتهامة واليمن واليمامة والبحرين، وقطعة من بادية الشام، وقطعة من بادية العراق.

وتقدم هناك الكلام على ما هو مضاف إلى مملكة الديار المصرية منها. منها مكة، والمدينة، على الحال بها أفضل الصلاة والسلام، والصحية والإكرام، واليمن، وما هو من بادية الشام كتثمر ونحوها.

والمقصود هنا الكلام على باقي أقطارها، التي لم يمتل في مضافات الديار المصرية.

ويتوجه القصد منها إلى ثلاثة أقطار:

القَطْرُ الْأَوَّلُ

(الْيَمَنُ)

قال في "اللباب": يفتح المثناة التحتية والميم وفي آخرها نون . قال : وينسب إليه يَمَنِيٌّ وَيَمَانِيٌّ . وهو قطعة من جزيرة العرب : يَحْتَلُّهَا من الغرب بحر القَزْمُ ، ومن الجنوب بحر الهند ، ومن الشمال بحر فارس ، ومن الشرق حدود مكة حيث الموضع المعروف بطلحة الملك ، وما على سمت ذلك إلى بحر فارس .

وقد وردت السنة بتفضيله بقوله صلى الله عليه وسلم : "الإيمانُ يَمَانٍ" .

وَأُخْتُلِفَ في سبب تسميته باليمن فقليل : سُمِيَ يَمَنٍ بن حِطَّان . وقيل : إن حِطَّانَ نَفْسَهُ كان يَسْمَى يَمَنَ . وقيل : سُمِيَ يَمَنٍ بن قَيْدَار . وقيل : سُمِيَ بذلك لأنه عن يمين الكعبة . قال "أبن الكلبي" : سميت بذلك لثِيَابِهِمْ إليها . قال "أبن عباس" ^(١) : أَسْتَبْتِ الناسَ وهم العرب فثِيَابُهُمْ إِلَى الْيَمَنِ فسميت بذلك . وقيل : ثِيَابُهُمْ بَنُو يَمَنٍ يَمَنُ إِلَى الْيَمَنِ وهو أَيْمَنُ الْأَرْضِ .

وهو إقليم متسع له ذِكْرٌ في القديم ، وبه كان قَوْمٌ سَبِيلُ الْمَنْصُوصِ خَبِيرُهُمْ في سورة "سبيل" وَيَلْقِيئُ الْمَذْكُورُ عَرُشَهَا في سورة "النمل" .

وقد ذكر "البكري" أن عَرْضَهُ سِتُّ عَشْرَةَ مَرَحَلَةً ، وَطُولُهُ عِشْرُونَ مَرَحَلَةً . قال في "مسالك الأبصار" : وله ذكر قديم . قال : وهو كثير الأمطار ، ولكن لا تَنْشَأُ منه السَّحُبُ ، ويمطر المطرُ في الغالب من وقت الزوال إلى آخرَيَاتِ النَّهَارِ .

(١) عبارة "ياقوت" عن ابن عباس تفردت العرب فن ثيابهم سميته اليمن .

قال الحكيم "صلاح الدين محمد بن البرهان": وأكثر مطره في أنحرّيات الربيع إلى وسط الصيف . وهو إلى الخزاميل؛ وبه الأنهار الجارية، والمروج الفيح، والاشجار المتكاثفة في بعض أماكنه؛ وله ارتفاع صالح من الأموال؛ وغالب أمواله موجبات التجار الواصلين من الهند ومصر والحيشة، مع ما لها من دخل البلاد .

وذكر عن الحكيم صلاح الدين المذكور، أن لأهل اليمن سيادات بينهم محفوفة، وسعادات عندهم ملحوظة؛ ولا كبرها حظ من رقابة العيش والتنعم والتفنى في المأكّل: يُطبخ في بيت الرجل منهم عنة ألوان، ويُعمل فيها السكر والقلوب، وتُطيب أوانيها بالعطر والبخور؛ ويكون لأحلم الحاشية والغاشية؛ وفي بيته العدة الصالح من الإماء؛ وعلى بابه جملة من الخدم والعبيد والخمبان من الهند والحبوش، ولم يذاريات الجلييلة، والمباني الأنيقة، إلا الرخام ودهان الذهب واللازورد، فإنه من خواص السلطان، لا يشاركه فيه غيره من الرعايا . وإنما تُهرش دُور أعيانهم بالخافق ونحوه؛ على أن ابن البرهان قد غصّ من اليمن في أثناء كلامه فقال : وأسم اليمن أكبر منه، لا تُعدّ في بلاد الخصب بلاده .

وذكر في "مسالك الأبصار" أنه ليس باليمن أسواق مرضية داعة، إنما يُقام لها سوق يوم الجمعة : يُجلب فيه الأجلاب، ويُخرج أرباب الصنائع والبضائع بضائعهم وصنائعهم : فيبيع من يبيع، ويشتري من يشتري، من أعوزه شيء في وسط الجمعة لا يكاد يحده إلا المأكّل .

ثم اليمن على قسمين :

القسم الأول

(التَّهائم)

وهي المنخفض من بلاده . قال في "مسالك الأبصار" : وهي باردة الهواء
طَيِّبَةُ الْمَسْكَنِ . وفيه أربع جُحُل :

الجملة الأولى

(في ذكر ما أشتمل عليه من القواعد والمُنَد)

قال في "مسالك الأبصار" : وهو يشتمل على عِدة بلاد ، وقلاع ، وحصون حصينة ،
ولكن يفصل البر ما بين بعضها عن بعض . وبه قاعدتان :

القاعدة الأولى

(تعر)

وهي مَصِيفُ صاحب اليمن . قال في "تقويم البلدان" : بكسر المشنة من فوق^(١)
والعين المهملة وزاى معجمة فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الأول من الأقاليم
السبعة . قال : والقياس حيث الطول خمس وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض
ثلاث عشرة درجة وأربعون دقيقة . قال : وهي فى زماننا هذا مقر ملوك اليمن
(يعنى من أولاد رسول الآتى ذكرهم فى الكلام على ملوكه) .

ثم قال : وهي حصن فى الجبال ، مُطل على التهايم وأراضى زَيْدٍ ، وفوقها مئتره
يقال له مهلة ، قد ساق له صاحب اليمن الميَّاة من الجبال التى فوقها ، وبنى فيها
أبنية عظيمة فى غاية الحسن فى وسط بستان هناك .

(١) منبهاها يافوت فى معجم البلدان بفتح الشاء وكسر العين وقال المجد كَتِيل .

قال في "الروض المعمار" : ولم تزل حصنا للولوك . قال : وهو بلد كثير الماء ، بارد الهواء ، كثير الفاكهة . قال : ولسلطانهم بستانٌ يعرف بالينعات ، فيه قُبّة ملوكية ، ومَقعد سلطانيّ ، فُرُشهما وأُزُرهما من الرُخام الملون ؛ وبهما عمَد قليلة المثل ، يجري فيهما الماء من قنات تملأ العين حُسناً ، والأذن طَرَباً ، بصفاء نهرها ، وطيب نحريرها ، وترى شبابيكهما على أشجار قد نُقلت إليه من كل مكان : تجمع بين فواكه الشام والهند ؛ لا يقف ناظر على بستان أحسن منه جمعا ، ولا أجمع منه حُسناً ، ولا أتم صورة ولا معنى .

القاعدة الثانية

(زَيْدُ)

وهي مَشَقَى صاحب اليمن من بنى رسول . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الزاى المحجمة وكسر الباء الموحدة وسكون المثناة من تحت ودال مهملة . وهي مدينة من تهائم اليمن . قال في "السر" : بناها محمد بن إبراهيم ، بن عبيد الله ، بن زياد ، ابن أبيه في خلافة المأمون . وموقعها في أوائل الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض أربع عشرة درجة وعشر دقائق . قال في "السر" : وهي مدينة مسورة ، وبها كان مقام بنى زياد ملوك اليمن ، وهم الذين بنوها ، ثم غلب عليها بنو الصليحي . ثم صارت قاعدة بنى رسول . وهي قَصَبَة التهائم ، وهي مَبْنِيَّة في مستوى من الأرض ، عن البحر على أقل من يوم ، وماؤها من الآبار ؛ وبها تَحْمِل كثيرة ، وعليها سور ، وفيها عمانية أبواب .

قال البيروني : وهي قُرْصَةُ اليمَنِ ، وبها يجتمع التجار من الحجاز ومصر والحبشة ؛
ومنها تخرج بضائع الهند والصين . قال المهلبى : ولها ساحل يعرف بقلَاقَة ،
وبينهما خمسة عشر ميلا .

قال في "مسالك الأبصار" : وهي شليمة الحز لا يترد مأواها ولا هواؤها ، وهي
أوسع رُقعة وأكثر بناء ؛ ولها نهج جارٍ بظاهرها ؛ ومساكن السلطان فيها في نهاية
العظمة من قُرْش الرخام والسُقوف .

وباليمَنِ عدة مُدُن سوى القواعد المتقدمة الذكر .

منها (عَدَنُ) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح العين والبدال المهملتين ونون
في الآخر . وهي من تهايم اليمَنِ . قال : وهي خارجة إلى الجنوب عن الإقليم الأول
من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وستون درجة ،
والعرض تسع عشرة درجة . قال في "الروض المعطار" : وأول من نزلها عَدَنُ
أبن سبيل فعرفت به . قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها عَدَنُ أُيُنْ - بفتح الهمزة
وسكون الباء الموحدة وفتح المثناة التحتية ثم نون - وقال في "المشترك" : عن سيويه
بكسر الهمزة ، وهو رجل من حِمْيَر أُضيفت إليه عَدَنُ . قال في "العبر" : وهو أُيُنْ
ابن زُهَيْر ، بن القَوْث ، بن أَيْمَن ، بن الهمَيسَع ، بن حَمِير .

وذكر "الأزهري" أن سبب تسميتها بذلك أن الجبشة [عبرت] في سُفُنهم إليها ،
ونرجوا منها قتالوا (عدونه) يريدون خريجاتاً فسميت عَدَنُ لذلك . وقيل مأخوذة
من قولهم عَدَنُ بالمكان إذا أقام به . وهي على ساحل البحر ذات حطّ وإقلاع .
قال في "مسالك الأبصار" : وهي أعظم المراسى باليمَنِ ، وتكاد تكون ثالثة تَمَرُّ

وَزَيْدَ فِي الذِّكْرِ، وَبِهَا قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ مَبْنِيَّةٌ، وَهِيَ خِرَازَنَةُ مَالِ مُلُوكِ أَيْمَنَ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِهَا زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ؛ وَهِيَ قُرْضَةُ الْيَمَنِ، وَحَطَّ رَحَالُ التُّجَّارِ، لَمْ تَزَلْ بِلَدَ تِجَارَةٍ مِنْ زَمَنِ التَّبَاعَةِ وَالْإِلَى زَمَانِنَا، عَلَيْهَا تَرِدُ الْمَرَائِبُ الْوَاصِلَةُ مِنَ الْإِجَازِ وَالسَّنَدِ وَالْهِنْدِ وَالصَّبِينِ وَالْحِشَّةِ؛ وَيَتَنَارُ أَهْلُ كُلِّ إِقْلِيمٍ مِنْهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِقْلِيمُهُمْ مِنَ الْبَضَائِعِ. قَالَ "صَلَاحُ الدِّينِ بْنِ الْحَكِيمِ": وَلَا يَخْلُو أُسْبُوعٌ مِنْ غَلَّةٍ مُقْنٌ وَتِجَارٍ وَارْدِينَ عَلَيْهَا، وَبَضَائِعَ شَتَّى وَمَتَاجِرَ مَنُوعَةٍ، وَالْمَقِيمِ بِهَا فِي مَكَلَسَبٍ وَافِرَةٍ، وَتِجَارَتِ مَرْمِيحَةٍ؛ وَلَحَطَّ الْمَرَائِبُ عَلَيْهَا وَإِقْلَاعُهَا مَوَاسِمٌ مَشْهُورَةٌ؛ فَإِذَا أَرَادَ تَاخُودَةُ السَّفَرِ بِمَرْكَبٍ إِلَى جِهَةِ مِنَ الْجِهَاتِ، أَقَامَ فِيهَا عَمَلًا بِرَنَكٍ خَاصٍّ بِهِ، فَيَعْلَمُ التُّجَّارُ بِسَفَرِهِ، وَيَسْمَعُ النَّاسُ فَيَبْقَى كَذَلِكَ أَيَّامًا، وَيَقَعُ الْأَهْتَامُ بِالرَّحِيلِ، وَتُسَارِعُ التِّجَارُ فِي قُلْ أَمْتَعَتِهِمْ، وَحَوْلَمُ الْعَبِيدِ بِالْقَهَاشِ السَّرِيِّ وَالْأَمْلَسَةِ النَّافِصَةِ، وَتُثَبِّبُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الْأَسْوَاقُ، وَيُخْرِجُ أَهْلُ عَدَنَ لِلتَّفَرُّجِ هُنَاكَ.

قَالَ فِي "الْعَبَرِ": وَيُحِيطُ بِهَا مِنْ جِهَةِ شِمَالِهَا عَلَى بُعْدِ جِبَلٍ دَائِرٍ إِلَى الْبَحْرِ يَنْقُصُ فِيهِ مِنْ طَرَفِهِ ثَقْبَانِ كَالْبَايِنِ، بَيْنَهُمَا عَلَى ظَهْرِ الْجِبَلِ مَسِيرَةُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ؛ وَلَيْسَ لَأَهْلِهَا دُخُولٌ وَلَا خُرُوجٌ إِلَّا عَلَى هَذَيْنِ الثَّقْبَيْنِ أَوْ مِنَ الْبَحْرِ. وَكَانَ مُلْكُهَا لِبَنِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ، ثُمَّ لِبَنِي زِيَادَ: أَصْحَابِ زَيْدَ، ثُمَّ أَقْرَعَهَا مِنْهُمْ أَحَدُ بَنِي الْمُكْرَمِ الصُّلَيْحِيِّ، وَصَفَا الْمُلْكُ فِيهَا لِبَنِي الزُّرَيْجِ مِنْهُمْ؛ وَبَقِيَتْ بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى مُلْكُهَا مِنْهُمْ (تُورَانُ شَاه) ابْنُ إِيُوبَ: أَوَّلُ مُلُوكِ الْيَمَنِ مِنَ الْإِيُوبِيَّةِ؛ وَمِنَ الْإِيُوبِيَّةِ أُنْتَقَلَتْ لِبَنِي رَسُولِ مُلُوكِ الْيَمَنِ الْآنَ.

وَذَكَرَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" عَنْ الْحَكِيمِ "صَلَاحِ الدِّينِ بْنِ الْبَرْهَانَ" أَنَّهُ أَقَامَ بِهَا مَدَّةً، وَقَالَ إِنَّ الْمَقِيمَ بِهَا يَحْتَاجُ إِلَى كَثْفَةٍ فِي الثَّقَفَاتِ: لِأَرْتِفَاعِ الْأَسْعَارِ بِهَا فِي الْمَاءِ كُلِّ

(١) فِي مَادَّةِ (نَ خَ ذ) مِنَ الْقَامُوسِ "النَّوَاحِظَةُ مُلْكُ سَفَرِ الْبَحْرِ أَوْ كَلَامُهُمْ مَرَّةً بِالرَّاحَةِ تَاخُودَةً" فَانْظُرْهُ.

والمشارب ، ويحتاج المقيم بها إلى ما يتبدد به في اليوم مرات في زمن قوة الحز .
 قال : ولكنهم لا يزالون بكثرة الكلف ، ولا بسوء المقام لكثرة الأموال النامية .
 ومنها (ظفار) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الظاء المعجمة والفاء وألف وراء
 مهملة . قال : وهي من تهائم اثنين ، من أوائل الإقليم الأول من الأقاليم السبعة .
 قال في "القانون" : حيث الطول سبع وستون درجة ، والعرض ثلاث عشرة
 درجة وثلاثون دقيقة .

قال السهيلي : وهي مدينة عظيمة ، بناها مالك بن أبرة ذى المنار . وذكر
 في "العبر" أنها كانت دار ملك التباغة ، وتخربها أحمد الناجدة سنة تسع عشرة
 وستائة لأنها لم يكن لها مرمى ، وبنى على الساحل مدينة ظفار بالضم ،
 وسمّاها الإحدىية .

قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة على ساحل خور قد خرج من البحر
 الجنوبي وطعن في البر في جهة الشمال نحو مائة ميل ، ومدينة ظفار على طرفه ،
 ولا تخرج المراكب من ظفار في هذا الخور إلا بريح البر ، ويقطع منها في الخور المذكور
 إلى الهند . قال : وهي قاعدة بلاد الشحر ، ويوجد في أرضها كثير من نبات الهند
 كالرايح والتبّل ، وشمال ظفار رمال الأحفاف التي كان بها قوم عاد ، وهي المذكورة
 في القران ، وبينها وبين صنعاء أربعة وعشرون فرسخا . قال : وعن بعضهم أن لها
 بساين على السواني .

قال في "مسالك الأبصار" : وهي في زماننا لأولاد الواثق ابن عم صاحب اليمن .
 قال : وهم وإن أطلق عليهم اسم الملك تواب له . وذكر أن البضائع منها تُنقل

(١) عبارة "البر" (ج ٤ ص ٢٢٦) مدينة صفا بضم الصاد المعجمة اه .

في زوارق حتى تخرج من خورها، ثم تؤسّق في السفن . قال في "العبر" : وكانت منزلة الملوك في صدر الدولتين .

ومنها (حَلَّ) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الحاء المهملة وسكون اللام ثم ياء مشاة من تحت . وهي بلدة من اليمن، واقعة في الإقليم الأول . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وستون درجة، والعرض ثلاث عشرة درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من أطراف اليمن من جهة الحجاز وتعرف بحلّ أبن يعقوب .

ومنها (المَهَجَم) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وسكون الهاء وجميم . وهي مدينة من تهامة اليمن، واقعة في الإقليم الأول . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وستون درجة، والعرض ست عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من أجل مدن اليمن، وهي عن زَيْد ثلاثة أيام [وهي] في الشرق والشمال عن زَيْد ؛ وعن صنعاء على ست مراحل . قال الإدريسي : ومن عند حلّ ست مراحل .

ومنها (حصن التملوة) . قال في "تقويم البلدان" : بكسر الدال المهملة وسكون الميم ثم لام وواو وهاء في الآخر . وهو حصن من حصون اليمن، واقع في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال أبو المقول : حيث الطول أربع وستون درجة وأربعون دقيقة، والعرض أربع عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهو حصن في شمال عدن في جبال اليمن . قال ابن سعيد : وهو على الجبل المتمدن الجنوب إلى الشمال، وهو خزانة صاحب اليمن ؛ ويضرب بامتناعه وحصاته المثل .

(١) ضبطها ياقوت في معجمه فقال ... يضم أوله وسكون ثانيه وضم اللام وفتح الواو .

ومنها (الشَّرْجَة) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الشين المعجمة وسكون الراء المهملة وجيم وهاء . وهي مينا على ساحل البحر ، واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول خمس وستون درجة ، والعرض سبع عشرة درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي صغيرة وبيوتها أخصاص .

ومنها (جُبْلَةُ) : قال في "تقويم البلدان" : بضم الجيم وسكون الباء الموحدة ولام مفتوحة وهاء . وهي مدينة بين عَدَنَ وصنعاء ، واقعة في الإقليم الأول . قال : وقياس قول أبي العقول أنها حيث الطول خمس وستون درجة ، والعرض ثلاث عشرة درجة وعشر دقائق . قال : وهي على نهرين ولذلك يقال لها مدينة النهرين . قال بعض الثقات : وبينها وبين تَعَزُّ دُونَ يوم ، وهي عن تَعَزُّ في الشرق بميلة يسيرة إلى الشمال .

ومنها (الجُنْد) . قال في "اللباب" : بالجيم والنون المفتوحين ودال مهملة في الآخر . وهي مدينة شمالي تَعَزُّ ، على نحو نصف مرحلة منها ؛ واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول خمس وستون درجة ، والعرض أربع عشرة درجة وثلاثون دقيقة . وهي عن صنعاء على ثمانية وأربعين فرسخاً ، وعن ظفار على أربعة وعشرين فرسخاً .

وقال الشريف الإدريسي : هي بين حَمَارٍ وبن زَيْد . وهو بلد جليل به مسجد جامع يُنسب لمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ الصَّحَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وعلى القرب من الجُنْدِ وادي سَحُولٍ ، ومنه يسير في صحارى إلى جبل عَرَضُهُ أحد وعشرون فرسخاً ؛ ثم يسير في صحراء ورمال إلى مدينة زَيْد . والجُنْدُ بلد وَخْ في غاية الوَحَاة ، وأهله شيعة .

ومنها (سِرِّين) . قال في "الباب" : بكسر السين المهملة وفتح الراء المهملة المشددة وسكون المثناة من تحت ونون في الآخر . وهي بلدة على تسعة عَشَرَ فرسخاً من حَلِيٍّ ، في جهة الشمال منها ، واقعة في آخر الإقليم الأول . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وستون درجة واربعون دقيقة ، والعرض عشرون درجة . وقال المهلبي : هي مدينة على ساحل البحر على أربعة أيام من مكة . قال الإدريسي : وهي على القرب من قرية يَلَمَّ مِيقَاتِ أهل التين للإحرام .

ومنها (مِرْبَاط) . قال في "تقويم البلدان" : بكسر الميم وسكون الراء المهملة ثم باء موحدة وألف بعدها طاءً مهملة . وهي بَلَدَةٌ على ساحل خور ظَفَّارِ المقدم ذكره . قال : وهي خارجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب أومنه . قال في "الأطوال" : حيث الطول أثنان وسبعون درجة ، والعرض اثنا عشرة درجة . قال ابن سعيد : وهي في الشرق والجنوب عن ظَفَّارِ . قال الإدريسي : وقبر هود عليه السلام منها على خمسة أيام . قال في "نزهة المشتاق" : ويجبال مِرْبَاطُ يَنْهَتْ شَجَرُ اللَّبَانِ ، ومنها يجهز إلى البلاد .

ومنها (بلاد مَهْرَة) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم ثم هاء ساكنة وراء مهملة مفتوحة وهاء في الآخر . والمراد بِمَهْرَةٍ بَنُو مَهْرَةٍ بَنِ حَيْدَانَ : قبيلة من قبائل اليمن ؛ وقد بسطت القول على ذلك في كتابي المسمى "بنهاية الأرب في معرفة قبائل العرب" . وموقعها في الإقليم الأول . قال في "الأطوال" : وآجرها حيث الطول خمس وسبعون درجة ، والعرض ست عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وليس بها نخيل ولا زرع وإنما أموال أهلها الإبل . قال : والستهم مستعجمة لا يكاد يُوقَف عليها ؛ ويُنسَب إليها البَحْتُ المفضلة ، ويحمل منها اللبان إلى الآفاق .

ومنها (الشَّحْر) بكسر الشين المعجمة وسكون الحاء المهملة وراء مهملة في الآخر.
قال ياقوت الحموي : وهى بُيْدَة صغيرة، ولم يزد على ذلك . والذي يظهر أن لها
إقليما ينسب إليها، وإليها يُنسب العنبر الشَّحْرَى على ما هتمم القول عليه في الكلام على
ما يحتاج الكاتب إلى وصفه في المقالة الأولى .

الجملة الثانية

(في ذكر حيوانه ، وحبوبه ، وفواكهه ، ورياحينه ومعاملاته ، وأسعاره)
وأما أذكر جملة من ذلك على ما ذكره في "مسالك الأبصار" عن أبي جعفر أحمد
ابن محمد المقبلي المعروف بابن غانم كاتب الإنشاء بها، وأبي محمد عبد الباقي بن
عبد المجيد اليمنى الكاتب

أما حيوانه - فيه من الحيوان الخليل العربية الفاتحة، والبغال الجيدة للركوب
والحمل، والحُمْر، والإبل، والبقر، والغنم؛ ومن الطير الدجاج، والإوز، والحمام؛
وفيها من الوحوش الزرافة والأسد، والفيلان، والفردة؛ وغير ذلك .

وأما حبوبه - فيه من الحبوب الحنطة والشعير والذرة والأرز والسَّمْسِم؛ وغالب
قوتهم الذرة وأقله الحنطة والشعير .

وأما فواكهه فيه العنب، والرمان، والسفرجل، والتفاح، والخبث، والتوت،
والموز، والليمون، والأترج، في أنواع أخرى من الفاكهة قليلة المقدار؛ وبه البطيخ
الأخضر والأصفر .

قال ابن البرهان : وغالب ما يوجد بمصر من الفواكه يوجد باليمن ، إلا أنه
بائع في وصف السفرجل به .
وأما أسماؤه فـرخية في الغالب . وذكر ابن البرهان أن الحنطة فيه تغلّو، والحوام
فيه رخيصة .

الجملة الثالثة

(في الطريق الموصلة إلى اليمن)

وله طريقان : طريق في البرّ، وطريق في البحر .
أما طريقه في البرّ، فالطريق من مصر إلى مكة معروفة . قال في "تقويم البلدان" :
ومن مكة إلى مدن نحو شهر . قال : ولها طريقان : أحدهما على ساحل البحر،
وهو الأبعد . والثاني على تجران، وحرس، وصعدة، وصنعاء، وهو الأقرب .
وأما في البحر، فمن مصر إلى السويس ثلاثة أيام في البرّ، ثم يركب في البحر إلى
زبيد وعدن . وربما عدل المسافرون عن السويس إلى الطور فتطول الطريق في البرّ،
وتقتصر في البحر، وربما وقع السفر إلى قوص في النيل أو في البرّ، ثم من قوص
إلى عيذاب أو إلى القصير، فيركب في البحر إلى زبيد أو عدن .

الجملة الرابعة

(في ذكر ملوكه : جاهلية وإسلاما)

أما ملوكه في الجاهلية فعلى عشر طبقات :

الطبقة الأولى

(العادية)

وهم بنو عاد بن عوص ، بن لادم ، بن مام ، بن نوح عليه السلام .
وكانت منازلهم بالأحقاف من اليمن ، وعمّان من البحرين إلى حضرموت
والشحر .

وأول من ملكها منهم (عاد) المقتم ذكره . ويقال : إنه أول من ملك
من العرب وطال عمره وكثر ولده ، حتى يقال إنه ولد أربعة آلاف ولد ذكر
لصلبه ، وتزوج ألف امرأة ، وعاش ألف سنة ومائتي سنة . وقال البيهقي :
عاش ثلثمائة سنة .

ثم ملك بعده ابنه (شديد) بن عاد .

ثم ملك بعده ابنه الثاني (شدّاد) بن عاد وسار في الممالك ، وأستولى على كثير من
بلاد الشام والعراق والهند وقال إنه ملك مصر أيضا .

ثم ملك بعده ابنه (لادم) بن عاد .

والذي ذكره المسعودي أنه ملك بعد عاد بن عوص ابنه عاد بن عاد وأن جيرون
ابن سعد بن عاد كان من ملوكهم ، وأنه الذي أختط مدينة دمشق ومصرها ، وإليه
يُنسب باب جيرون بها كما هُتم في الكلام عليها في مضافات الديار المصرية .

وذكر ابن سعيد : أن شدّاد بن بدّاد ، بن هداد ، بن شدّاد ، بن عاد غلب
فقط بن قبط على أسافل الديار المصرية ، ثم هلك هناك ، ويقال إن ملكهم على عهد

هود عليه السلام كان اسمه الخَلْجَان بن عاد، بن رقيم، بن عاد الأكبر، ولقمان بن عاد
ابن عاديا بن صداقا بن لقمان، وكَفَر الخَلْجَان، وأهلك الله من كفر منهم بالريح الطِّيم .
وَأَسْتَقِل ملك لقمان إلى ولده (لَقِيم) وَأَتَصَلَ ملك لقمان ورهطه ألف سنة أو أكثر
إلى أن غلبهم عليه يَعْرُبُ بن حَطَّان الآتِي ذكره .

الطبقة الثانية

(الْقَحْطَانِيَّة)

وأول من ملك منهم (حَطَّانُ) بن طابر، بن أرنجشد، بن سام، بن نوح عليه
السلام . قال المؤيد صاحب حِجَاة : وهو أول من ملك اليمن وليس التاج .
ثم ملك بعده أبوه (يَعْرُبُ) بن حَطَّان، وغلِب طادا على اليمن، وعَظُم مُلْكُهُ .
وهو أول من حَيَّاه قومه بَحْبِجَةِ الْمُلْكِ ؛ وولَّى أخاه حَضْرَمَوْتَ بن حَطَّانَ على بلاد
حَضْرَمَوْتَ فعرفت به ؛ وولَّى أخاه عُثْمَانَ بن حَطَّان على بلاد عُثْمَانَ من البحرين
فعُرفت به .

ثم ملك بعده أبوه (يَسْجُبُ) بن يَعْرُب .

ثم ملك بعده أبوه (عَبْدُ شَمْسٍ) وأكثر الفُزُو والسِّي، فسمى سَبَا ؛ وبَنَى قصر
سَبَا ومدينة مَأْرِبَ باليمن . ويقال : إنه غزا مصر، وبَنَى بها مدينة عَيْنِ شَمْسٍ،
التي أَثَرُهَا بالقرب من المطرية الآن .

ثم ملك بعده أبوه (حَمِيرُ) خمسين سنة، وهو أول من تَوَجَّجَ بالذهب .

ثم ملك بعده أبوه (وَأَثَلُ) . وقيل : بل ملك بعده أخوه (كَهْلَانُ) .

ثم ملك بعده وائل أبنه (السكك) .

ثم ملك بعده أبنه (يعفر) بن السكك .

ثم غلب على الملك (عامر) بن باران ، بن عوف ، بن حمير ، ويعرف
بذي رياش .

ثم ملك بعده أبنه (المعافر) وأسمه النعمان بن يعفر المتقدم ذكره .

ثم ملك بعده ابنه (أسمح) ^(١) بن النعمان ؛ فاضطرب أمر حمير ، وصار ملكهم
في طوائف إلى أن ظهرت ملوك التبايسة .

ويقال : إنه ملك منهم (أيمن) بن زهير ، بن القوث ، بن أيمن ، بن الهميص ،
واليه تنسب عدل أيمن على ما تقدم ذكره .

وملك منهم أيضا (عبد شمس) بن وائل ، بن القوث ، بن حيدان ، بن قطن ،
ابن عريب ، بن زهير ، بن أيمن ، بن الهميص ، بن حمير .

وملك منهم أيضا (حسان) بن عمرو ، بن قيس ، بن معاوية ، بن جشم ،
ابن عبد شمس .

ثم ملك بعده أخوه (لقمان) . ثم أخوه (نوشدد) : وهو ذو مراند . ثم أبنه
(الصعب) ويقال : إنه فولقريتين . ويقال : إن بني كهلان بن سبيل داوولوا
بني حمير في الملك .

وملك منهم (جبار) بن غالب ، بن زيد ، بن كهلان ؛ وأنه ملك من شعوب قحطان
أيضا (تجران) بن زيد ، بن يعرب ، بن قحطان ؛ وبه عرفت تجران المتقدم ذكرها .

(١) في "العبر" اسم بتقديم الحاء على الميم .

الطبقة الثالثة

(التيامة)

إِذَا بِمَعْنَى أَنَّ النَّاسَ يَتَّبِعُونَهُمْ كَمَا قَالَ السَّهْلِيُّ وَالزَّغْنَرِيُّ ؛ وَإِنَّمَا بِمَعْنَى أَنَّهُ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمَا قَالَ ابْنُ مَيْمُونٍ . قَالَ فِي " الْعَبَرِ " : وَكَانَتْ مَنَازِلُهُمْ ظَلْفَارٍ .

وَأَوَّلُ مَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ (الْحَارِثُ) بْنُ ذِي شُدَدٍ ، بْنُ الْمَلْطَاطِ ، بْنُ عَمْرٍو ، بْنُ ذِي يَدِيمٍ ، بْنُ الصَّوَارِ ، بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ ، بْنُ وَائِلٍ ، بْنُ الْفَوَثِ ، بْنُ حِيدَانَ ، بْنُ قَطْنٍ ، ابْنُ عُرَيْبٍ بْنُ زُهَيْرٍ ، بْنُ الْفَوَثِ بْنُ أَيْمُنَ بْنِ الْهَمَيْسَعِ ، بْنُ حَيْرٍ ، بْنُ سَبِيلٍ . وَاسْمُهُ الرَّائِشُ لِأَنَّهُ لَمَّا مَلَكَ النَّاسَ رَاشَهُمْ بِالْعَطَاءِ . قَالَ السَّهْلِيُّ وَكَانَ مَوْثَنَا .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (أَبْرَهَةُ ذُو الْمَنَارِ) مِائَةً وَثَمَانِينَ سَنَةً قَالَهُ الْمَسْعُودِيُّ . وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ هُوَ أَبْرَهَةُ بْنُ الصَّبْبِ ، بْنُ ذِي مَرَائِدٍ ، بْنُ الْمَلْطَاطِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ ، وَاسْمُهُ ذَا الْمَنَارِ لِأَنَّهُ وَفَعَ مَنَارًا يُتَدَيُّ بِهِ

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (أَفْرِيقَشُ) بْنُ أَبْرَهَةَ مِائَةً وَسِتِينَ سَنَةً .

وَقَالَ هِشَامُ ابْنُ الْكَلْبِيِّ هُوَ أَفْرِيقَشُ ، بْنُ قَيْسٍ ، بْنُ صَيْفِيٍّ أَخِي الْحَارِثِ الرَّائِشِ وَسَارَ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَفَتَحَ أَفْرِيقِيَّةَ فَعُرِفَتْ بِهِ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ (عَمْرُو الْعَبْدِ) بْنُ أَبْرَهَةَ الْمَعْرُوفُ بِذِي الْأَنْطَارِ نَحْصًا وَعِشْرِينَ سَنَةً . قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : وَاسْمُهُ ذَا الْأَنْطَارِ لِكَثْرَةِ دُغْرِ النَّاسِ مِنْهُ . قَالَ وَكَانَ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ قَبْلَهُ بَقِيلٌ .

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ : عَمْرُو بْنُ أَبْرَهَةَ ذِي الْمَنَارِ ، بْنُ الْحَارِثِ الرَّائِشِ ، بْنُ قَيْسٍ ، ابْنُ صَيْفِيٍّ ، بْنُ سَبِيلِ الْأَصْخَرِ .

ثم ملك بعده (المتهاد) بن شُرْحَيْل، بن عمرو ذى الأذنار ست سنين
أو عشر سنين، وهو ذو الصَّرح .

ثم ملك بعده أبنته (يَلْقِيسُ) بنت المتهاد بن شُرْحَيْل سبع سنين وهى صاحبة
القصة مع سليمان عليه السلام .

وقال الطبرى : يَلْقِيسُ هى يَلْقَمَةُ بنت لَيْشَرَح بن الحارث بن قيس .

ثم ملك بعدها (سليان) عليه السلام . ثم أقاموا فى مُلكه ومُلك بنه أربعا
وعشرين سنة .

ثم ملك (ناشر) بن عمرو ذى الأذنار . ويقال له ناشر بنعم ؛ وربما قيل ناشر أنعم ،
سُمى بذلك لإتمامه عليهم . وقال السهيلي : ناشر بن عمرو . ثم قال : ويقال له
ناشر النعم . وقال المسعودى ناشر بن عمرو ذى الأذنار . وقيل ناشر بن عمرو ،
أبن يعفر ، بن شُرْحَيْل ، بن عمرو ذى الأذنار ؛ وسار إلى وادى الرمل بأقصى
الغرب ؛ فلم يجد وراءه مَنًى ؛ فنصب صَنَمًا من نُحاس ، وزَرَّ عليه بالمُسند
”هذا الصنم لناشر أنعم ، ليس وراءه مَنًى ، فلا يتكلف أحد ذلك فيعطى“ .

ثم ملك بعده آبنه (شَمِير) ^(١) مائة وستين سنة . ويقال له شَمِير مَرَعَش ، سُمى بذلك
لأرتعاش كان به . وقال السهيلي : شَمِير بن مالك ، ومالك هو الأملوك . ويقال
إنه وطئ أرض العراق وفارس وخراسان وأفتح مدائنها ، ونزَّه مدينة الصُّفد
وراء نهر جِيحُون ، فقالت النجم : شَمِير كُند أبى شمر نَزَّه ، وبني هناك مدينة
فسميت بذلك ، ثم عُرِيت مَمَرُقُند . ويقال : إنه الذى بنى الحيرة بالعراق . وملك
بلاد الروم وأستعمل عليها مَاهَان قَيْصَر .

(١) كذا فى ”البر“ أيضا وفى ”السياتك“ ثلاثا وخمسين سنة .

ثم ملك بعده (تُبَّعُ الْأَقْرَن) ثلاثا وخمسين سنة ، وقيل ثلاثا وستين سنة
وأسمه زيد ، قال المسعودي : وهو ابن شَيْخِ مَرْعَش ، وقال الطبري : ابن عمرو
ذي الأذعار . قال المسيلي : وسبى الأقرن لشامة كانت في قرنه .
ثم ملك بعده ابنه (كُلَيْب) .

ثم ملك بعده (تَبَان) أسعد أبو كرب ، بن قيس ، بن زيد الأقرن ، بن عمرو
ذي الأذعار ، وهو تَبَّعُ الْآخِر . ويقال له الرائد ، وكان على عهد يستأسف أحد ملوك
الفرس الكيانية وحافده أردشير ، وملك اليمن والمجاز والعراق والشام ، وغزا بلاد
الترك والتبت والصين ، ويقال : إنه ترك ببلاد التبت قوما من حيد ، هم بها إلى
الآن ، وغزا القسطنطينية ومصر في طريقه بالعراق فتحرقومه فبنى هناك مدينة
سمها الحيرة ، وقد مرّ الكلام عليها مع العراق في الكلام على مملكة إيران ، ويقال
إنه أثل من كسا الكعبة الملاء وجعل لبابها مفتاحا وأوصى ولاتها من جرم بتهجيرها
ودام ملكه ثلثمائة وعشرين سنة .

ثم ملك من بعده (رَبِيعَة) بن نصر ، بن الحارث ، بن نمارة ، بن نَحْم . ويقال ربِيعَة ،
ابن نصر ، بن أبي حارثة ، بن عمرو ، بن عامر . وبعضهم يعكس فيقول نصر بن ربِيعَة ،
ثم رأى رؤيا حالته فسار بأهله إلى العراق وأقام بالحيرة ، ومن عقبه كان النعمان
ابن المنذر ملك الحيرة وهو النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربِيعَة بن نصر .
ثم ملك بعده (حَسَّان ذو معاهر) بن تَبَان أسعد أبي كرب .

ثم ملك بعده أخوه (عمرو) بن تَبَان أسعد أبي كرب ويسمى الموثبان ثلاثا
وستين سنة ، ومات عن أولاد صغار وأكبرهم قد آسهموته الجن ، فوثب على ملك
التبابعة (عبد كلال) بن مَثُوب ، فملك أربعين سنة وهو تَبَّعُ الْأَصْغَر ، وله
مغاز وأثار بعيدة .

ثم ملك بعده اخوه لأمه (مرثد) بن عبد كلال سبعا وثلاثين سنة .

[ثم ملك من بعده ابنه وليعة بن مرثد^(١) .

ثم ملك بعده (أبرهة بن الصباح) بن ليعة ، بن شيبه ، بن مرثد ، بن نيف
ابن معدى كرب ، بن عبد الله ، بن عمرو ، بن ذى أصبح الحارث ، بن مالك ،
وقيل إنما ملك سائمة فقط .

ثم ملك بعده (حسان بن عمرو) بن تبيع ، بن كليكيرب سبعا وخمسين سنة .

ثم ملك بعده (ليعة) بن ينوف ذو شتار سبعا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده (ذونواس زُرْعَة) تبيع بن تيان أسعد أبي كرب ثمانين سنة ،
ويسمى يوسف ، وكان يدين باليهودية وحمل الناس عليه .

ثم ملك بعده (ذو جندن) واسمه طلس بن زيد ، بن الحارث ، بن زيد الجمهور .
وقيل : طلس بن الحارث ، بن زيد ، بن الغوث ، بن سعد ، بن عوف ، بن عدي ،
ابن مالك ، بن زيد الجمهور ، وهو آخر ملوك اليمن من العرب . وقيل غير ذلك من
تقديم وتأخير وتبديل اسم باسم .

وبالجملة فأخبار التبابعة غير مضبوطة ، وأمورهم غير محققة . قال المسعودي : ولا
يسمى أحد منهم تبعاً حتى يملك اليمن والشحر وحضرموت ، على أن الطبري قد
ذكر أن الملك من ملوك اليمن لا يتجاوز مغلقة ، وإن تجاوزه فبمسافة يسيرة .

الطبقة الرابعة

(الحبشة)

وأول من ملك منهم (أرياط) بعثه صاحب الحبشة مقدما على جيوشه حين تهوّد
ذو نُوَاس وأحرق الإنجيل ؛ ففتح اليَمَن وأستقر في ملكه .

ثم ملك بعده (أبرهة الأشرم) وهو صاحب الفيل الذي جاء به لتخريب الكعبة .

ثم ملك بعده أبنه (يَكْسُوم) .

ثم ملك بعده أخوه (مسروق) وهو آخر ملوك ايمن من الحبشة .

الطبقة الخامسة

(الفرس)

وأول من ملك منهم (وهزَر) وذلك أن سيفَ بن ذى يَزَن ، بن عابر ، بن أسلم ،
أبن زيد ، بن غوث ، بن سعد ، بن عوف ، بن عدى ، بن مالك ، بن زيد الجمهور
الحيمري ، أستجاش كسرى أئو شروان : ملك الفُرس على مسروق بن أبرهة آخر
ملوك الحبشة بايمن فأضعفه بجيش ، ففتح به ايمن وأستلبه فيه ، فقتله بعض
من أستخلصه من الحبشة ، فولى كسرى (وهزَر) مكانه وهلك ، فأقام كسرى مكانه
ابنه (المرزبان) ثم هلك ، فأقام مكانه (خُنُصَرَو) بن السبحان بن المرزبان ؛ ثم عزله
وى على ايمن (باذان) فلم يزل به إلى أن كانت الأئمة فأسلم وفشا الإسلام بايمن ،
وتتابعَت الوفود منه دلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الطبقة السادسة

(عُمّال النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده)

لما أسلم (بازْدَان) نائب كسرى، ولّاه النبي صلى الله عليه وسلم على جميع مخالفين اليمن، وكان منزله بصنعاء: دار مملكة التابعة، وبقي حتى مات بعد حجة الوداع، فولّى النبي صلى الله عليه وسلم ابنه (شهر) بن بازْدَان على صنعاء، وولّى على كل جهة واحدا من الصحابة رضوان الله عليهم إلى أن خرج (الأسود العنسي) فقتل شهر ابن بازْدَان، وأخرج سائر عُمّال النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن: فلما قُتل العنسي رجع عُمّال النبي صلى الله عليه وسلم إلى أعمالهم، وأستولى (قيس بن عبد يغوث) المرادي على صنعاء، وتوفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك.

ثم ولّى أبو بكر الصديق رضي الله عنه (فيروز الديلمي).

ثم ولّى بعده (المهاجر) بن أبي أمية، و(عكرمة) بن أبي جهل، على قتال أهل الردّة، ثم أستقرّ اليمن في ولاية (يعلى بن ميثم).

ثم ولّى على بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافته (عبيد الله) بن عباس، ثم أخاه (عبد الله).

ثم ولّى معاوية على صنعاء (فيروز) الديلمي، ومات سنة ثلاث وخمسين من الهجرة.

ثم جعل عبد الملك بن مروان اليمن في ولاية الحجاج بن يوسف، حين بعثه لقتال ابن الزبير سنة ثنتين ومبشرين.

ثم كان به (يوسف) بن عمرو سنة ثمان ومائة.

ثم لما جاءت دولة بني العباس ، ولى السفاح : أول خلفائهم على اليمن عمه (داود) وتوفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فولى مكانه (عمر) بن زيد ، بن عبد الله ، ابن عبد المذنان ، وتوفى سنة أربع وثلاثين ومائة ، فولى السفاح مكانه (علي بن الربيع) ابن عبيد الله .

ثم فى سنة ثلاث وخمسين ومائة كان عليها (يزيد) بن منصور ؛ ثم عزله المهدي فى خلافته ، وولى مكانه (رجاء بن روح) .

ثم ولى بعده (علي بن سليمان) ثم عزله سنة اثنتين وستين ومائة ، وولى مكانه (عبد الله بن سليمان) . ثم عزله سنة ثلاث وستين ومائة ، وولى مكانه (منصور بن يزيد) . ثم عزله فى سنة ست وستين ومائة ، وولى مكانه (عبد الله بن سليمان الرمى) . ثم ولى سليمان بن يزيد^(١) ثانيا .

ثم ولى الرشيد سنة أربع وثمانين ومائة حمادا اليزيدى .

الطبقة السابعة

(ملوكها من بني زياد)

لم تزل تواب الخلفاء متوالية على اليمن إلى أيام المأمون ، فاضطرب أمر اليمن ، فوجه المأمون إليه (محمد بن إبراهيم) بن عبيد الله ، بن زياد ، بن أبيه ، ففتح اليمن وملكه ، وبني مدينة زييد فى سنة أربع ومائتين ؛ وولى مولاه جعفر على الجبال ، فعرفت بخلاف جعفر إلى الآن .

ثم ملك اليمن بعده أبنته (إبراهيم) بن محمد [ثم أبنته زياد بن إبراهيم]^(٢) .

(١) كذا فى الأصول ولم يسبق ذكر سليمان بن يزيد فى ولايتها فله من زيادة النسخ وأن ثانيا راجع إلى عبد الله بن سليمان الخ كما يؤخذ من الكامل .

(٢) الزيادة عن "البر وأبي الفداء" ليستقيم الكلام .

ثم ملك بعده أخوه (أبو الجَيْش) إِسْحَاقُ بن إبراهيم وطالت مدته ، وتوفي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، وخلف طفلاً فقلت أخته هند بنت أبي الجَيْش كَفَّالته ، وتولت معها عبدُ لأبي الجَيْش اسمه رشيد فبقى حتى مات ، فتولت مكانه حسين بن سلامة (وسلامة أُم أمه) وصار وزيراً لهند وأخوها حتى ماتا .

ثم ملكوا عليهم طفلاً اسمه (إبراهيم) وقيل (عبد الله) بن زياد ، وقام بأمره عمته وعبد من عبيد حسين بن سلامة اسمه (مَرْجَانُ) ثم قبض (قيس) عبد مَرْجَانٍ على الطفل وعمره في سنة سبع وأربعمائة وأسند بالملك ، ثم قُتِل قيس بزييد .

وملك بعده (نَجَاحُ) عبدُ مَرْجَانٍ أيضاً وعظم شأنه ، وركب بالمِظْلَةِ وضربت السكة باسمه ، وبقي حتى توفي سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة .

وملك بعده ابنه (سعيد الأحول) بن نَجَاح .

ثم غلب على الملك الملك المكرم (أحمد بن علي الصليحي) في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة . وقيل سنة ثمانين ، وأقام بزييد .

ثم ملكها (جِيَّاش بن نَجَاح) في بقايا سنة إحدى وثمانين ، ومات سنة ثمان وتسعين وأربعمائة .

[ثم ملك بعده ابنه فَاتِكُ] ^(١) ثم ملك بعده (منصور بن فَاتِك) بن جِيَّاش بن نَجَاح .

ثم ملك بعده ابنه (فَاتِك) بن منصور بن فَاتِك .

ثم ملك بعده ابن عمه (فَاتِك بن محمد) بن فَاتِك ، بن جِيَّاش ، بن نَجَاح في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ، وقتل في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة . وهو آخر ملوك بني نَجَاح .

الطبقة الثامنة

(ملوكها من بنى مهديّ)

لما قُتل فاتك، ملك بعده (علي بن مهديّ) وأستقر في دار الملك بزيد في رابع عشر شهر رجب سنة أربع وخمسين ونعمسائة، ومات بعد شهرين وأحد وعشرين يوماً، وكان مذهبه التكفير بالمعاصي وقتل من خالف مذهبه.

ثم ملك بعده أبنه (مهديّ بن عليّ) بن مهديّ.

ثم ملك بعده أبنه (عبد النبيّ) بن مهديّ.

ثم ملك بعده عمه ^(١) (عبد الله) بن مهديّ.

ثم عاد (عبد النبيّ) ثانياً، وهو آخرهم.

الطبقة التاسعة

(ملوكها من بنى أيوب ملك مصر)

وأول من ملكها منهم (شمس الدولة ثوران شاه بن أيوب) سيّره إليها أخوه السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" صاحب الديار المصرية في سنة تسع وستين ونعمسائة، ففتح زبيد وأسر صاحبها (عبد النبيّ). ثم ملك عدن وأسر صاحبها (ياسر) وأستولى على اليمن لأخيه صلاح الدين، ثم أمتناب ثوران شاه على زبيد حيطان بن كامل بن متقذ الكافى، ورجع إلى الشام في سنة إحدى وسبعين ونعمسائة، فأضاف إليه أخوه السلطان صلاح الدين الإسكندرية، وبقيت توابه باين يحملون إليه الأموال من زبيد إلى أن توفى بالإسكندرية في سنة ست وسبعين

(١) صوابه "أخوه" كما في تاريخي أبي الفداء والقرمانى.

ونحميئة، فاضطرب أمر الدين، فوجه السلطان صلاح الدين إليه أميرا، فعزل عنه حطان بن كامل وتولى مكانه، ثم توفي الأمير فناد حطان إلى ولايته .

ثم بعث السلطان صلاح الدين أخاه (سيف الإسلام طغتكين) بن أيوب إلى الدين فقبض على حطان وأستقر في مملكة الدين، وبقي به حتى مات بزبد في سنة ثلاث وتسعين ونحميئة .

ثم ملك بعده ابنه (الملك العزيز إسماعيل) فأساء السيرة فقتله أمرؤه .

وملك بعده أخوه (الناصر) صغيرا، فقام بتدبير مملكته ستر مملوك أبيه أربع سنين ثم مات، فترج أم الناصر غازي بن جبريل : أحد أمراء دولته وقام بتدبيرها، ثم مات الناصر وبق (غازي) في المملكة فقتله جماعة من العرب، فظلت أم الناصر على زبده .

وكان (سليمان بن شاهنشاه) بن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب قد خرج فقيرا، فاتفق أن وافى الدين فترج أم الناصر وملك الدين فأساء السيرة، فبعث إليه عمه الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر، ابنه (الملك المسعود) أطمز المعروف بأقبيس، في جيش فلك الدين من سليمان، ثم كره المقام فيه فسار قاصدا الشام فتوفي بمكة، وهو آخر ملوكها من بني أيوب .

الطبقة العاشرة

(دولة بني رسول . وهم القائمون بها الآن)

وأول من ملكها منهم علي بن رسول . وذلك أنه لما توفي الملك المسعود أفسس

ابن الملك الكامل محمد، كان معه أمير اخور لأبيه اسمه رسول، فلما خرج الملك

المسعود يريد الشام ، استخلف على اليمن (علي بن رسول) المذكور ، فاستقر نائباً باليمن لبني أيوب حتى مات سنة ثلاثين وستمائة ، ووقع في " التعريف " :
أن المستقر في اليمن أولاً هو رسول والد علي المذكور ، ولم أره في تاريخ .

ثم استقر بعد علي بن رسول المذكور في النيابة ولده الملك المنصور (عمر ابن علي) . ثم تغلب علي اليمن ونحرج عن طاعة بني أيوب ملوك مصر ، واستقل بملك اليمن ، وتلقب بالملك المنصور ، ثم قُتل في سنة ثمان وأربعين وستمائة .

وملك بعده ابنه الملك المظفر شمس الدين (يوسف بن عمر) بن علي بن رسول ، وصفاً له ملك اليمن وطالت مدته ، وأرسل إلى الملك المنصور قلاوون صاحب الديار المصرية حينئذ هدية نفيسة ، وسأل أن يكتب له أماناً ، فقُبِلت هديته وكتب له بالأمان ، وقررت عليه إتاوة للملك مصر ، وأعيدت رُسُلُه في سنة ثمانين وستمائة . ومات بقلعة تَمَرَّ سنة أربع وتسعين وستمائة .

وملك بعده ابنه الأشرف ممهد الدين (عمر بن المظفر يوسف) وبقي حتى مات سنة ست وتسعين وستمائة .

ثم ملك بعده أخوه الملك المؤيد (هنري الدين داود) واستقر على مواصلة ملوك مصر بالهدايا والتخف والضريبة المقررة عليه . وتمنَّه بملهب الشافعي رضي الله عنه واشتغل بالعلم وأعتنى بجمع الكتب ، حتى أشتملت خزائنه على مائة ألف مجلد ، وبرَّ العلماء ، وكانت تحفه تصل إلى الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رحمه الله في كل وقت ، وتوفي سنة إحدى وعشرين وسبعائة .

وملك بعده ابنه الملك المجاهد (سيف الدين علي) وكان في الأيام الناصرية

”محمد بن قلاوون“ صاحب الديار المصرية ، فأساء السيرة ، فقبض عليه وخلع وحُيس في سنة ثنتين وعشرين وسبعائة .

وملك بعده عمه الملك المنصور (أيوب بن المظفر يوسف) ثم قتله شيعه الجهاد ، وأعادوا الملك المجاهد . وكان الظاهر أسد الدين عبد الله بن المنصور أيوب بمحسن الدُمْلُوَّة المقدم ذكره فعصى عليه ، وملك عَدَدَ غيرها . وبعث الملك المجاهد للناصر ”محمد بن قلاوون“ يستصرخه على الظاهر عبد الله . فجهز إليه العساكر فوصلت إليه سنة خمس وعشرين وسبعائة ، فأوقعوا الصلح بينهما على أن تكون الدُمْلُوَّة للظاهر المذكور؛ وتمهد أيمن للجهاد ، وأستزل الظاهر عن الدُمْلُوَّة ؛ ثم قبض عليه وقتله .

ثم حج المجاهد سنة إحدى وخمسين وسبعائة في أيام الملك ”الناصر حسن“ ابن محمد بن قلاوون صاحب مصر .

وكان الأمير طاز أحد أكابر أمراء الديار المصرية قد حج؛ وأشيع أن المجاهد يريد كسوة الكعبة في تلك السنة ، ف وقعت افتنة بين العسكر المصري والمجاهد ، فانهزم المجاهد ونُهِيت عساكره وسائر أهل أيمن ، وأسير المجاهد صاحب أيمن وحُمل إلى مصر فاعُتُمل بها ؛ ثم أُطْلِق سنة ثنتين وخمسين وسبعائة في دولة الصالح ، ووجه معه بالأمير قشتمر المنصوري ليوصله إلى بلاده ؛ فلما بلغ به النينج ، أرتاب منه في الحرب ، فرجع به إلى مصر ، فحُيس في الكرك من بلاد الشام ؛ ثم أُطْلِق وأعيد إلى ملكه ، وأقام على منارة صاحب مصر إلى أن توفي سنة ست وستين وسبعائة .

وملك بعده أبنته الملك الأفضل (عباس) بن المجاهد على ، فاستقام له ملك اليمن وبقى حتى مات سنة ثمان وسبعين وسبعمائة .

وملك بعده أبنته الملك المنصور (محمد) ومات .

وملك أخوه الملك الأشرف (إسماعيل) بن الأفضل عباس ، فاستقام أمره بها ، ثم مات .

وولى بعده أبنته " وهو بن الأشرف إسماعيل ، بن الأفضل عباس ، ابن المجاهد على ، بن المؤيد داود ، بن المظفر يوسف ، بن المنصور عمر ، بن على ، ابن رسول ، وهو باق باليمن إلى آخر سنة أثنى عشرة وثمانمائة .

وله مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، يأتي ذكرها في المكتبات إن شاء الله تعالى .

الجملة السادسة

(في ترتيب هذه المملكة على ما هي عليه في زمن بنى رسول :

ملوكها الآن : في مقدار عساكرها ، وزى جنتها ، وبيان أرباب

وظائفها ، وحال سلطانها)

أما مقدار عساكرها . فقد قال في "مسالك الأبصار" : أخبرني أقصى القضاة ، أبو الربيع : سليمان بن محمد ، بن الصلبر سليمان (وكان قد توجه إلى اليمن ، وخدم في ديوان الجيوش به) أن جميع جُند اليمن لا يبلغ ألقى فارس . قال : وينضاف إليهم من العرب المدافعين في طاعته مثلهم ، وأراني جريدة للجيش تشهد بما قال .

(١) يابض في الأصل .

وذكر أن غالب جُنْدَه من القُرباء . وقيل عن الحكيم "صلاح الدين بن البرهان" أن الإمرة عندهم قد تُطْلَقُ على من ليس بأمير؛ وأما الإمرة الحقيقية التي ترفع بها الأعلام والكُوسات ، فإنها لمن قَلَّ ؛ وربما أنه لا يتعدى عدَّةُ الأمراء بها عشرة نفر .

وأما زِيَّ السلطان والجُنْدُ بها ، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن لبَّاسَ السلطان وطامة الجند باليمن أقيَّةٌ إسلامية ، ضَبِيقَةُ الأكمام ، مزِنْدَةٌ على الأيدي ، وفي أوساطهم مناطِقُ مشدودة ، وعلى رءوسهم تحافِيفُ لانس ، وفي أرجلهم الدلا كسات ، وهي أخفاف من القماش الحرير الأطلس والتَّابِي وغير ذلك .

قال المقر الشهابي بن فضل الله : وقد حضر علي بن عمر بن يوسف الشهابي : أحدُ أمراء الملك المجاهد باليمن إلى الديار المصرية ، في وخشة حصلت بينه وبين سلطانه ، وهو بهذا الزِّيَّ خلا الدلا كس فإنه قلعه ولبس الخُفَّ المعتاد بالديار المصرية ؛ وكان يحضُرُ الموكب السلطاني بالديار المصرية ، وهو على هذا الزِّيَّ .

وأما شعار السلطنة ، فقد ذكر عن الحكيم بن البرهان أيضا أن شعار سلطان اليمن وَرْدَةٌ حمراء في أرض بيضاء . قال المقر الشهابي بن فضل الله : ورأيت أنا السُّنْبُقِيَّ اليمنِيَّ ، وقد رُفِعَ في عَرَقات سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ، وهو أبيضُ فيه وريجات حمركثيرة .

وأما أرباب الوظائف ، فنقل عن ابن البرهان أن باليمن أربابَ وظائف : من النائب ، والوزير ، والحاجب ، وكاتب السر ، وكاتب الجيش وديوان المال . وبها وظائف الشاذ والولاية ؛ وأنه يشبه بالديار المصرية في أكثر أحواله . قال : أما كُتَّابُ الإنشاء ثمَّ ، فإنه لا يجمعهم رئيس يرأس عليهم يقرأ ما يرد على السلطان

وَيُجَابِوْهُ عَنْهُ وَيَتَلَقَّى الْمُرَاسِمَ وَيَقْنَعُهَا، وَإِنَّمَا السُّلْطَانُ إِذَا دَعَتْ حَاجَتُهُ إِلَى كِتَابَةٍ كُتِبَ، يَبْعَثُ إِلَى كُلِّ مِنْهُمْ مَا يَكْتُبُهُ . فَإِذَا كَتَبَ السُّلْطَانُ مَارِسَمَ لَهُ بِهِ، يَبْعَثُهُ عَلَى يَدِ أَحَدِ الْخِصْيَانِ قَدَّمَهُ إِلَيْهِ، فَيَعْلَمُ فِيهِ وَيَقْنَعُهُ .

قَالَ الْمُقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ : وَعَادَةً مَا يُكْتُبُ عَنْهُ فِي دِيْوَانِ الْإِنشَاءِ كَمَا دَاةَ الدِّيَارِ الْمَصْرِفِيَّةِ فِي الْمَصْطَلَعِ . قَالَ : وَرَأَيْتُ عِلَامَةَ الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ دَاوُدَ عَلَى تَوْقِيعِ مِثَالِهَا "الشَّاكِرُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمَاتِهِ" فِي سَطْرٍ، وَتَحْتَهُ "دَاوُدُ" فِي سَطْرِ آخَرٍ .

وَأَمَّا تَرْتِيبُ أَحْوَالِ السُّلْطَانِ ، فَقَدْ ذَكَرْتُ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : أَنَّ صَاحِبَ الْيَمَنِ قَلِيلٌ التَّصَدُّقِ لِإِقَامَةِ رُسُومِ الْمَوَاقِبِ وَالْخِدْمَةِ وَالْاجْتِمَاعِ بِوَلَاةِ الْأُمُورِ بِبَابِهِ ، فَإِذَا أَحْتَاجَ أَحَدٌ مِنْ أَمْرَائِهِ وَجَنَدِهِ إِلَى مِرَاجَعَتِهِ فِي أَمْرٍ ، كَتَبَ إِلَيْهِ قِصَّةَ يَسْتَأْمُرُهُ فِيهَا ، فَيَكْتُبُ عَلَيْهَا بِخَطِّهِ مَا يَرَاهُ ، وَكَذَلِكَ إِذَا رُفِعَتْ إِلَيْهِ قِصَصُ الْمَظَالِمِ هُوَ الَّذِي يَكْتُبُ عَلَيْهَا بِخَطِّهِ بِمَا فِيهِ إِنْصَافُ الْمَظْلُومِ .

وَقِيلَ عَنْ أَبِي الْبَرَهَانَ : أَنَّ مَلُوكَ الْيَمَنِ أَوْقَاتُهُمْ مَقْصُورَةٌ عَلَى لَذَائِهِمْ ، وَالْخُلُوعِ مَعَ حَفَظِ أَيْامِهِمْ وَخَاصَّتِهِمْ مِنَ التَّنَمَاءِ وَالْمُطَرِّينَ ، فَلَا يَكَادُ السُّلْطَانُ يُرَى ، بَلْ وَلَا يَسْمَعُ أَحَدٌ مِنَ أَهْلِ الْيَمَنِ خَبْرًا لَهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، وَأَهْلُ خَاصَّتِهِ الْمُقَرَّبُونَ الْخِصْيَانُ ؛ وَلَهُ أَرْبَابٌ وَظَائِفٌ لِلْوُقُوفِ بِأُمُورِهِ ، وَهُوَ يَنْحُو فِي أُمُورِهِ مَتَّحِي صَاحِبَ مِصْرَ : يَتَسَمَّعُ أَخْبَارَهُ ، وَيَحَاوِلُ اقْتِفَاءَ آثَارِهِ فِي أَحْوَالِهِ ، وَأَوْضَاعِ دَوْلَتِهِ ؛ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ، وَلَا تَحْفَظُ عَلَيْهِ تِلْكَ الرَّايَةَ ؛ لِتَقْصُورِ مَدَدِ بِلَادِهِ ، وَقِلَّةِ عَدَدِ أَجْنَادِهِ ؛ وَلِلتَّجَارِ عَنْدهُمْ مَوْضِعٌ جَلِيلٌ ، لِأَنَّ غَالِبَ مَتَحَصَّلَاتِ الْيَمَنِ مِنْهُمْ وَبَسْبِهِمْ ، وَغَالِبُ دَخْلِهِ مِنَ التَّجَارِ وَالْجَلَالَةِ بَرًّا وَبَحْرًا . وَلِذَلِكَ كَانَتْ مَمْلَكَةُ بَنِي رَسُولٍ هَذِهِ أَكْثَرَ مَالًا مِنْ مَمْلَكَةِ الشَّرَفَاءِ بِصَبْنَاءَ وَمَا وَالَاهَا بِجَاوِرَةِ مَمْلَكَةِ بَنِي رَسُولِ الْبَحْرِ .

وصاحب اليمن لا يتزل في أسفاره إلا في قصور مبنية له في منازل معروفة من بلاده،
 بحيث أراد النزول بمنزلة وجد بها قصرا مبنيًا يتزل به . قال : وإنما تجتمع لهم
 الأموال لقلة الكلف في الخرج والمصاريف والتكاليف ؛ ولأن الهند يملئهم
 بمراكبه ، ويواصلهم ببضائعهم .

قال في "مسالك الأبصار" : ولا تزال ملوك اليمن تستعجل من مصر والشام
 طوائف من أرباب الصناعات والبضائع ببضائعهم على اختلافها . قال أفضى
 القضاة أبو الربيع سليمان بن الصدر سليمان : وصاحب هذه المملكة أبدا يرغب
 في التزيين ، ويحسن تقييم غاية الإحسان ، ويستخدمهم بما يناسب كلاً منهم ،
 ويتفقهم في كل وقت بما يأخذ به قلوبهم ويوطنهم عنده .

وذكر في "مسالك الأبصار" عن ملوك هذه المملكة : أنهم لم يزالوا مقصودين
 من آفاق الأرض ، قل أن يبقى شيء في صنعة من الصنائع إلا يصنع لأحدهم
 شيئاً على اسمه ، ويحيد فيه بحسب الطاقة ، ثم يجهزه إليه ويقصده به فيقدمه
 إليه ، فيقبل عليه ويقبل منه ، ويحسن زكاه ، ويحسن جائزته ، ثم إن أقام في بابه ،
 أقام مكرماً محترماً ، أو عاد محبواً محبورا ، يميزلون من نعمهم العطايا ، ويثقلون
 بكرمهم المطايا ، ما قصدهم قاصداً إلا وحصل له من البر والإيناس وتوزيع الكرامة
 ما يسليهم عن الأوطان ، ولكنهم لا يسمعون بعود غريب ، ولا يصفحون في زلزل
 عن بعيد ولا قريب ؛ فإن أراد الأرنحال عن دارهم ، مكنوه من العود كما جاءهم ؛
 ونرج عنهم على أسوأ حال ، مسلواً ما استنفاد عنهم من نعمة ، عقاباً له على
 مفارقتها لأبوابهم لأجلها بما جأؤا به . أما من قدم إليهم القول بأنه أتاهم راحلاً

لأمّية، وزائراً لمستديماً، فإنهم لا يكتفونه المقام لسيهم، ولا دواماً في النزول عليهم؛ بل ينجّزون إفادته، ويثجلون إعادته .

ثم بعد أن ذكر ما بين صاحب اليمن هذا وبين إمام الزيدية باليمن من المشاجرة والمهادنة تارةً والمفاسخة أخرى، قال : وصاحبُ اليمن لا عثر له ، لأنه محبوب يجرّ زانراً وبرّ متقطع من كل جهة ، وللسالمة بينه وبينهم ، فهو لهذا قرير العين ، خالي البال ، لأيمه إلا صيد ، ولا يهيج إلا لبّال . قال : وهم مع ذلك على شتّة ضبط لبلادهم ومنّ فيها ، وأحترّازهم على طرّفها برّاً وبحراً من كل جهة ، لا يخفى عليهم داخل يدخل إليها ، ولا خارج يخرج منها ؛ ومع ذلك فهو يُدارى صاحب مصر ويهاديه ، لمكان إمكان تسلّطه عليه من البر والبحر المجازي ؛ ولذلك أكتب الملك " المؤيد داود " وصيةً أوصى فيها الملك الناصر " محمد بن قلاوون " صاحب الديار المصرية على أبنه الملك المجاهد على . فلما مات المؤيد تيمّ على أبنه المجاهد ناجم ، فبعث بوصية أبيه إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ففخز معه عسكرياً إلى اليمن فنفعه من عدوّه الناجم عليه ، ومكّن له في اليمن وبسط يده فيه .

القسم الثاني

(من اليمن النجود) .

وهي ما ارتفع من الأرض ؛ وبها مستقرّ أئمة الزيدية الآن .

قال في " مسالك الأبصار " : وهي شديدة الحرّ، وقد أنطوى فيها جزء من اليمن ، وإن كان ما بيد أولاد رسول هو الجزء الوافر الأعظم .

وفيه أربع جمل :

الجملة الأولى

(فيا أشتملت عليه من النواحي، والمدن، والبلاد)

قال في "مسالك الأبصار" حدثني الحكيم صلاح الدين بن البرهان : أن اليمن متقسم إلى قسمين : سواحل ، وجبال ؛ وأتب السواحل كلها لبنى رسول ، والجبال كلها أو غالبها للأشراف . قال : وهى أقل دخلا من السواحل : لمدد البحر لتلك واتصال سبيلها عنه، وأقطع المدد عن هذه البلاد لأقطع سبيلها من كل جهة .

قال : وحدثني أبو جعفر بن غانم : أن بلاد الشرفاء هؤلاء متصلة ببلاد السراة، إلى الطائف، إلى مكة المعظمة .

قال : وهى جبال شاذة ، ذات عيون دافقة ومياه جارية ، على قرى متصلة ، الواحدة إلى جانب الأخرى ؛ وليس لواحدة تعلق بالأخرى بل لكل واحدة أهل يرجع أمرهم إلى كبيرهم ، لا يضمهم ملك ملك ، ولا يجمعهم حكم سلطان ، ولا تخلو قرية منها من أشجار وعروش نوات فواكه أكثرها العنب واللوز ؛ ولها زروع أكثرها الشعير ، ولأهلها ماشية أعوزتها الزرائب ، وضاعت بها الحظائر .

قال : وأهلها أهل سلامة وخير وتمسك بالشرعية ووقوف معها ، يعضون على دينهم بالتواجد ، ويقرون كل من يترهم ، ويضيفونه مدة مقامه حتى يفارقهم . وإذا دبحوا لضيفهم شاة ، قتلوا له جميع لحما ورأسها وأكارعها وكبدها وقلبها وكريشها ، فيا كل ويحل معه ما يحل . ولا يسافر أحد منهم من قرية إلى أخرى إلا رفيق يسترفقه منها فيخفره ، لوقوع العداوة بينهم .
ثم هى تشتمل على عدة حصون وبلاد محصية .

وقاعدتها مدينة (صَنَعَاء) . قال في "تهويم البلدان" : بفتح الصاد المهملة وسكون النون وعين مهملة وألف ممدودة . وهى مدينة من مُجُود اليمن ، واقعةٌ فى أوائل الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال فى "الاطوال" : حيث الطولُ سبعٌ وستون درجة ، والعرض أربع عشرة درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "الروض المعطار" : وأسمها الأول "أوال" ^(١) . معنى بضم الحمزة وفتح الواو من الأوليّة بلغتهم . فلما واقعتها الحيشة ونظروا إلى بنائها ، قالوا : هذه صنعة ، ومعناه بلغتهم حصينة فسميت صنعاء من يومئذ . قال : والنسبة إليها صَنَعَائِيٌّ على غير قياس . ويقال : إنها أول مدينة بُنيت باليمن .

ثم اختلف : ف قيل بناها سام بن نوح عليه السلام ؛ وذلك أنه طلب مكانا معتدل الحرارة والبرودة فلم يجد ذلك إلا فى مكان صنعاء فبنى هذه المدينة هناك . وقيل بنتها عاد .

قال فى "تهويم البلدان" : وهى من أعظم مُدُن اليمن ؛ وبها أسواق ومتاجر كثيرة ؛ ولها شبه بدمشق : لكثرة مياهها وأشجارها ؛ وهواؤها معتدل ؛ وتتقارب فيها ساعات الشتاء والصيف ؛ وفى أطول يوم فى السنة يكون الشاخص عند الاستواء لا ظل له .

وقال فى موضع آخر : نُشِبَ بِعَلَبَكْ فى الشام ، فتمامها الحسن وجُحِشَها التمام ؛ وكثرة الفواكه ، تقع بها الأمطار والبرد . وهى كرمى ملوك اليمن فى القديم ، ويقال إنها كانت دار ملك التَّبابسة . قال فى "الروض المعطار" : وهى على نهر صغير يأتى

(١) كذا فى "العبر" أيضا والذى فى معجم البلدان والقاموس فى مادة أزل أن أسم صنعاء "أزال" كصاحب أى بالزى المعجبة فأمل .

إليها من جبل في شمالها، ويمتدُّ منحدرا إلى مدينة دَمَار، ويصب في البحر الهندي،
وعمارتها متصلة؛ وليس في بلاد اليمن أقدَمُ منها عمارَةً، ولا أومعُ منها قُطْراً .

قال في "تهويم البلدان" : وكانت في القديم كرمى مملكة اليمن . قال : وبها
تلٌ عظيم يعرف بضمَدان، كان قصراً يترلُّه ملوكها . قال في "الروض المعطار" :
وهو أحد البيوت السبعة التي بُنيت على أسم الكواكب السبعة ، بناء الضحاك على
أسم الزهرة ؛ وكانت الأمم تُعجبه فهدمه عثمان رضى الله عنه فصار تلاً عظيماً .
قال في "تهويم البلدان" : وهي شرقي عَدَنَ بشمال في الجبال .

ولها عدة بلاد وحصون مضافة إليها، جارية في أعمالها .

منها (تَحْلَانُ) - بفتح الكاف وسكون الحاء المهملة ثم لام ألف ونون
في الآخر . وهي قلعة من عمل صنعاء على القرب منها . قال ابن سعيد : كان بها
في أول المائة الرابعة بنو يعقُرَ من بقايا التبايسة . قال : ولم يكن لها نبأهة
في الملك إلى أن سكنها بنو الصليحي ، وغلب عليها الزيدية ، ثم السليمانيون بعد
بنو الصليحي .

ومنها (تَجْرَانُ) . قال في "اللباب" : بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة
وألف ونون في الآخر . قال الأزهري : وسميت تَجْرَانُ بن زيد ، بن سبيل ،
ابن يشجب ، بن يعرب ، بن قطان . وهي بلدة من بلاد قبيلة همدان ، واقعة
في الإقليم الأول . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وستون درجة ،
والعرض تسع عشرة درجة .

قال في "تهويم البلدان" : وهي بليدة فيها نخيل ، بين عَدَنَ وحَضْرَمَوْتِ ،
في جبال بين قرى ومدائن وعمار ومياه ؛ تشتمل على أحياء من اليمن ؛ وبها يُنَحَّدُ

الأدَم ؛ وهى شرقى صنعاء بشمال ؛ وبها أشجار ، وبينها وبين صنعاء عشر مراحل ، ومنها إلى مكة عشرون يوماً فى طريق معتدل . وجعلها صاحب الحكام صُفْعا مفردا عن اليمن .

ومنها (صَعْدَةُ) . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الصاد وسكون العين المهملتين وodal مهملة وهاء فى الآخر . قال فى "الروض المعطار" : والنسبة إليها صاعدي على غير قياس . قال فى "القانون" : وتسمى (عَيْل) أيضا . وهى بلدة على ستين فرسخا من صنعاء ؛ وموقعها فى الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" "حيث الطول سبع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ست عشرة درجة . قال فى "المزبى" : وهى مدينة عامرة أهلة خصبه ، وبها مدابع الأدَم وجلود البقر ، التى تُتخذ منها النعال .

ومنها (خَيَّانُ) . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الخاء المعجمة وسكون المثناة من تحت وفتح الواو ، ثم ألف بعدها نون . وهى صُفْع معروف باليمن ، واقع فى الإقليم الأول . قال فى "الأطوال" : حيث الطول سبع وستون درجة واحدئ وعشرون دقيقة ، والعرض خمس عشرة درجة وعشرون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى بلاد تشتمل على قَرْى ومزارع ومياه ، معمورة بأهلها ؛ وبها أصناف من قبائل اليمن . قال المهلبى : وهى طَرَف منازل بنى الضحَّاك من بنى يَمَعْر من بَاقَا التبايسة ؛ وماؤها من السماء . قال الإدريسى : وبينها وبين صَعْدَةُ ستة عشر فرسخا . وقال المهلبى : بينهما أربعة وعشرون ميلا .

ومنها (جُرُشُ) . قال فى "تقويم البلدان" : بضم الجيم وفتح الراء المهمله وشين ^(١) [معجمة] فى الآخر . وهى بلدة باليمن ، موقعها فى الإقليم الأول من الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" : حيثُ الطولُ سبع وستون درجةً ونحسون دقيقةً ، والعرضُ سبع عشرة درجة . وهي بلدة بها نخيل ، مشتملةٌ على أحياء من اليمن ، ويُتخذ بها الأدم الكثير . قال في "العزيزي" : وهي بلدة صالحة ، وحولها من شجر القَرْظ مالا يُحصى ، وبها مَدَابِجٌ كثيرة . قال الإدريسي : وهي ومدينة تجران متقاربتان في المقدار والعارة ؛ ولها مزارعٌ وضياعٌ وبينهما ست مراحل .

ومنها (مَأْرِبُ) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وهزمة ساكنة وراء مهملة مكسورة وفي آخرها باء موحدة . وذكر أنه رآها مكتوبةً في الصباح كذلك ؛ ثم قال : والمشهور فتح الهزمة ومثها . وهي مدينة على ثلاث مراحل من صنعاء ، واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيثُ الطول ثمان وستون درجة ، والعرض أربع عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي في آخر جبال حَضْرَمَوْت ، وقال لها مدينة مَبِل ، تسمية لها باسم بانيها ، وبها كان الشد . قال : وكانت قاعدة التبابعة وهي اليوم خرابٌ .

ومنها (حَضْرَمَوْت) . قال في "اللباب" : بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وفتح الراء المهملة ، وبعدها ميم مفتوحة وواو ساكنة وتاء مثناة من فوقها في الآخر . وهي ناحية من نواحي اليمن ؛ وأعمالها أعمال عريضة ، ذاتُ شجر ونخل ومزارع .

قال الأزهري^(١) : وسُميت حَضْرَمَوْت بحاضر ، بن سنان ، بن إبراهيم ، وكان أول من نزلها .

(١) كذا في تاريخ أبي الفدا أيضا - وفي مصب ياقوت "سُميت بحاضرميت وهو أول من نزلها" .

قال صاحب "العبر" : وكانت بلاد حضرموت لعاد مع البحرين وعمّان ، ثم غلبهم عليها بنو يعرب بن قحطان ، حين وثى أولاده البلاد أعطى هذه أبنه حضرموت فعرفت به . والنسبة إليها حضرمي ، وقصبتها مدينة "شِبَام" . قال في "اللباب" : بكسر الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة وألف وميم ، وهم ^(١) ابن الأثير في "اللباب" : فجعل شِبَام قبيلة لا بلدا . قال في "تقويم البلدان" : وهي خارجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب . قال في "الأطوال" : وهي حيث الطول إحدى وسبعون درجة ، والعرض اثنتا عشرة درجة وثلاثون دقيقة ، وهي قلعة فوق جبل منبع فيه قُرَى ومزارع كثيرة . قال في "العزري" : وفيه سُكَّان كثيرة . قال : وفيه معدن العقيق والجزع . وبينها وبين صنعاء أحد وعشرون فرسخا ، وقيل إحدى عشرة مرحلة ، وبينها وبين تَمَارِ مرحلة واحدة .

الجملة الثانية

(في الطرق الموصلة إلى هذه المملكة)

قد تقدّم أن الطريق من مصر إلى مكة معروفة . قال ابن خرداذبه : ثم من مكة إلى بئر ابن المرتفع ، ثم إلى قَرْن المنازل : قرية عظيمة ، وهي ميقات أهل اليمن للتحج منه يُحْرِمُونَ ، ثم إلى الفُتُق : وهي قرية كبيرة ، ثم إلى صَفْر ، ثم إلى ثَرْبَة : وهي قرية كبيرة ، ثم إلى كُدَى ، وفيها نخيل وعيون ، ثم إلى رَنْبَة ، وفيها نخيل وعيون أيضا ، ثم إلى تَبَالَة ، وهي مدينة كبيرة فيها عيون جارية ، ثم إلى جَسَدَاء وفيها بئر ولا أهل فيها ، ثم إلى كَشَة ، وهي قرية عظيمة فيها عيون وحرّس ، ثم إلى

(١) عبارة "ميم البلدان" وظط ابن الاثير في تخطيطه للسماني حيث قال شبام قبيلة وليست بمكان

[قل لفظ في الباب من زيادة التامح] .

يشة يقطان ، وفيها ماء ظاهر وكرم ، والجرس منها على ثلاثة أميال ؛ ثم إلى المنجزة ، وهي قرية عظيمة فيها عيون وفيها بين سروم راح والمهجرة طائفة الملا : وهي شجرة عظيمة . وهناك حد ماين عمل مكة المشرفة وعمل اليمن ؛ ثم منها إلى صرفة ، وماؤها قليل ولا أهل فيها ؛ ثم إلى صعدة ، وقد تقدم ذكرها ؛ ثم إلى الأشمشية ، وفيها عين صغيرة ولا أهل فيها ؛ ثم إلى حيوان ، وقد تقدم ذكرها ؛ ثم إلى أذفت ، وهي مدينة فيها زرع وكرم وعيون ؛ ثم إلى مدينة صنعاء ، وهي قاعدة هذه المملكة على ما تقدمت .

الجملة الثالثة

(فيمن ملك هذه المملكة إلى زماننا)

قد تقدم في الكلام على صنعاء أنها كانت قاعدة ملك التبابعة ، وقد مر القول عليهم في الكلام على ملوك اليمن في مملكة بنى رسول ، في القسم الأول من اليمن .
أما حضرموت ، فقد قال علي بن عبد العزيز الجرجاني : ^(١) إنه كان لهم في الجاهلية ملوك يُقَارِبُونَ ملوك التبابعة في طَوْ الصَّيْتِ وَنَبَاهَةِ الذِّكْرِ . ثم قال : وقد ذكر جماعة من العلماء أن أول من أنبسط يده منهم ، وأرفع ذكره (عمرو بن الأشلب) ابن ربيعة ، بن يرام ، بن حضرموت ؛ ثم خلفه ابنه (نمر الأزج) فملكهم مائة سنة ، وقاتل المهالبة .

ثم ملك بعده ابنه (كريب ، نوكراب) بن نمر الأزج مائة وثلاثا وثلاثين سنة .

ثم ملك بعده (مرتد ذومران) بن كريب مائة وأربعين سنة ؛ وكان يسكن مأرب ، ثم تحول إلى حضرموت .

(١) قل في "العبر" ج ٢ ص ٣٠ هذه العبارة بزيادة في الملوك وبعض تغير في أسمائهم فارجع إليه .

ثم ملك بعده آبنه (علقمة، ذوقيقان) بن مرثد ذى مُرَّان ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده آبنه (ذوعيل) بن ذى قيقان عشرين سنة . ثم تحوّل من حضرموت إلى صنعاء وأشتت وطأته . وهو أوّل من غزا الرُّوم من ملوك اليمن ، وأدخل الحرير والديباغ اليمن .

ثم ملك بعده آبنه (بدعيل بن ذى عيل) أربع سنين ، وبغى بها حصونا وخلف آثارا .

ثم ملك بعده آبنه (يدنو ذوحمار) بن بدعيل بحضرموت وبحر فارس ، وكان في أيام سابور ذى الأكتاف من ملوك الفرس ، ودام ملكه ثمانين سنة ؛ وهو أوّل من اتخذ المجنّاب من ملوكهم .

ثم ملك بعده آبنه (أيشرح) ذو الملك ، بن ودب ، بن ذى حمار ، بن عاد من بلاد حضرموت مائة سنة ، وهو أوّل من رتب المراتب ، وأقام الحرس من ملوكهم . ثم ملك بعده (ينعم) بن ذى الملك دثار بن جذيمة .

ثم ملك بعده (ساجى) بن نمر ؛ وفي أيامه تقلبت الحبشة على اليمن ، وقد مرّ القول على ملكهم ثم ملك الفرس بعدهم إلى ظهور الإسلام فى الكلام على ملوك اليمن فى القسم الأوّل من اليمن ؛ فأغنى عن إعادته هنا .

وأما تجران وجرش ، فإنهما [كانا] بيد جرهم من الفصحانية ؛ ثم ظلمهم على ذلك بنو حمير ، وصاروا ولاة للتبابعة ؛ فكان كلّ من ملك منهم يسمى أفى . ومنهم كان الأفى الذى حكم بين أولاد زكاري بن معد بن عدنان فى قصتهم المشهورة .

ثم نزل تجران بنو مدحج ، وأستولوا عليها ؛ ثم نزل فى جوارهم الحارث بن كعب الأزدى فغلّبهم عليها ، وأتمت رياسته بنى الحارث فيها إلى بنى الديان ؛ ثم صارت

إلى بنى عبد المَدَّان، إلى أن كان منهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يزيد، فاسلم على يد خالد بن الوليد رضى الله عنه .

وكان منهم زياد بن عبد الله بن عبد المَدَّان خال السَّفَّاح، ولَّاه بجرانَ وإيَّامَةَ، وخلفَ ابنه محمداً ويحيى، ودخلت المِائَةُ الرَّابِعَةُ والمَلِكُ بها لِنِى أَبِي الجُودِ بن عبد المَدَّان، واتَّصَلَ بِعِيْثِهِمْ وَكَانَ أَحْرَمَ عَبْدِ الْقَيْسِ الَّذِى أَخَذَ عَلَى بَنِ مَهْدِيٍّ الْمَلِكُ مِنْ يَدِهِ .

أما في الإسلام، فقد قُتِلَ في الكلام على القِسْمِ الأوَّلِ من الِئْمَنِ أيضاً أَنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ الْإِسْلَامُ أَسْلَمَ بِإِذْنِ نَائِبِ الْفَرَسِ عَلَى الْإِئْمَنِ، وَتَنَاجَى أَهْلُ الْإِئْمَنِ فِي الْإِسْلَامِ، وَوَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَنْعَاءَ شَهْرَ بْنَ إِذَانَ الْمَذْكُورِ، فَلَمَّا نَزَّجَ الْأَسْوَدَ الْعَنْسِيَّ، أُنْزَجَ عُمَالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْإِئْمَنِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، وَزُحِفَ إِلَى صَنْعَاءَ فَلِكَّهِنَّ وَقَتَلَ شَهْرَ بْنَ إِذَانَ وَزَوَّجَ أَمْرَأَتَهُ . فَلَمَّا قُتِلَ الْعَنْسِيُّ وَرَجَعَ عُمَالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِئْمَنِ، أَسْتَبَدَّ بِصَنْعَاءَ قَيْسُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ الْمُرَادِيُّ، وَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ .

ثم كانت خلافة أبي بكر رضى الله عنه، فوُثِيَ عَلَى الْإِئْمَنِ (قِيْرُوزَ الدِّيْلَمِيِّ) ثُمَّ وَلَّى بَعْدَهُ (الْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمِيَّةٍ) . ثُمَّ تَوَالَتْ عُمَالُ الْخُلَفَاءِ عَلَى الْإِئْمَنِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْقِسْمِ الأوَّلِ مِنَ الْإِئْمَنِ . وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ كَانَ أَوَّلُ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَوْ مَاقَرَبَهَا، فَغَلَبَ عَلَى صَنْعَاءَ وَمَا وَالَاهَا بَنُو يَعْثُرَ مِنْ بَقَايَا التَّبَاطِغَةِ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَكَانَ دَارُ مُلْكِهِمْ كَحُلَّانَ، وَهِيَ قَلْعَةٌ مِنْ عَمَلِ صَنْعَاءَ بِالْقُرْبِ مِنْهَا، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى تَفَاصِيلِ أَحْوَالِهِمْ وَأَسْمَاءِ مُلُوكِهِمْ .

ثم كانت دولة أئمة الزيدية القاسمين بها إلى الآن، وهم بنو القاسم الرِّمِّيُّ،

(١١) ابن إبراهيم طباطبا، بن إسماعيل الديباج، بن عبد الله، بن الحسن المثنى، بن الحسن السبط، ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وكان مبدأ أمرهم أن محمد بن إبراهيم طباطبا خرج بالكوفة في خلافة المأمون ، في سنة تسع وتسعين ومائة ودعا إلى نفسه ، وكان شيعته من الزيدية وغيرهم يقولون : إنه مستحق للإمامة بالتوارث من آبائه عن جده إبراهيم الإمام ، وظل على كثير من بلاد العراق ، ثم نحدث سوره ، فطلب المأمون أخاه القاسم الرضى فهرب إلى الهند ، ولم يزل به حتى هلك سنة خمس وأربعين ومائتين ، فرجع ابنه الحسين بن القاسم الرضى بن إبراهيم طباطبا إلى اليمن ، فكان من عقبه هؤلاء الأئمة .

وأول من خرج منهم باليمن (يحيى بن الحسين الزاهد) بن القاسم الرضى ودعا لنفسه بصعدة وتلقب بالمهادى ، وبيع بالإمامة سنة ثمان وثمانين ومائتين في حياة أبيه الحسين ، وجمع الشيعة وغيرهم وحارب إبراهيم بن يعفر ، وقال أسد بن يعفر ، القائم من أعقاب التبابعة بصنعاء وكلان ، وملك صنعاء ونجران وضرب السكة باسمه .

قال في "مسالك الأبصار" : وأستجاب الناس لندائه ، وصلوا بصلاته وأمنوا على دعائه ، وقام فيهم مقاماً عظيماً ، وأثر فيهم من الإصلاح أثراً مشهوداً . قال : وفي ذلك يقول :

يَبْنِي حَسَنٌ لِيْ نَهَضْتُ بِنَارِكُمْ * وَتَارَ كَلْبِ اللَّهِ وَالْحَقِّ وَالسَّنَنِ
وَصَيَّرْتُ نَفْسِي لِلْوَاقِعِ عُرْضَةً * وَغَيْثُ عَنِ الْإِخْوَانِ وَالْأَهْلِ وَالْوَطَنِ

ثم أرتجعهما بنو يعفر منه ورجع هو إلى صعدة ، فتوفي بها سنة ثمان وتسعين ومائتين ، لعشر سنين من بيعته . قال ابن المحاب : وله مصنفات في الحلال

(١) في "كمال" ابن الأئمة إبراهيم بك عبد الله .

والحرّام . وقال غيره ، كان مجتهداً في الأحكام الشرعية ؛ وله في الفقه آراء غريبة ، وتآلف بين الشيعة مشهورة . قال ابن حزم : ولم يبعد في الفقه عن الجماعة كلّ البعد .

قال الصولي : ثم ولي بعده ابنه (محمد المرتضى) وتمت له البيعة ؛ فاضطرب الناس عليه . قال في "أنساب الطالبين" : وأضطر إلى تجريد السيف بفخره . وفي ذلك يقول :

كدر الورد علينا بالصدر * فعل من بطل حتماً أو كفر
أيها الأمة عودي للهدى * ودعي عنك أحاديث البشر
عِمتني البيضُ والسمرُ معاً * وتبدلت رقاداً بسهر
لأجرك على أعدائنا * نار حرب يضرام وشر

ومات سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة لثنتين وعشرين سنة من ولايته .

وولي بعده أخوه (الناصر) فاستقام ملكه .

ثم ولي بعده ابنه (الحسين) المتجب (بالميم) ومات سنة أربع وعشرين وثلاثمائة .

وولي بعده أخوه (القاسم المختار) بهمد من أخيه المذكور ، وقتله أبو القاسم بن الضحّاك الحمّاني سنة أربع وأربعين وثلاثمائة .

وولي بعده صاعدة (جعفر الرشيد) ثم بعده أخوه (المختار) ثم أخوه (الحسن المتجب) ثم أخوه (محمد المهدي) .

قال "آبن الحباب" : ولم تزل إمامتهم بصعدة مطردة إلى أن وقع الخلاف بينهم وجاء السليمانيون أمراء مكة حين غلبه الهواشم عليهم فغلبوا على صعدة في المسألة السادسة .

قال ابن مسعود : وقام بها منهم (أحمد بن حمزة) بن سليمان ، بن داود ،
أبن عبد الله ، بن الحسن الثقفى ، بن الحسن السبط ، وغلب على زبيد وملكها من
بنى مهدي ، ثم أقرعها بنو مهدي منه ، وعاد إلى صعدة ومات .

فولى بعده أبنة المنصور (عبد الله) بن أحمد بن حمزة ، وأمنتت يده مع الناصر
لدين الله خليفة بنى العباس ببغداد ، وبعث دُعائهُ إلى الديلم والحبَل ، فخطب
له بهما وأقيم له بهما ولادة . وكان بينه وبين سيف الإسلام بن أيوب ، ثم الملك
مسعود ابن الملك الكامل حروب باليمن . وبقي حتى توفى سنة ثلاثين وستمائة
عن عمر طويل .

وفى بعده أبنة (أحمد) بن المنصور عبد الله بن أحمد بن حمزة ، وقب بالمتوكل
صغيراً ولم يخطب له بالإمامة لصغر سنه .

وكان بنو الرضى حين غلب عليهم السليمانيون بصعدة أوأا إلى جبل شرق
صعدة ، فلم يبرحوا عنه ، وانلجبر شائع بأن الأمر يرجع إليهم ، إلى أن كان المتوكل
أحمد من السليانيين ، فبايع الزيدية أحمد الموطئ ، بن الحسين المستجب ، بن أحمد
الناصر ، بن يحيى الهادى ، بن الحسين ، بن القاسم الرضى ، بن إبراهيم طباطبا ،
المقدم ذكره فى سنة خمس وأربعين وستمائة .

وكان الموطئ فقيهاً أدبياً علماً بمنههم ، قواماً صواماً ، فأهم عمر بن على بن رسول
صاحب زبيد شأنه ، فحاصره بمحصن ملا سنة فلم يصل إليه ، وتمكن أمر الموطئ
وملك عشرين حصناً ، وزحف إلى صعدة فغلب السليانيين عليها ، فقتل أحمد
المتوكل : إمام السليانيين إليه ، وبايعه فى سنة تسع وأربعين وستمائة ، وجم سنة
خمس وستمائة وبقي أمر الزيدية بصعدة فى عقبه .

وقد ذكر المقرئ الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار" : أنه سأل تاج الدين عبد الباقي اليائي أحد كتّاب التين عن تفاصيل أحوال هذه الأئمة فقال : إن أئمة الزيديين كثيرون ، والمشهور منهم المؤيد بالله ، والمنصور بالله ، والمهدي بالله ، والمطهر يحيى بن حمزة . قال : ويحيى بن حمزة هو الذي كان آخرًا على عهد الملك المؤيد داود بن يوسف صاحب التين ، وكانت المدة تكون بينهما .

وذكر في "التعريف" أن الإمامة في زمانه كانت في بني المطهر . ثم قال : وأسم الإمام القائم في وقتنا حمزة . ثم قال : ويكون بينه وبين الملك الرسول بالين مهادنات ومفاسحات تارة وتارة . قال قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون في تاريخه : وقد سمعت بمصر أن الإمام بصعده كان قبل الثمانين والسبعائة على ابن محمد من أعقابهم ، وتوفي قبل الثمانين ، وولي ابنه صلاح ، وابعه الزيدية . وكان بعضهم يقول فيه : إنه ليس بإمام لعدم اجتماع شروط الإمامة ، فيقول : أنا لكم على ما شئتم : إمام أو سلطان .

ثم مات صلاح آخر سنة ثلاث وتسعين وسبعائة ، وقام بعده ابنه (نجاح) وأمتنع الزيدية من بيعته . فقال : أنا محاسب لله تعالى .

قلت : وقد وهم في "التعريف" : فجعل هذه الأئمة من بقايا الحسينيين القائمين بأمل الشط من بلاد طبرستان ، وأن القائم منهم بأمل الشط بطبرستان هو الداعي المعروف بالعلوي من الزيدية ، وهو الحسن ، بن زيد ، بن محمد ، بن إسماعيل ، بن الحسن البسط ، بن علي ، بن أبي طالب رضي الله عنه . خرج سنة خمس وخمسين ومائتين أو ما يقاربها ، فلك طبرستان وخرجسان وماتر أعمالها ثم مات ، وقام أخوه (محمد بن زيد) مقامه . وكان لشيعته من الزيدية دولة هناك ، ثم انقضت وورثها

الناصر الأَطروش ، وهو (الحسن) بن علي ، بن الحسين ، بن علي ، بن عمر ، بن علي
زين العابدين ، بن الحسين السبط ، بن علي ، بن أبي طالب ، وكان له دولة هناك .
ثم خرج علي الأَطروش من الزيدية الداعي الأصغر ، وهو (الحسن) بن القاسم ،
أبن علي ، بن عبد الرحمن ، بن القاسم ، بن محمد البطحاني ، بن القاسم ، بن الحسن ،
أبن زيد ، بن الحسن السبط ، وجرى بينه وبين الأَطروش حروب إلى أن قتل
سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، ويجتمع الداعي الأصغر مع الداعي الأكبر في الحسن .
أبن زيد ، وليس بنو الرضى الذين منهم أئمة اليمن من هؤلاء بوجه .

الجملة الثالثة

(في ترتيب مملكة هذا الإمام)

قال في "التعريف" بعد أن ذكر إمام زمانه : وهذا الإمام وكل من كان قبله
علي طريقة ما عَدَّوها وهي إمارة أعرابية ، لا كبر في صدورهما ، ولا شتم في عرائنهما ،
وهم علي مُسَكَّة من التقوى ، وتردَّ بشعار الزهد ، يجلس في ندَى قومه كواحد منهم ،
ويتحدث فيهم ويحكم بينهم ، سواء عنده المشروف والشريف ، والقوى والضعيف .
قال : وربما أشتري سلعته بيده ، ومشى بها في أسواق بلده ، لا يُنَظَرُ الحجاب ،
ولا يَكُلُّ الأمور إلى الوزراء والحجاب ، يأخذ من بيت المال قدر بُلغته من غير
توسّع ، ولا تكثُر [غير مشجع ^(١)] . هكذا هو وكل من سلف قبله ، مع عدل شامل ،
وفضل كامل .

وذكر في "مسالك الأبصار" عن تاج الدين عبد الباقي الجاني الكاتب نحو ذلك ،
فقال : وأئمتهم لا يُحَجَّبُونَ ولا يُصَجَّبُونَ ، ولا يروْنَ التفضيم والتعظيم ، الإمام

(١) الزيادة عن التعريف .

كواحد من شيعته : في مأكله ومشربه وملبسه، وقيامه وقعوده، وركوبه ونزوله،
وعامة أموره ، يجلس ويحلبس ، ويعود المرضي ، ويصلي بالناس وعلى الجنائز،
ويُشيع الموتي، ويحضر دفن بعضهم . قال : ولشيعته فيه حُسن اعتقاد، ويستشفون
بذاته، ويموتون يده على مرضاهم، ويستشفون المطر به إذا أجذبوا، ويبالغون
في ذلك مبالغة عظيمة . قال "المقر الشهابي بن فضل الله" : ولا يكبر لإمام هذه
سيرته (في التواضع لله وحسن المعاملة خلقه، وهو من ذلك الأصل الطاهر، والعنصر
الطيب) أن يُجاب دعاؤه، ويتقبل منه . وينادي ببلاد هذا الإمام في الأذان
"بحي على خير السمل" بدل الحيملتين، كما كان ينادي بذلك في تأذين أهل مصر
في دولة الخلفاء الفاطميين بها . قال في "التعريف" : وأمرأ مكة تُبسر طاعته،
ولا تُفارق جماعته . قال ابن غانم : هذا الإمام يتعبد في نفسه ويتعبد أشياعه فيه
أنه إمامٌ معصوم، مفترض الطاعة، تتعبد به عندهم الجمعة والجماعة، ويرون أن
ملوك الأرض وسلاطين الأقطار يلزمهم طاعته ومبايعته، حتى خلفاء بني العباس،
وأن جميع من مات منهم مات عاصيا بترك مبايعته ومتابعته . قال : وهم يزعمون
ويزعم لهم أن سيكون لهم دولة يُدال بها بين الأمم، وتملك منتهى الهمم، وأن الإمام
الوجه المنتظر في آخر الزمان منهم .

وذكر عن رسول هذا الإمام، الواصل إلى مصر : أن الأئمة في هذا البيت أهل
علم يتوارثونه : إمام عن إمام، وقائم عن قائم . وذكر عن بعض من مر بهم أنه
فارقهم في سنة اثنتين وثلاثين وسبعائة وهم لا يسكنون أنه قد آن أوان ظهورهم،
وحان حين ملكهم . ولم رعايا تختلف إلى البلاد، وتجتمع بن هو على رأيهم .
يتربصون ضَعَف الدولة في أقطار الأرض .

وحكى "المقرئ الشهابي بن فضل الله" عن قاضي القضاة كمال الدين محمد بن الزمكاني قاضي حلب : أنه مات رجلٌ من شيعتهم بحلب ، فُوجِدَ عنده صُنْدُوقَانِ ، فَمِنْهُمَا كَتَبٌ من أمة هذه البلاد إلى ذلك الرجل وإلى سَلَفِهِ ، يستعرفون فيها الأخبارَ ، وأحوالَ الشيعة ، والسؤالَ عن أناسٍ منهم ؛ وأن في بعضها : ولا يُؤْتِرُ مَدُّ من هنا من إخوانكم المؤمنين في هذه البلاد الشاسعة ، وهو حق لله فيه تركية أموالكم ، ومَدُّ إخوانكم من الضعفاء وأهوا الله ﴿ اَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ يُجْعَلْ لَكُمْ جَنَاحٌ وَيُجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَارٌ ﴾ .

وقيل عن الشيخ شهاب الدين بن غانم : أنه حدثه عند وُصُولِهِ من اليمن أن هذا الإمام في مَنَعَةِ مَنِيْعِهِ ، وَذِرْوَةِ رَفِيْعِهِ ؛ وَأَنَّهُ يَرْكَبُ في نحو ثلاثة آلاف فارس ، وأن عسكره من الرحالة ، خلق لا جسم . وذكر عن أقام عندهم : أنهم أهل تَجَمُّدٍ وبأس ، وشجاعة ورأى ؛ غير أن مدحهم قليل ، وسلاحهم ليس بكثير : لضيق أيديهم ، وقِلَّةِ دَخَلِ بلادهم . وقل عن تاج الدين عبد الباقي البجلي : أن قومه معه على الطواحي والاهياد ، لا يخرج أحد منهم له عن نَصٍّ ، ولا يشاركه فيما يَتَخَيَّرُ بِهِ .

قال ابن غانم : وزى هذا الإمام وأتباعه زى العرب في لباسهم والعلامة والحيك ؛ بخلاف ما تهتم من زى صاحب اليمن من بنى رسول . قال الشيخ شهاب الدين بن غانم : وهذا الإمام لا يزال صاحبُ اليمن يرعى جانيه ، وفي كل وقت تُقَدِّمُ بينهما العُقُودُ ، وتُكْتَبُ المَدَنُ ، وتُوثَّقُ الموائيق ، وتُشَرَطُ الشروط .

قال في "التعريف" : وقد وصل إلينا بمصر في الأيام الناصرية (سقى الله تعالى جهدها) رسولٌ من هذا الإمام بكتاب أطلال فيه الشكوى من صاحب اليمن ، وعُدَّ قبائمه ، ونُشِرَ على عيون الناس فضائحه ؛ وأُستنصر بِمَدِّ يَأْتِي تحت الأعلام

المنصورة لإجلاله عن دياره ، وإجرائه مجرى الذين ظلموا في تسجيل دماره .
وقال : إنه إذا حضرت الجيوش المؤيدة قام معها ، وقاد إليها الأشراف والعرب
أجمعها ، ثم إذا استغذ منه ما بيده أنتم عليه ببعضه ، وأعطى منه ما هو إلى جانب
أرضه . قال : فكنتُ إليه مؤدنا بالإجابة ، مؤدبا إليه ما يقتضى إعجابه ؛ وضمن
الجواب أنه لا رغبة لنا في السلب ، وأن النصرة تكون لله خالصة وله كل البلاد
لا قدر ما طلب .

وسأقضى ذكر المكتبة إلى هذا الإمام عن الأبواب السلطانية ، في الكلام على
المكتبات ، في المقالة الرابعة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

القُطر الثاني

(مما هو خارج من جزيرة العرب عن مضافات الديار المصرية

” بلاد البحرين “ تسمية بحر)

قال في ” تقويم البلدان “ : بفتح الباء الموحدة ومكون الحاء المهملة وفتح الراء
المهملة ومكون المثناة من تحت ثم نون . وهي قطعة من جزيرة العرب المذكورة .
قال في ” تقويم البلدان “ : وهي ناحية من نواحي نجد ، على شطِّ بحر فارس ؛
ولها قري كثيرة . قال : وهي (هجر) ونهايتها الشرقية الشمالية قال في ” الأطوال “
ونهايتها من الشمال في الإقليم الثاني حيث الطول أربع وسبعون درجة وعشرون
دقيقة ، والعرض خمس وعشرون درجة ونعس وأربعون دقيقة .

قال في ” المشترك “ : ويقال للبحرين هجر أيضا . بفتح الهاء والجيم ثم راء
مهملة وليست هجر مدينة بعينها . قال الأزهري : وإنما سميت هجر بالبحرين
ببعية بها عند الاحساء وبالبحر الملح يعنى بحر فارس ، والنسبة إلى البحرين

بجرائي . قال الجوهري : والنسبة إلى حجر حاجري على غير قياس . قال الأزهري :
وسميت حجر بهجر بنت المكنف ، وهي التي بقها .
وفيها ثلاث جمل :

الجملة الأولى

(فيما تشمل عليه من المذن)

وقاعدتها (عُمَاطُ) قال في " اللباب " : يضم العين المهملة وفتح الميم ونون
في الآخر بعد الالف . قال الأزهري : وسميت بعمان بن نسان بن إبراهيم
عليه السلام ، وموقعها في الإقليم الأول . قال : وهي على البحر تحت البصرة ،
قال المهلب : وهي مدينة جليلة ، بها مرسى السفن من السند والهند والجزيرة ، وليس
على بحر فارس مدينة أجل منها ، وأعمالها نحو ثلثمائة فرسخ . قال : وهي ديار الأزد
قال في " تهويم البلدان " : وهي بلدة كثيرة النخيل والتواكه ، ولكنها حارة جداً .
وكانت القصبة في القديم مدينة صحار . قال في " تهويم البلدان " : يضم الصاد
وفتح الحاء المهملتين كما في الصلاح . قال : وهي اليوم نراب .
وبها بلاد أخرى غير ذلك .

منها (الأحصاء) . قال في " تهويم البلدان " : بفتح الحمة وسكون الحاء وفتح
السين المهملتين وألف في الآخر . قال في " المشترك " : والأحصاء جمع حنى ،
وهو رمل يفوس فيه الماء ، حتى إذا صار إلى صلالة الأرض أمسكتته فتصخر
عنه العرب وتستخرج منه . وموقعها في أوائل الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة .
قال في " الأطوال " : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ،

(١) في معجم ياقوت " قحطان " وفي " البر " سميت بهمان بن غطان أول من تزلما بولاية أخيه يرب .

والعرضُ اثنتان وعشرون درجة . قال في "تقويم البلدان" : ذاتُ نخيل كثير، ومياهٍ جارية، ومنايها حارةٌ شديدة الحرارة، ونخيلها بقدر غُوطَةِ دِمَشْق، وهو مستدير عليها، وهي في البرية، في الغرب عن القطيف بميلة إلى الجنوب، على مرحلتين منها . قال : وتعرف بأحساء بنى سعد .

ومنها (القطيف) . قال في "اللباب" : يفتح القاف وكسر الطاء المهملة ومكون المثناة من تحت وفاء في الآخر . وهي بلدة على مرحلتين من الأحساء من جهة الشرق والشمال ، واقعة في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطولُ ثلاث وسبعون درجة وخمسون دقيقة، والعرض اثنتان وعشرون درجة وخمسون وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي على شطِّ بحر فارس، وبها مَنَاصُ لُؤْلُؤٍ، وبها نخيلٌ دون نخيل الأحساء . قال : وعن بعض أهلها أن لها سورا وخندقا ولها أربعة أبواب ، والبحر إذا مَدَّ يصل إلى سُورِها وإذا جَزَدَ ينكشف بعضُ الأرض ؛ وهي أكبر من الأحساء . قال : ولها خُور في البحر تدخل فيه المراكبُ الجارِ الموسقة في حالة المدِّ والجزر ، وبينها وبين البصرة ستة أيام، وبينها وبين عُمان مسيرة شهر .

ومنها (كاظمة) . قال في "تقويم البلدان" : بكاف وألف وظاء معجمة مكسورة وميم وهاء . قال : وهي جَوْنٌ على ساحل البحر، بين البصرة والقطيف، في تَمَتِّ الجنوب عن البصرة، وبينها وبين البصرة مسيرة يومين ، وبينها وبين القطيف أربعة أيام .

الجملة الثانية

(في ذكر ملوكها)

قد ذكر صاحب "العبر" : أنها كانت في القديم لماد مع حضرموت والشحر وما والاها، ثم غلب عليها بعد ذلك بنو يعرب بن قحطان .

الجملة الثالثة

(في الطريق الموصل إليها)

قد تقدم في الكلام على مملكة إيران الطريق من مملكة مصر إلى البصرة . قال ابن خردادبه : ثم من البصرة إلى عبادان، ثم إلى الحدوة^(١)، ثم إلى عريفاه، ثم إلى الزابوقة، ثم إلى المغز، ثم إلى عصا، ثم إلى المعرس، ثم إلى خليجة، ثم إلى حسان، ثم إلى القرى، ثم إلى مسليحة، ثم إلى حمض، ثم إلى ساحل حجر، ثم إلى العقير، ثم إلى القطن، ثم إلى السبعة، ثم إلى عُمان .

وذكر لها طريقا أخرى من مكة إليها على الساحل : وهي من مكة، إلى جدة، إلى منزل، ثم إلى الشعيبة، ثم إلى المرجاب، ثم إلى أغبار، ثم إلى السرين، ثم إلى مرسى حلى، ثم إلى مرسى ضنكان، ثم إلى بيهين، ثم إلى غلاف الحكم، ثم إلى الجبودة، ثم إلى غلاف عك، ثم إلى غلافقة، ثم إلى غلاف ريسد، ثم إلى المنتب، ثم إلى غلاف الركب، ثم إلى المنجلة، ثم إلى غلاف بنى حديد، ثم إلى مقاص اللؤلؤ، ثم إلى عدن، ثم إلى غلاف لحج، ثم إلى قرية عبد الله بن ملحج، ثم إلى غلاف كندة، ثم إلى الشحر، ثم إلى ساحل هماء، ثم إلى عوكلان، ثم إلى فرق، ثم إلى عُمان . وهي طريق بعيدة .

(١) لم ينق نسخ "ابن خردادبه" في بعض الأماكن قولنا في كثير منها على الأصل .

ولعربها مكاتبات عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، على ما سيأتى ذكره
في الكلام على المكاتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

القُطْر الثالث

(مما هو خارج من جزيرة العرب عن مضافات الديار المصرية "البحامة")

قال في "تقويم البلدان" : بفتح المثناة من تحت والميم وألف وميم وهاء
في الآخر . وهى قطعة من جزيرة العرب من الحجاز، وعليه جرى الفقهاء فحكوا
بحريم مقام الكُفْر بها كما بسائر أقطار الحجاز ؛ وهى فى سمت الشرق عن مكة
المُشْرِفة . قال البيهقي : وهى مُلك متقطع بعمله ؛ ويحدها من جهة الشرق
البحرين ، ومن الغرب أطراف اليمن والحجاز، ومن الجنوب تجران من نواحي اليمن ،
ومن الشمال نجد والحجاز؛ وأرضها تسمى العروض : لاعتراضها بين الحجاز والبحرين ؛
وطولها عشرون مرحلة . وهى فى جهة الغرب عن القطيف ، وبينهما نحو أربع
مراحل ، وبينها وبين مكة أربعة أيام . وتسمى البمامة باسم امرأة : وهى البمامة
بنت سهم بن طهم ، كانت قُتِلَتْ إلى أن قتلها عبد كلال وصلبها على بابها فسميت
بها ، سماها بذلك تبع الآخر . قال فى "تقويم البلدان" : وكان اسمها فى القديم
جَوْا بفتح الجيم وسكون الواو . قال فى "تقويم البلدان" : وهى عن البصرة على
مسافة عشرة مراحل ، وعن الكوفة مثل ذلك . قال فى "تقويم البلدان" : وبها
من القُرب عين ماء مَسِسَةٌ وماؤها سارحٌ ، وذكر أنها [أكثرُ بُخَيْلا من] سائر الحجاز ،

(١) لعل الصواب وشذ الوار .

(٢) يخاض فى الأصل والتصحيح من التقويم .

ثم هل عمن رآها في زمانه أن بها آبارا وقليل نخل، وكأنه حكى^(١) ... عما كانت عليه في القدم، وبها وإد يسمى - الخرج - بجاء معجزة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وبجيم في الآخر، كما هو مضبوط في الصّحاح .
وفيها ثلاث جمل :

الجملة الاولى

(فيما أشققت عليه من البلدان)

قد ذكر في "تقويم البلدان" عن أخبره من رآها في زمانه أن بها عِدَّة قُرى : وبها الحنطة والشعير كثير . وقاعدتها دون مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، واقعة في أوائل الإقليم الثاني . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض إحدى وعشرون درجة وثلاثون دقيقة .

ومن بلادها (سَجَر) قال في "المشارك" : بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم وراء مهملة في الآخر . وهي في الغرب عن مدينة البصرة ، على مرحلتين منها ، وبعضهم يجعلها قاعدة البصرة . وموقعها في أوائل الإقليم الثاني . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول إحدى وسبعون درجة وعشر دقائق ، والعرض اثنتان وعشرون درجة . قال : وبها قبور الشهداء الذين قُتلوا في حرب مُسَيِّمة الكُتَّاب .

(١) ياض في الأصل ولله حكى ذلك سيرا عما الخ .

الجملة الثانية

(في ذكر ملوكها)

قال صاحب "العبر" : كانت هي والطائف بيد بنى هزان بن يعفر بن السكسك ،
 إلى أن غلبهم عليها (طعم) . ثم غلبهم عليها (جديس) ، ومنهم زرقاء اليمامة .
 ثم استولوا عليها (بنو حنيفة) وكان منهم هودثة بن علي ، وهو الذي كتب إليه النبي
 صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام . ثم ملكها من بنى حنيفة (ثمامة) بن
 أقال على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسر ثم أسلم . ثم كان بها منهم (مسيلة
 الكتاب) زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقُتل في حرب المسامين معه .
 وكان لبني (الأخضر) من الطالبيين بها دولة .

وأول من ملكها منهم (محمد بن الأخضر) بن يوسف ، بن إبراهيم ، بن موسى
 الجون ، بن عبد الله ، بن الحسن المثنى ، بن الحسن السبط ، ابن أمير المؤمنين علي
 ابن أبي طالب رضي الله عنه . وكان استيلاؤه عليها أيام المستعين الخليفة العباسي .
 ثم ملكها بعده ابنه (يوسف) ثم (أبنة الحسن) ثم ابنه (أحمد) ولم يزل ملكها فيهم
 إلى أن غلب عليهم القرامطة على ما تقدم ذكره في الكلام على بلاد البحرين .

قال ابن سعيد : وصالت عرب البحرين في سنة ^(١) ، فمن اليمامة اليوم ؟ فقالوا
 لعرب من قيس عيلان وليس لبني حنيفة بها ذكر .

قلت : ولم أقف لعربها على ذكر في المكتبات السلطانية بالديار المصرية .

(١) في "العبر" بدل قوله في سنة "وبعض ملحق" .

الجملة الثالثة

(في الطريق الموصل إليها)

قد تقم أنها في جهة الشرق عن مكة، وأن بينهما أربعة أيام، وطريق مكة معروف على ما تقدم.

أما ما ذكره ابن خردادبه من طريقها على البصرة - فن البصرة إلى المتجشانية^(١)، ثم إلى الكفير، ثم إلى الرجيل، ثم إلى الشجي، ثم إلى الحقر، ثم إلى ماوية، ثم إلى ذات العشر، ثم إلى اليسوعة، ثم إلى السمينية، ثم إلى النجاج، ثم إلى العمومية، ثم إلى القريتين، ثم إلى سويقة، ثم إلى صداة، ثم إلى السد، ثم إلى السقي، ثم إلى المنبية، ثم إلى السفح، ثم إلى المريقة، ثم إلى الإماسة، والبصرة قد تقدم أكثر الطريق إليها في الكلام على مملكة إيران.

القُطر الرابع

(مملكة الهند ومضافاتها)

قال في "مسالك الأبصار": وهي مملكة عظيمة الشأن، لا تُقاس في الأرض بمملكة سواها: لاساع أقطارها، وكثرة أموالها وصاكرها، وأبهة سلطانها في رُكوبه ونزوله، ودست ملكه؛ وفي صيتها ومُتمعتها كفاية. ثم قال: ولقد كنت أسمع من الأخبار الطائفة والكتب المصنفة ما يملأ العين والسمع؛ وكنت لأقف على حقيقة أخبارها بعد ما، وتساوي ديارها عنا، ثم تبعت ذلك من الرواة، فوجدت أكثر مما كنت أسمع، وأجل مما كنت أظن. وحسبك ببلاد في بحرها الفرو، وفي برها الذهب، وفي جبالها الياقوت والماس، وفي شعابها الود والكافور،
(١) اخذت نسخ "ابن خردادبه" في أسماء البلدان فأتيتها طابره في حاشيته ولكننا عزلنا في الكبير على ما في الأصل.

وفي مُدنها أَسِرَّة الملوكة ، ومن وُحوشها الفيلُ والكَرْكَن ، ومن حديدِها سِيوفُ الهند ، وأسعارها رَخِيَّة ، وعساكرها لَأَتَعَد ، ومالكها لَأَتَحَد ، ولأهلها الحِكمةُ ووَفُورُ العقل ، وهم أَمَلُكُ الأُمَمِ لَشَهَوَاتِهِمْ ، وَأَبْلَظُ لَلغُفوسِ فِيمَا يُظَنُّ بِهِ الزُّلْفَى .

قال : وقد وصف محمد بن عبد الرحيم الاقليني هذه المملكة في كتابه "تحفة الألباب" فقال : المُلْكُ العَظِيمُ ، وَالْعَدْلُ الكَثِيرُ ، وَالنِّعْمَةُ الجَزِيلَةُ ، وَالسِّيَاسَةُ الْحَسَنَةُ ، وَالرِّضَا الدَّائِمُ ، وَالْأَمْنُ الَّذِي لَاخَوْفٌ مَعَهُ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ . وَأَهْلُ الْهِنْدِ أَعْلَمُ النَّاسِ بِأَنْوَاعِ الْحِكْمَةِ وَالطَّبِّ وَالْمُهَنْدَسَةِ وَالصَّنَاعَاتِ الْعَجِيبَةِ . ثُمَّ قَالَ : وَفِي جِبَالِهِمْ جَزَائِرُهُمْ يَنْتُثُ شَجَرُ الْعُودِ وَالْكَافُورِ وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الطَّيِّبِ : كَالْقَرْقُلِ وَالسُّبُّلِ وَالْدَارِصِينِي ، وَالْقَرْفَةِ ، وَالسَّلِيخَةِ ، وَالْقَاتِلَةِ ، وَالْجَبَابَةِ ، وَالسَّاسَةِ ، وَأَنْوَاعِ الْعَقَاقِيرِ . وَعِنْدَهُمْ غَزَالُ الْمِسْكِ وَسِنُورُ الزَّيَّادِ ؛ هَذَا مَعَ مَا هُنَا هَذِهِ الْمَمْلَكَةُ عَلَيْهِ مِنْ أَكْسَاحِ الْأَقْطَارِ ، وَتَبَاعِدِ الْأَرْجَاءِ ، وَتَنَائِيِ الْجَوَانِبِ .

فقد حكى في "مسالك الأبصار" : عن الشيخ مبارك بن محمود الأنباري : أَنَّ عَرَضَ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ مَا بَيْنَ مَوْمَنَاتٍ وَمَرْتَدِيَّاتٍ إِلَى غَرْبِهَا ، وَطُولُهَا مِنَ الْقَرْصَةِ الْمُقَابِلَةِ لَعَدَنَ إِلَى سَدِّ الْإِسْكَندَرِ عِنْدَ مَخْرَجِ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ مِنَ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ ، وَأَنَّ مَسَافَةَ ذَلِكَ ثَلَاثُ سِنِينَ فِي مِثْلِهَا بِالسَّيْرِ الْعَتَادِ ، كُلُّهَا مُتَّصِلَةٌ لِمُدُنِ ذَوَاتِ الْمَنَابِرِ وَالْأَسْرَةِ ، وَالْأَعْمَالِ ، وَالْقُرَى ، وَالضِّيَاعِ ، وَالرَّسَاتِيقِ ، وَالْأَسْوَاقِ ؛ لَا يَفْصِلُ بَيْنَهَا خَرَابٌ . بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ هِيَ تَبْتُ عَارِفٌ بِمَا يَحْكِيهِ إِلَّا أَنَّهُ اسْتَبْعَدَ هَذَا الْمَقْدَارَ ، وَقَالَ : إِنَّ جَمِيعَ الْمَعْمُورِ لَا يَهَيَّ بِهَذِهِ الْمَسَافَةِ ، لِأَنَّهُمْ لَا أَنْ يُرِيدَ أَنَّ هَذِهِ مَسَافَةٌ مِنْ يَتَقَلُّ فِيهَا حَتَّى يَجِيطَ بِجَمِيعِهَا مَكَانًا مَكَانًا ، فَيَحْتَمِلُ عَلَى مَا فِيهِ .

وفيه إحدى عشرة جملة :

الجملة الأولى

(فيا أشملت عليه هذه المملكة من الأقاليم)

وتحتوى هذه المملكة على إقليمين عظيمين :

الإقليم الأول

(إقليم السند وما انحطرت في ملكه من مكران، وطوران،

والبنعة، وبلاد [القفس] والبلوص)

فأما السند، فبكثر السين المهملة وسكون النون ويدال مهملة في الآخر. قال ابن حوقل : ويحيط به من جهة الغرب حدود كerman، وتأم الحدة مفازة سيستان؛ ومن جهة الجنوب مفازة هي فيا بين كerman والبحر الهندي، والبحر جنوبي المفازة؛ ومن جهة الشرق بحر فارس أيضا : لأن البحر يتقوس على كerman والسند، حتى يصير له دخلة شرقى بلاد السند؛ ومن جهة الشمال قطعة من الهند. قال ابن خردادبه : وبالسند القسط، والقنا، والخيزران.

وقاعدته (المنصورة) — قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وسكون النون وضم الصاد المهملة وسكون الواو وفتح الراء المهملة وهاء في الآخر. وهي مدينة بالسند واقعة في الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول خمس وتسعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض أربع وعشرون درجة وأثنان وأربعون دقيقة. قال في "القانون" : وأسمها القديم يَمْهُو وإِنَّمَا سُمِّيَت المنصورة لأن الذى فتحها من المسلمين قال نُصْرنا . وقال المهلبى : إِنَّمَا سُمِّيَت المنصورة لأن عُمر بن حفص المعروف بهزارمرّد بناها في أيام أبى جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس وسماها بلقبه .

قال ابن حوقل : وهى مدينة كبيرة يُحيط بها خَلِيجٌ من نهر مِهْرَان (وهو نهر يأتى من المُنْتَان) فهى كالجزيرة ولكنها بلدة حارة وليس بها سوى التخليل ، وبها قصب السكر، وبها أيضا تمر على قدر التفاح شليد الحموضة، يسمى اليوم .
وبها عتة مدُن وبلاد أيضا .

منها (الدَّيْل) — قال فى " الباب " : بفتح الدال المهملة وسكون المثناة من تحتها وضم الباء الموحدة ولام فى الآخر . وهى بلدة على ساحل البحر، واقعة فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة، والعرض أربع وعشرون درجة وعشرون دقيقة .
قال فى " تقويم البلدان " : وهى بلدة صغيرة على ساحل ماء السند شديدة الحر .
قال ابن حوقل : وهى شرقى مِهْرَان، وهى قُرْصَة تلك البلاد . وقال فى " الباب " : إنها على البحر الهندى قريبة من السند . قال ابن سعيد : وهى فى دَخَلَة من البر فى خليج السند، وهى أكبر قُرْص السند وأشهرها ، ويجلب منها المتاع الدَّيْل .
قال فى " تقويم البلدان " : وبها مَنَمِيم كثير، ويطلب إليها الثمر من البصرة، وبينها وبين المنصورة ست مراحل .

ومنها (الَيُون) . قال فى " الباب " : بكسر الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف وضم الراء المهملة وبعدها واو ونون فى الآخر . وهى مدينة من أعمال الديل بينها وبين المنصورة ، واقعة فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة قال فى " القانون " : حيث الطول أربع وتسعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض أربع وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال ابن سعيد : وهى من قُرْص بلاد السند التى عليها خليجهم المالح الخارج من بحر فارس . قال فى " العزيزى " :

وأهلها مسلمون ، ومنها إلى المنصورة خمسة عشر فرسخا . قال ابن سعيد : وإليها ينسب أبو الرِّيحان البيروني ، يعني صاحب "القانون" في أطوال البلاد وعمروضها . ومنها (سدوسان) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح السين وضم الدال المهملتين وواو ثم سين مهملتان مفتوحة وألف ونون . وهي مدينة غربي نهر مِهْرَان ، واقعة في أوائل الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيث الطول أربع وتسعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وعشر دقائق . قال ابن حوقل : وهي خضبة كثيرة الخير وحولها قرى ورُستاق ؛ وهي ذات أسواق جليلة .

ومنها (المولتان) قال في "تقويم البلدان" : بضم الميم وسكون اللام ثم تاء مشددة فوقية وألف ونون . قال : وهي في أكثر الكتب مكتوبة بواو . وهي مدينة من السند فيما ذكره أبو الرِّيحان البيروني ، وإن كان ابن حوقل جعلها من الهند وعليه جرى في "مسالك الأبصار" لأن البيروني أقعد بذلك منه : لأن السند بلاده فهو بها أخبر ، واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول ست وتسعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أصغر من المنصورة .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن بعض المصنفات أن قرى الملتان مائة ألف قرية وستة وعشرون ألف قرية . قال المهلب : وأعمال الملتان واسبعة من قرب حد مكران من الجنوب إلى حد المنصورة ، وبينها وبين غزنة ثمانية وستون فرسخا .

ومنها (أزور) . قال ابن حوقل : وهي مدينة تقارب الملتان في الكبر ، وعليها سُورَان وهي على نهر مِهْرَان . وقال في "العزبي" : هي مدينة كبيرة وأهلها

مسابون في طاعة صاحب المنصورة وبينهما ثلاثون فرسخاً ، قال في " القانون " :
حيث الطول خمس وتسعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون
درجة وعشر دقائق .



وأما مكران ، فقال في " الباب " : يضم الميم وسكون الكاف ونصح الراء المهملة
وألّف ونون . قال ابن حوقل : وهي ناحية واسعة عريضة ، والغالب عليها المفاوِز
والقُحط والضيق . وقد اختلف كلام صاحب تقويم البلدان فيها فذكر في الكلام
على السند أنها منه ، وذكر في كلامه على مكران في ضمن بلاد السند أنها من كرمّان .

وقاصدتها (التّيز) قال في " الباب " : بالباء المثناة الفوقية المائلة ثم ياء آخر
الحروف وزاى معجمة في الآخر ، وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة
قال ابن سعيد : حيث الطول ست وثمانون درجة ، والعرض ست وعشرون درجة
ونمّس عشرة دقيقة . قال ابن حوقل : وهي قُرْضة مكران وتلك النواحي ، وهي على
شَطّ نهر مهران في غربيّه بقرب الخليج المفتوح من مهران على ظهر المنصورة .



وأما طُورَان . فناحية على خمس عشرة مرحلة من المنصورة . قال في " القانون " :
وقَصَبَتِهَا (قَنْدَابِيل) قال : وهي حيثُ الطول خمس وتسعون درجة ، والعرض
ثمان وعشرون درجة .

وذكر ابن حوقل أن قَصَبَة طُورَان (قُرْدَار) قال في " الباب " : يضم
القاف وسكون الزاى المعجمة ونصح الدال المهملة وألّف وراء مهملة . وقد نقل
في " تقويم البلدان " عن إخبار من رآها أنها قُلَيْعة . قال في " تقويم البلدان " :

وهى كالقرية لصغرهما، وهى فى وِطَاءَةٍ من الأرض على تَلِيلٍ، وحولها بعض بساتين .
وذكر فى " الباب " أن قُرْدَارَ نَاحِيَةٍ من نواحي الهند . قال فى "تقويم البلدان" :
وبينها وبين المُلتَان نحو عشرين مرحلة .



وأما البُنْعة ، فقال ابن حوقل : وهى مفترشة ما بين حدود طُورانَ ومُكرَانَ
والمُلتَان ومُدُن المنصورة ؛ وهى فى غربى نهر مِهْران وأهلها أهل إبل كالبادية ،
ولم أخصَّصْ وأجامُ . قال فى "تقويم البلدان" : ومن المنصورة إلى أول البُنْعة
خمسة مراحل ، ومن أراد البُنْعة من المنصورة احتاج إلى عبور نهر مِهْران .

الإقليم الثانى

(إقليم الهند)

قال فى "الأنساب" : بكسر الهماء وسكون النون ودال مهملة فى الآخر . قال
فى "تقويم البلدان" : والذى يُحيط به من جهة الغرب بحر فارس ، وتأمه حدود
السند ؛ ومن جهة الجنوب البحر الهندى ؛ ومن جهة الشرق المَقَاوِزُ الفاصلة بين
الهند والصين ، ولم يذكر الحد الذى من جهة الشمال . وذكر فى "مسالك الأبصار"
أن حده من جهة الشمال بلادُ التُّرك . وذكر عن الشيخ مبارك الأنباتى : أنه ليس
فى هذه المملكة خراب سوى مسافة عشرين يوما على غَرْبَةٍ ، لتجاذب صاحب
الهند وصاحب تَرْكُستان وما وراءَ النهر بأطراف المُتَارَعَةِ ، أو جبال مَعْطَلَةٍ ،
أو شعواء^(١) مشتبكة .

(١) كذا فى الأصل بالراء وصوابه بالراء كما فى المسالك والشراء الأرض ذات الشجر أركشيه .

قال صاحب "مسالك الأبصار" : وسألت الشيخ مبارك الأنباري عن برّ الهند وضوآحيه فقال : إن به انهارا ممتدة ثُغَارِب الف نهر كبار وصغار، منها ما يضاهاى النيل عِظًا ، ومنها ما هو دُونُه ، ومنها ما هو مثل بَقِيَّة الأنهار . وعلى صغار الأنهار القرى والمُدُن ؛ وبه الأشجار الكثيفة والمُرُوج الفِيح . قال : وهى بلاد معتدلة لاتفاوت حالات فصولها ، ليست مفرطة فى حر ولا برد ؛ بل كأن كل أوقاتها ربيع ؛ وتنبئ بها الأهوية والنسيم اللطيف ، وتوالى بها الأمطار مئة أربعة أشهر؛ وأكثرها فى أُنْجَمَات الربيع إلى ما يليه من الصيف .
ثم للملكة الهند قاعدتان :

القاعدة الأولى

(مدينة دلي)

قال فى "تهويم البُلْدان" : بدال مهملة ولام مشددة مكسورة ثم مثناة مخفية، ولم يتعرض لضبط الدال والناس ينطقون بها بالفتح والضم . وسمّاها صاحب "تهويم البُلْدان" فى تاريخه دَهْلِيّ بإبدال اللام هاء . وهى مدينة ذات إقليم مُتَّسِع ، وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال فى "القانون" : حيث الطول مائة وثمان وعشرون درجة ونمسون دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة ونمسون دقيقة . قال فى "تهويم البُلْدان" : وهى مدينة كبيرة فى مسنُون من الأرض ، وتربتها غنظلة بالحجر والرمل ، وعليها سور من أجر، وسورها أكبر من سور حماة، وهى بعيدة من البحر، ويمتز على فرسخ منها نهر كبير دُونُ القُرَات ، وبها بساين قليلة وليس بها عنب، وتُعْطَر فى الصيف ؛ ويحاصمها مَنَارة لم يُعْلم فى الدنيا مثلاًها، مبنية من حجر أحمر ودرجها نحو ثلثمائة درجة؛ وهى كبيرة الأضلاع، عظيمة الارتفاع، واسعة الأسفل وأرتفاعها يقارب مَنَارة الإسكندرية .

وذكر في "مسالك الأبحار" عن الشيخ برهان الدين بن الخلال البزّي الكوفي :
أن طولها في نحو ستمائة ذراع ، وذكر عن الشيخ مبارك الأنباري أن دَلِّي مدائنُ جمعت
ولكل مدينة منها أسم يخصها ودَلِّي واحدة منها . قال الشيخ أبو بكر بن الخلال :
وجملة ما يطلق عليه الآن أسم دَلِّي إحدى وعشرون مدينةً .

قال الشيخ مبارك : وهي مُمَيَّلَةٌ طولاً وعرضاً ، يكون دَوْرُ عمرانها أربعين ميلاً ،
وبناؤها بالحجر والأجر ، وسقوفها بالخشب ، وأرضها مفروشة بحجر أبيض شديد
بالرَّخام ، ولا يُنْقَى بها أكثر من طبقتين وربما أَقْتَصِرَ على طبقة واحدة ، ولا يَفْرُسُ
دَوْرُهُ فيها بالرَّخام إلا السلطان . قال : وفيها ألف مدرسة ، منها مدرسة واحدة
للشافعية وباقيها للمنصية ؛ وبها نحو سبعين بمبارستاناً ، وتسمى بها دَوْرُ الشفاء ؛
وبها وبيلادها من الرُّبَط والخواصِّ نحو ألفين ؛ وفيها الزيارات العظيمة ، والأسواق
المتنعة ، والحمّامات الكثيرة ؛ وشرب أهلها من ماء المطر ، تجتمع الأمطار فيها
في أحواض ومِيعَة كل حوض قُطْرُهُ غَلَوُهُ سهم أو أكثر . أما مياه الاستعمال وشرب
الدواب فمن آبار قريبة المستقى ، أطول ما فيها سبعة أذرع . وقد صارت دَلِّي قاعدةً
لجميع الهند [ومُسْتَقَرُّ السلطان] وبها قُصُور ومنازل خاصة بسكّنه وسكّن حريمه ،
ومقاصيرُ جواريه وحظّايه وبيوتُ خدمه ومماليكه ، لا يسكن معه أحد من الخانات
ولا من الأمراء ، ولا يكونُ بها أحد منهم إلا إذا حضر للخدمة ثم ينصرف كل واحد
منهم إلى بيته . ولها بساطين من جهاتها الثلاث : الشرق ، والجنوب ، والشمال
على استقامة ، كل خط اثنا عشر ميلاً ، أما الجهة الغربية فعاطلة من ذلك لمقاربة
جبل لمابة . ووراء ذلك مُدُنٌ وأقاليم متصلة .

القاعدة الثانية

(مدينة اللواكير)

ومدينة اللواكير بفتح اللال المهملة والواو وألف بعدها كاف مكسورة ثم ياء .
 مثناة تحية وراء مهملة في الآخر . وهي مدينة ذات إقليم مقيع . وقد ذكر
 في "مسالك الألبار" عن الشيخ مبارك الأنباري : أنها مدينة قديمة جتدها السلطان
 محمد بن طغلقشاه ، وسماها "قبة الإسلام" . وذكر أنه فارقتها ولم تتكامل بعد ،
 وأن السلطان المذكور كان قد قسمها على أن تبنى محلات لأهل كل طائفة محلة :
 الجند في محلة ، والوزراء في محلة ، والكُتّاب في محلة ، والقضاة والمعلماء في محلة ،
 والمشايخ والفقهاء في محلة ، وفي كل محلة ما يحتاج إليه من المساجد ، والأسواق ،
 والحمامات ، والطواحين ، والأفران ، وأرباب الصنائع من كل نوع حتى الصواغ
 والصباغين ، والدباغين ، بحيث لا يحتاج أهل محلة إلى أخرى في بيع ولا شراء ،
 ولا أخذ ولا عطاء : لتكون كل محلة كأنها مدينة مفردة قائمة بذاتها .

واعلم أن صاحب "تهويم البلدان" : قد ذكر عن بعض المسافرين إلى الهند
 أن بلاد الهند على ثلاثة أقسام :

القسم الأول — بلاد الجزرات

قال في "تهويم البلدان" : بالجزيم والزاى المعجمة والراء المهملة ثم الف وتاء
 مثناة فوق . وبها عنة مدن وبلاد .

منها (تهلورة) بالنون والماء واللام والواو ثم ألف وراء مهملة وهاء . وقال
 ابن سعيد : تهروالة ، فقدم الراء وأثر اللام ، وكذلك تهل في "تهويم البلدان"

عن بعض المسافرين . وفي " نزهة المشتاق " نهر وارة براين . وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة قال في " القانون " : حيث الطول ثمان وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهي غربي إقليم المنيار الآتي ذكره . قال : وهي أكبر من كنيات ، وعمارها مفرقة بين البساين والمياه ؛ وهي عن البحر على مسيرة ثلاثة أيام . قال صاحب حماة في " تاريخه " : وهي من أعظم بلاد الهند .

ومنها (كنيات) قال في " تهويم البلدان " : بالكاف ونون ساكنة وباء موحدة ثم ألف وباء مثناة تحتية وتاء مثناة من فوقها ، ومقتضى ما في " مسالك الأبصار " : أن يكون اسمها أنبات بإبدال الكاف همزة ، فإنه ينسب إليها أنباتي . وهي مدينة على ساحل بحر الهند ، موقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة قال في " القانون " : حيث الطول تسع وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض اثنتان وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وذكر في " تهويم البلدان " عن سافر إليها أنها غربي المنيار على خور من البحر طوله مسيرة ثلاثة أيام . قال : وهي مدينة حسنة ، أكبر من المعرة من بلاد الشام في القدار ، وأبنيتها بالأجر ، وبها الرخام الأبيض ، وبها بساين قليلة .

ومنها (تانة) . قال في " تهويم البلدان " : قال أبو العقول قلا عن عبد الرحمن الريان الهندي - بفتح المثناة الفوقية ثم ألف ونون وهاء . وهي بلدة على ساحل البحر ، واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " : حيث الطول مائة وأربع عشرة درجة وعشرون دقيقة ، والعرض تسع عشرة درجة وعشرون دقيقة . قال في " تهويم البلدان " : وهي من مشارق الجزرات . قال ابن سعيد : وهي مشهورة على السن التجار . قال : وأهل هذا الساحل جميعهم

كفار يبدون الأنداد ، والمسلمون ساكنون معهم . قال الإدريسي : وأرضها وجبالها تَبِيَّتْ هَتَاً والطَّباشيرَ وَيَحْمَلُ منها إلى الآفاق . قال أبو الريحان : والنسبة إليها تَانِيَّةٌ ومنها الثياب التَانِيَّةُ .

ومنها (صُومَنَاتُ) قال في "هويم البلدان" : بالصاد المهملة ويقال بالسين المهملة ثم واو ساكنة وميم ونون مفتوحتين ثم ألف وتاء مثناة فوقية في الآخر، وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيثُ الطولُ سبع وتسعون درجة وعشرُ دقائق ، والعرضُ اثنتان وعشرون درجة ونمسة عشرة دقيقة ، قال في "القانون" : وهي على الساحل في أرض البَوَارِيخ . قال ابن سعيد : وهي مشهورة على ألسنة المسافرين ، وتعرف ببلاد الأَر ، وموضعها في جهة داخلية في البحر فيَنطَحُّها كثير من مراكب عَدَنَ لأنها ليست في جَوْن ، ولها خور يزل من الجبل الكبير الذي في شماليها إلى شريقها ، وكان بها صَمَّ تعظمه الهندو يُضاف إليها ، فيقال : "صَمَّ صُومَنَات" فكسره يمين الدولة "محمود بن سُبُكْتِكِين" عند فتحها كما هو مذكور في التواريخ .

ومنها (سَنَدَانُ) بالسين المهملة والنون والبدال المهملة والألف والنون ، هكذا ذكره في "هويم البلدان" : ونقل لفظه عن المهلب في "العزري" . وقال بعض المسافرين إنها (سَنَدَابُور) بالسين المهملة والنون والبدال المهملة وألف وباء موحدة وواو وراء مهملة في الآخر . وهي مدينة على ثلاثة أيام من تانَّة ، موقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيثُ الطولُ مائة وأربعُ درج وعشرون دقيقة ، والعرضُ تسع عشرة درجة وعشرون دقيقة . قال في "هويم البلدان" عن بعض المسافرين : وهي على جَوْن في البحر الأخضر ، وهي آخر إقليم الجزُرَات . قال في "القانون" : وهي على الساحل . قال في "العزري" :

وبينها وبين المنصورة خمسة عشر فرسخًا، وهي تجمع الطرق . قال : وهي بلاد القسط والقنا والخيزران، وهي من أجل القرض التي على البحر .

ومنها (ناكور) قال في "تهويم البلدان" : بفتح النون وألف وكاف مضمومة وواو وراء مهملة في الآخر . وهي مدينة على أربعة أيام من دلي .

ومنها (جالور) بفتح الجيم ثم ألف ولام مضمومة وواو وراء مهملة . وهي على تل تراب نحو قلعة مضيايف بين ناكور وبين نهر والة . ويقال إنه لم يصب على صاحب دلي من الجزرات غير جالور .

ومنها (منوري)^(١) . قال في "القانون" : وهي بين القرصة وبين المعبر إلى سرنديب حيث الطول مائة وعشرون درجة ، والعرض ثلاث عشرة درجة .

القسم الثاني - من إقليم الهند بلاد المنيار

قال في "تهويم البلدان" : بفتح الميم وكسر النون ومسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة ثم ألف وراء مهملة في الآخر . وهي إقليم من أقاليم الهند في الشرق عن بلاد الجزرات المقدم ذكرها . قال : والمنيار هي بلاد القليل . ثم قال : والقليل في شجرة عناقيد كمناقيد الدخن، وشجره ربما ألتف على غيره من الأشجار كما تلف النوال، وبها بلاد وجميع بلاد المنيار مخضرة كثيرة المياه والأشجار المثمرة .

(١) وقعت في "تهويم" بالهال المهملة بدل الواو ولم يسطرها .

(٢) ذكرها ياقوت باللام بدل النون .

(٣) يياض في الأصل وله "كثيرة" .

منها (هَتَوْر) قال في "تقويم البلدان" : بفتح الهاء والتون المشددة والواو وراء مهمله . وهي غربي سَنَابُورَ من بلاد الجزرات المقدم ذكرها ، فتكون أول بلاد المتنيار من الغرب . قال : ولها بساين كثيرة .

ومنها (بَاسِرُور) بالباء الموحدة والسين المفتوحة والراءين المهملات . وهي بلدة صغيرة شرقي هَتَوْر المقدمة الذكر .

ومنها (مَجْرُور) قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم وضم الراء المهمله ثم واو ساكنة وراء مهمله . وهي شرقي بَاسِرُور المقسمة الذكر . قال : وهي من أكبر بلاد المتنيار ، ومليكها كافر ، ووراءها بثلاثة أيام جبل عظيم داخل في البحر ، يُرى للسافرين من بُعد ، يسمى "رأس هيلي" بفتح الهاء وسكون الياء المثناة من تحت وكسر اللام ثم ياء مثناة تحتية في الآخر .

ومنها (تَدْيُور) بالناء المثناة الفوقية المفتوحة وسكون النون ثم دال مهمله وياء آخر الحروف مضمومة وواو وراء مهمله . وهي بلدة شرق "رأس هيلي" لها بساين كثيرة .

ومنها (الشَّالِيَات) بفتح الشين المعجمة وألف ولام مكسورة وياء آخر الحروف ثم ألف وياء مثناة فوقية .

ومنها (الشَّنْكِلي) بالشين المعجمة المكسورة [وسكون النون] وكاف ولام وياء آخر الحروف . وهي بلدة بالقرب من الشَّالِيَات .

ومنها (الكَوْلُم) قال في "تقويم البلدان" : بالكاف المفتوحة والواو الساكنة

ثم لام مفتوحة ومن في الآخر . وموقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة قال في "الأطوال" : حيث الطول مائة وعشر درجات ، والعرض ثمان عشرة درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي آخر بلاد الفلفل من الشرق ، ومنها يُقْلَعُ إلى عدن . قال صاحب "تقويم البلدان" : وحكى لي بعض المسافرين أنها على خور من البحر في مستوى من الأرض وأرضها مُرْمِلة ، وهي كثيرة البساتين ، وبها شجر البقم : وهو شجر كشجر الرمان ، وورقه يُشَبِّه ورق العناب ، وفيها حارة للساكنين وبها جامع .

القسم الثالث — من إقليم الهند بلاد المعبر

قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وسيكون العين المهملة وفتح الباء الموحدة ثم راء مهملة . وهي شرق بلاد الكوتم بثلاثة أيام أو أربعة . قال في "تقويم البلدان" : وينبغي أن تكون بجملة إلى الجنوب . قال ابن سعيد : وهو مشهور على الأئسن ، ومنه يُجْلَبُ الأئسن ، وبها يُضْرَبُ المثل في قصارها . قال : وفي شماليها جبال متصلة ببلاد بلهرا ملك ملوك الهند ، وفي غربيها يُصْبُ نهر الصولياني في البحر . وذكر في "مسالك الأبحار" عن قاضي القضاة سراج الدين الهندي : أن بلاد المعبر تشتمل على عتة جزائر بكار .

وبه عتة مدن وبلاد .

منها (بيرداول) قال في "تقويم البلدان" : بكسر الباء الموحدة وتشديد الياء المثناة التحتية وسكون الراء وفتح الدال المهملتين وألف وواو ولام . قال : وهي قصبة بلاد المعبر ، وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد :

حيث الطول مائة وأثنان وأربعون درجة ، والعرض سبع عشرة درجة ونحس وعشرون دقيقة . قال في "تهويم البلدان" : وهي مدينة سلطان المعبر ، وإليه تجلب الخيول من البلاد .

ثم أعلم أن وراء ما تقدم بلدا أخرى ذكرها في "تهويم البلدان" .

منها (مأهورة) قال في "تهويم البلدان" : بفتح الميم والالف والهاء والواو ثم راء مهملة وهاء . وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيث الطول مائة درجة وأربع درج ، والعرض سبع وعشرون درجة . قال ابن سعيد : وهي على جاني نهر كنتك في أنحداره من قنوج إلى بحر الهند . قال في "تهويم البلدان" : وهي بلد البرامحة ، وهم عباد الهند ينسبون إلى البرهمن أول حكمهم . قال ابن سعيد : وقلاعهم بها لأترام .

ومنها (لوهور) قال في "اللباب" : بفتح اللام وسكون الواو ين بينهما هاء مفتوحة وفي الآخر راء مهملة . قال : ويقال لها أيضا لمأور . وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال في "الأطوال" : حيث الطول مائة درجة والعرض إحدى وثلاثون درجة . قال في "اللباب" : وهي مدينة كبيرة كثيرة الخير ، خرج منها جماعة من أهل العلم .

ومنها (قنوج) قال في "تهويم البلدان" : بكسر القاف وفتح النون المشددة والواو ثم جيم . وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول مائة وإحدى وثلاثون درجة ونحسون دقيقة ، والعرض سبع وعشرون درجة . وذكر في "الأطوال" الطول بنقص سبع وعشرين درجة ، والعرض بزيادة ست درج . قال ابن سعيد : وهي قاعدة لمأور ، وهي بين ذراعين من نهر

كِنَك . وقال المهلبى : هى فى أقاصى الهند فى جهة الشرق عن المُتَانِ عَلَى مَائَتِينَ وَأَتْنِينَ وَثَمَانِينَ غَرَسًا . قال : وهى مِصْرُ الهند وأعظمُ المُنْدُ بها . ثم قال : وقد بالغ الناسُ فى تعظيمها حتى قالوا : إنَّ بها ثَلَاثَةَ مِائَةِ سُوْقٍ لِلْجَوْهرِ ، وَلَمَلِكُهَا أَلْفَانِ وَخَمْسِمِائَةِ فِيلٍ ، وهى كثيرة مَعَادِنُ الذهب . قال فى "نزهة المشتاق" : هى مدينةٌ حَسَنَةٌ ، كثيرةُ التجارات ، ومن مُنْهَا قِسْمِيرُ الخارجة ، وقِسْمِيرُ الداخلة . قال : وَلَمَلِكُهَا يَسْمَى الْقِتْنُوجَ بِاسْمِهَا .

ومنها (جِبَالُ قَامَرُونِ) قال فى "تقويم البُلْدَانِ" : بفتح القاف وألف وميم وراء مهملة ثم واو ونون . وهى حِجَازٌ بَيْنَ الهند والصَّينِ ، ومِنْهَا فى "القانون" من الجَزَائِرِ . قال : وهى خارجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجَنُوبِ قال فى "القانون" و"الأطوال" : حيث الطولُ مائةٌ وخمسة وعشرون درجة ، والعرضُ عَشْرُ دَرَجٍ ، ومدينةُ المَلِكِ شَرْقِيَّهَا ، وبها مَعْدِنُ العُودِ القَامَرُونِيّ .

قلت : وذَكَرَ فى "مسالك الأبصار" عن قاضى القضاة سراج الدين الهندى : أن فى مملكة صاحب الهند ثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ إقْلِيمًا ، حد منها بعضُ ما هُتَمَ ذَكَرَهُ ، وهى : إقْلِيمُ دَهْلِيٍّ ، وإقْلِيمُ الدَّوَاكِرِ ، وإقْلِيمُ المُتَانِ ، وإقْلِيمُ كَهْرَانِ ، وإقْلِيمُ سَامَانَا ، وإقْلِيمُ سَبُوسْتَانِ ، وإقْلِيمُ وَجَا ، وإقْلِيمُ هَامِيٍّ ، وإقْلِيمُ سِرِسْتِيٍّ ، وإقْلِيمُ الْمَبَرِّ ، وإقْلِيمُ تَنَكِّ ، وإقْلِيمُ بَكْرَاتِ ، وإقْلِيمُ بِلُونِ ، وإقْلِيمُ عَوْضِ ، وإقْلِيمُ الْقِتْنُوجِ ، وإقْلِيمُ لَكْنَوْتِيٍّ ، وإقْلِيمُ بَهَارِ ، وإقْلِيمُ كَرِهٍ ، وإقْلِيمُ مَلَاوَهٍ ، وإقْلِيمُ مَآوَرٍ ، وإقْلِيمُ كَلَاوَرٍ ، وإقْلِيمُ جَانِكِرٍ ، وإقْلِيمُ تَلِجٍ ، وإقْلِيمُ دُورِ سَمَنْدِ .

ثم قال : وهذه الأقاليمُ تشتملُ عَلَى أَلْفِ مَدِينَةٍ وَمِائَتِي مَدِينَةٍ ، كُلُّهَا مُدُنُ ذَوَاتُ نِيَابَاتٍ : كَبَّارٍ وَصَغَارٍ ، وَبِجْمَعِهَا الْأَعْمَالُ وَالْقُرَى الْعَامِرَةُ الْآهَلَةُ . وقال إنه لَا يَعْرِفُ

عند قراها ، إلا أن إقليم القنوج مائة وعشرون لُكا ، كل لُك مائة ألف قرية ، فتكون أثنى عشر ألف ألف قرية ؛ وإقليم تلك ستة وثلاثون لُكا ، فيكون ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف قرية ؛ وإقليم ملاو أكبر من إقليم القنوج في الجملة .

وحكى عن الشيخ مبارك الأنباتي : أن على لكتوتى مائتى ألف مركب صفار خفاف للسير ، إذا رعى الراعى فى إحداها سهما وقع فى وسطها لسرعة جريانها . ومن المراكب الكبار ما فيه الطواحين والأفران والأسواق ، وربما لم يعرف بعض ركابه بعضا إلا بعد مدة لاتساعه وعظمته إلى غير ذلك مما المهلة فيه عليه .

وأعلم أن يهر الهند جزائر عظيمة معدودة فى أعماله ، يكون بعضها مملكة منفردة .

منها (جزيرة مرتليب) قال فى " تقويم البلدان " : بفتح السين والراء المهملين وسكون النون وكسر الدال المهمل وسكون الياء المثناة من تحت ثم باء موحدة . قال : ويقال لها جزيرة سنكاديب ، كأنه باللسان الهندى ، وموقعها خارج عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب قال " فى الأطوال " : حيث الطول مائة وعشرون درجة ، والعرض عشر درج . قال ابن سعيد : ويسق هذه الجزيرة جبل عظيم على خط الاستواء ، اسمه جبل الزهون ، يزعمون أن عليه هبوط آدم عليه السلام . قال ابن خردادبه : وهو جبل زاهب فى السماء ، يزاه أهل المراكب على مسيرة عشرين يوما وأقل وأكثر .

وذكرت البراهمة : أن على هذا الجبل أثر قدم آدم عليه السلام : قدم واحدة مغموسة فى الحجر ، وأنه خطأ انخطوة الأخرى إلى الهند ، وهو منها على مسيرة يومين أو ثلاثة . قال : وعلى هذا الجبل شبيه بالبرق أبدا ، وعليه العود وسائر العطر والأقاييه ، وعليه وحواليه الباقوت وألوانه كلها ؛ وفى واديه المس والسنبادج ،

وغزال المسك ، ومسور الزبادي وفي أنهار هذه الجزيرة البؤر ، وحولها في البحر مقاصد اللؤلؤ ، ونهرها هو المعظم عند الهنود . قال ابن سعيد : ومدينتها تسمى أغنا . وهي حيث الطول مائة وأربع وعشرون درجة .

ومنها (جزيرة الرأيج) . قال في " تهويم البلدان " : والظاهر أنها بالراء المهملة والألف والنون ثم جيم في الآخر ، وموقعها في الجنوب عن الإقليم الأول . قال في " الأطوال " : وطولها مائة وثلاث عشرة درجة ، ولا عرض لها ، وفيها عمارة وزرع ونارجيل وغير ذلك . قال في " كتاب الأطوال " : وجبالها ترى من جبال اليمن ، وبها جبال تشتعل النار فيها دائما ، وترى تلك النار في البحر من مسيرة أيام ، وبها حيات تبتلع الرجل والجاموس ، وفي البحر عند لهاور " دور " وهو مكان يدور فيه الماء ، ويحشى على المراكب عنده . قال ابن خردادبه : وفيها حيات عظام تبتلع الرجل والجاموس والفيل ، وفيها شجر الكافور ، تظل الشجرة منه مائة إنسان وعجائب لا تحصى .

ومنها (جزيرة لأمري) قال في " تهويم البلدان " : بلام وألف وميم وراء مهملة ثم ياء آخر الحروف ، وموقعها في الجنوب عن الإقليم الأول قال في " الأطوال " : حيث الطول مائة وست وعشرون درجة ، والعرض تسع درج . قال في " تهويم البلدان " : وهي مغلن البقم والخيزران .

ومنها (جزيرة كلة) قال في " تهويم البلدان " : بالكاف واللام وهاء في الآخر . وموقعها في الجنوب عن الإقليم الأول قال في " القانون " : حيث الطول مائة وثلاثون درجة ، ولا عرض لها . قال في " تهويم البلدان " : وهي قرضة ما بين عمان والصين . قال المهلي : وفيها مدينة عاصمة يسكنها المسلمون وغيرهم

وبها معادن الرصاص ومنابت الخيزران وشجر الكافور ؛ وبينها وبين جزائر المِهراج
عشرون بحري .

ومنها (جزيرة المِهراج) . قال في "تقويم البلدان" : الظاهر أنها بالميم والماء
والراء المهملة ثم ألف وجيم في الآخر . قال في "كتاب الأطوال" : وهي جزيرة
سريرة ، وموقعها في الجنوب من خط الاستواء قال في الأطوال : حيث الطول
مائة وأربعون درجة ، والعرض في الجنوب درجة واحدة . قال ابن سعيد : وهي
عدة جزائر ، وصاحبها من أغنياء ملوك الهند وأكثرهم ذهباً وفيلاً . وجزيرته الكبيرة
هي التي فيها مقر ملكه ، وعنها المهلي في جزائر الصين ؛ وقال : إنها عامرة أهلة ،
وإنه إذا أطلع المركب منها طالباً للصين واجهه في البحر جبالاً ممتدة ، داخله في البحر
مسيرة عشرة أيام ، فإذا قرب المسافرون منها وجدوا فيها أبواباً وفرجاً في أثناء ذلك
الجل ، يفضي كل باب منها إلى بلد من بلدان الصين . وعد ابن سعيد سريرة من
جزائر الرائج ، وقال : إن طولها من الشمال إلى الجنوب أربعمائة ميل ، وعرضها
في كل طرف من الجنوبي والشمالي نحو مائة وستين ميلاً ؛ وسريرة مدينة في وسطها ،
ثم يدخل منها جوف البحر وهي على نهر .

ومنها (جزيرة أندراي) قال في "تقويم البلدان" : بفتح المعزة وسكون النون
وفتح الدال والراء المهملتين ثم ألف وباء موحدة وفي الأخرى مئة من تحتها .

ومنها (جزيرة الجاوة) . قال في "تقويم البلدان" : وهي جزيرة كبيرة مشهورة
بكثرة السفاير . قال : وطرف هذه الجزيرة الغربي حيث الطول مائة وخمس
وأربعون درجة ، والعرض خمس درج . قال : وفي جنوب جزيرة الجاوة مدينة

فَتَصُورُ، الَّتِي يَنْسَبُ إِلَيْهَا الْكَافُورُ الْفَتُصُورِيُّ ؛ وَهِيَ حَيْثُ الطُّولُ مِائَةٌ وَخَمْسُ
وَأَرْبَعُونَ دَرَجَةً، وَالْعَرْضُ دَرَجَةً وَاحِدَةً وَنِصْفٌ .

وَمِنْهَا (جَزِيرَةُ الصَّنْفِ) . الَّتِي يُنْسَبُ إِلَيْهَا الْعُودُ الصَّنْفِيُّ . وَهِيَ مِنْ أَشْهُرِ الْخَزَائِرِ
الْمَوْجُودَةِ فِي الْكُتُبِ ؛ وَطَوَّلَهَا مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ نَحْوَ مِائَتَيْ مِيلٍ ، وَعَرْضُهَا أَقْلُ
مِنْ ذَلِكَ ، وَمَدِينَتُهَا حَيْثُ الطُّولُ اثْنَتَانِ وَسِتُونَ دَرَجَةً .

وَمِنْهَا (جَزِيرَةُ قِمَارَ) الَّتِي يُنْسَبُ إِلَيْهَا الْعُودُ الْقِمَارِيُّ وَهُوَ دُونَ الصَّنْفِيِّ ، وَمَدِينَتُهَا
قِمَارٌ حَيْثُ الطُّولُ سِتُّ وَسِتُونَ دَرَجَةً ، وَالْعَرْضُ دَرَجَتَانِ ، وَشَرْقِيَّهَا جَزَائِرُ الصِّينِ .
وَمِنْهَا (جَزِيرَةُ الرَّامِي) . قَالَ ابْنُ خِرْدَازْبِهِ : وَبِهَا الْكَرْكُذَنُ وَجَوَامِيسُ الْأَذْنَابِ
لَهَا ، وَبِهَا الْبَقَمُ ، وَفِيهَا نَاسٌ عُرَاةٌ فِي خِيَاضٍ لَا يُفْهَمُ مَا يَقُولُونَ ، كَلَامُهُمْ صَغِيرٌ ،
يَسْتَوْحِشُونَ مِنَ النَّاسِ ، طَوَّلُ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ أَشْبَارٍ ، لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ ذَكَرٌ صَغِيرٌ ،
وَالرَّأَةُ فَرْجٌ صَغِيرٌ ، وَشَعْرُ رِجْلِهِمْ زَغَبٌ أَحْمَرٌ ، يَنْسَلِقُونَ عَلَى الْأَشْجَارِ بِأَيْدِيهِمْ .
وَفِي الْبَحْرِ هُنَاكَ نَاسٌ بَيَضٌ ، يَلْحَقُونَ الْمَرَاكِبَ سِيَاحَةً وَالْمَرَاكِبَ فِي شِدَّةِ جَرِّهَا ،
يَعْمَلُونَ النَّسَبَ بِالْحَدِيدِ يَحْمِلُونَهُ فِي أَفْوَاهِهِمْ ، وَجَزِيرَةٌ فِيهَا نَاسٌ سُودٌ يَأْكُلُونَ النَّاسَ
أَحْيَاءً ؛ وَجِبَلٌ طَلِيئَةٌ فَضَّةٌ تَظْهَرُ بِالنَّارِ .

الجملة الثانية

(فِي حَيَوَانِهَا)

قَدْ ذَكَرَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" عَنِ الشَّيْخِ مَبَارَكِ الْأَنْبَاتِيِّ : أَنَّ بَهَا الْخَيْلَ عَلَى
نَوْعَيْنِ : عَرَابٍ وَبَرَّادِينَ ، وَأَكْثَرُهَا مَا لَا يَحْدُ فَعْلُهُ . قَالَ : وَلِذَلِكَ تُجَلَّبُ الْخَيْلُ
إِلَى الْهِنْدِ مِنْ جَمِيعِ مَا جَاوَرَهُ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ ، وَتُحَادِلُهُ الْعَرَابُ مِنَ الْبَحْرَيْنِ وَبِلَادِ
الْيَمَنِ وَالْعِرَاقِ ، وَإِنْ كَانَ فِي دَاخِلِ الْهِنْدِ خَيْلٌ عَرَابٌ يُتَغَالَى فِي أَمْنَانِهَا وَلَكِنَهَا

قليلة . قال : ومتى طال مُكُتُّ الخليل بالهند انمطت . وعندهم البقال والحمير ، ولكنها مذمومة الركوب عندهم ، حتى لا يستحسن فقيه ولا ذو علم ركوب بغلة .

أما الحمار فإن ركوبه عندهم منلة وعارٌ عظيم ، وخاصتهم تحمل أهملهم على الخليل ، وعامتهم تحمل على البقر من فوق الأنف^(١) ، وهي عندهم كثيرة ، وبها الجمال قليلة لا تكون إلا للسلطان وأتباعه : من الخانات ، والأمراء ، والوزراء ، وأكابر الدولة ؛ وبها من المواشي السائمة ما لا يحصى : من الجواميس والأبقار والأغنام والمخز ؛ وبها من دواب الجن الطير الدجاج والحمام والإوز وهو أقل أنواعه ، وإن الدجاج عندهم في قدر خلق الإوز . وبها من الوحوش الفيل ، والكركدن . وقد هتم ذكرهما في الكلام على الوحوش فيما يحتاج الكتاب إلى وصفه من الحيوان في المقالة الأولى ، في غير ذلك من الوحوش التي لا تعد .

الجملة الثالثة

(في حبوبها ، وقواكهها ، ورياحيتها ، وخضرواتها ، وغير ذلك)

أما الحبوب فقد ذكر عن الشيخ مبارك الأنباري أن بها الأرز على أحد وعشرين نوعاً ؛ وبها من سائر الحبوب الحنطة ، والشعير ، والقمح ، والعدس ، والماش ، واللوبياء ، والسَّمسم ؛ أما القول فلا يوجد عندهم . قال في "مسالك الأبصار" : ولعل عدمه من حيث إنهم قوم حكام ، والقول عندهم مما يقصد جوهر العقل ، ولذلك حرمت الصابئة أكله .

وأما القواكه فقيه التين ، والعنب على قلة ، والرمان الكثير : من الحلو ، والمز ، والحامض إلى غير ذلك من القواكه : كالموز ، والخنوخ ، والتوت المسمى بالفِرصاد ؛

وبها فواكه أخرى لا يُعَدُّ مثلها بمصر والشام ، كالنِّبَّاءِ وغيرها ، والسَّفَرَجُلُ على قلة ، والكَثْرَى ، والثَّقَاحُ ، وهما أقل من القليل ، ولكنهما والسفرجل يُجَلَّبُ إليه . وبها من الفواكه المستحسنة الرَّابِجُ ، وهو المسمى عندهم بالنَّارِجِيل ، والعامَّة تسميه جَوْزُ الهند . وبه الطَّيْخُ الأخضرُ والأصفر ، والنَّجَارُ ، والقِثَاءُ ، والصَّجُورُ ، وبه من الحمضات الأَثْرَجُ ، واللِّيمون ، واللِّيم ، والنَّارَنْج . أما الحمر وهو التمر الهندي فكثير بباديتها .

وأما الخَضْرَاوَاتُ فقصُّ السكر يلاذها كثير للغاية ، ومنه نوعٌ أسودٌ صُلْبُ المَتَجَم ، وهو أجوده للإمتصاص لا الإعتصار ، ولا يوجد في غيرها ، ويُصَلُّ من بَقِيَّةِ أنواعه السكر الكثير : من النَّبَاتِ وغيره ، ولكنه لا يُعَدُّ بل يكون كالسِّمِيدِ الأبيض . وعنهم من الخَضْرَاوَاتِ اللَّفْتُ ، والجَزَرُ ، والقرع ، والباذِنْجَان ، والهِلْيُون ، والزَّيْجِيل ، والسَّقَى ، والبَصَل ، والفُوم وهو الثوم ، والشَّامِ ، والصَّعْتَر . وأما الرياحين ، فيها الورد ، واللِّينُوفَر ، والبَنْسَج ، والبَانُ ، والحِلَاف ، والعَبَر ، والنَّرِجِس ، والفاغِيَّة وهي النَّاصِرِحَاء .

وأما غير ذلك فعندهم السَّلُّ أكثر من الكثير ، والشَّيْرَج ومنه وَقُودُهُم ، والزَّيْتُ يَأْتِيهِمْ مجلوبا . أما السَّمْعُ فلا يُوجَدُ إلا في دُورِ السلطان ، ولا يُسَمَّحُ فيه لأحد ، والحُلُوبُ على خمسة وستين نوعا ، والثَّقَاق ، والأشربة ، والأطعمة على ما لا يكاد يوجد في غير ما هنا لك . وبه من أرباب الصنائع صُنَاعُ السُّيُوف ، والقِيسِي ، والرَّمَّاح ، والزَّرد ، وسائر أنواع السلاح ، والصُّوَانِغ ، والزَّرَاكِشَة ، وغيرهم من سائر أرباب الصنائع .

والسلطان يَدُلُّ دَارِطَرَّازَ ، فيها أربعة آلاف قَرَّازَ ، تَعْمَلُ الأقمشة المتنوعة للخَلْعِ
والكَسَاوَى ^(١) والإطلاقات ، مع ما يحمل إليه من قُشَّاشِ الصين والعراق والإسكندرية .

الجملة الرابعة

(في المعاملات)

أ. أهودهم ، فقد ذكر الشيخ مبارك الأنباتي : أن لهم أربع دراهم يتعاملون بها .
أحدها - المشتكاني . وهو وزن الدرهم الثقيرة بمعاملة مصر ، وجَوَّازَه جَوَّازَه ،
لا يكاد يتفاوت ما بينهما ، والدرهم المشتكاني المذكور عنه ثمان جتيلات ، كل
جتيل أربعة أفلس ، فيكون عنه اثنين وثلاثين فلساً .

الثاني - الدرهم السلطاني . ويسمى وكاني ، وهو رُبْعُ درهم من الدراهم
المصرية ، وكل درهم من السلطانية عنه جتيلان ، ولهذا الدرهم السلطاني نصف
يسمى جتيل واحد .

الثالث - الششتكاني . وهو نصف وربْعُ درهم هشتكاني ، ويكون تقديره
بالدراهم السلطانية ثلاثة دراهم .

الرابع - الدرهم الدرازد هكاني . وجَوَّازَه بنصف وربْعِ درهم هشتكاني أيضاً ،
فيكون بمقدار الششتكاني ؛ ثم كل ثمانية دراهم هشتكانية تسمى تنكة .

أما الذهب عندهم فبالنقال ، وكل ثلاثة مثاقيل تسمى تنكة ، ويعبر عن تنكة
الذهب بالتنكة الحمراء ، وعن تنكة الفضة بالتنكة البيضاء ؛ وكل مائة ألف تنكة

(١) جارى العامة في هذا الجمع والا بجمعها كَمَا رَكَّاهَا في القاموس .

من الذهب أو الفضة تسمى نُكَّاء ، إلا انه يعبر عن لك الذهب باللك الاحمر ،
وعن لك الفضة باللك الأبيض .

وأما رطلهم فيسمى عندهم ستر ، وزنته سبعون مثقالا ، فتكون زنته بالدرهم
المصرية مائة درهم ودرهمين وثلاثي درهم ، وكل أربعين سترا من واحد ، وجميع
مبيعاتهم بالوزن أما الكيل فلا يعرف عندهم .

الجملة الخامسة

(في الأسعار)

قد ذكر في " مسالك الأبصار " أسعار الهند في زمانه قولا عن قاضي القضاة
سراج الدين الهندي وغيره فقال : إن الجارية الخدامة لا تسمى قيمتها بمدينة دهلي
ثمان تنكات ، والواقي يصلح للخدمة والفراس خمس عشرة تنكة . وفي غير دهلي
أرخص من ذلك حتى قال القاضي سراج الدين : إنه اشترى عبدا مراحقا نقاما
باربعة دراهم . ثم قال : ومع هذا الرخص إن من الجوارى الهنديات من تبلغ
قيمتها عشرين ألف تنكة وأكثر لحسنهن ولطفهن .

وقل عن الشيخ مبارك الأنباري (وكان فيما قبل الثلاثين والسبعينات) فقال :
إن أوساط الأسعار حينئذ أن تكون الحنطة كل من بدرهم ونصف هشتكاني ؛
والشعير كل من بدرهم واحد هشتكاني ؛ والأرز كل من بدرهم ونصف وربع
هشتكاني ، إلا أنواعا معروفة من الأرز فإنها أغلى من ذلك ؛ والجبن كل ميتين
بدرهم هشتكاني ؛ ولحم البقر والمعز كل أربعة أستار بدرهم سلطاني ؛ والإوز كل
طائر بدرهمين هشتكاني ؛ واللحاج كل أربعة أطيار بدرهم هشتكاني ؛ والسكر كل

خمسة أستار بدرهم هشتكافى ، والرأس الغنم الجيدة السمينة بتكة (وهى ثمانية دراهم هشتكافية) والبقرة الجيدة بتكتين (وهما ستة عشر درهما هشتكافية) وربما كانت بأقل ، والجاموس كذلك .

أما الحمام والغصفور وأنواع الطير فأقل ثمن ؛ وأنواع الصيد من الوحش والطير كثيرة ؛ وأكثر ما يكلهم لحم البقر والمزعز مع كثرة الضأن ضلعهم إلا أنهم أعتادوا أكل ذلك .

وقد حكى فى "مسالك الأبصار" عن الخجندى أنه قال : أكلت أنا وثلاثة نفر رفاق فى بعض بلاد دلى لحماً بقرياً وخبزاً وسمناً حتى شبعنا بجيتل : وهو أربعة أفلس كما تقدم .

الجملة السادسة

(فى الطريق الموصلة إلى مملكتى السند والهند)

اعلم أن لهذه المملكة عدة طرق :

الطريق الأول — طريق البحر ، قد تقدم فى الكلام على الطريق الموصلة إلى اليمن ذكر الطريق من سواحل مصر : من السويس ، والطور ، والقصير ، وعيناب إلى عدن من اليمن فى هذا البحر ، ومن عدن إلى أن يركب فى بحر الهند المتصل ببحر القسزم ، إلى سواحل السند والهند ، ويخرج إلى أى البلاد أراد من القرض الموصلة إليها .

الطريق الثانى — طريق بحر فارس ، قد تقدم فى الكلام على مملكة إيران ذكر الطريق الموصلة من حلب إلى بغداد ، ثم من بغداد إلى البصرة . قال ابن خردادبه :

ثم من البصرة إلى عبادان اثنا عشر فرسخاً ، ثم إلى الخسبات فرسخان ، ومنها يُركب في بحر فارس :

فن أراد طريق البر إلى السند والهند ، جاز هذا البحر إلى هرمز : مدينة كُمان ، ومنها يتوصل إلى السند ثم الهند ثم الصين .

ومن أراد الطريق في البحر ، فقد ذكر ابن خرداذبه : أن من أبلّة البصرة في نهر الأبلّة إلى جزيرة خاراك في نخيل فارس سبعين فرسخاً ، ومنها إلى جزيرة لابن ثمانين فرسخاً ، ثم إلى جزيرة أبرود سبعاً فراسخاً ، ثم إلى جزيرة خين سبعاً فراسخاً ، ثم إلى جزيرة كيش سبعاً فراسخاً ، ثم إلى جزيرة أبركوان ثمانية عشر فرسخاً ، ثم إلى جزيرة أرموز سبعاً فراسخاً ، ثم إلى بارنسبة أيام ، وهي الحد بين فارس والسند ، ثم إلى الديكيل ثمانية أيام ، ثم إلى مصب مهرا في البحر فرسخان ، ثم من مهرا إلى بكين أول أرض الهند أربعة أيام ، ثم إلى السند فرسخان ، ثم إلى كُول فرسخان ، ثم إلى سندان ثمانية عشر فرسخاً ، ثم إلى ملي خمسة أيام ، ثم إلى بلين يومان .

ثم يفترق الطريق في البحر :

فن أخذ على الساحل — فن بلين إلى باس يومان ، ثم إلى السنجي وكشكان يومان ، ثم إلى كودا مصب نهر فريد ثلاثة فراسخ ، ثم إلى كيلكان يومان ، ثم منها إلى سمندر ، ومن سمندر إلى أورسير اثنا عشر فرسخاً ، ثم إلى أيدنه أربعة أيام ، ثم إلى سرنديب يومان .

(١) الخسبات علامات في البحر لراكب تنهى ولا تتجاوزها خوفاً من الجزر لئلا تعلق الأرض .

ومن أراد جهة الصين عدل من ثلثين وجعل مَرْدَيْبَ عن يساره . فن جزيرة
سَرْدَيْب إلى جزيرة لنجالوس عشرة أيام إلى خمسة عشر يوما ، ثم إلى جزيرة كَلَه
سنة أيام . وعن يسارها جزيرة بالوس على يومين ، ثم على خمسة عشر يوما
بلاد تُنَيْت العُطُر .

الجملة السابعة

(في ذكر ملوك الهند)

(١) جماعةٌ منهم ملوك الكُفَر ، أسماؤهم أعجمية لا حاجة إلى ذكرهم ،
فاضربنا عنهم .

وأما في الإسلام فأول من أخذ في فتح ما فتح من الهند بنو سُبُكْتِكِين : ملوك
غَزْنَةَ ، المتقدم ذكرهم في مملكة خوارزم والقبجاق وما مع ذلك .

ففتح يمين الدولة (محمود بن سُبُكْتِكِين) منه مدينة بهاطية . وهي مدينة حصينة
عالية السور وراء المُلتان ، في سنة ست وتسعين وثلاثمائة ، وسار إلى بيلا ملك الهند ،
فهرب منه إلى مدينته المعروفة بكاليجار ، فحاصره فيها حتى صالحه على مال ، فأخذ
المال وألبسه خلعتَه ، وأستغنى من شد وسطه بالمنطقة فلم يُنفقه من ذلك ،
فشتها على كُرّه .

ثم فتح (إبراهيم بن مسعود) منهم حصوناً منه في سنة إحدى وخمسين
وأربعائة .

(١) يياض في الأصل رله أما قبل الإسلام فللكها جماعة من الخ.

(٢) ذكر أبو الفداء فتحها في حوادث سنة ٩٥ وسيره إلى ملكها في سنة ٩٦ .

(٣) عبارة أبي الفدا "قطعة" .

ثم كانت دولة الغورية بفزنة أيضا . ففتح شهاب الدين أبو المظفر (محمد بن سام) ابن الحسين الغوري منه مدينة لهاور في سنة سبع وأربعين وخمسةائة ، وأتبعها بفتح الكثير من بلادهم ، وبلغ من النكاية في ملوكهم ما لم يبلغه أحد من ملوك الإسلام قبله ، وتمكن من بلاد الهند ، وأقطع مملوكه قطب الدين أبيك مدينة دهل التي هي قاعدة الهند ، وبعث أبيك المذكور عساكره ، فملك من الهند ما كن مداخلها مسلم قبله حتى قاربت جهة الصين .

ثم فتح (شهاب الدين محمد) المذكور أيضا بعد ذلك نهر واه في سنة سبع وتسعين وخمسةائة ، وتوالت ملوك المسلمين وفتوحاتهم في الهند إلى أن كان (محمد بن طغلقشاه) في زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية ، فقوى سلطانه بالهند ، وكثرت عساكره ، وأخذ في الفتوح حتى فتح معظم الهند .

قال في "مسالك الأبصار" قال الشيخ مبارك الأنباري : وأول ما فتح منه مملكة تملك ؛ وهي واسعة البلاد ، كثيرة القرى ، عدة قراها تسعمائة ألف قرية وتسعمائة قرية . ثم فتح بلاد جاجنكر ، وبها سبعون مدينة جليلة كلها على البحر ، دخلها من الجواهر والقماش المتوع ، والطيب ، والأفاويه ؛ ثم فتح بلاد لكتوتى ، وهي كرمي تسعة ملوك . ثم فتح بلاد دواكير . ويقال لها دكير ، ولها أربع وثمانون قلعة جليلات المقدار . ونقل عن الشيخ برهان الدين أبي بكر بن الخلال البزى : أن بها ألف ألف قرية وما تى ألف قرية . ثم فتح بلاد نور سمند ، وكان بها السلطان بلال الدبو ونخسة ملوك كفار . ثم فتح بلاد المعبر : وهو إقليم جليل له تسعون مدينة بتادر على البحر ، يحيط من دخلها الطيب ، واللانس ، والقماش المتوع ، ولطائف الآفاق .

(١) الذي في العبر وتاريخ ابن الأثير أنه فتحها في سنة تسع وسبعين وخمسةائة وهو الصواب .

وذكر أنه حصل له من الأموال بسبب الفتوح التي فتحها مالا يكاد السامع يصدقها . فحكى عن الشيخ برهان الدين أبي بكر بن الحلال المقيم ذكره : أنه حاصر مليكا على حد بلاد الدواكير ، فسأله أن يكف عنه على أن يرسل إليه من التواب ما يختار ليحمله له مالا ، فسأله عن قدر ما عنده من المال فأجابه فقال : إنه كان قبلى سبعة ملوك ، جمع كل واحد منهم سبعين ألف صهرج متسعة من المال ، فأجابه إلى ذلك ، وختم على تلك الصهارج باسمه وتركها بحالها ، وأقر الملك باسم ذلك الملك ، وأمر بإقامته عنده ، وجعل له ثوبا بتلك المملكة .

وحكى عن علي بن منصور العقلى من عرب البحرين أنه تواتر عندهم من الأخبار أن هذا السلطان فتح مدينة بها بحيرة ماء ، في وسطها بيت برمعظم عندهم يقصدونه بالنذر ، وكلما أتى له بندري في تلك البحيرة ، فصرف الماء عنها وأخذ ما كان بها من الذهب ، فكان وسق مائتي فيل وآلاف من البقر ، إلى غير ذلك مما يكاد العقل أن ينكره ، ولذلك حصل عنده من الأموال مالا يأخذه الحصر ، وأتست أموال عساكره حتى جاوزت الوصف ، حتى حكى الشيخ تاج الدين بن أبي المجاهد السمرقندى : أنه غضب على بعض خاناته لشربه الخمر فأمسكه وأخذ ماله ، فكان جملة ما وجد له من الذهب ألف ألف مثقال وسبعة وثلاثين ألف مثقال ، ومقدار ذلك ثلاثة وأربعون ألف قطار وسبعون قطارا ، وهو مع ذلك يعطى العطاء الجزيل ويصل بالأموال الجمّة .

فقد حكى ابن الحكيم الطيارى : أن شخصا قتل له كذا ، فحى له حبة من جوهر كان بين يديه ، قيمتها عشرون ألف مثقال من الذهب .

وحكى الشريف السمرقندى : أن شخصا قتل له اثنتان وعشرين حبة من البطيخ الأصفر ، حملها إليه من بخارى ، فأمر له بثلاثة آلاف مثقال من الذهب .

وحكى الشيخ أبو بكر بن أبي الحسن المثنائى أنه استفاض عنه أنه التزم أنه لا ينطق فى إطلاقاته بأقل من ثلاثة آلاف متقال، إلى غير ذلك من المطاء الذى يخرق العقول .

وحكى عن قاضى القضاة سراج الدين الهندى : أنه مع كثرة البذل وسعة العطاء فى هباته وما ينفقه فى جيوشه وعساكره لا ينفق نصف دخل بلاده .

قلت : ثم بعد محمد شاه ولى هذه المملكة من أقاربه سلطان اسمه (قيروز شاه) وبقي فى الملك نحو أربعين سنة . ثم تقلت المملكة فى بيتهم إلى أن كان من ثمركم ما كان من فتح كل ونهها .

ثم آل الأمر بعده إلى سلطان من بيت الملك ، اسمه (محمود خان) وهو القائم بها إلى الآن . وقد صارت النواكير منها لسلطان بفرده ، وأسمه اليوم السلطان (غياث الدين) .

الجملة الثامنة

(فى ذكر عساكر هذه المملكة ، وأرباب وظائفها على ما ذكره فى "مسالك الأبصار" عن دولة السلطان محمد بن طغلقشاه المتقدم ذكره ، قلنا عن الشيخ مبارك الأنباي وغيره)

أما عساكره ، فقد ذكر أنها تشمل على تسعمائة ألف فارس : منهم من هو بحضرته ، ومنهم من هو فى سائر البلاد ، يجرى عليهم كلهم ديوانه ، وأن عسكره مجتمع من الترك والخطا والفرس والهنود وغيرهم من الأجناس . وكلهم بالليل المسومة ، والسلاح الفائق ، والتجمل الظاهر ، وأن أعلى عسكره الخانات ، ثم الملوك ، ثم الأمراء ، ثم الإصفهسلارية ، ثم الجنود .

وذكر أن في خدمته ثمانينَ خانا أو أكثر ، وأن لكل واحد منهم من الأتباع مايناسبه : فثمان عشرة آلاف فارس ، ولألف فارس ، وللأتمير مائة فارس ، وللإصفهسلارية دون ذلك . وأن الإصفهسلارية لا يرُهل أحد منهم للقرب من السلطان ، وإنما يكون منهم الولاء ومن يجرى مجرامهم ؛ وأن له عشرة آلاف مملوك أترك ، وعشرة آلاف خادمٍ خصي ، وألف خزندار ، وألف بَشِمَقْدَار؛ وله مائتا ألف عبد ركابية ، تلبس السلاح وتمشي في ركبائه ، وتقاتل رجالةً بين يديه ، وأن جميع الجنود تختص بالسلطان ، ويجري عليهم ديوانه حتى مَنْ في خدمة الخانات والمُلوك والأمراء ، لا يجري عليهم إقطاعٌ من جهة مَنْ هم في خدمته كما في مصر والشام .

وأما أربابُ الوظائف من أرباب السيوف، فله نائبٌ كبير، يسمى بلفتهم امرت وأربعةُ نوابٍ دونه، يسمى كل واحد منهم شق؛ وله الحجاب ومن يجري مجراهم من سائر أرباب الوظائف. وأما من أرباب الأعلام، فله وزيرٌ عظيم، وله أربعة مكاتب سر، يسمى كل واحد منهم بلفتهم ديران، ولكل منهم تقدير ثمانية كاتب.

وأما القضاة فله قاضي قضاة عظيم الشأن، وله عتسب وشيخُ شوخ، وله ألف طبيب ومائتا طبيب.

وأما غيره هؤلاء فله ألف بازدار، تحمل الطيور الجوارح للصيد رابكة الخيل، وثلاثة آلاف سواق لـتحصيل الصيد، وخمسمائة نديم، وألفان ومائتان من الملاحى غير مماليكه الملاحى، وهى ألف مملوك برسم تعليم الغناء خاصة، وألف شاعر بالعربية، والفارسية، والهندية، من ذوى الذوق اللطيف . يتجرو على جميع أولئك ديوانه مع طهارة الذليل والبغاة فى الظاهر والباطن .

الجملة التاسعة

(في زى أهل هذه المملكة)

أما أربابُ السُيوفِ فَيَقُلُّ عن الشيخِ مُباركِ الأتباي : انبِ لِبَسِ السلطانِ
والخاناتِ والملوكِ ، وسائرِ أربابِ السُيوفِ تَرِيَّاتٍ ، وتَكَلَّوَاتٍ ، وأَقِيَّةٍ إسلاميةٍ ،
مُخَصَّرةٍ الأوساطِ خُوارزميةٍ ، وعمائمُ صغارٍ لا تتعدىُ العامةُ منها خمسةَ أذرعٍ أوسطَةٍ ،
وأن لِبَسَهُم من البياضِ والجُلوخِ .

وحكى عن الشريفِ ناصر الدين محمد الحسيني الأدي أن غالبَ لِبَسِهِم تَرِيَّةٌ
مُرَّكَشَةٌ بالذهبِ ؛ ومنهم مَنْ يَلْبَسُ مطرَّزَ الكمينِ بَزَكِيَّشٍ ؛ ومنهم من يعملُ الطَّرَازَ
بين كتفيه مثلَ المُخْلِ ؛ وأقباعُهُم مرَّبعةُ الأقبساطِ ، مُرَّصعةُ بالجواهرِ ، وغالبُ
ترصيمِهِم بالياقوتِ والماسِ ، وَيَضَعُرُون شعورَهُم نَوَائِبَ ، كما كان يُفَعِّلُ بمصرَ
والشامِ في أوَّلِ الدولةِ التركيةِ ، إلا أنهم يجعلون في النوائِبِ شَرَارِيِبَ من حَرِيرٍ ؛
ويُسْتَدُون في أوساطِهِم المَنَاطِقَ من الذهبِ والفضَّةِ ، ويلبسون الأَخفافَ والمَهايِيزَ ،
ولا يَسْتَدُون السُيُوفَ في أوساطِهِم إلا في السَّفَرِ خاصَّةً .

وأما الوُزراءُ والحُكَّابُ ، فزيهِم مثلُ زِيِّ الجُنْدِ ، إلا أنهم لا يَسْتَدُون المَنَاطِقَ ؛
وربما أرنحُ بَعْضُهُم العَدَبَةَ الصغِيرَةَ من قُنَّامِهِ كما تفعلُ الصُوفِيَّةُ .

وأما القُضاةُ والعلماءُ ، فليَبَسُهُم فَرِجِيَّاتٌ شَيِّهاةٌ بالجَنَداتِ وَتَرَارِيعُ .

وحكى عن قاضي القضاةِ سراج الدين الهندى أنه لا يَلْبَسُ عندهم ثيابَ
الكَانِ المجلوبةِ من الرُّوسِ والإسكندريةِ إلا مَنْ ألبسه له السلطانُ ، وإنما لبسُهُم
من القُطُنِ الرقيقِ الذى يَفُوقُ البَغْدادِيَّ حُسْنًا ؛ وأنه لا يَرَكُبُ بالسُّروجِ المَلَبَّسةِ
والمُحَلَّاةِ بالذهبِ إلا مَنْ أنعمَ عليه بها السلطانُ .

الجملة العاشرة

(في أرزاق أهل دولة السلطان بهذه المملكة)

أما الجُند، فنقل من الشيخ مبارك الأنباري أنه يكون لخانات والملوك والأمراء والاصفهلارية بلاد مقررة عليهم من الديوان إقطاعاً لهم .

وذكر أن إقطاع النائب الكبير المسمى بأمرت يكون إقلياً عظيماً كالعراق . ولكل خان لُكَّانٍ ، كلُّ لكٍّ مائة ألف تنكة ، كل تنكة ثمانية دراهم ؛ ولكل ملك من ستين ألف تنكة إلى خمسين ألف تنكة ؛ ولكل أمير من أربعين ألف تنكة إلى ثلاثين ألف تنكة ؛ والاصفهلارية من عشرين ألف تنكة إلى ما حولها ؛ ولكل جُندى من عشرة آلاف تنكة إلى ألف تنكة ؛ ولكل مملوك من المالك السلطانية من خمسة آلاف تنكة إلى ألف تنكة ، مع الطعام والكسوة وتطيق التحليل لجمعهم على السلطان . ولكل عبد من العبيد السلطانية في كل شهر عشر تنكات بيضاء ، ومَنان من الحنطة والأرز ، وفي كل يوم ثلاثة أَسْتار من اللحم ، وفي كل سنة أربع كساو .

وأما أرباب الأقلام ، فإن الوزير يكون له إقليم عظيم نحو العراق إقطاعاً له ؛ ولكل واحد من كُتَّاب السر الأربعة مدينة من المُدن البتادر العظيمة الدُّخْل ؛ ولا كابر كُتَّابهم قُرَى وضياع . ومنهم من يكون له خمسون قرية . ولكل من الكُتَّاب الصغار عشرة آلاف تنكة . ولقاضي القضاة المبرِّعة بصدرجهان عشر قُرَى ، يكون متحصِّلها نحو ستين ألف تنكة ؛ ولشيخ الشيوخ مثله ؛ وللمُحسِّب قرية يكون متحصِّلها نحو ثمانية آلاف تنكة .

وأما غير هؤلاء من سائر أرباب الوظائف ، فذكر أنه يكون لبعض النُدماء قريتان ولبعضهم قرية ؛ ولكل واحد منهم من أربعين ألف تنكة إلى ثلاثين ألف تنكة

إلى عشرين ألف تنكة على مقادير مراتبهم ، مع الكسوى والخلع والإفادات ،
وليُقَسَّ على ذلك .

الجملة الحادية عشرة

(في ترتيب أحوال هذه المملكة)

وتتضمن الحال في ذلك باختلاف أحوال السلطان .

أما الخيمة ، فخدمتان : إحداهما الخيمة اليومية ، فإنه في كل يوم يمد الخوان
في قصر السلطان : ويأكل منه عشرون ألف قدر من الخانات ، والملوك ، والأمراء ،
والاصفهلارية ، وأعيان الجند ، ويمد للسلطان خوان خاص ، ويحضره معه
من الفقهاء مائتا فقيه في الفداء والعشاء يأكلوا معه ويتحدثوا بين يديه .

وحكى عن الشيخ أبي بكر بن الخلال : أنه سأل طبّاح هذا السلطان عن ذبيحته
في كل يوم - فقال : ألفان ونمسمائة رأس من البتر ، وألفاً رأس من الغنم ، غير
انجيل المسمنة وأنواع الطير .

والثانية - الجمعية ، فكى عن الشيخ محمد الحجندى : أن لهذا السلطان يوم
الثلاثاء جلوساً عاماً في ساحة عظيمة متسعة إلى غاية ، يضرب له فيها حيز كبير
سلطاني ، يجلس في صدره على تمثت عالي مصفح بالذهب ، ويقف أرباب الدولة
حولاً يميناً وشمالاً ، وخلفه السلاح دارية وأرباب الوظائف قيام بين يديه على
منازلهم ، ولا يجلس إلا الخانات وصندرجهان « وهو قاضى القضاة » والديوان
« وهو كاتب السر الذى تكون له التوبة » ويقف الحجاب أمامه ، وينادى مناداة
عامة : إن من كان له شكوى أوحاجة فليحضر ، فيحضر من له شكوى أوحاجة ،
فيقف بين يديه فلا يمنع حتى ينهى حاله ، ويأمر السلطان فيه أمره .

ومن عادته أن لا يدخل عليه أحد ومعه سلاح البتة حتى ولا سيكين صغيرة؛ ويكون جلوسه داخل سبعة أبواب، يترجل الداخلون عليه على الباب الأول، وربما أذن لبعضهم بالركوب إلى الباب السادس. وعلى الباب الأول منها رجل معه بوق، فإذا جاء أحد من الخانات أو الملوك أو أكابر الأمراء، نفخ في البوق إعلاما للسلطان أنه قد جاءه رجل كبير: ليكون دائما على يقظة من أمره. ولا يزال ينفخ في البوق حتى يقارب الداخل الباب السابع، فيجلس كل من دخل عند ذلك الباب حتى يجتمع الكل، فإذا تكلموا أذن لهم في الدخول، فإذا دخلوا جلس من له أهلية الجلوس ووقف الباقون؛ وجلس القضاة والوزراء وكاتب السرفى مكان لا يقع فيه نظر السلطان عليهم، ومد الخوان. ثم تقدم الحجاب قصص أرباب المظالم وضيهرهم، ولكل قوم حاجب يأخذ قصصهم، ثم يرفعون جميع القصص إلى حاجب مقدم على الكل؛ فيعرضها على السلطان ويسمع ما يأمر فيها. فإذا قام السلطان جلس ذلك الحاجب إلى كاتب السرفى فاذى إليه الرسائل في ذلك فينفذها. ثم يقوم السلطان من مجلسه ذلك ويدخل إلى مجلس خاص؛ ويدخل عليه العلماء فيجالسهم ويأكل معهم؛ ثم ينصرفون، ويدخل السلطان إلى دوره.

أما حاله في الركوب، فإنه كان في قصوره يركب وعلى رأسه الحتر والسلاح ذارية وراءه محمولا بأيديهم السلاح. وحوله قريب أنفى عشر ألف مملوك، جميعهم ليس فيهم راكب إلا حامل الحتر والسلاح ذارية والحمدانية حملة القماش إن كان في غير قصوره. وعلى رأسه أعلام سود في أوساطها تتين عظيم من الذهب؛ ولا يحمل أحد أعلاما سودا إلا له خاصة. وفي ميسرته أعلام حمر، فيها تتينان ذهب أيضا. وطوله الذى يلق بها في الإقامة والسفر على مثل الإسكندر.

وهو مائتا حمل تقارات ، وأربعون حملا من الكؤوسات اليكار ، وعشرون بوقا ،
وعشرة صنوج .

قال الشيخ مبارك الأتباتى : ويحمل على رأسه الجتران كان في غير الحرب ،
فإن كان في الحرب يحمل على رأسه سبعة جئورة ، منها آثنان مرصعان لا يقومان
لنفاستهما . قال : ولدسته من الفخامة والعظمة والقوانين الشاهنشاهية ما لا يكون
مثله إلا للإسكندر دى القرنين أو للملك شاه بن ألب أرسلان .

ثم إن كان في الصيد فإنه يخرج في خف من اللباس في نحو مائة ألف فارس ،
وما تقي قيل ، ويحمل معه أربعة قصور على ثمانية جمال ، كل قصر على مائتي جمل
ملبسة جميعها بستور الحرير المذهبة ، وكل قصر طبقتان غير الخيم والحراكوات .
فإن كان يتنقل من مكان إلى مكان لاتنزه وما في معناه ، فيكون معه نحو ثلاثين ألف
فارس ، وألف جنيب مرسجة ملجمة ، مائين ملبس بالذهب ومطوق وفيها المرصع
بالجواهر والياقوت .

وإن كان في الحرب ، فإنه يركب وعلى رأسه سبعة جئورة ، وترتيبه في الحرب
على ما ذكره قاضى القضاة سراج الدين الهندى : أن يقف السلطان في القلب
وحوله الأئمة والعلماء ، والرماة قدامه وخلفه ، وتمتد الميمنة والميسرة موصولة
بالجناحين ، وأمامه القبيلة الملبسة البركصطوانات الحديد وعليها الأبراج المسرة فيها
المقاتلة ، وفي تلك الأبراج منافذ لرمي النشاب وقوارير النقط ، وأمام القبيلة العيّد
المشاة في خف من اللباس بالسطور والسلاح . فيسحبون جبال القبيلة والخيّل
في الميمنة والميسرة ، تضم أطراف ... (١) ... من حول القبيلة ومن ورائها حتى
لا يجد هارب له مقرا .

(١) يباض بالأصل ولله تضم أطراف " الجيش من الخ " .

أما غيرُ السلطان من عساكره ، فقد جرت عادتهم أنَّ الخلفاء والملوك والأمراء لا يركبُ أحد منهم في السَّفر والحَضْر إلا بالأعلام ؛ وأكثر ما يحملُ الخانُ معه سبعة أعلام ، وأقلُّ ما يحملُ الأميرُ ثلاثة ؛ وأكثر ما يُجْر الخانُ في الحَضْر عشرُ جنائب ، وأكثر ما يجْرُ الأميرُ في الحَضْر جنبيان ، وفي السفر يتعاطى كلُّ أحد منهم قدرَ طاقته .

وأما اتصالُ الأخبار بالسلطان ، فذكر قاضى القضاة سراج الدين الهندى : أن ذلك يختلفُ باختلاف الأحوال : فأحوالُ الرعية له تاس يخاطبونُ الرعية ، ويَطْلُون على أخبارهم ، فمن أطلع منهم على شيءٍ أنهاء إلى مَنْ فوقه ، ويُنبِئُه الآخرُ إلى مَنْ فوقه حتى يتصل بالسلطان . وأحوالُ البلاد النائية لاتصلُ الأخبار منها من السرعة ما ليس في غيرها من الممالك ، وذلك أن بين أمهات الأقاليم وبين قصر السلطان أما كنَّ متقاربةً ، مشبهةً بمراكز البريد بمصر والشام إلا أن هذه الأما كنَّ قريبة المدى بعضها من بعض ، بين كل مكانين نحو أربع غلوات سهم أو دُونها ، في كل مكان عشرة سعاةٍ ممن له خِفة وقُوَّة ، ويحملُ الكتبَ بينه وبين مَنْ يليه ، ويعتدوا بأشد ما يمكنه إلى أن يوصَّله إلى الآخر ليعتدوا به كذلك إلى مقصده ، فيصلُ الكتبُ من المكان البعيد في أقرب وقت . وفي كل مكان من هذه الأماكن مسجدٌ وسوقٌ وبركة ماء . وبين دَلَى وقبة الإسلام اللتين هما قاعدتا المملكة طبولٌ مرتبة في أمكنة خاصة ، فحينما كان في مدينة وقُتِح بابُ الأخرى أو أُغْلِقَ يَدْقُ الطبلُ ، فإذا سمعه ما يحاوره دَقٌّ ، فيُعَلِّم خبرُ قُتِح المدينة وقُتِح بابُ الأخرى وغَلِقَ .

الفصل الثانى

من الباب الرابع من المقالة الثانية

(فى الممالك والبُلدان الغريبة عن مملكة الديار المصرية ، وما سامت
ذلك ووالاه من الجهة الشمالية . وفيه أربع ممالك)

المملكة الأولى

(مملكة تُوش وما أُضيف إليها . وفيه اثنان وعشرون جملة)

الجملة الأولى

(فى بيان موقعها من الأقاليم السبعة [وحدودها] .)

[أما موقعها من الأقاليم السبعة] فإن أكثرها واقع فى الإقليم الثالث ، وبعضها واقع فى أواخر الثانى .

وأما حدودها فعلى ما أشار إليه فى " التعريف " : حدّها من الشرق العقبة الفاصلة بينها وبين الديار المصرية ؛ ومن الشمال البحر الرومى ؛ ومن الغرب جزائر بنى مَرْغَنان الآتى ذكرها ؛ ومن الجنوب آخر بلاد الجريد والأرض السَّوَاخة إلى ما يقال إن فيه المدينة المسماة بمدينة النحاس .

قال فى " مسالك الأبحار " : وحدّها من الجنوب الصحراء الفاصلة بينها وبين بلاد جباوة المسكونة بأثم من السودان . وحدّها من الشرق آخر حدود أطرابس ، وهى داخلة فى الحديد . وحدّها من الشمال البحر الشامى : وهو الرومى . وحدّها من الغرب آخر حدود بديس المجاورة لجزائر بنى مَرْغَنان ، آخر عمالة صاحب برّ العدوة .

وقد قتل في "تقويم البلدان" في الكلام على بؤنة عن ابن سعيد أن آخر سلطنة
مجاية من الشرق مدينة بؤنة الآتي ذكرها، وأنها أول سلطنة أفريقية من الغرب .
قال في "مسالك الأبصار" : وطولها خمس وثلاثون يوما، وعرضها عشرون يوما .

الجملة الثانية

(في بيان ما أشتملت عليه هذه المملكة من الأعمال
وما أنطوى عليه كل عمل)

وهذه المملكة تشتمل على عمالين :

العمل الأول — أفريقية . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الحمزة وسكون^(١)
الفاء وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة تحت وكسر القاف ومثناة تحت بعدها
هاء في الآخر . وقد اختلف في سبب تسميتها أفريقية . فقيل إن أفريقية^(٢) أحد
تباينة اليمن أفتحها وأستولى عليها فسميت بذلك . وقيل إنما سميت بفارق بن
[بصر بن حام بن نوح عليه السلام] .^(٣)

وكانت قاعدتها القديمة (سَيْطَلَة) بضم السين المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون
المثناة من تحتها وفتح الطاء المهملة واللام وفي آخرها هاء . وهي مدينة أزيلية في الإقليم
الثالث من الأقاليم السبعة ، حيث الطول ثلاثون درجة ، والعرض ثلاثون درجة
وثلاثون دقيقة . وبها آثار عظيمة تكمل على عظم أمرها .

(١) ضبطها ياقوت بكسر الحمزة وتبناه فيا تقدم ويظهر أن فيه لغتين .

(٢) في المعجم واللبالك أفريقية بيا . جد القاف وسين مهملة في الآخر . وفي البركال أصل إلا أنه
بالهمزة وقد تقدم بها كثيرا .

(٣) يياض بالأصل والصحيح من معجم البلدان لياقوت .

(٤) في معجم ياقوت وطاه مكسورة .

قال الإدريسي^(١) : وكانت قبل الإسلام مدينة أفريسيس ملك الروم الأفارقة ، فتحها المسلمون في صدر الإسلام وقتلوا ملكها المذكور .

ثم صارت قاعدتها في أول الإسلام (القيروان)^(٢) . بفتح القاف وسكون المثناة تحت وفتح الراء المهملة وواو وألف وفي آخرها نون . وهي مدينة في الإقليم الثالث أيضا حيث الطول ثمان وعشرون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة ، بنيت في صدر الإسلام بعد فتح أفريقية في جنوبى جبل شمالها ، وهي في صحراء ، وتُرب أهلها من ماء الآبار وقال في "العزى" : من ماء المطر ، وليس لها ماء جار ، ولها وادٍ في قبلة المدينة به ماء ما يج يستعمله الناس فيما يحتاجونه . قال في "العزى" : وهي أجل مدن الغرب (يعنى في القديم) . وكان عليها سور عظيم هدمه زيادة الله بن الأغلب . قال الإدريسي : وبينها وبين سبطلة سبعون ميلا .

ثم صارت قاعدتها بعد ذلك (المهدية) بفتح الميم وسكون الميم وكسر الدال المهملة نسبة إلى المهدي . وهي مدينة بناها عبّيد الله المهدي جد الخلفاء الفاطميين بمصر في سنة ثلاث وثلثمائة ، وموقعها في الإقليم الثالث أيضا من الأقاليم السبعة حيث الطول ثلاثون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة فيما ذكره ابن سعيد . وهي على طرف داخل في البحر كهية كف متصل بزند ، والبحر محيط بها غير مدخلها ، وهو مكان ضيق كما في سبتة . ولها سور حصين شاهق في الهواء ، مبنى بالججر الأبيض بأبراج عظام . وبها القصور الحسننة المطلة على البحر .

(١) في التقرير "جرجيس" وفي المعجم جرجير

(٢) من هنا الى الكلام على الطبقة الثانية من القياصرة قبل ظهور دين النصرانية مقابل أيضا على نقطة وجدت بدار الكتب الأزهرية .

(٣) لم يذكر العرض ، وذكر في "تقويم البلدان" عن ابن سعيد أنه إحدى وثلاثون درجة .

ثم صارت قاعدتها بعد ذلك (تُوس) بضم المثناة من فوق وسكون الواو وضمت النون وفي آخرها سين مهملة ، وهى قاعدة هذه المملكة الآن ، ومُسْتَقَرُّ سلطانها . وهى مدينة قديمة البناء ، واقعة فى الإقليم الثالث قال ابن سعيد : حيث الطول أنثنان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة . وهى على بحيرة مالحة خارجة من البحر الرومى ، طولها عشرة أميال وتُوس على آخرها .

قال البكرى : وتُور هذه البحيرة نحو أربعة وعشرين ميلا . قال فى "العزيرى" : وهى مدينة جليلة ، لها مياه ضعيفة جارئة يُزْرَع عليها ، وفيها الخصب وكثرة الفلات . وهى فى وطاعة من الأرض فى سفح جبل يُعرف بأم عمرو ، يستديرها خندق وسور حصين ، ولها ثلاثة أرباض كبيرة من جهاتها ، وأرضها سيخة ، وجميع بناتها بالمجر والأجر ، وأبنيتها مسقفة بالأخشاب ، ودور أكابرها مفروشة بالرَّحَام . وذم فى "الروض المطار" بيوتها فقال هى كما يقال : ظاهرها رُحَام ، وباطنها سُطَام . وشرب أهلها من الآبار ، وبيوتها صهاريج يُجمع فيها ماء المطر لغسل القماش ونحوه ، وبها الحمامات والأسواق الجليلة ، وبها ثلاث مدارس : وهى الشماعية والفرضية ، ومنزلة الهواء ، وبها البساتين البعيدة والقرية منها ، والبساتين محيطة بجيبتها المقدم ذكرها من جنوبها .

قال فى "مسالك الأبصار" : ومذ خلا الأندلس من أهلها ، وأووا إلى جَنَاح ملوكها ، مَصَّرُوا إقليمها ، وتَوَعَّوْا بها الفِراس ، فكثرت مستقراتها ، وأمتد بسيط بساتينها . قال : وبها يعمل القماش الأفرىقى : وهو ثياب رفيع من القطن والكَنان معا ومن الكَنان وحده ، وهو أمتع من النصافى البغدady وأحسن ، ومنه جل كساوى أهل المغرب . وللسلطان بها قلعة جليلة يسكنها ، يمرون عنها بالقصبة كما هو

مصطَلَحِ الْمَغَارِبَةِ فِي تَسْمِيَةِ الْقَلْعَةِ بِالْقَصْبَةِ ، وَلِلسُّلْطَانِ بِهَا بَسْتَانٌ : أَحَدُهُمَا مُلَاصِقٌ أَرْبَاضَ الْبَلَدِ يُسَمَّى بِرَأْسِ الطَّابِيَةِ ، وَالثَّانِي بَعِيدٌ مِنَ الْبَسَاتَيْنِ يُسَمَّى بِأَبِي فِهْرٍ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَلَدِ نَحْوُ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ ، وَالْمَاءُ مُنْسَقِقٌ إِلَيْهِمَا مِنْ سَاقِيَةِ يَجْبَلٍ يَعْرِفُ بِجَبَلِ زَغْوَانِ بَفَتْحِ الزَّايِ وَسُكُونِ الْفَيْنِ الْمُعْجَمَتَيْنِ وَنُونٍ فِي الْآخِرِ ، عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمَيْنِ مِنْ تُونُسٍ .

وَأَمَّا مَا أَشْمَلْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْمُدُنِ سِوَى الْقَوَاعِدِ الْمُتَقَتِّمَةِ الذِّكْرُ .

فَنَ مَشَارِقِ تُونُسٍ (سُوْسَةُ) بِضَمِّ السَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْوَاوِ وَفَتْحِ السَّيْنِ الثَّانِيَةِ ثُمَّ هَاءٍ . وَهِيَ مَدِينَةٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، وَاقِعَةٌ فِي الْإِقْلِيمِ الثَّالِثِ مِنَ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ ، حَيْثُ الطُّولُ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً وَعِشْرُ دَقَائِقَ ، وَالْعَرْضُ اثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً وَأَرْبَعُونَ دَقِيقَةً . وَهِيَ فِي جَنُوبِ تُونُسٍ وَشَرْقِيَّهَا فِي طَرَفٍ دَاخِلٍ فِي الْبَحْرِ . قَالَ فِي "الْمَرْزَبِي" : وَهِيَ مَدِينَةٌ أَزَلِيَّةٌ بِهَا سُوقٌ وَفَنَاقِقٌ وَحَمَامَاتٌ . قَالَ الْإِدْرِيسِيُّ : وَهِيَ عَامِرَةٌ بِالنَّاسِ ، كَثِيرَةُ الْمَتَاجِرِ ، وَالْمَسَافِرُونَ إِلَيْهَا قَاصِدُونَ وَعَنْهَا صَادِرُونَ ، وَعَلَيْهَا سُورٌ مِنْ حِجَرٍ حَصِينٍ .

وَذَكَرَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : أَنَّ عَلَيْهَا سُورًا مِنْ لَبْنٍ ، وَأَنَّهَا قَلِيلَةُ الْهَارَةِ لِاسْتِيلَاءِ الْعَرَبِ عَلَيْهَا .

وَمِنْهَا (صَفَاقُوسُ) بَفَتْحِ الصَّادِ الْمَهْمَلَةِ ثُمَّ فَاءٍ وَأَلْفٍ وَقَافٍ مَضْمُومَةٍ وَفِي آخِرِهَا سَيْنٌ مَهْمَلَةٌ . وَهِيَ مَدِينَةٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ شَرْقِيَّ الْمَهْدِيَّةِ ، وَاقِعَةٌ فِي الْإِقْلِيمِ الثَّالِثِ قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ حَيْثُ الطُّولُ خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً وَثَلَاثُونَ دَقِيقَةً ، وَالْعَرْضُ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً وَخَمْسُونَ دَقِيقَةً . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ فِي مَسْتَوِيٍّ مِنَ الْأَرْضِ ، وَجَنُوبِيَّهَا جَبَلٌ يُسَمَّى جَبَلَ السَّبْعِ بَفَتْحِ السَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ

والباء الموحدة وعين مهملة في الآخر . يستدير عليها سُورٌ، وتُرب أهلها من الآبار ؛ ولها بساتينٌ قليلة ؛ ومن بحرها يُستخرج الصوف المعروف عند العامة بصوف السمك المتخذ منه الثياب النفيسة . قال ابن معيد : أنا رأيته كيف يُخرج ، ينوص الغواصون في البحر فيخرجون كاتم شبهة بالصل باعناق ، في أعلاها زويرة ، فتنتشر في الشمس فتفتح تلك الكاتم عن وِرٍّ ، فيمشط ويؤخذ صوفه فيُغزل ، ويعمل منه طعمة لقيام من الحرير ، وتُسج منه الثياب .

ومنها (قانس) بفتح القاف وألف ثم باء موحدة وفي آخرها سينٌ مهملة . وهي مدينة في الإقليم الثالث ، حيثُ الطولُ اثنتان وثلاثون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة ، على ثلاثة أميال من البحر . قال في " العزيزي " : وعليها سُورٌ وتخلق . قال في " هويم البلدان " : وهي في أفريقية كدِ مشق في الشام ، يُقَرِّل إليها نهران من الجبل في جنوبيها ، يخرقان في غوطتها . قال : وقد خُصت من بلاد أفريقية بالموز وحَبِّ العزيز والحيار .

ومنها (أطرابلس) بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء المهملتين وألف وباء موحدة بعلها لام مضمومتان وسين مهملة في الآخر . وهي مدينة شرقي تونس على البحر ، واقعة في الإقليم الثالث قال ابن معيد حيثُ الطولُ ثمان وثلاثون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في " هويم البلدان " : وهي آخرُ المُلدن التي شرقي القيروان ، وإذا فارقتها المسافر مشرقاً لا يجد مدينة فيها حمام حتى يصل الإسكندرية . وبنائها بالصخر ، وهي واسعة الكورة ، وبها الخصب الكثير ؛ وليس بها ماء جارٍ ، بل بها جباب عليها سواق . قال في " العزيزي " : وبها مَرَمَى للراكب .

ومنها (قَصْر أَحْمَد) وضبطه معروف ، وموقعه في أول الإقليم الرابع ، حيث الطول إحدى وأربعون درجة وأثنان وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وسبع وثلاثون دقيقة . قال ابن سعيد : وهو حد أفريقية من الشرق وحد برقة من الغرب . وهو قرية صغيرة ، وحوله قصور نحو اثني عشر ميلا ، وهي بلاد زيتون ونخيل ، وأهلها يحلبون الخيل للإسكندرية ، ومنها يركب المسافر البرية إلى الشرق .

ومن مغارب تونس على مسيرة يومين (باجة) قال في "المشترك" بفتح الباء الموحدة وألف وتخفيف الجيم ثم هاء . وهي مدينة بالإقليم الثالث قال في "الأطوال" حيث الطول تسع وعشرون درجة ونمسة وأربعون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة . وهي مدينة كبيرة ، ولها بساتين قليلة وعيون ماء ، وعليها سور حصين ، مبنية في مستوى من الأرض ، على نحو يوم من البحر ، ويقابلها على البحر مرسى الخرز .

ومنها (نَزْرَتْ) بفتح النون وسكون الباء الموحدة وفتح الزاي المعجمة والراء المهملة وفي آخرها تاء مثناة من فوق ، وقيل هي بتقديم الموحدة على النون . وهي مرسى تونس ، وموقعها في الإقليم الثالث قال ابن سعيد حيث الطول ثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهي مدينة على نهر يجرى في شرقها وعليه مستقراتها . قال في "تقويم البلدان" : ولها بحيرة حلوة في جنوبيها ، وبحيرة مالحة في شرقها ، تصب كل واحدة منهما في الأخرى ستة أشهر ، فلا الحلوة تفسد بالمالحة ولا المالحة تعلب بالحلوة . قال الشيخ عبد الواحد : أما زيادة الحلوة فبكثر السيل أيام الشتاء ، وتقل عنها السيول في أيام الصيف فتعلو عليها المالحة .

ومنها (بُونة) قال في "اللباب" بضم الباء الموحدة وسكون الواو ثم نون وهاء .
قال في "مسالك الأبصار" : وهي المسماة الآن بِلَدِ العُتَاب ؛ وهي مدينة على ساحل
البحر في أول الإقليم الرابع قال ابن سعيّد حيث الطول ثمان وعشرون درجة ،
والعرض ثلاث وثلاثون درجة ونحسون دقيقة . قال في "المزبى" : وهي مدينة
جليلة عامرة خصبّة الزرع ، كثيرة الفواكه ، رخيّة ، بظاهرها معادن الحديد ؛
ويُزرع بها الكُكَّان الكثير . قال : وحَدَّثَ بها عن قريب مَقَاصِ مَرَّجَانٍ ، ولكن
ليس كَمَرَّجَانٍ مَرْمَى الحَرَرِ .

ومن قِبَلِ تُوُوسٍ لِلجَنُوبِ (بلاد الجريد) .

ومنها (تُوُوزُ) . قال في "تقويم البلدان" عن الشيخ عبد الواحد : بضم المثناة
من فوق وسكون الواو وفتح الزاي المعجمة وراء مهملة في الآخر . وموقعها في الإقليم
الثالث قال ابن سعيّد حيث الطول ست وثلاثون درجة وسبع دقائق ، والعرض
تسع وعشرون درجة وثمان دقائق . وهي قاعدة بلاد الجريد ، وبها بساتين
وعُصَصَات ونخيل وزيتون ؛ ولها نهر يُسقى بساتينها ؛ والمطر بها قليل ؛ ويُزرع
بها الكُكَّان والحِجَاء . قال في "تقويم البلدان" : وبذلك وقلة المطر تُسبِّه مِصرَ .
وقد طابها في "الروض المبطّر" بأن أهلها يبيعون ما يتحصّل في مَرَايحِضهم من رَجِيع
الناس ، يُفعلون به بَقُولهم وبساتينهم ؛ ولكنهم لا يَرِغِبُونَ فيه إلا إذا كان جافاً ،
فيحلبهم ذلك على عَدَمِ الإِسْتِجَاء في مَرَايحِضهم ، ويخرج أحدهم من بيته حتّى
يأتى القَنَاة فيسْتَنجِي من مائها ؛ وربما اتَّخَذَ أحدهم المَراحِضَ على قارعة الطريق
للواردين عليها ليأخذ ما يتحصّل من ذلك فيبيعه .

ومنها (قَصَصَةُ) بفتح القاف وسكون الفاء ثم صاد مهملة وهاء في الآخر .
وموقعها في الإقليم الثالث قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وثلاثون درجة ،
والعرض ثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي قاعدة مشهورة
من بلاد الجريد بها النخيل والفستق . قال : ولا يكون الفستق ببلاد المغرب
إلا في قَصَصَة . وبها من الفواكه والمشمومات أنواع كثيرة ؛ ومنها يُجَلَب
ثمن البنفسج وتُغلى المتصل ؛ وإليها ينسب جلد الأروى المتخذ منه الثعلب
الشديدة اللون .

ومنها (المَسِيلَة) قال في "تقويم البلدان" عن الشيخ عبد الواحد : بكسر الميم
والسين المهملة وسكون المثناة من تحت وفي آخرها لام ألف ، والجاري على الألسنة
فتح الميم وهاء في الآخر . وهي مدينة من بلاد الجريد ، موقعها في الإقليم الثالث
قال ابن سعيد حيث الطول ثلاث وعشرون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض
تسع وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "العزى" : وهي مدينة
مُحدثة ، بناها القائم الفاطمي سنة خمس عشرة وثلاثمائة . قال ابن سعيد : ولها
نهر يُزْبَرْبَرْبِيهَا ويُفَوَّص في رمال الصحارى .

ومنها (مَسْكُورَة) قال في "اللباب" بكسر الباء الموحدة وقيل بفتحها وسكون
السين المهملة وكاف وراء مهملة بعدها هاء . وهي مدينة من بلاد الجريد ،
في أواخر الإقليم الثاني قال ابن سعيد حيث الطول أربع وعشرون درجة وخمس
وعشرون دقيقة ، والعرض سبع وعشرون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن سعيد :
وهي قاعدة بلاد الزَّاب ، ولها بلاد ذات نخيل وفواكه وزروع كثيرة ؛ ومنها يُجَلَب
التمر الطيب إلى تونس وبيجة .

ومنها (طُؤَا) قال في "تقويم البلدان" عن عبد الواحد : بضم الطاء وتشديد
الراء المهملين وفي آخرها ألف ، وتُحَل عن بعضهم إبدال الألف هاءً . وهي مدينة
من بلاد الجريد في الإقليم الثالث قال ابن سعيد : حيث الطول سبع وثلاثون درجة
وعشرون دقيقة ، والعرض تسع وعشرون درجة . قال في "تقويم البلدان" :
وبها يعمل الزجاج الصافي وتفاصيل الصوف ، ومنها يُحَلب إلى الإسكندرية .

ومنها (غَدَامِسُ) ^(١) بفتح النين والذال المعجمتين وألف وميم مكسورة وسين
مهملة . وهي مدينة في الصحراء جنوبي بلاد الجريد ، على طريق السودان المعروفين
بالكليم . قال : في "العزري" : وهي مدينة جلييلة عامرة ، في وسطها عينٌ أزرية
عليها أثرُ بنيان رومي عجيب ، فيفيض الماء منها ويقسمه أهل المدينة بأقسام
معلومة وعليه يزرعون . وأهلها قوم من البربر مسامون . قال في "تقويم البلدان" :
وبها الجلود المفضلة ؛ وليس لهم رئيس سوى مشايخهم .

ومنها (قلعة سِنَان) . قال في "مسالك الأبصار" : وهو قصر لا يُعرف على وجه
الأرض أحصن منه ، على رأس جبل متقطع عن سائر الجبال في غاية العلو ، بحيث
يقصر سهم القنار عن الوصول إليه ، يرتقى إليه من سلم نُقِر في الحجر طوله مائة
وتسعون درجة ؛ وبه مصانع يجتمع فيها ماء المطر ، وبأسفله عين ماء عليها أشجار
كثيرة الفواكه .

(١) أوردتها ياقوت بإمال دالما ونص على فتح النين وضمتها ونحوه في القاموس .

العمل الثاني

(بلاد بجاية)

وبجاية بكمر الباء الموحدة وفتح الجيم وألف ثم ياء مشناة تحت وهاء في الآخر مدينة من مدن الغرب الأوسط ، واقعة في أوائل الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتان وعشرون درجة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وخمسة وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : هي قاعدة الغرب الأوسط ، وهي مقابل طرطوشة من الأندلس ، وعرض البحر بينهما ثلاث مجار . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة قديمة مسورة ، أضيف إلى جانبها رضى أدير عليه سور ضام ليطاق المدينة فصارا كالشيء الواحد . قال : والربض في وطاة ، والمدينة القديمة في سفح جبل ، يدخل إليها خور من البحر الرومي تدخل منه المراكب إليها . قال في "تقويم البلدان" : ولها نهر في شرقها ، على شاطئه البساتين والمنازة . قال في "مسالك الأبصار" : وبها عينان من الماء : إحداها كبيرة ومنها ثرب أهلها ، ولها نهر جار على نحو ميلين منها ، تحف به البساتين والمنابر على ضفتيه ممتدة نحو اثني عشر ميلا ، متصلا بعضها ببعض لا انفصال بينها إلا ما يسلك عليه إلى البساتين ، إلى أن يصب في بحر الروم . وبضفتيه للسلطان بستانان متقابلان شرقا وغربا الشرقي منهما يسمى الربيع .

وغربي بجاية (جزائري مَرَّغَان) بفتح الميم وسكون الزاي وكسر الغين المعجمتين ثم نون بينهما ألف الأولى منهما مشددة ، كما في "تقويم البلدان" عن الشيخ شبيب ، وبعضهم يسقط النون الأخيرة . وفي "مسالك الأبصار" : مَرَّغَانُ بزيادة هاء في الآخر . وهي قُرْضَةٌ مشهورة هناك . قال في "مسالك الأبصار" :

وهي بلدة حسنة على ساحل البحر، قنابل (مبورقة) من بلاد الأندلس، بانحراف يسير، وبُعْدُهَا عن بجاية سِتَّةَ أَيَّامٍ .

ومن المُدُن التي بأعمال البجاية (قُسطِينة) قال في "تقويم البُلْدَان" : بضم القاف وسكون السين وكسر الطاء المهملتين وسكون المثناة من تحت ثم نون وهاء . قال : وعن بعض المتأخرين أن بعد السين وقبل الطاء نونا، وحينئذ فتكون بضم السين وسكون النون . وهي مدينة من الغرب الأوسط في أواخر الإقليم الثالث قال ابن سعيّد حيث الطولُ سِتُّ وعشرون درجة وأربعون دقيقةً ، والعرضُ ثلاثٌ وثلاثون درجةً واثنان وعشرون دقيقةً . قال في "تقويم البُلْدَان" : وهي على آخر مملكة بجاية وأوّل مملكة أفريقية . قال الإدريسي : وهي على قطعة جبل مقطوع مربع فيه بعضُ استدارة ، لا يتوصّل إليه إلا من جهة باب في غربيّها ليس بكثير السعة ، ويحيط بها الوادي من جميع جهاتها . قال في "تقويم البُلْدَان" : ولها نهر يصب في حنّدها يُسمّع له دويّ هائل ، ويرى النهر في قعر الحنّديّ مثل دُؤابة النجم لشدة ارتفاع البلد عن الحنّديّ . قال الإدريسي : وهي مدينة عامرة ، وبها أسواق وتجارات . قال : وتهم الخطّة في مطاميرها مائة سنة لا تنقُص .

وشرقيّ قُسطِينة في آخر مملكة بجاية (مرسى الحرّز) بفتح الخاء المعجمة والراء المهملة وزاي معجمة في الآخر . ومنه يستخرج المرّجان من قعر البحر على ما تقدّم في الكلام على الأحجار النفيسة فيما يحتاج الكاتب إلى وصفه من المقالة الأولى .

ومنها (مطيف) بفتح السين وكسر الطاء المهملتين ثم ياء مثناة من تحت ساكنة بعدها فاء . وهي مدينة من الغرب الأوسط في الإقليم الثالث قال في "الأطوال" : حيث الطولُ سبع وعشرون درجةً ، والعرضُ إحدى وثلاثون درجةً . وهي مدينة

حصينة، بينها وبين قسطينة أربع مراحل، ولها حصن في جهة الجنوب، عن مجاية على مرحلتين منها؛ ولها كورة تستعمل على قرى كثيرة غزيرة المياه كثيرة الشجر المثمر بضروب من الفواكه؛ وبها الجوز الكثير، ومنها يحمل إلى سائر البلاد .

ومنها (تأهرت) - قال في "الباب" : بفتح التاء المثناة فوق وألف وهاء وسكون الراء المهملة وفي آخرها تاء ثانية . قال في "تقويم البلدان" : وقلت من خط ابن سعيد عوض الألف ياء مثناة تحت قال وهو الأصح لأن ابن سعيد مخرّب فاضل . وهي مدينة من الغرب الأوسط ، وقيل من أفريقيا في الإقليم الثالث قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض تسع وعشرون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة خصبة ، كثيرة الزرع ، كانت قاعدة الغرب الأوسط وبها كان مقام ملوك "بنى رستم" حتى انقرضت دولتهم بدولة الفاطميين خلفاء مصر . وذكر الإدريسي أنها كانت في القديم مدينتين : القديمة منهما على رأس جبل ليس بالعالى . قال في "العزيزي" : وتأهرت القديمة تسمى "تأهرت عبد الخالق" وهي مدينة جليلة كانت قديما تسمى "ببلاد المغرب" وتأهرت الجديدة على مرحلة منها، وهي أعظم من تأهرت القديمة ، والمياه تخرق ثور أهلها . وهي ذات أسواق عامرة ، وبأرضها مزارع وضياع جمّة ، ويتر بها نهر يأتيها من جهة المغرب ؛ ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع فيه ، منه شرب أهلها ، وبها البساتين الكثيرة الموثقة ، والقواكه الحسنة ، والسقربل الذي ليس له نظير : طعما وشما ؛ ولها قلعة عظيمة مشرفة على سوقها . وتأهرت كثيرة البرد ، كثيرة النجوم والثلج ، ومسورها من الحجر ، ولها ثلاثة أبواب ^(١) : باب الصفا ، وهو باب الأندلس ؛ وباب النازل ، وباب المطاحن .

(١) في "المصم" أربعة أبواب باب الصفا وباب الأندلس الخ .

وأما الطريق الموصل إليها ، فقد ذكر صاحب "الذيل" على كامل ابن الأثير في التاريخ عن ايدغدى التليلى وايدغدى الخوارزمى ، حين توجهها رسولان إلى الغرب في سنة ست وسبعائة : أن من إسكندرية إلى طلميثا ، ومنها إلى سُرْت ، ومنها إلى سَرَاة ، ومنها إلى طهَجُورَة ، ومنها إلى طَرَابُلس ، ومنها إلى قَاس ، ومنها إلى صَقَاقُس ، ومنها إلى المَهْدِيَّة ، ومنها إلى مُوسَى ، ومنها إلى تُونُس .

وأما طريقها في البحر ، فمن إسكندرية إلى تُونُس .

الجملة الرابعة

(في ذكر زُرُوعها ، وحُبُوبها ، وفواكهها ، وقُطُوعها ، ورياحينها)

أما زُرُوعها ، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أنها تُزْرَع على الأمطار ، وأن بها من الحبوب القمح ، والشعير ، والحِصْب ، والقول ، والمدس ، والذرة ، والدخن ، والجلبان ، والبسلا ، وأسمها عندهم البسين . أما الأُرْزُ فيجلبوب إليها .

وأما فواكهها ، فيها من الفواكه العنب والتين ، كل منهما على أنواع مختلفة والزمان : الحلو والمز والحامض ، والسفرجل ، والتفاح ، والكثير ، والعناب ، والزعرور ، والخوخ ، والمشمش على أنواع ، والتوت الأبيض ، والفِرْصاد ، وهو التوت الأسود ، والقراصيا ، والزيتون ، والأترج ، واللّيمون ، والليم ، والنارج . أما الجوز بها قليل ، وكذلك الخيل ، والفستق ، والبندق مفقود بها وكذلك الموز . قال في "مسالك الأبصار" : وبها فاكهة تسمى مصغ فوق قدر البندق ، لونها بين الحمرة والصفرة ، وطعمها بين الحموضة والقبض شبيه بطعم السفرجل ، يوجد في الشتاء ، يقطف من شجره غضا فيلبي ، ويتقل كما يُعْمَل بالموز فينضج ويؤكل

حيثذ . ويوجد بها قصب السكر على قلة ولا يتصربها . وبها البطيخ الأصفر على أنواع ، والبطيخ الأخضر مع قلة ، وأسمه عندهم الدلاع ، وكذلك الخيار والقثاء . وبها اللوبيا ، واللفت ، والباذنجان ، والفتنيط ، والكرنب ، والرجلة ، والبقلة اليمانية ، وأسمها عندهم بلندس ، والحس ، والهندباء على أنواع ، وسائر البقول والملوخيا على قلة ، والهيلون ، والصمتر .

وبها من الرماحين الآس ، والورد ومعظمه أبيض ، والياسمين ، والزعتر ، والينوفر الأصفر والزعتر الجاني ، والمنتور ، والمرزنجوش ، والبتفسج ، والسوسن ، والزعفران ، والحبقي ، والنمام .

الجملة الخامسة

(في مواشها ، ووحوشها ، وطيورها)

أما مواشها ، ففيها الخليل العراب المشابهة لخليل برقة ، والبغال ، والحمير ، والإبل ، والبقر ، وغنم الضان والماعز .

وأما وحوشها ، ففيها الفزلان ، وبقر الوحش وحمرة ، والنمام ، وغير ذلك .

وأما طيورها ، ففيها اللجاج ، والتمام كثيرا ، والإوز قلة ، وبها الكراكي ، وهي صيد الملوك كما بمصر ، وكذلك غيرها من طيور الصيد .

الجملة السادسة

(فيما يتعلق بمسائلاتها : من الدناير ، والدرهم ،
والأرطال ، والمكايل ، والأسعار)

(١١) أما الدناير ، فإنها تُضْرَبُ باسم ملكهم ، وزنة كل دينار من دنانيرهم
ويسبرون عنه بالدينار الكبير ؛ وذهبهم دُونَ الذهب المصري في الجودة ، فهو ينقص
عنه في السعر .

وأما الدرهم ، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن أبي عبد الله بن القَوَيْع :
أن دراهمهم على نوعين : أحدهما يُعرَفُ بالقديم ، والآخر بالجديد ؛ ووزنهما واحد
إلا أن الجديد منها خالص الفضة والقديم مغشوش بالنحاس للعامة ، وتفاوت
ما بينهما أن كل عشرة دراهم عتيقة ثمانية دراهم جديدة ؛ وإذا أُطلق الدرهم عندهم
فالمراد به القديم دُونَ الجديد ؛ ثم مُصْطَلَحُهُمْ أن كل عشرة دراهم عتيقة دينار ،
وهذا الدينار عندهم مسمى لاحقيقة له ، كالدينار الجَيْشِي بمصر ، والرايحي بإيران .
وأما أرطالها ، فزنة كل رطل ست عشرة أوقية ، كل أوقية أحد وعشرون درهما
من دراهمها .

وأما يكلها ، فظهم يكلان : أحدهما يسمى القفيز ، وهو ست عشرة ونية ، كل
ونية اثنا عشر مدا قروياً ، وهو يقارب المد النبوي ، على صاحبه أفضل الصلاة
والسلام والتحية والإكرام . وهو أيضاً ثمانية أملاذ بالكل الحفصي : وهو يكل
قتله ملوكها الحفصيون : آباء ملوكها القائمين بها الآن ، بقدر مد ونصف من المد
المقدم ذكره . والثاني يسمى الصخفة ، وكل صخفة اثنا عشر مدا بالحفصي .

الجملة السابعة

(في ذكر أسعارها)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن أوسط الأسعار بها في غالب الأوقات أن يكون كل قفيز من القمح بخمسين درهما ، والشعير دون ذلك . قال : وغالب سعر اللحم الضأن عندهم كل رطل أفريق بدرهم قديم ، وبقية اللحم دونه في القيمة ، وفي الرّبيع ينحط السعر عن هذا القدر . وذكر أن السّجاجة الجيدة عندهم بيزميين جليدين . ثم قال : وأحوالها مقارنة في ذلك للديار المصرية لقرب المجاورة . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن تونس وبجاية في المعاملة والسعر متقاربتان .

الجملة الثامنة

(في صفات أهل هذه المملكة في الجملة)

قال في "مسالك الأبصار" : ولأهل أفريقية لطف أخلاق وشمائل بالنسبة إلى أهل بلاد المغرب : يجاورتهم مصر وقُرْبهم من أهلها ، ومخالطتهم لأهلها ، ومخالطة من سكن عندهم من أهل إشبيلية من الأندلس . وهم من هم ! خفة رُوح ، وسلاوة بادرة . قال : وهم على كل حال أهل انطباع ، وكرم طباع ، وناهيك من بلاد من شعر ملكها السلطان أبي العباس قوله :

مَوَاطِنًا فِي دَهْرِهِمْ عَجَائِبُ * وَأَزْمَانًا لَمْ تَدْعُنِ الْفَرَاثِبُ

مَوَاطِنٌ لَمْ تَحْكِ الْبَوَارِجُ مِثْلَهَا * وَلَا حَدَّثَتْ عَنْهَا الْبَالِي الدَّوَاهِبُ

وقوله :

أَنْظُرِ الْيَنَّا [يَجِدُنَا] مَا بِنَا نَهَشْ ، * وَكَيْفَ يَطْرُقُ أَسَدَ الْغَابَةِ النَّهَشُ ؟
لَا تَعْرِفُ الْحَادِثَ الْمُرْهُوبَ أَنْفُسَنَا ! * فَانْصَبْ بَارْتِكَابَ الْمَوْتِ نَقْتَعِشْ !

وقوله :

عَسَى اللَّهُ يَذِّنِي لِلْحَبِيبِ أَوْبَةً * فَتُسْفَى قُلُوبٌ مِنْهُمْ وَصُلُورُ
وَكَمْ مِنْ قَعِيٍّ الْبَارِ أَمْسَى بِحُزْنِهِ ، * فَأَعَقَبَهُ عِنْدَ الصَّبَاحِ سُورُ
وَإِذَا كَانَ هَذَا رِقَّةً طَبَحَ السُّلْطَانُ ، فَا ظَنَنْتُكَ بغيره من العلماء والأدباء ؟ .

الجملة التاسعة

(في ذكر مَنْ ملكها جاهليةً وإسلاماً)

أما ملوكها في الجاهلية قبل الإسلام، فإن بلاد المغرب كلها كانت مع البربر، ثم غلبهم الروم الكيتم عليها، وأقتنحوا قاعلتها (قرطاجنة) وملكوها، ثم جرى بين الروم والبربر قتل كثيرة كان آخرها أن وقع الصلح بينهم على أن تكون المدن والبلاد الساحلية للروم، والجبال والصحاري للبربر، ثم زاحم القرعج الروم في البلاد، وجاء الإسلام والمستولى على بلاد المغرب من ملوك القرعجة "حريجهس" ملكهم، وكان ملكه منصلاً من طرابلس من جهة الشرق إلى البحر المحيط من جهة الغرب، وكرمى ملكه بمدينة (سبيلة)، وبقيت في يده حتى أترعها المسلمون منه في سيرة عبد الله بن أبي سرح، في خلافة عثمان بن عفان .

وأما ملوكها في الإسلام، فعلى أربع طبقات :

الطبقة الأولى

(الخلفاء)

قد تقدم أن أول من أفتتحها (عبد الله بن أبي مَرْح) في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، زحف إليها في عشرين ألفاً من الصحابة وبيكار العرب، ففزق جموع النصرانية الذين كانوا بها : من الفريجة، والروم، والبربر، وهدم سيطلة : قاعدتها وخزبها، وعانت خيول العرب في ديارهم إلى أن صالحوا عبد الله بن أبي مَرْح بثلاثة قنطار من الذهب، وقتل عنهم مئة سبع وعشرين من الهجرة، بعد فتح مصر بسبع سنين أو ثمان .

ثم أغزاه معاوية بن أبي سفيان (معاوية بن حديج السكوني) سنة أربع وثلاثين . ثم ولي معاوية (عقبة بن نافع) بن عبد قيس النهري سنة خمس وأربعين، فبنى عقبة القيروان .

ثم استعمل معاوية على مصر وأفريقية (مسلمة بن مخلد) فعزل عقبة عن أفريقية، وولى عليها (مولاه أبا المهاجرين) سنة خمس وخمسين . ولما استقل يزيد بن معاوية بالخلافة، رجع عقبة بن نافع إلى أفريقية سنة ثنتين وستين .

[ثم ولي عبد الملك بن مروان عليها زهير بن قيس البلوي في سنة سبع وستين إلى أن قتل في سنة تسع وستين فولى عليها ^(١) (حسن بن النعمان) الفسائي، فسار ودخل القيروان، وأفتتح قرطاجنة عنوة وتحريها، فخرجت عليه الكاهنة ملكة

(١) الزيادة من أين الأثير في مواضع منه ليستقيم الكلام .

الغرب فهزمته ، ثم عاد إليها وقتلها ، وأستولى على بلادها [ثم رجع إلى عبد الملك وأستخلف على أفريقية رجلا اسمه صالح .

ثم ولى الوليد بن عبد الملك ^(١) [موسى بن نصير] بضم النون ، قَدِمَ القَيروانَ وبها صالح . ثم قفل موسى إلى المشرق وأستخلف على أفريقية أبنة عبد الله .

ثم عزله سليمان بن عبد الملك في خلافته ، وولى مكانه (محمد بن يزيد) .

ثم ولى عمر بن عبد العزيز في خلافته (إسماعيل) بن عبيد الله بن أبي المهاجر .

ثم ولى يزيد بن عبد الملك (يزيد بن أبي مسلم) مولى المجاج وكاتبه ، فقَدِمَها سنة إحدى ومائة فقتله البربر ، وردوا محمد بن يزيد الذى كان عليهم قبله إلى ولايته ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك بذلك فأقره عليهم .

ثم ولى يزيد بن عبد الملك (بشر بن صفوان الكلبي) فقَدِمَها سنة ثلاث ومائة ، ومات سنة تسع ومائة .

ثم عزله هشام بن عبد الملك ^(٢) ، وولى مكانه (عبيدة بن عبد الرحمن السلمي) فقَدِمَها سنة عشر ومائة ، ثم عزل هشام عبيدة ، وولى مكانه (عبد الله بن الحبّاب) مولى بني سَكُول ، فقَدِمَها سنة أربع عشرة ومائة ، وبني جامع ثُوُس ، وأتخذ بها دار الصّناعة للراكب البحريّة .

ثم عزله هشام بن عبد الملك وولى مكانه (كُثُوم بن عياض) ثم قُتل فبعث هشام ابن عبد الملك على أفريقية (حنظلة بن صفوان الكلبي) فقَدِمَها سنة أربع وعشرين

(١) الزيادة من أين الانحر .

(٢) كذا في " البر " أيضا وعبارة " الكامل " فاستعمل هشام بعه عبيدة الخ وهو المناسب .

ومائة، فخرج عليه (عبد الرحمن بن حبيب) سنة ست وعشرين ومائة، فقتل حنظلة إلى المشرق سنة سبع وعشرين، وأستقل عبد الرحمن بملك أفريقية .

وولي مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، فكتب له يولايتهما .

ثم كانت دولة بني العبَّاس فأقره عليها السفاح، ثم المنصور، ثم قُتل سنة سبع وثلثين لعشر مئة من إمارته وأُشترك في إمارتها (حبيب بن عبد الرحمن، وعنه عمران بن حبيب، وأخوه إلياس بن عبد الرحمن) ثم قتله عبد الملك بن أبي الجعد ثم ظب عليها (عبد الأعلى بن السَّمْع المَعافري) .

ثم ولي أبو جعفر المنصور (محمد بن الأشعث) الخُزاعي، فقدم القيروان سنة خمس وأربعين ومائة، وبني سُورها .

ثم ثارت عليه المضيرة وأخرجوه منها سنة ثمان وأربعين، وولوا عليهم (عيسى بن موسى) الخُراساني .

ثم ولي أبو جعفر المنصور عليها (الأغلب بن سالم) بن عقال بن خفاجة بن سَوَادَة التميمي بسده، فقدم القيروان وسكن الناس، ثم قُتل سنة خمسین ومائة، وقام بأمر أفريقية المخارق بن غفار .

ولما بلغ المنصور قتل الأغلب، بعث مكانه عمر بن حفص بن قيسبة، ابن أبي صُفْرة التميمي أنى المهلب، فقدمها سنة إحدى وخمسين . ثم انتقضت عليه البربر فبُغض أمره، فولى (يزيد بن حاتم) بن قيسبة بن المهلب، ابن أبي صُفْرة التميمي، ودخل القيروان متصفاً سنة خمس وخمسين، وهلك سنة سبعين ومائة في خلافة هرون الرشيد، وقام بأمره بعده أبنته (داود) .

ثم ولى الرشيدُ أخاه (رَوْحَ بنِ حاتم) قَدِيمَها متصَفَّ سنة إحدى وسبعين ومائة، ومات في رمضان سنة أربع وسبعين، فقام حبيب بن نصر مكانه، وسار ابنه (الفضل) إلى الرشيد فولاه مكان أبيه، فهاد إلى القيروان في المحرم سنة سبع وسبعين ومائة، ثم قتله ابنُ الجارود في متصَفَّ سنة ثمان وسبعين ومائة فولى الرشيد مكانه (هَرَمَّةَ بنِ أنس) فسار إلى القيروان، وقَدِمَها سنة تسع وسبعين ومائة، ثم استعفى فأعفاه الرشيدُ لستين ونصف من ولايته .

وولى مكانه (محمد بن مقاتل الكوفي) قَدِمَ القيروانَ في رمضان سنة إحدى وثمانين، وكان سبي السيرة .

ثم ولى الرشيد (إبراهيم بن الأغلب) قَدِمَ أفرقيَّةَ متصَفَّ سنة أربع وثمانين ومائة، وأبقي مدينة العباسية بالقرب من القيروان وانتقل إليها . وفي ولايته ظهرت دعوة الأدارسة من العلوية بالمغرب الأقصى . ثم مات إبراهيم في شوال سنة ست وتسعين ومائة بعد أن عهد لابنه أبي العباس (عبد الله بن إبراهيم) بن الأغلب بالولاية، قَدِمَ القيروانَ في صفر سنة سبع وتسعين ومائة . ثم مات في ذى الحجة سنة إحدى ومائتين .

وولى مكانه أخوه (زيادة الله بن إبراهيم) وجاءه التقليد من قبيل "المأمون"؛ وفي ولايته كان ابتداء فتح صقلية على يد أسد بن الفرات، وتوفي في رجب سنة ثلاث وعشرين ومائتين لإحدى وعشرين سنة ونصف من ولايته .

وولى مكانه أخوه (أبو عقال الأغلب) بن إبراهيم بن الأغلب، وتوفي في ربيع سنة ست وعشرين ومائتين .

وَوَلِيَّ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ (أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَعْظَمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ) فَلَمَّا نَزَلَتْ لَهُ أَفْرِقِيَّةٌ ، وَبَنَى مَدِينَةً بِقُرْبِ نَاهَرَتٍ وَتَمَامِهَا الْعَبَّاسِيَّةُ ، سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ ، وَبَنَى قَصْرَ سُوسَةَ وَجَاعِلَهَا سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِينَ .

وَوَلِيَّ مَكَانَهُ أَبْنَاهُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ (أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَعْظَمِ) فَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ ، وَكَانَ مُؤَلِّمًا بِالْعَارَةِ ، فَبَنَى بِأَفْرِقِيَّةٍ نَحْوًا مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ حَصِينَ ، وَتَوَفَّى آخِرَ سَنَةِ ثَمَعٍ وَأَرْبَعِينَ لَثَمَانِ سِتِينَ مِنْ وَلَايَتِهِ .

وَوَلِيَّ مَكَانَهُ أَبْنَاهُ (زِيَادَةُ اللَّهِ الْأَصْغَرُ) بْنُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ أَحْمَدَ ، وَتَوَفَّى آخِرَ سَنَةِ نَحْسِينَ وَمِائَتِينَ .

وَوَلِيَّ مَكَانَهُ أَخُوهُ (مُحَمَّدُ أَبُو الْفَرَاتِيِّ) بْنُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ أَحْمَدَ ، فَفُتِحَ جَزِيرَةُ مَالِطَةَ سَنَةِ خَمْسٍ وَنَحْسِينَ وَمِائَتِينَ ، وَبَنَى حُصُونًا وَتَحَارِيسَ عَلَى مَسِيرَةِ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ بَرْقَةِ فِي جِهَةِ الْمَغْرِبِ وَهِيَ الْآنَ مَعْرُوفَةٌ بِهِ . وَفِي أَيَّامِهِ كَانَ أَكْثَرُ قُتُوحٍ صَبَقِيَّةً . فَلَمَّا مَاتَ حُلَّ أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ أَخَاهُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَحْمَدَ أَبِي أَبِي الْفَرَاتِيِّ عَلَى الْوَلَايَةِ طَلِبَهُمُ الْحُسَيْنُ سَيِّدَتَهُ فَامْتَنَعَ ، ثُمَّ أَجَابَ وَانْتَقَلَ إِلَى قَصْرِ الْإِمَارَةِ وَقَامَ بِالْأَمْرِ أَحْسَنَ قِيَامٍ . وَكَانَ عَادِلًا حَازِمًا قَطَعَ أَهْلَ الْبَنِي وَالْفَسَادَ وَجَلَسَ لِسَمَاعِ الظُّلُمَاتِ ، وَبَنَى الْحُصُونِ وَالْمَحَارِيسَ بِسُوحُلِ الْبَحْرِ ، حَتَّى كَانَتْ النَّارُ تُوقَدُ فِي سَاحِلِ سَبْتَةِ الْإِنْدَارِ بِالْعَدُوِّ فَيَتَصَلُّ إِيقَادُهَا بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَبَنَى سُورَ سُوسَةَ وَانْتَقَلَ إِلَى تُونُسَ فَسَكَنَهَا . وَفِي أَيَّامِهِ ظَهَرَتْ دَعْوَةُ الْبَيْدِيِّينَ بِالْقُرْبِ ، ثُمَّ مَاتَ سَنَةَ ثَمَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتِينَ .

وَوَلِيَّ ابْنَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ) ابْنُ مُحَمَّدٍ أَبِي الْفَرَاتِيِّ ، وَكَانَ عَادِلًا ،

حَسَنَ السَّيْرَةِ ، بصيرا بالحروب ، فقتل تُوتُسَ مَكَاتَ^(١) أَيْهِ ودخلوا في أمره جملةً
وجرى بينه وبينه حروب ، ثم قتل في شعبان سنة تسعين ومائتين .

وولى أبنه أبو مضر (زيادة الله) فأقبل على الأتلات والآهوه ، وأهل أمور الملك ،
وقتل أخاه وعمومته وأخواته ، وقوى حال الدعاة لعبيد الله المهدي جد الخلفاء الفاطميين
بمصر فعمل زيادة الله أمواله وأتقاله ولحق بمصر ، فتمعه عاملها من الدُخُول إليها إلا
بأمر المقتدر الخليفة ، فسار إلى العراق فاستأذن عليه ، فأناه كُتُب المقتدر بالرجوع إلى
القيروان وإظهار الدعوة ، فوصل إلى مصر فأصابه بها علّة سقط منها شعره ، ورجع
إلى القدس فمات بها ، وأقرضت دولة بني الأغلب بالمغرب .

الطبقة الثانية

(الْعَبِيدِيُّونَ)^(٢)

وكان مبدأ أمرهم أن محمدا الحبيب بن جعفر المصّلق ، بن محمد المكنوم ، بن
إسماعيل الإمام ، بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن عليّ زين العابدين ، بن
الحسين السبط ، بن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، كان مقيا بسامية من أعمال
جَمَص ، وكان أهل شيعتهم بالعراق واليمن وغيرهما يتعاهدونه بالزيارة إذا زاروا قبر
الحسين عليه السلام ؛ فلما أدركته الوفاة عهد إلى أبنه عبيد الله وقال له : أنت
المهدي وتُهاجر بعدى هجرة بعيدة وتلقى منحة شديدة ، وشاع خبر ذلك في الناس ،

(١) في الكلام سقط أو اختصار دخل والقي يؤخذ من "البر" أن أبا عبد الله الشيعي استولى في عهد
أبي العباس هذا على كُتابة ودخلوا في أمره كافة وحصلت بينه وبين أبي العباس حروب كانت نهايتها انهزام
الشيعي وهدم قصره . ثم إن زيادة الله بن أبي العباس هذا صانع بعض الخدم على قتل أبيه قتل فاما
في شعبان سنة تسعين ومائتين ١٥ ملخصا من ج ٤ ص ٢٠٥ .

(٢) في نسخة المكتبة الأزهرية زيادة [من الفاطميين وأتباعهم] .

وأتصل بالمكتفي خليفة بنى العباس ببغداد فطلبه ففر من الشام إلى العراق، ثم لحق بمصر ومعه أبنته أبو القاسم غلاما حدثا وخاصته، وكان أبو عبد الله الشيعي قد بعث إليه يجبره بما فتح الله عليهم من البلاد الغربية، فعزم على الفتح به، وخرج من مصر إلى أفريقية في زبي التجار، وسار حتى وصل إلى بيجاسية من بلاد المغرب، فورد على عاملها كتاب بالقبض عليه، فقبض عليه وحبس به هو وأبنته أبو القاسم. ولما استنصل أمر أبي عبد الله الشيعي، استخلف على أفريقية أخاه أبا العباس وأرتحل إلى بيجاسية، فأنجز المهدي وأبنته من الحبس وباع للمهدي، ثم أرتحلوا إلى أفريقية ونزلوا رقادة في ربيع سنة سبع وتسعين ومائتين، وبويع للمهدي البيعة العامة واستقام أمره وبعث أهل على النواحي.

وولى عهده أبنته (أبا القاسم محمدا) ويقال زرار، وبنى مدينة المهدية، وجعلها دار ملكه. ولما فرغ منها صعد على سورها ورعى بسهم في جهة المغرب، وقال: إلى هنا ينتهي صاحب الحمار [فكان الأمر كذلك]. وذلك أنه خرج بالمغرب خارجا اسمه أبو يزيد يعرف بصاحب الحمار وتبعه الناس فقصد مدينة المهدية يريد فتحها فانتهى إلى حيث انتهى سهم المهدي ثم رجع من حيث أتى فعظم أمر المهدي^(١). وأستولى على فاس، ودخل ملوكها من الأدارسة تحت طاعته في سنة ثمان وثلاثمائة، ومهد المغرب، ودوخ أقطاره، وتوفي في ربيع الأول سنة ثمان وعشرين لأربع وعشرين سنة من خلافته.

وولى بعده أبنته (القائم بأمر الله أبو القاسم) المتقتم ذكره، وفي أيامه خرج أبو يزيد صاحب الحمار. وتوفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وكان قد عهد إلى أبنته المنصور بالله إسماعيل، فقام بالأمر بعده، وكنم موت أبيه فلم يقسم بالخليفة ولا غير

(١) الزيادة من النسبة الأزميرية.

السَّكَّةَ وَالْخَطْبَةَ وَالْبُنُودَ؛ وَتَوَقَّى سَلَحَ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَةَ لَسْعٍ سَنِينَ مِنْ خِلَافَتِهِ .

وَوَلَّى الْأَمْرَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (الْمُعِزُّ لِذِي اللَّهِ مَعَدَّ) فَاسْتَقَامَ لَهُ الْأَمْرُ ، وَأَتَمَّتْ مَمْلَكَتُهُ بِالْقُرْبِ إِلَى الْبَحْرِ الْمَحِيطِ ، وَأَفْتَحَ مِصْرَ عَلِيٍّ يَدَ قَائِدِهِ ”جَوْهَرَ“ فِي مَتَصَفِّ شُعْبَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَةَ ، وَأَخْطَطَ لَهُ الْقَاهِرَةَ ، ثُمَّ قَدِمَ الْمُعِزُّ إِلَى مِصْرَ ، وَدَخَلَ الْقَاهِرَةَ لِحَمْسٍ مِنْ رَمَضَانَ مَسْنَةً ثَمْنِينَ وَسِتِّينَ وَثَلَاثَةَ عَلِيٍّ مَا سَبَقَ فِي الْكَلَامِ عَلِيٍّ مَمْلَكَةَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ .

الطبقة الثالثة

(ملوكها من بني زيري)

كَانَ الْمُعِزُّ مَعَدُّ الْفَاطِمِيِّ حِينَ قَدِمَ مِصْرَ عَلِيٍّ مَا تَهْتَمُّ اسْتَخْلَفَ عَلِيٍّ أَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبَ (بُلْكَيْنَ بْنِ زِيرِي) بْنِ مِيَادِ الْبَرْبَرِيِّ ، وَقَالَ : الْحِمِيرِيُّ وَأَنْزَلَهُ الْقَيْرَوَانَ ، وَسَمَّاهُ يُوسُفَ ، وَكَأَنَّ أَبَا الْقُتُوحَ ، وَلَقَّبَهُ سَيْفَ الثَّلَوَةِ وَبَقِيَ حَتَّى تَوَقَّى سَنَةَ ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثَةَ وَمَاتَ الْمُعِزُّ بِالْقَاهِرَةِ ، وَأَنْتَقَلَتِ الْخِلَافَةُ بَعْدَهُ إِلَى ابْنِهِ الْعَزِيزِ نَزَارَ ، فَوُتِيَ عَلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبَ بَعْدَ بُلْكَيْنَ ابْنَهُ (الْمَنْصُورَ بْنَ بُلْكَيْنَ) بِوِلَايَةِ عَهْدٍ مِنْ أَبِيهِ وَبَقِيَ حَتَّى تَوَقَّى سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَةَ .

وَقَامَ بِأَمْرِهِ بَعْدَهُ (ابْنُهُ بِإِدِيسُ) بْنُ الْمَنْصُورِ فَبَقِيَ حَتَّى تَوَقَّى سَنَةَ مِتْ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِمَعْسَكِهِ فَجَاءَهُ وَهُوَ نَائِمٌ مِنْ أَصْحَابِهِ .

وَبَوَّعَ ابْنَهُ (الْمُعِزُّ بْنُ بِإِدِيسَ) وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي سَنِينَ ، وَأَسَمَتْهُ مَمْلَكَةً بِأَفْرِيقِيَّةَ وَعُظْمُ مَمْلَكَةٍ بِهَا ؛ وَكَانَ الْمُعِزُّ مُتَحَرِّفًا عَنِ الرِّقْضِ وَالتَّشْيِيعِ ، مُتَحَلِّيًا لِلْسُّنَّةِ ، وَأَعْلَنَ بِذَلِكَ فِي أَوَّلِ وِلَايَتِهِ ؛ ثُمَّ كَانَ آخِرُ أَمْرِهِ أَنْ خَلَعَ طَاعَةَ الْعَبِيدِيِّينَ ، وَقَطَعَ الْخَطْبَةَ لَهُمْ

بأفريقية سنة أربعين وأربعمائة على عهد المستنصر العبيدي خليفة مصر، وخطب .
للقائم بن القادر الخليفة العباسي ببغداد، فاضطرب لذلك ملكه، وثارَت عليه الثوار،
وملكوا منه التواحي، ومات المعز سنة أربع وخمسين وأربعمائة .

وقام بأمره من بعده ابنه (تميم بن المعز بن باديس) وغلِب العرب على أفريقية،
فلم يكن له إلا ما صمَّه السور، واستمرت الثوار في أيامه وبقِيَ حتى هلك سنة
إحدى وخمسمائة .

وملك بعده ابنه (يحيى بن تميم) فراجع طاعة العبيديين خلفاء مصر، ووصلته
منهم المخاطبات والهدايا والتحف، وأكثر في غزو النصارى من القرنجة وغيرهم،
حتى لقبوه بالجزرية من وراء البحر، ومات فجأة في قصره سنة تسع وخمسمائة .

وملك بعده ابنه (علي بن يحيى) وقام بالأمر على طاعة خلفاء العبيديين بمصر،
ومات سنة خمس عشرة وخمسمائة .

وملك بعده ابنه (الحسن بن علي) وهو ابن اثني عشرة سنة، وقام بأمره مولاة
صنندل، ثم مولاة موفق، وغلِب النصارى على المهدية وبلاد الساحل كلها إلى أن
استنفذها منهم عبد المؤمن شيخ الموحدين، وعلّق الحسن بالجزائر ونزل بها إلى أن
فتح الموحدون الجزائر سنة سبع وأربعين وخمسمائة بعد ملكهم المغرب والأندلس،
فخرج إلى عبد المؤمن فأحسن إليه وبقِيَ معه حتى أفتح المهدية فأنزله بها، فأقام
بها ثمان سنين، ثم سار إلى مراکش فمات في طريقه، وأقرضت دولة بني باديس
من أفريقية في أيامهم عند وقوع الفتن .

(١) في قسمة المكتبة الأزهرية ببلد هذه الكلمات [وزالت بها دعوة العبيديين] .

الطبعة الرابعة

(المُوحِّدُونَ أصحابُ المهديِّ بْنِ تُوْمَرْت، وهم القائمُونَ بها إِلَى الْآنَ)

وكان أَوَّلَ من أفتتحها منهم (عبدُ المؤمنِ بْنِ علي) أحدُ أصحابِ ابنِ تُوْمَرْت والخليفةُ بعده . وذلك أنه لما وقع بها ما تقدّم من الاضطراب وقيام الثوار واستيلائهم على التّوابع ، وكان الموحِّدُونَ قد استولَوْا على الأندلس والغرب الأقصى والغرب الأوسط إلّا بجاية ، بعث عبدُ المؤمن المذكورُ العساكرَ إلى أفرقيّة مع ابنه عبد الله في سنة سبع وأربعين وخمسة ، فافتتح أفرقيّة ، واستكمل فتحها سنة ستّ وخمسين . وولّى عليها ابنه السيدَ أبا موسى (عمرانَ بْنِ عبد المؤمن) وأسرهُ على بْنِ يحيى المعروف بابن غانية عند فتحه بجاية ، وأعتقله بها في صفر سنة إحدى وثمانين وخمسة .

ولما وليَ المنصورُ يعقوبُ بْنُ عبد المؤمن) بعد أبيه عبد المؤمن ، ولّى على أفرقيّة في أوّل ولايته أبا سعيد ابنَ الشيخ أبي حفص عمر ، ثم غلب ابنُ غانية على أكثر بلاد أفرقيّة واستولى على تُونُس ، وخطب للخليفة العبّاسي ببغداد ، ثم جهّز الناصر أبا المنصورِ بْنِ عبد المؤمن الشيخَ أبا محمد عبد الواحد ابنَ الشيخ أبي حفص من مرّاكش إلى أفرقيّة سنة ثنتين وستمائة فاتّرعها من ابن غانية ، ثم وصل الناصر ابن المنصور إلى أفرقيّة بعد ذلك ودخل تُونُس ، وأقام بها إلى منتصف سنة ثلاث وستمائة ، وعزم على الرحيل إلى مرّاكش فروى نظره فيمن يوليه أمرها فوقع اختيارُهُ على الشيخ أبي محمد عبد الواحد ابنَ الشيخ أبي حفص ، ورحل الناصر إلى المغرب وقعد مَقْعَدَ الإمارة بقصبة تُونُس يوم السبت العاشر من شوال سنة ثلاث وستمائة وبقي حتى تُوُفِيَ مُفَتِّحَ سنة ثمان عشرة وستمائة .

وولى بعده أبْنَه الأميرُ (أبو زيد عبد الرحمن) وقعد بمجلس أبيه في الإمارة، وورد
كتابُ المستنصر بن الناصر خليفة بن عبد المؤمن بمزله لثلاثة أشهر من ولايته .

وولى المستنصر مكانه السيدَ أبا العليّ (إدريس بن يوسف) بن عبد المؤمن ،
ودخل إلى تونس في ذى القعدة من السنة المذكورة ، فزل بالقصبة ورُتب الأمور ،
ومات بتونس سنة عشرين وستمائة .

ثم مات المستنصر وصار الأمر (لـعبد الواحد المخلوع) ابن يوسف بن عبد المؤمن ،
فبعث بولاية أفرقية إلى (أبي زيد) بن أبي العليّ .

ثم صار الأمر إلى العادل فولّى (أبا محمد عبد الله) بن أبي محمد عبد الواحد ابن
الشيخ أبي حصص ، ودخل تونس سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وأقام في إمارته
إلى أن ثار عليه أخوه الأمير (أبو زكريّا يحيى) بن أبي محمد عبد الواحد وولى مكانه ،
ودخل تونس في رجب سنة خمس وعشرين وستمائة ، وأفتتح قُسْطَنْطِيْنَةَ وبيجَاية سنة
ست وعشرين وأقرعهما من بنى عبد المؤمن .

ثم ملك تِلِمَسَان من يدهم بعد ذلك وبايعه أهل الأندلس ، ومات ببونة لسبع بقين
من جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وستمائة لثنتين وعشرين سنة من ولايته .

ويوم بعده أبْنَه وولى عهده المستنصر بالله (أبو عبد الله محمد) ودخل تونس
في رجب من السنة المذكورة ، فجند بيعته بها وهو أول من تلقب من الحفصيين
بالقاب الخليفة كما سياتى . وأنهى أمره إلى أن بويع له بمكة العظمى ، وبُعث
باليمة إليه ، وأستولى على ما كان بيد أبيه من الغرب الأوسط ببيجَاية وقُسْطَنْطِيْنَةَ ،
وقمع الجزائر ، وبقي حتى مات يوم الاثنين سنة خمس وسبعين وستمائة .

وَبُيِّعَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (الوَاقِي يَحْيَى) بْنُ الْمُسْتَنْصِرِ لِبَلَّةٍ مَوْتِ أَبِيهِ، فَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ، وَبَسَطَ فِي الرِّعَاةِ الْعَدْلَ وَالْعَطَاءَ؛ وَبَعَثَ إِلَيْهِ أَهْلَ بَحَايَةِ الْبَيْعَةِ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ عُمُهُ (أَبُو إِسْحَاقَ) أَخُو الْمُسْتَنْصِرِ وَدَخَلَ بِحَايَةَ، وَبَايَعَهُ أَهْلُهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَسْتَوْلَى عَلَى قُسْطَنْطِينَةَ، وَقَوَّى أَمْرَهُ بِبَحَايَةِ وَمَا مَعَهَا؛ وَبَلَغَ ذَلِكَ الْوَاقِي بْنُ الْمُسْتَنْصِرِ، فَنَقَعَ نَهَابَ الْمَلِكِ مِنْهُ فَانْخَلَعَ عَنِ الْأَمْرِ لِعَمِّهِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَحْيَى، وَمِنْ هُنَاكَ عُرِفَ بِالْمُخْلُوعِ وَأَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ فِي أَوَّلِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ. وَبَلَغَ ذَلِكَ السُّلْطَانُ أَبُو إِسْحَاقَ فَسَارَ إِلَى تُوُسْ، وَدَخَلَهَا فِي نِصْفِ رَجَبِ الْآخِرِ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَأَسْتَوْلَى عَلَى الْمَمْلَكَةِ جَمِيعَهَا، وَأَعْتَقَلَ الْوَاقِيَّ وَبَيْعَهُ، ثُمَّ دَسَّ عَلَيْهِمْ مَنْ ذَبَحَهُمْ فِي اللَّيْلِ فِي صَفَرِ سَنَةِ ثَمَعٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ؛ وَبَقِيَ حَتَّى خَرَجَ عَلَيْهِ (أَحْمَدُ بْنُ زَوْقٍ) ^(١) بْنُ أَبِي عِمَارَةَ مِنْ بِيُوتَاتِ بَحَايَةِ الْعَظَامِينَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْمَسِيلَةِ سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، وَكَانَ شَيْخًا بِالْفَضْلِ أَبْنُ يَحْيَى الْمُخْلُوعِ فَعُرِفَ بِالْدَّعِيِّ، وَأَسْتَوْلَى عَلَى تُوُسْ بَعْدَ خُرُوجِ السُّلْطَانِ أَبِي إِسْحَاقَ مِنْهَا، وَلَحِقَ أَبُو إِسْحَاقَ بِبَحَايَةِ فَنَعِمَ ابْنُهُ الْأَمِيرُ أَبُو فَارِسَ (عَبْدُ الْعَزِيزِ) مِنَ السُّخُولِ إِلَيْهَا فَانْخَلَعَ لَهَا وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى بَيْعَتِهِ فِي آخِرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ فَبَايَعُوهُ وَتَلَقَّبَ بِالْمُعْتَمِدِ، ثُمَّ كَانَ بَيْنَ الدَّعِيِّ وَالْأَمِيرِ أَبِي فَارِسَ وَاقِعَةٌ قَتْلٌ فِيهَا الْأَمِيرُ أَبُو فَارِسَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ. وَخَرَجَ السُّلْطَانُ أَبُو إِسْحَاقَ فَلَحِقَ بِبَلْسَانَ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْأَمِيرُ أَبُو زَكْرِيَا؛ وَدَخَلَ أَهْلُ بَحَايَةِ فِي طَاعَةِ الدَّعِيِّ.

ثُمَّ خَرَجَ عَلَى الدَّعِيِّ الْأَمِيرُ (أَبُو حَفْصَ عُمَرَ بْنِ يَحْيَى) بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي حَفْصَ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمَا حَرْبٌ أَتَهَزَمَ الدَّعِيُّ فِي آخِرِهَا. وَأَسْتَوْلَى أَبُو حَفْصَ عَلَى تُوُسْ وَسَائِرِ

(١) فِي "الْمَعْرِ" أَحْمَدُ بْنُ مَرْزُوقٍ وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

الملكة ، وتلقب بالمستنصر وأختي الدعي ؛ ثم ظفر به أبو حفص بعد ذلك وقته ، وبايعه أهل تلمسان وطرابلس وما بينهما .

ونخرج الأمير (أبو زكريا يحيى) ابن السلطان أبي إسحاق على بجاية وقسنطينة فملكهما وأقطعهما عن مملكة أفريقية ، وقسم دولة الموحدين بدولتين ، ولم يزل السلطان أبو حفص في ملكه إلى أن مريض في ذي الحجة سنة أربع وستين وستمائة ومات آخر ذي الحجة من السنة المذكورة .

وكان الواثق بن المستنصر لما قُتل هو وأبوه ترك جارية حاملاً ، فسماه الشيخ محمد المرحاني « محمدًا » وأطعم الفقراء يومئذ عَصِيدَةً من عَصِيدَةِ الْبُرِّ فلقب بابي عَصِيدَةٍ ، فلما مات السلطان أبو حفص بايع الناس (أبا عَصِيدَةٍ) المتقدم ذكره . ومات الأمير أبو زكريا صاحب بجاية وما معها على رأس المائة السابعة .

وقام بعده في تلك الناحية ولحقه عهده ابنه (أبو البقاء خالد) فاستمر في تلك الناحية ، وبقي السلطان أبو عَصِيدَةٍ في مملكة أفريقية حتى مات في ربيع الآخر سنة تسع وسبعمائة ولم يخلف ابناً .

وكان بالقصر (أبو بكر بن عبد الرحمن) بن أبي بكر ، بن يحيى ، بن عبد الواحد ، ابن أبي حفص في كفالة السلطان أبي عَصِيدَةٍ فلما مات أبو عَصِيدَةٍ بايعه أهل تُونُسَ ، ثم ارتحل السلطان أبو البقاء خالد : صاحبُ بجاية إلى جهة تُونُسَ طالباً مُلْكُهَا بعد أبي عَصِيدَةٍ ، فخرج (أبو بكر الشهيد) في أهل تُونُسَ لِقَائِهِ فانهزموا عنه ، وقُبِضَ على أبي بكر الشهيد وأُغْتِيلَ ثم قُتِلَ بعد ذلك فسمي الشهيد ، وأَسْتَقْبَلَ السلطان أبو البقاء خالد بملك تُونُسَ وبجاية وحاز جميع المملكة ، وتلقب الناصر لدين الله وبقي حتى بويع (أبو يحيى زكريا بن أحمد) بن محمد الحماني ، بن عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص : فَبُويعَ بِطَرَابُلُسَ ، وخرج على أبي البقاء خالد تخافه فخلع نفسه

فاحتل وجاء السلطان أبو يحيى على أثره في رجب سنة إحدى عشرة وسبعائة ، فبويح البيعة العامة ودخل تُوُسْ وأستولى عليها ؛ ثم اضطرب عليه أمره ، فخرج من تُوُسْ إلى قابس أول سنة سبع عشرة وسبعائة بعد أن استخلف تُوُسْ ، وأتى إلى قابس فأقام بها وصرف [العمل] في جهاتها ؛ وقصد السلطان أبو بكر صاحب بجاية تُوُسْ ، وكان بينه وبين أهلها وقعة انتهى الحال في آخرها إلى أن السلطان أبا بكر رجع إلى بجاية . وباع أهل تُوُسْ محمدا المعروف (بأبي ضربة) ابن السلطان أبي يحيى في سنة سبع عشرة المذكورة .

ثم قصد السلطان أبو بكر صاحب بجاية تُوُسْ ، وبها أبو ضربة فغلبه عليها ، ودخلها في ربيع الآخر سنة ثمان عشرة وسبعائة ، وبويح بها البيعة العامة . وخلق السلطان أبو يحيى الهيثمي بمصر في أيام الملك الناصر "محمد بن قلاوون" فأحسن نزلَه وأقام عنده إلى أن مات ، وخلق أبْنَه أبو ضربة بتابسان فأقام بها إلى أن مات ، وأستقل السلطان أبو بكر بأفريقية وبجاية إلى أن غلبه على تُوُسْ (إبراهيم بن أبي بكر) الشهيد المتقدم ذكره أولا ، ودخلها في رجب سنة خمس وعشرين وسبعائة .

ثم غلبه عليها السلطان أبو بكر وأترعها من يده في شوال من السنة المذكورة ، وأستقر في يده ملك أفريقية وبجاية إلى أن مات فجأة في جوف الليل في ليلة الأربعاء ثاني رجب الفرد سنة سبع وأربعين وسبعائة بمسكنة تُوُسْ .

وبويح أبْنَه (أبو حفص عُمر) بن أبي بكر من ليلته ، وجلس من القَد وبويح البيعة العامة . وكان أبوه قد عهد إلى أبْنَه الآخر أبي العباس أحمد ، وكان ببلاد الجريد فاستجاب على أخيه وقدم عليه تُوُسْ ، وكانت بينهما واقعة قُتل فيها أبو العباس وأستقر السلطان أبو حفص على ولايته . وكان السلطان أبو بكر حين عهد

(١) في الأصل أبو زكريا والتصحيح من "البرج ٦ ص ٣٢٤" .

لأبنته أبي العباس أرسل العهد إلى السلطان أبي الحسن المُرِّيقي : صاحب تلمسان
وسأله في الكتابة عليه ، فلما قُتل أبو العباس المذكور نُقل ذلك على السلطان أبي الحسن
ونُرحل إلى أفريقية في سنة ثمان وأربعين وسبعائة ، ووصل إلى بجاية ثم إلى قسطنطينة
فلما كان في طريقه إلى تونس فلقاه السلطان أبو حفص عمر ، وكانت بينهما واقعة
قُبِض فيها على أبي حفص ثم قُتل . ودخل السلطان أبو الحسن إلى تونس وأستولى
على جميع المملكة مضافةً إلى مملكته ، وكل له بذلك ملك جميع المغرب .

ثم غلب (أبو العباس الفضل) بن السلطان أبي بكر على بجاية وقسطنطينة ومملكهما ،
ومار السلطان أبو الحسن إلى المغرب وأستخلف على تونس أباه الفضل فصار
الفضل ابن السلطان أبي بكر من بجاية إلى تونس فخرج منها أبو الفضل بن أبي الحسن
فأثارا إلى أبيه بالمغرب ، ودخلها الفضل ابن السلطان أبي بكر ومملكاه سنة تسع وأربعين
وسبعائة وأستولى على جميع المملكة ، وبقي إلى أن قُبِض عليه في جمادى الأولى
سنة إحدى وخمسين وسبعائة .

وبويع بعده أخوه (أبو إسحاق إبراهيم) ابن السلطان أبي بكر ، وهو يومئذ غلام
قد ناهز الحلم ، وقُتل الفضل في جوف الليل من الليلة القابلة خنقا ، وأستولى على
أفريقية وبجاية وقسطنطينة ، وبقي حتى غلبه بنو مَرِين على بجاية وقسطنطينة ، ومملكهما
منه أبو عَنان سنة ثلاث وخمسين وسبعائة .

ثم آستولى السلطان (أبو العباس أحمد) بن محمد بن أبي بكر على قسطنطينة سنة
ثلاث وخمسين وسبعائة وبويع بها .

ثم غلبه عليها أبو عَنان وقُتل إلى المغرب سنة سبع وخمسين وقد آستخلف بها ،
فتجهز إليها (أبو إسحاق إبراهيم) صاحب تونس ومملكها من يد عامل أبي عَنان

سنة إحدى وستين؛ ثم قوى أمر السلطان أبي العباس وعاد إلى قسطنطينة وملكها في السنة المذكورة .

ثم استولى (أبو عبد الله محمد) بن محمد ابن السلطان أبي بكر في رمضان سنة خمس وستين وسبعائة فامسأ السيرة بها، فسار إليه السلطان "أبو العباس" من تونس فقتله ودخل بجاية تاسع عشر شعبان سنة سبع وستين وسبعائة وملكها، وبقيت بيده وتونس بيد السلطان أبي إسحاق إبراهيم ابن السلطان أبي بكر إلى أن توفي السلطان أبو إسحاق فجاء في الليل في سنة سبع وسبعين وسبعائة .

وبيع بعده ابنه (أبو البقاء خالد) وأستبد عليه منصور مولى أبيه، وأبى الباقي حاجب أبيه فلم يكن له في الدولة تحكم .

ثم رحل السلطان أبو العباس من بجاية إلى تونس وقبض على السلطان أبي البقاء خالد بن إبراهيم بعد حصاره أياما وأعطاه وملك تونس وانتظم في ملكه أفرقية وبجاية وقسطنطينة وأعمالها، وبقى حتى مات في شعبان سنة ست وثمانين وسبعائة . وكان أبو العباس هذا له شعر رائق، طلب مرة كاتب إنشائه يحيى بن أجاد، وكان يحيى تملا، نفاقه على نفسه إن هو طلع إليه على تلك الحالة فكتب إليه :

أصبح العبد يحيى * كصباح أبي أكرم

شقته الحميا * وهو بالأمر مهم

فخشي من رقيب * قرأى الدار أكرم

فلما قرأها وقع بخطه تحت خطه :

فر عينا بعيش * صفوه بك قد تم

أنت أركى عيدي * ها هنا كنت أوقم

فكان ذلك سبب توبة يحيى .

ويوم بعده آتته أبو فارس (عزّوز) في رابع شعبان من السنة المذكورة وأستولى على تُوُسَ ومُجَايَة وقُسَطينة وسائر أعمالها . وهو السلطان أبو فارس عزّوز ابن السلطان أبي العباس أحمد ، ابن السلطان أبي بكر بن يحيى ، بن إبراهيم ، بن عبد الواحد ، ابن الشيخ أبي حفص .

قلت : وهو باقى إلى زماننا في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة ، وقد شاع ذكر شجاعته وعَدْلِهِ حتى إنه دَوَّخَ البلاد ومَهَّدَهَا وَقَتَلَ العربَ وأبَادَهُمْ ، ودخل من بَحَى منهم في طاعته بعد أن لم يَبْتِنُوا لطاعة غيره ؛ وقطع المَكُوسَ من بلاده ، وأزال الحاناتِ من تُوُسَ ، مع تواضُعٍ وقُرْبٍ من الفقراء ، وأخذ بيد المظلومين ، ووَجَّهَ رِثَتَهَا وقرَّرها لم تُعْهَدَ لأحد من قبله ، إلى غير ذلك من صفات الملوك المحمودة التي أمتاز بها عن الملوك ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

الجملة العاشرة

(في متحى ملوك هذه المملكة القائم بها الآن ، من الموحدين في النسب ،

ودعواهم الخلافة ، وبيان أصل دولتهم ، وتسميتهم الموحدين)

أما متناهم في النسب ، فقد ذكر في "التعريف" : أن المَلِكِ القائم بها في زمانه يدعى النسب إلى أمير المؤمنين : عُمر بن الخطَّاب رضى الله عنه ؛ ومن أهل النسب من يُنكر ذلك : فمنهم من يجعله من بنى عدى بن كعب رهط عمر ، وليس من بنى عُمر ، ومنهم من يقول بل من هَتَاتَة وليسوا من قبائل العرب [في شيء] . وهم الحَفَصِيُّونَ نسبة إلى أبي حفص : أحد العشرة أصحاب ابن تومرت . وهم بقايا

الموحدين إذ كان من تقرر ابن تومرت أن الموحدون هم أصحابه ، ولم يبق ملكُ
الموحدين إلا في بني أبي حفص هذا .

وأعلم أن النساين قد اختلفوا في نسبته على ثلاثة أقوال .

أحدها — نسبته إلى أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهؤلاء
يقولون : هو أبو حفص عمر بن يحيى ، بن محمد ، بن وأوذين ، بن علي ، بن أحمد ،
أبن وآلال ، بن إدريس ، بن خالد ، بن اليسع ، بن إلياس ، بن عمر ، بن واقف ،
أبن محمد ، بن مجي ، بن كعب ، بن محمد ، بن سالم ، بن عبد الله ، بن عمر بن
الخطاب . قال قاضي القضاة : "ولى الدين بن خلدون" ويظهر أن هذا النسب
القرشي وقع في المصاحبة من البربر ، وأتحم بهم واشتملت عليه عصبيتهم ؛ شأن
الأنساب التي تقع من قوم إلى قوم .

الثاني — نسبته إلى بني عدي بن كعب : رهط عمر بن الخطاب رضي الله
عنه الذي يتنسب فيه ، وهو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى
أبن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب جد النبي صلى الله عليه
وسلم وباقي نسبه إلى عدنان معروف .

الثالث — نسبته إلى هنتاة ، وهنتاة — بفتح الهاء وإسكان النون وفتح التاء
المنثناة فوق وبدا ألف ثم تاء منثناة فوق مفتوحة ثم هاء قبيلة من قبائل المصاحبة
من البربر ، بجبال درن المتاخمة لمرأش ؛ وهي قبيلة واسعة كبيرة ، ويقال لها بالبربرية
"يتي" وكان أبو حفص هذا هو شيخهم وكبيرهم ، وهو الذي دعاهم إلى اتباع
أبن تومرت والجل على طاعته .

وأما دعواهم للخلافة ، فقد قال في "التعريف" عند ذكر سلطان زمانه منهم :
لا يدعي إلا الخلافة ويتلقب بألقاب الخلفاء ، ويخطب بأمر المؤمنين في بلاده .

وأعلم أن أول من تلقب منهم المستنصر بالله أبو عبد الله محمد بن السلطان أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص، على أن أباه كان يتمتع من التلقب باللقاب الخلفاء، ويمتنع من مخاطبته بها مقتصرا على التلقب بالأمير خاصة حتى إن بعض شعرائه رفع إليه قصيدة مدحه بها أقلمها :

الْأَجَلُ بِالْأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنْتَ بِهَا أَحَقُّ الْعَالَمِينَ

فانكر ذلك عليه . وإنما حل المستنصر على ذلك أن الخلافة في زمنه قد تعطلت في سائر الأقطار . وذلك أن الخلافة الأموية ودعاوى بني عبد المؤمن قد زالت عنها في المغرب بقلبة بني مرين عليهم وأقراهم الأمر منهم ؛ وخلافة العبيديين قد زالت من مصر ؛ وخلافة بني العباس قد زالت من بغداد باستيلاء التتار عليها .

وأما مبدأ دولتهم ومصير آخرها إلى بني أبي حفص بأفريقية ، فإن أصل قيامها ابن تومرت : وهو محمد بن عبد الله تومرت ، بن وجليد ، بن يامصال ، بن حزة ، ابن عيسى فيما ذكره محققو المؤرخين . وبعضهم يقول : محمد بن تومرت ، بن نيطاوس ، بن سافلا ، بن مسيعون ، بن ايكلدس ، بن خالد ، أصله من هرة من بطون المصامدة من البربر . وبعض المؤرخين يجعل نسبه في أهل البيت ويقول : هو محمد بن عبد الله ، بن عبد الرحمن ، بن هود ، بن خالد ، بن تمام ، بن عدنان ، ابن سفيان ، بن صفوان ، بن جابر ، بن عطاء ، بن رباح ، بن محمد ، من ولد سليمان ابن عبد الله ، بن حسن ، بن الحسن ، بن علي ، بن أبي طالب . وسليمان هذا أخو إدريس الأكبر الذي كان لبنيه الدولة بالغرب على ما مر في الكلام على مكتبة صاحب بر العلوة .

ويقال إن سليمانَ هنا لحقَ بالمغرب إثر أخيه إدريس . وقيل : بل هو من قرابة إدريس اللاحقين به إلى المغرب ويكون على هذا المقتضى نسبُه قد ألحِمَ بنسب المصامدة ، وأنصل بهم وصار في علائهم كما تقدّم في نسب أبي حفص .

وكان أهلُ بيته أهلَ دينٍ وعبادة ، وشبَّ محمدٌ هذا فيهم قارئاً محباً للعلم ، وأرتحل في طلب العلم إلى المشرق على رأس المائة الخامسة ، ومَرَّ بالأندلس ، ودخل قُرطبةَ وهي إذ ذاك دارُ علمٍ ، ثم لحقَ بالإسكندريةَ وسجَّ ، ودخل العراقَ ، ولقيَ أكابرَ العلماء به يومئذٍ وفحولَ النظار ، ولقيَ أئمةَ الأشعريةَ من أهل السنة وأخذ بقولهم في تأويل المتشابه . ويقال إنه لقيَ أبا حامد الغزالي رحمه الله واستشاره فيما يُريده من قيام الدولة بالمغرب .

ورجع إلى المغرب وقد حصل على جانبٍ كبير من العلم ، وطعن على أهله في الوقوف مع الظاهر وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذهب الأشعرية في جميع العقائد ، وألّف العقائد على رأيهم مثل المُرشدة وغيرها . وكان مع ذلك يقول بعصمة الإمام على مذهب الإمامية من الشيعة . وأتته إلى بجاية فأقام بها يدرس العلم ويأمرُ بالمعروف وينهى عن المنكر ، وهناك لقبه عبد المؤمن أحدُ أصحابه وأرتحل معه إلى المغرب وصار إلى بلاد هَرَغَة من البربر ، فاجتمع إليه الطلبة ونشروا العلم ، وأظهر مذهبَ الأشعرية .

وكان السُّكَّانُ والمُتَجَمِّعون يتحدّثون بظهور ملكٍ بالمغرب من البربر ، وشاع في الناس أنه ذلك الملك ، وأختار من أصحابه عشرةً فجعلهم خاصته : وهم عبد المؤمن بن علي ، وأبو حفص عمر بن علي ، ومحمد بن سليمان ، وعمر بن تافركين ، وعبد الله بن ملويات وغيرهم . ودعا المصامدة إلى بيعته على التوحيد وقتال المجسمين ، فبايعوه على ذلك ستةَ خمسٍ عشرةً وخمسمائة .

ولما تكاملت له الشيعة لقبوه بالمهديّ، وكان قبل ذلك يلقب بالامام، وكان عبدالمؤمن أحص أصحابه به، وكان يلقبه بالخليفة، وأبو حفص بعده في الخصوصية، وكان يلقبه بالشيخ، وكان يسمى أتباعه الموحدين تعريضا بمن يخرج عن التأويل ويقف مع الظاهر فيوقفه في التجسيم وغيره، ولم تحفظ عليه بدعة إلا ما وافق فيه الإمامية من القول بضعمة لإمام. وقد مر ذكر مئة ولايته ثم استخلاف عبد المؤمن بعده في الكلام على مكتبة صاحب بر المنة. وقد تقدم ابتداء انتقال ملكة إفريقية إلى بنى أبي حفص وأسمائها فيهم إلى زماننا على الترتيب.

الجملة الحادية عشرة

(في ترتيب الملكة بها : من زى الجند، وأرباب الوظائف : من أرباب السيوف والأفلام، ومقادير الأرزاق الجارية عليهم، وزى السلطان، وترتيب حاله في الملك)

أما الجند، فقد قل في "مسالك الأبصار" عن أبي عبد الله بن القويح : أن الذى قرره لهم مهديهم ابن تومرت، ثم عبد المؤمن وأبناؤه بعده أنه ليس لهم أمراء ولا أتباع يطلب بعنتهم كمئة الأمراء بمصر، وإنما لهم أشياخ من أعيانهم لأعدة لهم ولا جند، بل المرء منهم بنفسه قط؛ ولكل طائفة منهم رئيس يتولى النظر في أحوالهم يسمونه الزوار.

أما الجند فمن الموحدين والأندلسيين وقبائل بها من المضافة إليهم ومن قبائل العرب ومن هاجر إليهم من العرب القلاء، الذين هاجروا في مئة بنى عبد المؤمن، والمماليك الترك المبتاعة من الديار المصرية، ومن الفرنج وغيرهم.

(١) لم يتقدم شيء من ذلك وسقطت هذه الجملة من القطعة الأثرية.

وحاصل ما ذكره في "مسالك" أن الجند عندهم على سبع طبقات .

الطبقة الأولى — الأشياخ الكبار من الموحدين الذين هم بقايا أتباع المهدي بن تومرت . قال في "مسالك الأبصار" : وهم بمثابة أمراء الألو ف بمصر، وبمنابة النوبيات أمراء التوامين بمملكة إيران .

الطبقة الثانية — الأشياخ الصغار من الموحدين أيضا : وهم دون من تقدم منهم في الرتبة .

الطبقة الثالثة — الوقافون . قال في "مسالك الأبصار" : سألت ابن القويح عن معنى الوقافين ما هو ؟ فقال : هم قوم لهم خاصية بالسلطان يسكنون معه في القصبية : وهي القلعة، بمنزلة الأمراء الخاصية . قال : وهم طبقتان : وقافون كبار، ووقافون صغار، وكلهم يقفون بين يديه في أوقات جلوسه إذا جلس للناس .

الطبقة الرابعة — عاقمة الجند .

الطبقة الخامسة — الجند من قبائل العرب .

الطبقة السادسة — الصبيان : وهم جماعة من الشباب بمثابة المماليك الكغانية بالديار المصرية، يكونون في خدمة السلطان .

الطبقة السابعة — الجند من الإفريج، ويعبر عنهم بالملوج؛ وهم نخاسة السلطان لا يطمئن إلا إليهم .

وأما عدة العسكر . ففي "مسالك الأبصار" عن ابن القويح أنها لا تبلغ عشرة آلاف وإنما المدد الجم في العرب أهل البادية ولم قوة شوكية .



وأما أرباب الوظائف فعلى ثلاثة أضرب :

الضرب الأول

(أرباب السيوف، وهم ثمانية)

الأول — الوزراء — وهم ثلاثة وزراء : وزير الجند وهو المرتود إليه الحليث في أمر الجند . قال في "مسالك الأبصار" : وهو بمثابة الحاجب بالديار المصرية ؛ ووزير المال : وهو المتحدث في أمر المال ، ويعبر عنه بصاحب الأشغال ؛ ووزير الفضل وهو كاتب السر .

الثاني — شيخ الموحدين . قال ابن القويح : وشيخ الموحدين كأنه نائب السلطان ، ويسمى الشيخ المعظم وهو الذي يتولى عرض الموحدين وأمورهم .

الثالث — أهل المشورة : وهم ثلاثة من أسيان الموحدين يجلسون بمجلسه للرأى والمشورة .

الرابع — صاحب الرقاعات . قال ابن سعيد : وهو الذي يتولى إبلاغ الظلمات إلى السلطان وإيصال قصصهم إليه وعرضها عليه ثم يخرج بجوابها عنه . قال في "مسالك الأبصار" : وهذا بمثابة النوادر (يعنى بالديار المصرية) .

الخامس — صاحب العلامات : وهو المتولى أمور الأعلام ، وهو بمثابة أمير علم بالديار المصرية . وفي معناه آخر إليه أمر دق الطبول ، يأمر بندق الطبول عند ركوب السلطان في المراكب .

السادس — المحافظ : وهو صاحب الشرطة ، وعنه يعبر المصريون بوالى المدينة .

السابع — محركو الساقة : وهم قوم يكون بأيديهم العصى ، يرتبون الناس في المراكب ، بمنزلة الثقباء بالديار المصرية .

الثامن — صاحب الطعام : وهو بمنزلة إستاندار الصعبة .

الضرب الثاني

(أرباب الأقاليم)

وقد ذكر منهم ثلاثة :

الأول — قاضي الجماعة : وهو مثل قاضي القضاة بالديار المصرية .

الثاني — المحتسب : وهو معروف .

الثالث — صاحب كُتُب المَقَالَم . قال في "مسالك الأبصار" : وهو الموقَّع على القِصَص وكأنه بمثابة موقَّع النُصُب بمصر والشام .

الجملة الثانية عشرة

(في ذكر الأرزاق المطلقة من جهة السلطان)

ويختلف الحال فيها باختلاف أحوال أربابها .

فاما أشيائُ الموحدين الكبار ، فقد قل في "مسالك الأبصار" عن القاضي أبي القاسم بن بنون أن لم أرضا يزرعونها أو يحكرونها ويكون لهم عشر ما طلع منها . وهذه الأرض بمثابة الإقطاع بمصر ؛ ولكل واحد منهم في كل سنة حُرث عشرة أزواج بقرا ، كل زوج بسبعين ، كل شعبة رأسان من البقر فيكون لكل واحد عشرون شعبة . قال في "مسالك الأبصار" : وهذه الشعبة هي المسماة في بلاد دمشق بالقدان . ولهم مع ذلك راتب يفرق عليهم في طول السنة ، يسمونه البركات ، بمثابة الجوامك بمصر ، يفرق أربع مرّات في السنة : في عيد الفطر تفرقة ، وفي عيد الاضحي تفرقة ، وفي ربيع الأول تفرقة ، وفي رجب تفرقة ؛ يُصِيبُ كُلُّ واحد منهم من ذلك أربعون ديناراً مسماة ، تكون بثلاثمائة درهم عتيقة ، والسلطان يأخذ معهم بسهم كواحد منهم على السواء ، فيكون جملة مال كُلِّ واحد منهم في كل سنة مائة وعشرين ديناراً

مسماة ، عنها ألف ومائتا درهم مغربية ، عنها من نقد مصر والشام ستمائة وخمسون درهما ، وما يتحصل من مغلّ عشرين قلّانا بقدر مثلها . قال في "مسالك الأبصار" :
فيكون تقدير ما لأحد المشايخ الكبار الذين بمثابة أمراء الألواف بمصر والشام في كل سنة ألف وثلثمائة وعشرة دراهم قنطرة بمعاملة مصر في كل سنة .

وأما الأشياخ الصغار ، فلكل واحد منهم حرث خمسة أزواج من البقر ، على النصف من الأشياخ الكبار ، والبركات في كل سنة على ما تقدم في الكبار . قال ابن بنون :
ولسامة الأشياخ الكبار والصغار والوقافين والجند شيء آخر يفقهه السلطان عليهم ، يُسمى المواساة : وهي غلة تفرق عليهم عند تحصيل الغلات في المخازن ، وشيء ثالث يقال له الإحسان ، وهو مبلغ يفرق عليهم . قال [وكلاهما^(١)] من السنة إلى السنة ليس لها قدر مضبوط ولا قدر مخصوص ، بل على قدر ما يراه السلطان ويحسب أقدار الناس . ومقادير العطايا بينهم متفاوتة . قال : وكذلك القبائل ومزاويرهم على هذا النحو . قال ابن التويع : والجند الثرباء يتميزون في الأعطيات على الموحدين . قال : وللعرب أهل البادية إقطاعات كثيرة ، ومنهم من يخرج مع السلطان إذا استندعاهم السلطان لخروج معه .

الجملة الثالثة عشرة

(في ليس سلطان مملكة تونس ، وليس أشياخه ، ومساير جنده ،

وعامة أهل بلده)

أما ليسه فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن سلطان زمانه بأفريقية : أن له عمامة ليست بمفردة في الكبر ، بحك وعذبة صغيرة . وقال ابن سعيد : له عمامة

(١) ياض بالأصل بقدر كلة والتصحيح من المسالك .

كبيرة من صُوفٍ وَكَانَ فِيهَا طَرَّازٌ مِنْ حَرِيرٍ . وَلَا يَتَعَمَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ دَوْلَتِهِ قَدَرَهَا فِي الْكِبَرِ . وَذَكَرَ أَنَّ عَذْبَةَ عِمَامَتِهِ تَكُونُ خَلْفَ أُذُنِهِ الْيُسْرَى ، وَأَنَّهَا مَخْصُوصَةٌ بِهِ وَبِأَقَارِبِهِ ، وَلَهُ جَبَابٌ تَلِيهَا ، وَلَا يَلْبَسُ هُوَ وَلَا عَامَّةُ جُنْدِهِ وَأَشْيَاخُهُ خُفًّا إِلَّا فِي السَّفَرِ . وَغَالِبُ لِبْسِهِ وَلَيْسَ أَكْبَرُ مَشَائِخِهِ مِنْ قُنَاشٍ عَنْدهُمْ يَسْمَى السَّفْسَارِي ، يَعْمَلُ عَنْدهُمْ مِنْ حَرِيرٍ وَقُطْنٍ أَوْ حَرِيرٍ وَصُوفٍ رَفِيعٍ جِدًّا ، وَقُنَاشٍ يُعْرَفُ بِالتَّمْسَانِيَّ يَعْمَلُ بِتِلْسَانٍ : إِمَّا صُوفٌ خَالِصٌ أَوْ حَرِيرٌ خَالِصٌ : مَحْمٌ وَغَيْرُ مَحْمٍ . قَالَ أَبُو بَنُو : وَالسُّلْطَانُ يَتَنَازَلُ لَيْسَ الْخَزَنَ ، وَلَوْ لَهُ لَوْنُ الْخُضْرَةِ وَالسَّوَادِ . قَالَ : وَهَذَا اللَّوْنُ هُوَ الْمُسَمَّى بِالْجَوْزِي ، وَبِالْفَيَّارِ ، وَبِالتَّقِطِي . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : وَهُوَ مَا يَنْجَرُجُ مِنَ الْبَحْرِ بِصَفْقَسٍ .

قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَهُوَ الْمُسَمَّى بِوَرِّ السَّمَكِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ بِعِنَى الْمَعْبَرِ عَنْهُ بِصُوفِ السَّمَكِ الْمَقْدَمُ ذَكَرَهُ عِنْدَ ذِكْرِ صَفْقَسٍ مِنْ بِلَادِ أَفْرِيقِيَّةٍ . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : وَهِيَ أَفْرِيقِيَّةُ السُّلْطَانِ بَنُو تُونِسَ وَقَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" عَنْ أَبِي سَعِيدٍ : أَنَّهُ لَيْسَ الثِّيَابُ الصُّوفُ الرِّفْعَةُ ، ذَوَاتِ الْأَلْوَانِ الْبَدِيعَةِ ، وَأَكْثَرُ مَا يَلْبَسُ الْمُخْتَمِ الْمَتَرَجُ مِنَ الْحَرِيرِ وَالصُّوفِ ، بِكَيْفٍ طَوِيلِينَ مِنْ غَيْرِ كَثْرَةِ طُولٍ ، ضَيِّقِينَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَا مَزْنَدِينَ . وَثِيَابُهُ دُونَ شِدَّةِ نِطَاقٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْحَرْبِ فَإِنَّهُ يُشَدُّ الْمِنْطَقَةُ ، وَلَيْسَ الْأَهْمِيَّةُ ، وَلَهُ طِلْسَانُ صُوفٍ فِي نَهَايَةِ اللَّطَافَةِ ، كَانَ يَرْتَدِي بِهِ وَلَا يَضَعُهُ عَلَى رَأْسِهِ .

[وَأَمَّا لَيْسَ الْأَشْيَاخِ وَالْمَوَالِينِ وَالْوَقَافِينَ وَالْجُنْدِ وَالْقَضَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْكَتَّابِ وَعَامَّةِ النَّاسِ فَبِلِي زِيٍّ وَاحِدٍ ، لَا تَكَادُ تَتَفَاوَتُ الْعِبَائِمُ وَالْجَبَابُ وَلَا يَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاخُ وَالْوَقَافُونَ

والجند إلا بشيء واحد لا يكاد يظهر ولا يبين وهو صغر العائم وضيق القماش، ولباس عامة أهل أفريقية من الجوخ ومن الثياب الصوف ومن الأثنية ومن الثياب القطن،^(١) فمن لبس غير هذا مما يطلب من طرائف الاسكندرية والعراق كان نادرا شاذًا.

الجملة الرابعة عشرة

(في شعار الملوك بما يتعلق بهذا السلطان)

قل في "مسالك الأبصار" : عن ابن القويح أن له علما أبيض يسمى العلم المنصور، يُحمل معه في المواكب، وذكر أن الأعلام التي تحمل معه في المواكب سبعة أعلام : الأوسط أبيض وإلى جانبه أحمر وأصفر وأخضر. قال : ولا أتحقق كيف ترتيبها وأن ذلك غير أعلام القبائل التي تسير معه فكل قبيلة علمٌ يمتاز به بما عليه من الكتابة، والكتابة مثل لا إله إلا الله، أو الملك لله، وما أشبه ذلك، وأن له الطبول والبوقات والتغير.

الجملة الخامسة عشرة

(في جلوس سلطان هذه المملكة في كل يوم)

قال ابن سعيد : عادة هذا السلطان في مدينة مملكته تونس : أنه يخرج باكر كل يوم إلى موضع يُعرف بالمندوسة، ويبعث خادما صغيرا يستدعي وزير الجند من موضعه المعين له، فيدخل عليه رافعا صوته "بسلام عليكم" عن بُعد من غير أن يُوجي برأسه، ولا يقوم له السلطان، فيجلس بين يدي السلطان، ويسأله السلطان عما يتعلق بأمور الجند والحروب، ثم يأمره باستدعاء من يريد من أشياخ الجند

(١) الزيادة من القسطة الأزهرية وهي في "مسالك الأبصار" أيضا.

أو العرب أو من له تعلق بوزير الجند؛ ثم يأمر باستدعاء وزير المال وهو المعروف بصاحب الأشغال فيأتي معه ويُسلِّمان جميعاً من بُعد على السلطان، وإن كان قد تقدم سلام وزير الجند؛ ثم يتقدم وزير المال إلى ما بين يدي السلطان ويتأخرو وزير الجند إلى مكان لا يسمع فيه حديثهما؛ ثم يخرج وزير المال ويستدعي من يتعلق به؛ ثم يحضر صاحب الطعام بطعام الجند ويعرضه على وزيرهم لئلا يكون فيه قصير؛ ثم يقوم السلطان من المدرسة إلى موضع مخصوص ويستدعي وزير الفضل وهو كاتب السر، ويسأله عن الكتب الواردة من البلاد، وعما تحتاج خزانه الكتب إليه، وعما يجمد في الحاضرة وفي البلاد مما يتعلق بأرباب العلم وسائر فنون الفضل والقضاة، ويأمر باستدعاء من يختصه من الكتاب ويخبر عليه وزير الفضل ما أمر بكاتبته، ويعلم عليه وزير الفضل بخطه؛ ثم يستدعي السلطان من شاء من العلماء والفضلاء ويتحاضرون محاضرة خفيفة. وإن كان وزير الفضل قد رفع قصيدة لشاعر وإفد أو مرتب في معنى استجد، أمره السلطان بقراءتها عليه، أو يأمر بحضور الشاعر ليشدها قائماً أو قاعداً بحسب ما يختص به رتبته، ويتكلم السلطان مع وزير الفضل ومن حضر من الفضلاء في ذلك ويكتب على كل قصيدة بما يراه.

الجملة السادسة عشرة

(في جلوسه للظالم)

قال الشيخ شرف الدين عيسى الزاوي: إذا جلس السلطان جلس حوله ثلاثة من كبار أشياخ الموحدين للرأي والمشورة، ويجلس معهم وزير الجند إن كان كبيراً، وإن لم يكن كبيراً وقف بإزاء أولئك الثلاثة، ويجلس دونهم عشرة من أكابر أشياخه، وربما كان الثلاثة المختصون بالرأي من جملة العشرة المذكورين؛ ويقف

نحسون وفاقاً وراء وزير الجند . فإذا أمر السلطان بأمر بلغه وزير الجند لا تخر
واقف وراءه ، وبلغه الآخر لا تخر ، وبلغه الآخر لا تخر حتى يتهيأ إلى من هو خارج
الباب بنقل ناس عن ناس ؛ ويقف دون الخمسين المذكورين جماعة تسمى
بالوقافين بأيديهم السيوف حوله ، وهم دون الخمسين المذكورين في الرتبة . وقد ذكر
أبن سعيد : أن يوم السبت مخصوص عنده بأن يقعد في قبة كبيرة في القصبه :
وهي القلعة ، ويحضر عنده أعيان دولته وأقاربه والأشياخ ؛ ويجلس أقاربه عن
جانبه الأيمن ، والأشياخ عن جانبه الأيسر ؛ ويجلس بين يديه وزير الجند ، ووزير
المال ، وصاحب الشرطة ، والمحاسب ، وصاحب كُتب المظالم : وهو الموقَّع على
القصاص . ويقرأ الكاتب المعين موقَّع له على قصص المظالم ، ويرد كل ما يتعلق
بوظيفة إلى رب تلك الوظيفة ويتقدُّ الباقي .

الجملة السابعة عشرة

(في خروجه لصلاة الجمعة)

قال ابن سعيد : من عادة السلطان بأفريقية أنه لا يجتمع يوم الجمعة بأحد ،
بل يخرج عند ما ينادى المنادى بالصلاة ؛ ويسبق رحبة قصره ما بين خواص من
المالِك الأتراك ، فعند ما يُعانيونه ينادون "سلام عليكم" نداءً عالياً على صوت
واحد يسمعه من يكون بالمسجد الجامع ، ثم يتقدمه وزير الجند بين يديه في ساباط
يخرج هناك للجامع ، عليه بابٌ مُهَب سلطاني ؛ ويسبق الوزير يفتح الباب ،
ويخرج منه السلطان وحده ، ويخرج له جماعة الوقافين من أعيان الدولة فلا يقوم
له في الجامع غيرهم ؛ وليس له مقصورةٌ مخصوصة للصلاة . فإذا انفصل عن الصلاة
قعد في قبة كبيرة له في صدر الرحبة وحضر عنده أقاربه ، ثم يدخل قصره .

الجملة الثامنة عشرة

(في رُكوبه لصلاة العِيدين أو للسَّفر)

قال القاضي شرف الدين عيسى الزَّواوي : وعادته في ذلك أن يركب السلطان، وعن يمينه فارس وعن يساره فارس من أكابر أشياخه من العشرة المقدم ذكرهم، ويمشي إلى جانبه رجلان مقلدان سيفين رجالة إلى جانبه : أحدهما ممسك بركابه الأيمن، والثاني ممسك بركابه الأيسر، ويلهما جماعة رجالة من أكابر دولته : مثل الثلاثة أصحاب الراي، والعشرة الذين يلونهم، ومن يحري مجراهم من أعيان الحندين، وتسمى هذه الجماعة ايزبان، يمشون حوله بالسيف وبايديهم عكا كيز. قال : وربما مشى في هؤلاء قاضي الجماعة : وهو قاضي القضاة . وأمام هؤلاء الجماعة المشائين نفر كبير من الموحدين أقارب السلطان بسيف ومزاريق، ويسمون بالمشائين . وقلناهم جماعة يقال لهم جفاوة : وهم عبيد سود بايديهم حراب في رؤوسها رايات من حرير، وهم لا يسون جيابا بيضا مقلدون بالسيف . وأمام هؤلاء قوم يعبّر عنهم بعبيد الخزن، وهم عوام البلد وأهل الأسواق، وبايديهم الدرق والسيف، ومعهم العلم الأبيض المسحى بالعلم المنصور المتقدم ذكره في شعار السلطنة .

وعادتهم أن ينادي فيهم ليلة العيد أو رُكوب السلطان لسفر، فيخرج أهل كل صناعة بظاهر البلد، ويكون خلف السلطان صاحبُ العلامات، وهو أمير علم راجب، ووراءه أعلام القبائل، ووراء الأعلام الطبول والبوقات، وخلفهم محرّكو الساقة الذين هم بمثابة النقباء وبايديهم العصي يرتبون العساكر، وخلف هؤلاء المسكر . والفارس الذي عن يمين السلطان إليه أمر دق الطبول يقول : دق فلان باسم كبيرهم، ويستمر من حول السلطان من المشاة يمشون ثم يركبون، ويطيف

بالسلطان جماعة يقرعون حزبا من القرآن الكريم . ثم يقف السلطان ويدعو ويؤمن
وزيرا الجند على دعائه ، ويؤمن الناس على تأمينه ، ويحشد الناس والسلطان السير . فإن
كانوا في فضاء كان مشيهم على هذا الترتيب ، وإن ضاق بهم الطريق مشوا كيف جاء
على غير ترتيب إلا أن الجند لا يتقدمون على السلطان . فإذا قربوا من المنزلة وقف
السلطان ودعا وأمن على دعائه كما تقدم . وإن كان في صلاة العيد ذهب في طريق
وعاد في أخرى .

الجملة التاسعة عشرة (في خروج السلطان للتتة)

قد تقدم في الكلام على مدينة تونس أنها على طرف بحيرة خارجية من البحر
الرومي تحديق بها الإنسان من كل جانب ، وفي تلك البحيرة جزيرة يقال لها سكة
لاماكن بها ربما ركب السلطان في السفن وصار إليها في زمن الربيع ، وتضرب
بها أخية ويقيم بها للتتة أياما ثم يعود . على أنه لا ماء فيها ولا مرعى ، ولكن
لما تشرف عليه من البساتين المستديرة بتلك البحيرة وما قبلها من الحواشق المشرفة
ومنظر البحر . وقد ذكر ابن سعيد : أنه ربما خرج إلى بستانه ، فيخرج في نحو
مائتي فارس من الشباب المعروفين بالصبيان الذين هم بمثابة المالك الكناية
بالديار المصرية ، يوصلونه إلى البستان ويرجعون ، ويبقى وزراؤه الثلاثة توابا له .
وكل ما تجدد عند كل واحد منهم من الأمر طالعه به وجاوبهم بما يراه . قال
في "مسالك الأبصار" : وركوبه إلى البستان في زقاق من قصبته إلى البستان ،
محبوب بالحيطان لا يراه فيه أحد .

الجملة العشرون

(في مكاتبات السلطان)

قال في "مسالك الأبصار" : قال ابن سعيد : قال العلامة أبو عبد الله بن القويّع : إن هذا السلطان لا يعلم على شيء يكتب عنه ، وإنما يعلم عنه في الأمور البكار صاحب العلامة الكبرى ، وهو كاتب السر في الغالب ، والعلامة "الحمد لله" أو "الشكر لله" بعد البسملة . قال : ومن خاصية كتب هذا السلطان أن تكتب في ورق أصفر ، ومن عاداته وطاعة سائر المغاربة أن لا يطيلوا في الكتب ولا يباعدوا بين السطور كما يفعل في مصر وما ضاهاها : أما في الأمور الصغار فإنما تكون الكتابة فيها عن وزير الجند ، ويكتب عليها صاحب العلامة الصغرى آثم وزير الجند ، وتكون هذه الكتب في غير الورق الأصفر .

الجملة الحادية والعشرون

(في البريد المقرر في هذه المملكة)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" : أنه إذا كتب كتاب إلى نواحى هذه المملكة ليوصل إلى بعض نواحيها ، جهّز مع من يقع الاختيار عليه من القباء أو الوصفان : وهم عبيد السلطان ، ويركب على بئر إما ملك له أو مستعار ويسافر عليه إلى تلك الجهة . فإن أعياناً في مكان تركه عند الوالى بذلك المكان وأخذ منه بئلاً عوضه ، إما من جهة الوالى أو يستخره له من الرعايا ، إلى أن ينتهي إلى جهة قصده ثم يعود كذلك .

الجملة الثانية والعشرون

(في الحَلَم والتَّشَارِيف في هذه المملكة)

قال القاضي أبو القاسم بن بَنُون : ليس من عادة سلطان أفريقية إلباس مَنْ وَلَّى ولاية خِلعة كما في مصر ، وإنما هي كُسوة : وهو قميص غير مُقَصَّل يتصرف فيه كيف شاء .

المملكة الثانية

(من ممالك بلاد المغرب مملكة تِلْإَسَان)

وهي مملكة الغرب الأوسط . وفيها جملتان :

الجملة الأولى

(في ذكر حُدُودها ، وقاعدتها ، وما أشتملت عليه من المُدن ،

والطريق الموصلة إليها)

أما حُدُودها ، فحُدُودها من الشرق حُدُود مملكة أفريقية وما أُضيف إليها من جهة الغرب ؛ وحُدُودها من الشمال البحر الرومي ؛ وحُدُودها من الغرب حُدُود مملكة فاس الآتي ذكرها من الشرق ؛ وحُدُودها من جهة الجنوب المَقَاوِزُ الفاصلةُ بين بلاد المغرب وبلاد السودان . وذكر في " العبر " : أن حُدُودها من جهة الغرب من وادي مَلَوِيَّة الفاصل بينها وبين الغرب الأقصى إلى وادي مَجْمَع في جهة الشرق الفاصل بينها وبين أفريقية .



وأما قاعدتها ، فمَدِينَةُ (تِلْإَسَان) بكسر المنة من فوق واللام وسكون الميم وفتح السين المهملة وألف ونون . وهي مدينة من الغرب الأوسط . وقال

في "تقويم البلدان": من الغرب الأقصى متاحة للغرب الأوسط شرقاً فاس بميلة إلى الشمال . وموضها في أوائل الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول أربع عشرة درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة واثنتا عشرة دقيقة . وهي مدينة في سفح جبل ، ولها ثلاثة عشر باباً ، وماؤها مجلوب من عين على ستة أميال منها ، وفي خارجها أنهار وأشجار ، ويستدير قبيلها وشرقها نهري يصب في بركة عظيمة من آثار الأول ، ويُسمع لوقعه فيها خرير على مسافة ، ثم يصب في نهر آخر بعد ما يمر على البساتين ، ثم يصب في البحر ، وعليه أرحاء دائرة تدخل فيه السفن اللطاف حيث يصب في البحر ، وبقيتها شريفة كثيرة المرافق . ولها حصون كثيرة وفرض طيبة .

منها (هتين) و(وهران) و(مستغانم) . فهتين تقابل المرية من الأندلس ووهران في شرقي تلمسان بشمال قليل ، على مسيرة يوم من تلمسان ، ومستغانم تقابل دائية من الأندلس ، وعرض البحر بينهما ثلاث مجار ونصف مجرى . قال الإدريسي في "كتاب رجاء" : وبها آثار الأول ، ولها أسواق ضخمة ومساجد جامعة . قال في "مسالك الأبصار" : وهي على ما بلغ حد التواتر أنها في غاية المنعة والحصانة مع أنها في وطأة من الأرض ولكنها محصنة البناء . وبلغ من حصانتها أن أبا يعقوب المريخي صاحب فاس حاصرها عشر سنين ، وبني عليها مدينة مماها فاس الجديدة وأعجزه فتحها ولها ثلاثة أسوار ، ومن جهة القصبه وهي اتلعة متأسوار ، وبها أنهار وأشجار ، وبها شجر الحوز على كثرة ، ومشمشها يقارب في الحسن مشمش دسوق . قال في "مسالك الأبصار" : زكية الزرع والضرع ، وقصيدها تجار الآفاق للتجارة . قال : ويطول مكث المخزونات فيها حتى إنه ربما مكث القمح والشعير في مخازنها ست سنين ثم يخرج بعد ذلك فيزرع فيبث .



وأما مُدُنُهَا الداخلة في مملكتها، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن لها ثمانَ عشرةَ مدينةً : وهي تلمسان، وجده، ومدْيونة، وتَدْرُومَة، وهَمَّين، ووَهْران، وتيمزغزات، وبرسك، وشرشال، وتونت، ومستغفم، وتَنَس، والجزائر، والقَصَبات، ومامزونة، وتاجحجت، ومليانة، والمريّة .



وأما الطريق الموصول إليها، فقد تقدّم في الكلام على مملكة تُونُس الطريق من الديار المصرية إلى تُونُس . وقد ذكر في "الذيل على الكامل" أن من تُونُس إلى باجّة، ومنها إلى تغريه وهي آخر بلاد أفريقية، ومنها إلى قُسْطَينَة وهي أول بلاد بجاية، ومنها إلى أول بلاد تلمسان، ومنها إلى قُلَيْدَة، ومنها إلى البقيّة، ومنها إلى تلمسان .

الجملة الثانية

(في حال مملكتها)

لم أقف على شيء من ترتيب مملكتها، والظاهر أنها تشبه مملكة تُونُس في الحال والترتيب أو قريب من ذلك . فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن بجاية ثانية تُونُس في الرتبة والحال، والموجودات، والمعاملات . وقد تقدّم أن بجاية من الزرب الاوسط، فتكون تلمسان في معناها، وإن وقعت مخالفة في ترتيب المملكة فإنما تكون في القدر اليسير . قال في "مسالك الأبصار" وهي مملكة كبيرة، وسلطنة جاليلة، قريب الثلاثين من مملكة برّ العنوة . وهي وسبعة المدي، كثيرة الخيرات، ذات حاضرة وبادية، وبرّ وبحر .

المللعة الثالثة

(من بلاد المغرب — الغرب الأقصى ،
ويقال له بر العنوة ، وفيه ثلاثة مقاصد)

المقصد الأول

(في بيان موقعها من الأقاليم السبعة وذكر حدودها
وما أشتملت عليه من المدن والجبال المشهورة . وفيه أربع جمل)

الجملة الأولى

(في بيان موقعها من الأقاليم السبعة)

فوقها في الإقليم الثالث كما في مملكة تونس ، وبعضها في الإقليم الثاني ، وبعضها
في أوائل الإقليم الرابع على ما سيأتي ذكره .

وأما حدودها . فقد ذكر صاحب "العبر" : أنه من مدينة آسني حاضرة البحر
المحيط إلى وادي ملوية ومدينة تازا من جهة الشرق ، يحيط به البحر المحيط من جهة
الغرب ؛ وجبال درن وما يليها من جنوبية ، وجبال تازا من شرقية ، والبحر الرومي
من شمالية . ثم قال : وهو ديار المصامدة وغيرهم من البربر . وذكر في "مسالك
الأبصار" قلا عن أبي عبد الله محمد بن محمد السلاحي ^(١) : أن حتما من الجنوب
الصحراء الكبيرة الآخذة من بلاد البربر إلى جنوب أفريقيا ؛ ومن الشرق جزائري
مرغانة وما هو آخذ على حتما إلى الصحراء الكبيرة ؛ ومن الشمال البحر الشامي ؛
ومن الغرب البحر المحيط .

(١) في المسالك اللالحي ، وقد تكرر .

وحكى عنه : أن طُول هذه المملكة من جزائري مَرَّغَانَّةَ ، وهي جزائري مَرَّغَانَّانِ
المقدم ذكرها في بلاد بِجَايَّةَ من مملكة تُوس إلى البحر المحيط ، وعرضها من بحر
الرُّقَّاق بِسَبْتَةَ إلى نهاية بلاد البربر المتَّصِلَةِ بالصحراء الفاصلة بين هذه المملكة وبين
بلاد السودان ثلاثون يوما .

الجملة الثانية

(في بيان قواعدها وما أشتملت عليه هذه المملكة)

من الأعمال وما أنطوت عليه من المُنْدَن)

أما قواعدها الخمس : ^(١)

القاعدة الأولى

(فاس)

بفتح الفاء ثم ألف وسين مهملة . وهي مدينة بالغرب الأقصى ، واقعة في آخر
الإقليم الثالث من الإقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول عَشْرُ دَرَجٍ وخمسون
دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . قال : وبميت فاس لأنهم لما شرعوا
في حفر أساسها ، وجدوا فأسا في موضع الحفر . قال في "تقويم البلدان" : وهي
مدينتان يَشُقُّ بينهما نهر . الأولى (فاس القديمة) والمياه تجري بأسواقها وديارها
وحماماتها ، حتى يقال إنه ليس بالْمَشْرِقِ ولا بِالْمَغْرِبِ مدينةٌ تُضاهيها في ذلك ؛
إلا أن أرضها ذاتُ ارتفاع وانخفاض ، وفيها عِدَّةُ عيون . قال أبو عبد الله العسلي :
عنتها ثلثمائة وستون عينا . قال ابن سعيد : لم أَرَقَطُ حَمَامَاتٍ في داخلها عين تَبْعُ
إلا في فاس . قال : وهي أَكْثَرُ مِيَاهَا من دِمَشْق . قال ابن سعيد في "المغرب"

(١) لم يذكر إلا أربعة .

وهي مدينتان : إحداهما بناها إندريس بن عبد الله : أحد خلفاء الأدارسة بالمغرب ،
وتُعرف بـعُنوة الأندلس . والأخرى بنيت بعدها وتعرف بعُنوة القرويين . قال
في "الروض المطار" : وكان بناء عُنوة الأندلسيين في سنة اثنتين وتسعين ومائة ،
وبناء عُنوة القرويين في سنة ثلاث وتسعين ومائة . وعُنوة القرويين أكثر عيوناً
وبساتين وأشجاراً من عُنوة الأندلسيين . ورجال عُنوة الأندلسيين أشجع .
ورجال عُنوة القرويين أجمل . ونساء عُنوة الأندلسيين أجمل . وبُعنة الأندلسيين
تُفاح حسن طيب الطعم يُعرف بالطرابُلسي لا يُفْلَح بعُنوة القرويين . وبُعنة
القرويين أترج حسن لا يُفْلَح بعُنوة الأندلسيين مع التقارب على صفة النهر الغربية ؛
وهي في مستوى من الأرض ، وهي في علو لا يحكم النهر عليها . والثانية (فاس الجديدة)
وهي ثلاث مُدُن بناها آباء ملوكها القاطنين بها الآن حين ملكوا الغرب الأقصى .
ولما نزلوها بنوا معها ثلاث مُدُن على صفة النهر الغربية .

أولها (المدينة البيضاء) وتُعرف بالجديدة . بناها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق
أول من استقل بالملك بعد الموحدين .

الثانية (مدينة حمص) ويُعرف موضعها بالملاح . بناها ولده أبو سعيد : عثمان
ابن أبي يوسف إلى جانب المدينة البيضاء المقدم ذكرها .

الثالثة (ربض النصارى) وهي المتخذة لسكنى النصارى من الفرج المستخمين
بخدمة السلطان . وهذه المتجندات الثلاث على صفة النهر الغربية : فربض النصارى
يقابل فاس القديمة على بُعد من صفة النهر . والبيضاء وهي فاس الجديدة آخذة من
شمالاً ربض النصارى إلى صفة النهر . وأول عمارة فاس الجديدة آخر عمارة فاس
العتيقة . وحمص رابكة على النهر بشمال على جانب فاس الجديدة آخذة إلى ربض

النصارى، ينصب من الجنوب إلى الشمال، ثم ينعطف على زاوية آخذاً من الغرب إلى الشرق حتى يصير كأنه يتعذر من الغرب، ويخص على مجراه هناك؛ ثم يمر آخذاً إلى الشرق على حاله فوق فاس الجديدة . ثم ينعطف عليها بزاوية إلى الجنوب ثم ينعطف إلى الشرق جازاً بها، وهناك فاس العتيقة على الضفة الشمالية، والقصبه وهي القلعة بها في غربها مرتجلة على الأرض لا تتميز على المدينة برفعة ولا بناء عال، ويصير النهر مستديراً بفاس الجديدة من جانب الشمال على التجري المركب عليه حصص، ومن الشرق حيث أنعطف النهر عند فاس العتيقة .

قال في "مسالك الأبصار": وهذا النهر متوسط المقدار . عرضه في المكان المتسع نحو أربعين ذراعاً، وفي الضيق دون ذلك؛ وربما تضائق إلى خمسة عشر ذراعاً فما دونها؛ وعمقه في الغالب تقدير قامة رجل . وتقل في "مسالك الأبصار" عن ابن سعيد: أن نهرها يلاق وادي سبو، وهو من أعظم أنهار المغرب، يصب في البحر المحيط بين سلا وقصر عبد الكريم . قال في "تهويم البلدان" قال ابن سعيد: وعلى أنهارها داخل المدينة نحو ستمائة رحاً تدور بالماء دائماً . قال في "مسالك الأبصار": وعليها ناعورة ترفع الماء إلى بستان السلطان . وبناء فاس العتيقة بالأجر والجبال مكتنفة بها، وعلى كل من عتيقها وجديدها أسوار دائرة محصنة ذات بروج وبدانات، وجميع أبنيتها بالجمر والأجر والكلس موقفة البناء مشيدة الأركان . وتزيد فاس الجديدة على فاس العتيقة في الحصانة والمنعة؛ والعتيقة بسور واحد من الحجارة والجديدة بسورين من الطين المفرغ بالقالب من التراب والرمل والكلس المضروب وهو أشد من الحجر ولا تعمل فيه الحمايق ولا تؤثر فيه، وكذلك غالب أبنيتها، وموقوف جميعها الخشب وربما غشيت بعض السقوف بالقصدير والأصباغ الملونة،

(١) يؤخذ من عبارة ياتوت أن نهرها يعمق داخلها إلى أنهار طليبا من الأرحاء ذلك المقدار .

وأرض دور رؤسائها مفروشة بالزُّبَّج ، وهو نوع من الآجر مدھون بدهان ملون كالقاشاني بالأبيض والأسود والأزرق والأصفر والأخضر وما يركب من هذه الألوان وغالبه الأزرق الكمل وربما آتخذ منه الوزرات بمحيطان الدور؛ قال في "مسالك الأبصار" : وسألت السلاطحي عن مقدار عمارة فاس عتيقها وجديدها . فقال : تكون قدر ثلث مصر والقاهرة وحواضرهما . قال في "هجوم البلدان" ^(١) : وللادينين ثلاثة عشر باباً ، وفي القديمة خازنُ الفلال ، وهي مكان يستدير عليه سورٌ ينبع عليه بابٌ وغلق داخله المطامير ، وبفاس العتيقة داخل سورها جنانٌ ورياض ذات أشجار ورياحين في دور الكبراء وبُيُوت الأعيان . ثم قال : وبكل من فاس القديمة وفاس الجديدة المعروفة بالبيضاء وخص الجوامع والمساجد والمآذن والحمامات والأسواق . أما المدارس والخوانق والرُّبَط فما خلت حصانف أهل المغرب من أجورها إلا التَّزْر السَّير جداً . وبفاس العتيقة ماريستان ، ودور فاس بمجالس متقابلة على حَمْد من حجر أو آجر ورفارف تُطلُّ على صحن الدار ، وفي وسط صحن الدار بركة يصبُّ بها الماء ويبر عنها عندهم بالصَّهْرِيح ، ولهم عناية باتخاذ القباب في بيوتهم ، حتى يوجد في دار الكبير قُبتان فأكثر ، وحماماتهم صحن واحد لا خلاوى فيها ، ولذلك يتخذ غالب رؤسائهم الحمامات في بيوتهم ، فرارا من مخالطة العامة في الحمام .

قال ابن سعيد : ومدينة فاس متوسطة بين مُلْك الغرب ، بينها وبين مَرَّاكش عشرة أيام وبينها وبين تلمسان عشرة أيام ، وبينها وبين سبتة عشرة أيام ، وبينها

(١) الزيادة من القطعة الأزهريّة .

(٢) أى ينسكب بها وصب يكون لازماً ومتدياً إلا أن اللازم من باب ضرب والمتصلى من باب نصر كما نص عليه في تاج العروس والمصباح

(٣) مراده أن حماماتها ليس بها حجر فخرها . وقد جرى العامة في جمع الخلوة على خلاوى .

وبين سلجاسة عشرة أيام . قال في "مسالك الأبصار" . ولذلك صَلَّحت أن تكون قاعدة الملك . وهى تشبه الإسكندرية في المحافظة على علوم الشريعة وتغيير المنكر والقيام بالناموس ، وتُسَبَّه بِمَشَقِّ في البسائين .

وقد ذكر ابن مُنَقِّذ : رسول السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" إلى بلاد المغرب : أنهم أخرجوا إلى بستانٍ بقاس يقال له البحيرة متحصِّله في كل سنة خمسة وأربعون ألف دينار ، وبه بركةٌ تزرع كل جانب منها مائتان وستة عشر ذراعا ، يكون دورها ثمانمائة ذراع وأربعة وستين ذراعا . قال : وبها ما هو أكبر من ذلك . قال في "تقويم البلدان" : وأهلها مخصووصون برعاية العيش . قال في "مسالك الأبصار" : ولأهلها حُسن المصنعة في المخروطات من الخشب والنحاس . قال أبو عبد الله السلايمي : ولكنها وَخمة ثقيلة الماء ، تعلو وجوه سُكَّانها صفرةً ، وتُحَدِّث في أجسادهم كَسَلاً وقُتورا .

القاعدة الثانية

(سَبْتَة)

قال في "تقويم البلدان" : بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة وتاء مثناة فوق وهاء في الآخر . قال في "الروض المعطار" : والنسبة إليها سَبْتِي بكسر السين . وهى في دَخَلَة في البحر . قال في "تقويم البلدان" : وهى مدينة بين بحرَيْن : بين البحر المحيط وبحر الرُّوم . ومَدَّخلها من جهة المغرب وهو مَدَّخل صَبِّق ، والبحر محيطٌ بِأَكْثَرِها ، ولو شاء أهلها لوصلوا البحرَ حَوَلاً وجعلوها جزيرة . ولها أسوار عظيمة من الصخر ، وعليها أبراج كثيرة ، والماء يُجَلَّب إليها في الشواني حتى للجُمَامات

التي بها ، وبها صهاريج من ماء المطر . ويقال إنها أول ما بنى ببر العدوة . قال في "الروض المطار" : وهي سبعة أجبل صغار متصلة بعضها ببعض معمورة ، طولها من الغرب إلى الشرق نحو ميل . وقال في "مسالك الأبصار" : طولها من السور الغربي المحيط ببيتها إلى آخر الجزيرة خمسة أميال . قال في "الروض المطار" : ولها بابان من جهة البر ، ويتصل بها على ميلين من جهة الغرب جبل يعرف بجبل موسى ، وهو موسى بن نصير الذي فتح الأندلس ، ويجاوره بساتين وأشجار وقرى كثيرة ؛ وهناك زرع قصب السكر ويجعل إلى ما جاورها من البلدان ؛ ولها نهر عذب في البحر ، وكان بها كنيسة جعلت جامعا ؛ وبها يستخرج من البحر شجر المرجان الذي لا يبدله مرجان . ويقال لها من الأندلس الجزيرة الخضراء وبحر الروم بينهما ضيق ، حتى إنه إذا كان الصحو ريثت إحداها من الأخرى ، ولذلك يسمى بحرها بحر الرقاق ، ومينائها شرقها ، وظالم طرف الدنيا موجودة فيها ؛ والحيطة مجلوبة إليها إذ لا يزكو نباتها فيها ، ويصاد بها أسماك مختلفة على نحو مائة نوع . ويقال (١) هذه المدينة من بر الأندلس الجزيرة الخضراء .

وكانت هذه المدينة قاعدة لهذا القطر قبل الإسلام ، وهي يومئذ ديار ثمارة من المصامدة ، والحاكم عليها ملك الأندلس من القوط ، وكان ملك ثمارة بها في زمن الفتح يقال له يليان ، ولما زحف إليه موسى بن نصير المذكور أمير أفريقية في زمن الفتح جاء معه بالهدايا ، وأذعن لأداء الجزية فأقره عليها ، وأستقرن ابنه وأبناء قومه ، وأزل طارق بن زياد بكنجة بالساكر إلى أن أجاز البحر لفتح الأندلس كما سيأتي في الكلام على مكتبة صاحب الأندلس .

(١) قدمت هذه الجملة بمناها قاتياتها سهو .

ولما هلك يُلَيَّانُ استولى المسلمون من العرب على مدينة سَبْتَةَ بالصُّلَح من أهلها فعمروها إلى أن كانت قنّة ميسرة الخفير وما دحا إليه من مذهب الخوارج وأخذ به الكثير من البربر من غمارة وغيرهم ، فزحف براءة طَنْجَة إلى سَبْتَةَ فأنحروا العرب منها وتربوها ، وبقيت خالية إلى أن عمّرها ما جكس من وجوه غمارة من البربر وبنهاها وأسلم وصحب أهل العلم ، فوجع الناس إليها ومات .

فقام بأمره من بعده أبنة (عصام) فأقام بها زمنا إلى أن مات .
فولى بعده أبنة (مجير) فأقام بها إلى أن مات .

فوليا أخوه (الرضى) ويقال أبنة ، وكانوا يُعطون الطاعة لبني إدريس من العلوية ملوك فاس ؛ ولما سَمّا الناصر الأمويّ صاحب الأندلس إلى ملك المغرب وتناول أكثره من يد الأدارسية ببلاد غمارة وغيرها حين أخرجوا من فاس وقاموا بدعوة الناصر في جميع أعمالهم ، نزلوا للناصر عن سَبْتَةَ ، فبعث إليها العساكر فاترحها من يد الرضى بن عصام سنة تسع عشرة وثلاثمائة ؛ وأنقض أمر بني عصام وصارت سَبْتَةُ للناصر ومن بعده من بني أمية خلفاء الأندلس . وكان على والقاسم أبنا حمود بن ميمون ، بن أحمد ، بن عليّ ، بن عبيد الله ، بن عمرو ، بن إدريس العلويّ قد لحقا بالأندلس لما أخرج المستنصر الأمويّ الأدارسة من المغرب ، وبقيّا بالأندلس إلى أن كانت أيام المستعين سليمان بن الحكم فاختص بقاسم وعليّ ابني حمود ، وعقد عليّ بن حمود على طنجة وأعمال غمارة فترها ، ثم خرج عن طاعته ودحا لنفسه ، وعاد إلى الأندلس وولى الخلافة بقرطبة كما سيأتي في مكالبة صاحب الأندلس ، وولى على عمله بطَنْجَة أبنة يحيى بن عليّ .

ثم أجاز يحيى بعد موت أبيه إلى الأندلس وأستقل أخوه إدريس بن عليّ بولاية طنجة وسائر أعمال أبيه من مواطن غمارة .

ثم أجاز إلى الأندلس بعد مهلك أخيه يحيى ، وعقد الحسن ابن أخيه يحيى على عملهم بسبته وطنجة وأرسل معه نجبا الخادم لتدبير دولته .
ثم أجاز (نجبا) الخادم إلى الأندلس ومعه حسن بن يحيى المذكور ؛ ثم عقد حسن لنجبا الخادم على عملهم في بلاد غمارة .

فلما هلك حسن بالأندلس ، أجاز (نجبا) إلى الأندلس واستخلف على العمل من وثق به من الموالى الصقالبة ، واستمرت في الموالى واحدا بعد آخر إلى أن استقل بسبته وطنجة من موالى بنى حمود الحاجب (سكوت البرغوطي) فاستقل بسبته وطنجة وأطاعته قبائل غمارة ، وأتصلت أيامه إلى أن كانت دولة المرابطين ، وطلب أمير المسامين « يوسف بن تاشفين » على مغراوة فاس ، ومار إلى بلاد غمارة ونازل سكوت الحاجب ، وكانت بينهما واقعة قتل فيها سكوت ، ولحق ضياء الدولة ابن سكوت بسبته فأقام بها إلى أن نازله المعز بن يوسف بن تاشفين بها فقبض عليه ثم قتله ، وأقرضت دولة بنى حمود من بلاد غمارة وصارت في ملك المرابطين إلى أن فتح بنو عبد المؤمن من الموحدين مرأش ، فدخل أهل سبته وسائر غمارة في طاعتهم ، وأقامت على ذلك إلى أن ضعفت دولة بنى عبد المؤمن : ثار في غمارة محمد بن محمد اللثامى المعروف بأبى الطواجن ، وكان له يد في السيمياء ، وأرتحل إلى سبته فقتل عليها وأدعى النبوة وأظهر أنواعا من السيمياء فاتبعه جماعة ، ثم ظهر لهم حقيقة أمره فرجحوا عنه ، وقتله بعض البربرغيلة ، إلى أن كانت أيام بنى مرين وظلهم على بلاد المغرب فامتنت عليهم سبته ، وقام بأمرها الفقيه أبو القاسم العزفى من مشيختها فبقيت بيده ويد يده إلى أن ملكها منهم بنو مرين سنة تسع وعشرين وسبعمائة في أيام السلطان أبى الحسن ، فصارت تابعة لفاس دار ملك بنى مرين جارية في يد ملوكها ، وهى باقية بأيديهم إلى زماننا بعد العشر والشامائة .

القاعدة الثالثة

(مدينة مراكش)

بفتح الميم وتشديد الراء المهملة وفتحها وألف ساكنة ثم كاف ثم شين معجمة .
وهي مدينة واقعة في أول الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث
الطول إحدى عشرة درجة ، والعرض تسع وعشرون درجة . بناها أمير المسلمين
« يوسف بن تاشفين » ملك المرابطين في أرض صحراوية ، وجلب إليها المياه .
قال ابن سعيد : وأول ما بُني بها القصر المعروف (بقصر الخجر) ثم بُني الناس حوله ؛
ثم زادها يعقوب بن عبد المؤمن ، وكبرها وبصرها ، وفخمها وتختمها ؛ وجلب إليها
المياه والغراس . قال في « هويم البلدان » : ودورها سبعة أميال ، ولها سبعة عشر
بابا . قال في « الروض المطار » : وبني سورها علي بن يوسف بن تاشفين في سنة
ست وعشرين وخمسمائة ، وقيل سنة أربع عشرة وخمسمائة . قال : وطولها
مائة وعشرون ميلا ، وعرضها قريب من ذلك ؛ وهي في وطأة من الأرض ليس
حولها جبال إلا جبل صغير منه قُطِع الخجر الذي بُني منه علي بن يوسف بن
تاشفين قصره ؛ وطأة بناها بالطين والطوب .

قال ابن سعيد : وهي مما سبكتُ بها وعرقها ظاهرا وباطنا ، ولا أرى عبارة
تفي بما تحتوي عليه ، ويكفي أن كل قصر من قُصورها مستقل بالديار والبساتين
والحمام والإسطبلات والمياه ، وغير ذلك حتى إن الرئيس منهم يُنلق بأبه على
جميع خوله وأقاربه وما يحتاج إليه ، ولا يخرج من بابه إلى خارج داره لحاجة
يحتاجها ، ولا يشتري شيئا من السوق لما كَل ، ولا يُقرئ أولاده في مكتب ،
ويخرج من بابه راجعا فلا تقع عليه العين راجلا . قال : ولا أدري كيف أصل إلى

غاية من الوصف اصِفْ بها ترتيب هذه المدينة المُحدثة ؟ فإنها من عجائب هِمَّات
السلطين ، ذات أسوار ضخمة وأبواب عالية .

وبظاھرھا مدينة آخططھا المنصور "يعقوب بن عبدالمؤمن" له ولخواصه تعرف
بتمازكاكش ، وبها قصر الخلافة الذى بناه به دور عظيمة ؛ وبها بستان يعرف بالبحيرة
طوله اثنا عشر ميلا ، به بركة عظيمة لم يعمل مثلها قال المقل : طولها ثلثمائة
وثمانون باءا ، على جانبها الواحد أربعمائة شجرة نارنج ، بين كل اثنتين منها ليمونة
أو زينة . وهى أكثر بلاد الغرب بساتين ، وشجرها أكثر منها ، وبساتينها
تسمى بالثار وبنارها قرية الرشاء على نحو قاتين من وجه الأرض ؛ وهى كثيرة
الزروع والضرع ؛ وبها دار الضيافة المعروفة بدار الكرامة . وفيها يقول محمد بن
محمد البربرى من أبيات يمدحهم ويصفها :

خَيْرُ قَوْمٍ دُعُوا إِلَى خَيْرِ دَارٍ ، * هِىَ لِلْمَلِكِ نَصْرَةٌ وَجَمَاعَةٌ

عَالَمُ السَّبْعَةِ الْأَمَلِيمِ فِيهَا ، * وَهُمْ فِي فِتْنَتِهَا كَالْقَلَامَةِ

وبمراكش جامع جليل يعرف بالكُتَيْبِيين ، طوله مائة وعشرة أذرع ، وعلى بابيه
ساعات مرتفعة فى الهواء خمسين ذراعا ، كان يرمى فيها عند انقضاء كل ساعة
صنجة زيتها مائة درهم ، تتحرك لتروى أجراس تُسمع على بُعد ، تسمى عندهم
بالبحانة . قال فى "تقويم البلدان" : إلا أنَّ الناس أكثرُوا فيها البساتين فكثُر
وتعَمُّها . قال فى "الروض المبطار" : وقد حباها أبو القاسم بن أبى عبد الله محمد
أبن أيوب بن نوح النافق من أهل بلنسية بأبيات أبلغ فى ذمها ، فقال :

مَرَّ أَكْثَرُ إِن سَأَلْتَ عَنْهَا ، * فَإِنَّهَا فِي الْبِلَادِ عَارًا

هَوَّأَتْهَا فِي الشِّتَاءِ طَلَجٌ ، * وَحَرَّهَا فِي الْمَصِيفِ نَارًا

وكل ما تم وهو خير * من أهلها عقرب وفار!

فإن أكن قد مَحَتْ فيها ، * فإن مكثي بها اضطراباً!

وكانت هذه المدينة دار ملك المرابطين من الملتئمين الذين ملكوا بعدني زيري ،
ثم الموحدين من بعدهم . قال ابن سعيد : وبينها وبين فاس عشرة أيام . وقال
في "الروض المعطار" : نحو ثمانية أيام . قال : وبينها وبين جبال درف نحو
عشرين ميلاً .

القاعدة الرابعة

(بجلماسة)

بكر السنين المهملّة وكسر الجيم وسكون اللام وفتح الميم ثم ألف وسين مهملّة
مفتوحة وهاء في الآخر، وهى مدينة في جنوب الغرب الأقصى في آخر الإقليم الثانى
من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول ثلاث عشرة درجة وأثنان
وعشرون دقيقة والعرض ست وعشرون درجة وأربع وعشرون دقيقة .

وهى مدينة عظيمة إسلامية ، وبينها وبين البحر الرومى خمس عشرة مرحلة ،
وليس قبلها ولا غربها عمران ، وبينها وبين غانة من بلاد السودان مسيرة شهرين
في رمال وجبال قليلة المياه ، لا يدخلها إلا الإبل المصبرة على العطش . أخطأها
يزيد بن الأسود من موالى العرب ، وقيل : منذر بن عبد الله . وكان من أهل
الحديث ، يقال إنه لقي عكرمة مولى ابن عباس بأفريقية وسمع منه . وكان صاحب
ماشية ، وكان يتجّع موضع بجلماسة بالصحراء ليرعى به ماشيته ، فكان يجتمع إليه
أهل تلك الصحراء من مكلمة والبربر ، وكانوا يدينون بدين الصغرية من الخوارج ،

(١) كذا في الأصل وفى "البرج ج ٦ ص ١٣٠" عيسى بن يزيد الأسود .

فاجتمع عليه جماعة منهم فلما بلغوا أربعين رجلا قتموا عليهم يزيد بن الأسود وخلعوا طاعة الخلفاء ، وأختطوا هذه المدينة سنة أربعين ومائة من الهجرة . ولما آتينا عثربابا ، وهي كثيرة العارة ، كثيرة البساتين ، رائحة اليقاع ، ذات قصور ومنازل رفيعة وعمارات منصلة ، على نهر كثير الماء يأتي من جهة المشرق من الصحراء ، يزيد في الصيف كزيادة النيل ، ويزرع على مائه كما يزرع على ماء النيل ، والزرع عليه كثير الإصابة ، والمطر عندهم قليل : فإذا كانت السنة كثيرة الأمطار ، نبت لهم ما حصده في العام السابق من غير بذل ، وربما حصده عند تناسله وتركوا أصوله فتبت ثانيا . ويقال : يزرع بها عاما ويحصد ثلاثة أعوام ؛ وذلك أن أرضها مشقة ، وهي بلدة شديدة الحر فإذا يبس الزرع تناثر عند الحصاد ودخل في الشقوق ؛ فإذا كان العام الثاني وعلاه ماء النهر وخرج عنه حرثوه بلا بذل فينبت ما في الشقوق ، ويبقى كذلك ثلاث سنين .

وقد حكى ابن سعيد : أن هذا الزرع في السنة الأولى يكون قمحا ، وفي باقي السنين سلقا . وهو حب بين القمح والشعير . وبها الرطب ، والتمر ، والنب الكثير ، والفواكه الجمّة ؛ وليس فيها ذئاب ولا كلاب لأنهم يسمنونها ويأكلونها ؛ ولما يوجد فيها صبيح العينين ، ولا يوجد بها مجذوم ؛ ولما ثمانية أبواب من أى باب منها خرجت ترى النهر والخييل وغير ذلك من الشجر ، وطليها وطى جميع بساتينها حائط يمنع غارة العرب مساحتها أربعون ميلا ؛ وثمرها يفضل ثمر سائر بلاد المغرب ، حتى يقال : إنه يضاهي الثمر العراقي ؛ وأهلها مياسير ؛ ولما متاجر إلى بلاد السودان ، يخرجون إليها بالمالع والنحاس والودع ، ويرجعون منها بالذهب التبر . قال ابن سعيد : رأيت صكلا أحلهم على آتار مبلغة أربعون ألف دينار .

ولَمَّا قَتَلُوا عَلَيْهِم عَيْسَى بْنَ الْأَسْوَدِ الْمُقْتَمَ ذَكَرَهُ ، أَقَامَ عَلَيْهِمَ أَيَّامًا ثُمَّ قَتَلُوهُ سَنَةَ
خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ ، وَأَجْتَمَعُوا بَعْدَهُ عَلَى كِبَرِهِمْ (أَبِي الْقَاسِمِ شَمَكُو) ، بَنَ وَاسُولَ
أَبْنِ مَصْلَانٍ ، بَنَ أَبِي يَزُولَ ، بَنَ تَافَرَسِينَ ، بَنَ فَرَادِيسَ ، بَنَ وَنِيفَ ، بَنَ مَكْلَاسَ ،
أَبْنِ وَرِصْطَفَ ، بَنَ يَحْيَى ، بَنَ تَمَصِّيتَ ، بَنَ ضَرِيسَ ، بَنَ رَجِيكَ ، بَنَ مَادُغْشَ ،
أَبْنِ بَرَبَرٍ . كَانَ أَبُوهُ شَمَكُو مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَرْتَحَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ (عَلَى مَا كُنْهَا
أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ) فَادْرَكَ التَّابِعِينَ ، وَأَخَذَ مِنْ عِكْرَةِ مَوْلَى
أَبْنِ عَبَّاسٍ ، وَمَاتَ بِخَاتَمِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ لَثْنَتْ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ وَلايَتِهِ .

وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ عَلَى مَذْهَبِ الصُّبْرِيَّةِ ، وَخَطَبَ فِي عَمَلِهِ لِلنَّصُورِ وَالْمُهَدِيِّ مِنْ
خَلْفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ .

وَلَمَّا مَاتَ وَلَّى مَكَانَهُ ابْنُهُ (إِلْيَاسُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ) [وَكَانَ يُدْعَى بِالْوَزِيرِ
ثُمَّ انْتَقَضُوا عَلَيْهِ] سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ [خَفَلُوهُ] ^(١) .

وَوَلَّى مَكَانَهُ أَخُوهُ (الْيَسَعَ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ) وَكُنِيَّتُهُ أَبُو مَنْصُورٍ ، فَبَنَى سُورَ
بَيْطَلْمَاسَةَ ، وَشَيَّدَ بُيُنَانَهَا ، وَأَخْطَطَ بِهَا الْمَصَانِعَ وَالْقُصُورَ لِأَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ
وَلَايَتِهِ . وَعَلَى عَهْدِهِ اسْتَفْضَلَ مُلْكُهُمْ بِسَجِلْمَاسَةَ ، وَسَكَنَهَا آخِرَ الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ
أَنَ كَانَ يَسْكُنُ الصَّحْرَاءَ وَهَلَكَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَمِائَتَيْنِ .

وَوَلَّى بَعْدَهُ ابْنُهُ (مِذْرَارُ) وَلَقَّبَ الْمُتَصَرِّ وَطَالَ أَمْدُ وَلايَتِهِ . وَكَانَ لَهُ وَلَدَانِ
أَسْمَ كُلِّ مِنْهُمَا مَيُونُ ، فَوَقَعَ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا ثَلَاثَ سَنَتَيْنِ ، ثُمَّ كَانَ آخِرُ أَمْرِهِمَا أَنِ
غَلَبَ أَحَدُهُمَا أَخَاهُ وَأَخْرَجَهُ مِنْ بَيْطَلْمَاسَةَ ، ثُمَّ خَلَعَ أَبَاهُ وَاسْتَقْبَلَ بِالْأَمْرِ ، وَسَاعَتْ
سَيْرَتُهُ فِي الرِّعْيَةِ خَفَلُوهُ ، وَأَعَادُوا مِذْرَارًا أَبَاهُ .

(١) الزيادة من "المبر" ج ٦ ص ١٣٠ يستقيم الكلام .

ثم حلت نفسه بإعادة ابنه ميمون المخلوع نفلوه ولولا ابنه (ميمونا) الآخر، وكان يعرف بالأخير؛ ومات مدرار^(١) إثر ذلك سنة ثلاث وخمسين ومائتين . ومات ميمون^(٢) سنة ثلاث وستين ومائتين .

وولي مكانه ابنه (محمد) فبقي إلى أن توفي سنة سبعين ومائتين .

فولي مكانه (اليسع) بن المتصر . وفي أيامه وقد عيّد الله المهدي القاطم وأبنة أبو القاسم على سجلماسة في خلافة المعتضد العباسي ، وكان اليسع على طاعته فبعث المعتضد إليه فقبض عليهما واعتقلهما إلى أن غلب أبو عبد الله الشيعي داعي المهدي بني الأظلي أصحاب أفرقية؛ فقصده سجلماسة فخرج إليه اليسع في قومه مكثاسة ، فهزمه أبو عبد الله الشيعي وأقتحم حليه البلد ، وقتله سنة ست وتسعين ومائتين ، وأستخرج عيّد الله وأبنة من محبسهما ، وباع (لعيّد الله المهدي) .

وولي المهدي على سجلماسة (إبراهيم بن غالب المزاني) وأنصرف إلى أفرقية ؛ ثم انتفض أهل سجلماسة على واليهم إبراهيم ومن معه من مكثاسة سنة ثمان وتسعين ومائتين . وباعوا (الفتح بن ميمون) الأمير ابن مدرار المتقدم ذكره ، ولقبه واصل ، وهلك قريبا من ولايته على رأس المائة الثالثة .

وولي مكانه أخوه (أحمد بن ميمون) الأمير ، وأستقام أمره إلى أن زحف مصالة بن حبوس في جموع كرامة ومكثاسة إلى المغرب سنة تسع وثلاثمائة ، فافتح سجلماسة وقبض على صاحبها أحمد بن ميمون .

وولي عليها ابن عمه (المعتز بن محمد) بن ياذن بن مدرار ، فلم يلبث أن أستبد وتلقب المعتز ، وبقي حتى مات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة قبل موت المهدي .

(١) التسم من "المير" ج ٦ ص ٣١ ليستقيم الكلام .

(٢) في المير ج ٦ ص ١٣١ "ساور" .

وَوَلَّى مِنْ بَعْدِهِ أَبْنَهُ أَبُو الْمُتَصَرِّ (مُحَمَّدُ بْنُ الْمُعْتَرِّ) فَأَقَامَ عَشْرًا ثُمَّ هَلَكَ .

وَوَلَّى مِنْ بَعْدِهِ أَبْنَهُ (الْمُتَصَرِّ سَمَكَو) شَهْرَيْنِ ، وَدَبَّرَتْهُ جَدَّتُهُ لِصَفَرِهِ .

ثُمَّ تَارَ عَلَيْهِ أَبْنُ عَمِّهِ (مُحَمَّدُ بْنُ الْفَتْحِ) بْنُ مَيْمُونِ الْأَمِيرِ وَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ ، وَشَغِلَ عَنْهُ
بَنُو عَيْدِ اللَّهِ الْمُهَدِّىِّ فِثْنَةُ أَبْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ وَغَيْرَهَا ، فَلَمَّا لَفِيسَهُ مَمُوهَا بِالْإِدْعَاءِ
لِبْنِ الْعَبَّاسِ وَتَغَلَّبَ الشَّاكِرُ قَهْ ، وَأَخَذَ بِمَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَرَفَضَ الْخَارِجِيَّةَ ،
وَكَانَ جَمِيعُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ سَلَفِهِ عَلَى رَأْيِ الْأَبَاضِيَّةِ وَالصُّفَرِيَّةِ مِنَ الْخَوَارِجِ ، وَضَرَبَ
السُّكَّةَ بِأَسْمِهِ وَلَقَبِهِ ، وَبَقِيَ كَذَلِكَ حَتَّى فَرَّغَ بَنُو عَيْدِ اللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ ، فَزَحَفَ الْقَائِدُ
جَوْهَرُ أَيَّامِ الْمُعِزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ مَعَدَّ إِلَى الْمَغْرِبِ سَنَةً سَبْعَ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَةً ، فَغَلَبَ عَلَى
بِجِلْمَاسَةَ وَمَلِكُهَا وَفَزَّ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَتْحِ عَنْهَا ، ثُمَّ قَبِضَ عَلَيْهِ جَوْهَرٌ بَعْدَ ذَلِكَ وَحَلَاهُ
إِلَى الْقَيْرَوَانِ . فَلَمَّا آتَقَضَ الْمَغْرِبُ عَلَى الْعَيْدِيِّينَ وَفَشَتْ فِيهِ دَعْوَةُ الْأُمَوِيِّينَ
بِالْأَنْدَلُسِ ، تَارَ بِسِجِلْمَاسَةَ قَاتِمٌ مِنْ وَلَدِ الشَّاكِرِ ، وَتَغَلَّبَ (الْمُتَصَرِّ بِاللَّهِ) ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِ
أَخُوهُ (أَبُو مُحَمَّدٍ) سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ فَقَتَلَهُ وَقَامَ بِالْأَمْرِ مَكَانَهُ ، وَتَغَلَّبَ (الْمُعْتَرِّ بِاللَّهِ)
وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ مَدَّةً ، وَأَمْرُ مِثْلَاسَةَ يَوْمَئِذٍ قَدْ تَدَاعَى إِلَى الْإِتِّحَالِ ، وَأَمْرُ زَنَاطَةَ قَدْ
أَسْتَفْضَلَ بِالْمَغْرِبِ إِلَى أَنْ زَحَفَ خَزُرُونَ بْنُ فَلْقُولٍ مِنْ مَلُوكِ مَغْرَاوَةَ إِلَى بِيْجِلْمَاسَةَ
سَنَةَ سِتِّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَةً ، وَبَرَزَ إِلَيْهِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُعْتَرِّ فَهَزَمَهُ خَزُرُونَ وَقَتْلَهُ وَأَسْتَوْلَى
عَلَى بَلَدِهِ ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَى قُرْبُوبَةَ مَعَ كِتَابِهِ بِالْفَتْحِ ، وَكَانَ ذَلِكَ لِأَوَّلِ حِجَابَةِ الْمَنْصُورِ
أَبْنِ أَبِي عَامِرٍ بِقُرْبُوبَةَ ، فَفَقَدَ لَخَزُرُونَ عَلَى بِيْجِلْمَاسَةَ ، فَأَقَامَ دَعْوَةَ هِشَامٍ فِي نَوَاحِيهَا ،
فَكَانَتْ أَوَّلَ دَعْوَةٍ أُقِيمَتْ لَهُمْ فِي أَمْصَارِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ، وَأَقْرَضَ أَمْرُ مِثْلَاسَةَ
مِنَ الْمَغْرِبِ أَجْمَعَ .

وَأَتَقَلَّتِ الدَّوْلَةُ إِلَى مَغْرَاوَةَ وَبَنِي يَرْقَنَ وَعَقَدَ هِشَامُ (لَخَزُرُونَ) عَلَى بِيْجِلْمَاسَةَ
وَأَعْمَالَهَا ، وَجَاءَهُ عَهْدُ الْخَلِيفَةِ بِذَلِكَ ، وَضَبَطَهَا وَقَامَ بِأَمْرِهَا إِلَى أَنْ هَلَكَ .

فولى أمر سجلماسة من بعده أبنته (وأثودين بن خزرون) إلى أن غلب زيري
أبن مباد على المغرب، فعقد على سجلماسة (الحمد بن فضل) المخلصى، وفر وأثودين
أبن خزرون عنها، ثم أعاده عبد الملك إلى سجلماسة بعد ذلك على قطعة يؤدّها إليه؛
ثم استقل بها من أول سنة تسعين وثلثمائة مقبلا للدعوة الأموية بالأندلس، ورجع
المعز بن زيري بولاية المغرب عن المظفر بن أبي عامر، واستثنى عليه ولاية سجلماسة
لكونها بيد وأثودين، واستفحل ملك وأثودين، واستضاف إلى سجلماسة بعض
أعمال المغرب ومات .

قام بالأمر من بعده أبنته (مسعود بن وأثودين) إلى أن خرج (عبد الله بن ياسين)
شيخ المرابطين، فقتل ابن وأثودين سنة خمس وأربعين وأربعمائة؛ ثم ملك سجلماسة
بعد ذلك سنة ست وأربعين، ودخلت في ملك المرابطين لأول أمرهم، وأتقرضت
دولة بنى خزرون منها، وتناولها من بعدهم من ملوك الموحدّين، ثم ملوك بنى مرّين
على ما سيأتى ذكره في الكلام على ملوك الغرب الأقصى إن شاء الله تعالى .



وأما ما أشتملت عليه هذه المملكة من المدن المشهورة .

لها مدينة (آسفي) بفتح الهمزة ومدنها وكسر السين المهملة والفاء وياء مثناة تحت^(١)
في آخرها . وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد :
حيث الطول سبع درج ، والعرض ثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" :
وهي من عمل دكالة، وهي كورة عظيمة من أعمال مرّاكش، قال ابن سعيد :
وهي على جّون من البحر داخل في البرّ، في مستوي من الأرض . وهي قُرْبَة مرّاكش،
وبينها وبين مرّاكش أربعة أيام ؛ وأرضها كثيرة الحجر ، وليس بها ماء إلا من

(١) ضبطها بإتوت قال : يفتحون وكسر الفاء .

المطر ، وماؤها التّبع غير علّاب ، وبساتينها تُسقى على النّواليب ، وكرّرها على باب البلد . قال الشيخ عبد الواحد : وهى تُسبّه حماة ودونها فى القدر ، ولكن ليس لها نهر يجرى .

ومنها (سَلَا) بفتح السين واللام وفى آخرها ألف ؛ وهى مدينة من الغرب الأقصى فى آخر الإقليم الثالث قال ابن سعيد : حيثُ الطول سبعُ درجٍ وعشرُ دقائق [والعرض ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة^(١)] وهى مدينة قديمة فى غربها البحر المحيط وفى جنوبها نهر عظيم يصبُّ فى البحر المحيط والبساتين والكروم . وبني « عبد المؤمن » أمامها من الشّطّ الجنوبيّ على النهر والبحر المحيط قصرا عظيما ، وبني خاصّته حوله المنازل فصارت مدينة عظيمة سماها المهدية . وسَلَا متوسطة بين بلاد المغرب الأقصى قريبةً من الأندلس ، وهى مدينة كثيرة الرّخاء ، ولها معاملة كبيرة يقال لها تامسنا ، كثيرةُ الزّرع والمرعى ، وفيها مدّن كثيرة .

ومنها (لَمَطَة) بفتح اللام وسكون الميم وفتح الطاء المهملة . وهى مدينة من الغرب الأقصى واقعة فى آخر الإقليم الثانى قال بعضهم : حيثُ الطول سبعُ درجٍ وثلاثون دقيقة ، والعرض سبعٌ وعشرون درجة ؛ على ثلاث مراحل من البحر المحيط ، ولها نهر كبير يتزل من جبل فى شرقها على مرحلتين منها ، يجرى على جنوبها غرباً بميلة إلى الشمال حتّى يصبّ فى البحر المحيط .

ومنها (السّوس) بضم السين المهملة وسكون الواو ثم سين ثانية . وهى مدينة من أقصى المغرب فى الإقليم الثانى قال ابن سعيد : حيثُ الطول ثمانُ درجٍ والعرض

(١) الزيادة عن "التقويم" قلا عن ابن سعيد .

(٢) فى باقوت "تامست" بناءً مشتة من فوق فى آخرها .

ست وعشرون درجة وعشرون دقيقة ؛ وهى على طَرَف من البرداخيل فى البحر أربعين ميلا، وفى جانبها الشمال نهريأتى من الشرق من جبل لَمَطَة .

ومنها (قَصْر عبد الكريم) وضبطه معروف . وهى مدينة من الغرب الأقصى فى أوائل الإقليم الرابع قال ابن سعيد : حيثُ الطول ثمانُ درَج وثلاثون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . وهى مدينة على نهر من جهتها الشمالية ، وهو نهر كبير تَصْعَد فيه المراكب من البحر المحيط ، وجانبه محفوفان بالبساتين والكُروم . وكان قاعدةً تلك الناحية قبلها مدينةٌ اسمها (البُسْرَة) يسكنها الأُداسَة ؛ فلما تُحْمِرَت هذه المدينة صارت هى القاعدة .

ومنها (طَنْجَة) بفتح الطاء المهملة وسكون النون وفتح الجيم ثم هاء فى الآخر . وهى مدينة من أقصى المغرب واقعة فى الإقليم الرابع قال ابن سعيد : حيثُ الطول ثمان درج وإحدى وثلاثون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهى مدينة على بحر الزقاق ، وآتساعُ البحر عندها ثلثُ بحرى ، فإذا شَرِق عنها أُنْصَح عن ذلك . وهى مدينة أزيلية ، وأسَحَلَتْ أهلها لهم مدينة على ميل منها على ظهر جبل يمتنعوا بها ، والماء ينساق إليها فى قُتَي . قال فى "مسالك الأبصار" : وكانت دار مُلْك قديم . وهى التى كانت قاعدةً تلك الجهات قبل الإسلام إلى حين فتح الأندلس ؛ وهى حِطُّ السُّفُن ؛ وهى كثيرة الفواكه ، لاسمياً العنبُ والكُثْمَرُ ؛ وأهلها مشهورون بقلّة العقل وَضَعْف الرأى ، على أن منها أبو الحسن الصَّنْهَاجِي الطنجي ، تَرَجِم له فى قلائد العُقيان وأُنْشِد له أبياتاً منها :

وقد تَحَيَّي الدُرُوعُ من العوالي ، * ولا تَحَيَّي من الحَدَقِ الدُرُوعُ !

وكذلك أبو عبد الله بن محمد بن أحمد الحَضْرِي القاتل :

وَضُنُوا بِتَوْدِيع ، وجأثوا بِتَرْكِهِ ؛ * وَرُبَّ دِواءٍ مات منه عَليُّ !

ومنها (درة) بفتح الدال وسكون الراء وفتح العين المهملات وهاء في الآخر. وهي مدينة من جنوبي المغرب الأقصى واقعة في الإقليم الثاني. نقل في "تقويم البلدان" عن بعضهم أن طولها إحدى عشرة درجة وست دقائق، وعرضها خمس وعشرون درجة وعشر دقائق. قال في "زهة المشتاق": وهي قرى متصلة، وعمارات متقاربة، وليست بمدينة يحوط بها سور ولا خفير. ولها نهر مشهور في غربها ينزل من ربة حمراء عند جبل درن، وتبنت عليه الحناء، ويغوص ما يفضل منه بعد السقي في صحارى تلك البلاد.

ومنها (أغمات) قال في "اللاب" : بفتح الألف وسكون النين المعجمة وفتح الميم وألف وتاء مثناة من فوق في آخرها. وهي مدينة من القرب الأقصى، واقعة في الإقليم الثالث. قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها إحدى عشرة درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثمان وعشرون درجة ونمسون دقيقة. وهي مدينة قديمة في الجنوب بميلة إلى الشرق من مراكش، في مكان أفتح طيب التربة، كثير النبات والعشب، والمياه تحترقه يمينا وشمالا. قال ابن سعيد : وهي التي كانت قاعدة ملك أمير المسلمين « يوسف بن تاشفين » قبل بناء مراكش. قال الإدريسي : وحولها جئات محقة، وبساتين وأشجار ملتقة، وهواؤها صحيح، وفيها نهر ليس بالكبير، يسق المدينة يأتيها من جنوبيها ويخرج من شماليها، وربما جمد في الشتاء حتى يمتاز عليه الأطفال.

ومنها (تادلا) قال في "تقويم البلدان" عن الشيخ عبد الواحد : بفتح المثناة من فوق ثم ألف ودال مهملة مكسورة ولام ألف. ثم قال : وفي خط ابن سعيد تادلة في آخرها هاء، وهي مدينة بالمغرب الأقصى في جهة الجنوب في الإقليم الثالث قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتا عشرة درجة، والعرض ثلاثون درجة. قال

أبن سعيد : وهى مدينة بين جبال صنهاجة ، ويقال هى قاعدة صنهاجة ؛ وغربها جبل درن تمتد إلى البحر المحيط ، وهى بين مراکش وبين أعمال فاس ، ولها عمل جليل ، وأهلها بربر يعرفون بحراوة .

ومنها (أزمور) قال الشيخ شعيب : بفتح الهمزة والزاى المعجمة وتشديد الميم ثم واو وراء مهملة فى الآخر . وهى مدينة على ميلين من البحر أكثر سكناها صنهاجة . ومنها (المزمة) وهى فُرْضة ببر السلوة تقابل فُرْضة المنكب من بر الأندلس من ساحل غرناطة . والمزمة فى الشرق عن سبته بينهما مائتا ميل .

ومنها (مدينة باديس) وهى فُرْضة مشهورة من فُرْض عُمارة فى الجنوب والشرق عن سبته بينهما نحو مائة ميل . قال فى "تقويم البلدان" : وهى قياسا حيث الطول عشر درج وثلاثون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة ونمسة وعشرون دقيقة .

ومنها (أودغست) قال الشيخ عبدالواحد : بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الدال المهملة والتين المعجمة وسكون السين المهملة وفى آخرها تاء مثناة فوق . وهى مدينة فى المغرب الأقصى فى الجنوب فى الصحراء فى الإقليم الثانى قال فى "الأطوال" : حيث الطول ثمان درج وثمان دقائق . قال فى "القانون" : والعرض ست وعشرون درجة . قال : وهى فى برارى سولدان المغرب . قال فى "العزيزى" : وهى جنوبى بحلباسة وبينهما ست وأربعون مرحلة فى رمال ومقارز على مياه معروفة ؛ ولها أسواق جليظة ؛ والسفن تصل إليها فى البحر المحيط من كل بلد ؛ وسكان هذه المدينة أخلاط من البربر المسلمين ، والرئاسة فيها لصنهاجة . قال فى "العزيزى" : ولأودغست أعمال واسعة ؛ وهى شديدة الحرارة ، وأمطارها فى الصيف ؛ ويزرعون

(١) ضبطها ياقوت فقال : ثلاث ضمت متواليات وتشديد الميم .

(٢) فى المعجم وضع الدال المعجمة .

عليها الحنطة، والذرة، والذخن، والأوبيا، والكِرْسَنَة ؛ وبها النخل الكثير وليس فيها فاكهة سوى التين، وبها شجر الجِجَاز كُلُّهُ : من السَّنَط والمُقل وغيرهما .

قلت : وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عِتَّةٌ مَدَنٌ غير هذه غير مشهورة بطول ذكرها .

الجملة الثالثة

(في ذكر جبالها المشهورة . وهي عِتَّةُ جبال)

منها (جبل دَرِين) بفتح الدال والراء المهملة ونون في الآخر . قال ابن سعيد : وهو جبل شاهق مشهور لا يزال عليه الثلج، أوله عند البحر المحيط الغربي في أقصى المغرب، وآخره من جهة الشرق على ثلاث مَرَا حَلٍ من إسكندرية من الديار المصرية، ويسمى طرفه الشرقى المذكور رأس أوثان، فيكون امتداده نحو خمسين درجة ، وفي غربيّه بلاد تينملك من قبائل البربر، وشرقيها بلاد هتاتة من البربر أيضا وشرقيها بلاد مشكورة منهم، وشرقيها بلاد المصامدة .

ومنها (جبل كِرْوَلَة) وهي قبيلة من البربر . قال ابن سعيد : وأبتدأؤه من البحر المحيط الغربي ، ويمتد مشرقا إلى حيث الطول اثنتا عشرة درجة ، وموقعه بين الإقليم الثاني والإقليم الثالث، وبه مدينة أسمها تانجست .

ومنها (جبل عُمارَة) . بضم العين المعجمة وفتح الراء بعد الألف . وهي قبيلة من البربر أيضا، وهو جبل يبرّ العُدوة فيه من الأُمم ما لا يُحْصِيهِ إلا الله تعالى، وهو رُكْنٌ على البحر الرومي، فإن بحر الرقاق إذا جاوز سَبْتَةَ إلى الشرق أنطف جَنُوبًا إلى جبل عُمارَة المذكورة، وهناك مدينة باديس المقدم ذكرها .

ومنها (جبل مَدْيُونَة) ففتح الميم وسكون الدال المهملة وضم المشنة من تحت وواو ثم نون مفتوحة وهاء في الآخر : وهو جبل بِرَّ المَدْوَة شرقاً مدينة فاس ، يمتد إلى الجنوب حتى يتصل بجبال دَرْن ، ومَدْيُونَة قبيلة من البربر واطنون به .

ومنها (جبال مَدَغْرَة) وهى شَرْقِ مَدْيُونَة ، ومعظم أهلها كُومِيَّة - بضم الكاف وكسر الميم وفتح المشنة تحت وهاء في الآخر . وهى قبيلة من البربر ، منها « عبد المؤمن » أحد أصحاب المهدي بن تُوَمَرْت .

ومنها (جبل يُسْر) بضم الياء المشنة تحت وسكون السين المهملة . وهو جبل شرقِ مَدْيُونَة أيضا منه يتبع نهر يُسْر المذكور .

ومنها (جبل وَشَرِيش) وهو جبل يتصل بجبل يُسْر من شرقيه ، وفيه تعمل البُسْط الفاتقة ، ومنه يتبع نهر سَلَف المشهور . قال ابن سعيد : وهو نهر كبير يزيد عند نقص الأثمار كثير من مصر .

الجملة الرابعة

(في ذكر أنهارها المشهورة ، وهى ستة أنهار)

منها (نهر السُّوس الأقصى) وهو نهر يأتي من الجنوب والشرق من جبل يُعَرَف بجبل لَمْعَة ، ويمر إلى الشمال ، ويمر على مدينة السُّوس من شمالها ، ويُزْرَع على جانبيه قَصَب السُّكَّر والحِنْاء وغير ذلك كما يزرع في مصر ، ويمر حتى يصب في البحر المحيط الغربي .

ومنها (نهر بَحْلَامَة) الآتى ذكرها ، وهو نهر ينبع من جنوبي بَحْلَامَة بمسافة بعيدة ، ويمر من شرقها ويمر حتى يصب في نهر مَلُويَة الآتى ذكره .

(١) صوابه كما في القطعة الأزهرية المتقدم ذكرها فلها قدمت في القواعد .

ومنها (نهر ملوية) قال ابن سعيد : وهو نهر كبير مشهور في المغرب الأقصى ،
يصب إليه نهر سجلماسة ويصيران نهرا واحدا ، يجري حتى يصب في بحر الروم
شرقي سبتة .

ومنها (نهر فاس) وهو نهر متوسط يسقى مدينة فاس كما تقدم قال في "توهم البلدان"
ويخرج على نصف يوم من فاس ، يجري في مروج وأزاهر حتى يدخلها .

المقصود الثاني

(في ذكر زروعها ، وجوبها ، وفواكهها ، وقولها ورياحينها ومواسمها ،
ومعاملاتها ، وصفات أهلها ، وفيه خمس جمل)

الجملة الأولى

(في ذكر زروعها ، وجوبها ، وفواكهها ، وقولها ، ورياحينها)

أما زرعها فعلى المطر كما تقدم في أفرقة .

وأما حبوبها ، ففيها من أنواع الحبوب : القمح ، والشعير ، والقول ، والجص ،
والعذس ، والدخن ، والسلت وغير ذلك . أما الأرز فإنه عندهم قليل ، بعضه يزرع
في بعض الأماكن من بلاد العدو ، وأكثره مجلوب إليهم من بلاد القرمج . على أنهم
لا تهتم لهم في أكله ولا عناية به . وبها السمسم على قلة ، ولا يعتصر منه بالمغرب
شبرج لاستغنائهم عنه بالزيت حتى مزورات الضعفاء وكذلك يعملون الخلوى
بالسل والزيت ، وإنما يستعمل الشبرج عندهم في الأمور الطبية .

وأما فواكهها ، فيها أنواع الفواكه المستطابة اللذيذة المختلفة الأنواع : من
النخل ، والعنب ، والتين ، والرمان ، والزيتون ، والسفرجل ، والتفاح على أصناف ؛

(١)
وكذلك الكُمثرى، وتسمى عندهم الإنبجاص كما يَدْمَشَقُ، وبها المِشْمِش والتين،
والبرقوق، والقراصيا، والخوخ، وغالب ذلك على عدة أنواع ؛ والثوت على قلة ،
والجوز ، واللوز . ولا يوجد بها الفستق والبندق إلا مجلوبا . وبها الأترج ،
والليمون، والليم ، والنارنج ، والزيتون ، وهو المسمى بمصر والشام الجاد . وبها
البطيخ الأصفر والأخضر وأسمه عندهم الدلاع كما في سائر بلاد المغرب على قلة ،
والموجود منه غير مستطاب . وبها الحيار ، والقناء ، واللقت ، والبازيجان ، والقرع ،
والخز ، والأوبيا ، والكُرنب ، والشثار ، والصغتر وسائر البقول . والموز موجود بها
في بعض المواضع نادرا ، والقفاس لا يُزْرَعُ عندهم إلا للتفرج على عُروقه لا لأن
يؤكل ، وبها قصب السكر يمزأربنى مَرَضَانٌ وبسلا كثير ، ويعصر ثم يعمل منه
القند ومن القند السكر على أنواع لاسما بمرأش ، فإنه يقال إن بها أربعين مَعَصرة
للسكر ، وإن جمل حمار من القصب يساوى درهما من دراهمهم : وهو ثلث درهم من
الدراهم المصرية ؛ ويعمل منه المكر الفائق ، ومع ذلك فليس لهم به اهتمام لاكتفائهم
عنه بسل النمل مع كثرتهم عندهم ، وميلهم إليه أكثر من السكر ، حتى يقال إنه
لا يستعمل السكر عندهم إلا للفرأء أو المرضى .
وأما رباحنها ، فيها الورد ، والبفسج ، والياسمين ، والآس ، والترجس ،
والسوسن ، والبهار ، وغير ذلك .

الجملة الثانية

(في مواشها، ووحوشها، وطيورها)

أما مواشها ، ففيها من الدواب الخيل ، والبغال ، والحمير ، والإبل ، والبقر ،
والغنم ؛ أما الجاموس فلا يوجد عندهم .

وأما الطير، فيها منه الإوز، والحمّام، والدجاج ونحوها؛ والكُرْكُ عندهم كثير على بُعد الدار، وأسمه عندهم القُرْتُوق، وهو صيدُ الملوك هناك كما بمصر والشام .

وأما وحوشها، ففيها من أنواع الوحش الحُر، والبقر، والغنم، والغزال، والمها وغير ذلك .

الجملة الثالثة

(فما تتعامل به من الدراهم، والأوزان، والمكايل)

أما متاعيل الذهب فأوزانها لا تختلف، وأما الدراهم فذكر في "مسالك الأبحار" عن السلاحي : أن مُعاملتها درهمان : درهم كبير، ودرهم صغير؛ فالدرهم الكبير قدر ثلث درهم من الدراهم الثقيرة بمصر والشام، والدرهم الصغير على النصف من الدرهم الكبير يكون قدر سدس درهم ثقيرة بمصر والشام. وعند الإطلاق يُراد الدرهم الصغير دون الدرهم الكبير إلا بمراغش وما جاورها، فانه يُراد بالدرهم عند الإطلاق الدرهم الكبير . قال : وكلّ متقال ذهب عندهم يُساوي ستين درهما كبارا ، تكون بعشرين درهما من دراهم الثقيرة بمصر .

وأما رطلها فعلى ما ختم من رطل أفريقية ؛ وهى كلّ رطل ستّ عشرة أوقية، كلّ أوقية أحد وعشرون درهما من دراهمها .

وأما يكلمها فأكثره الوسق (ويسمى الصّحفة) وهو ستون صاعا بالصاع النبويّ على السواء .

الجملة الرابعة

(في ذكر أسعارها)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" عن السلايمي أيضا عن سعر زمانه المتوسط في غالب الأوقات ، (وهي الدولة الناصرية محمد بن قلاوون وما قاربها) : أت سعر كل وسق من القمح أربعون درهما من الدراهم الصغار : وهو ثلاثة عشر درهما وثلث درهم من قرة مصر؛ والشعيردون ذلك . وكل رطل لحيم بلزهم واحد من الدراهم الصغار، وكل طائر من الدجاج بثلاثة دراهم من الصغار، وعلى نحو ذلك .

الجملة الخامسة

(في صفات أهلها في الجملة)

قد تقدم أن معظم هذه المملكة في الإقليم الثالث . قال ابن سعيد : والإقليم الثالث هو صاحب سفك الدماء ، والحديد ، والحقد ، والنفل ، وما يتبع ذلك . ثم قال : وأنا أقول : إن الإقليم الثالث وإن كثرت فيه الأحكام المربحية على زعمهم ، فإن للغرب الأقصى من ذلك الحظ الوافر؛ لاسيما في جهة السوس وجبال درن ، فإن قتل الإنسان عندهم كذبح العصفور ، قال وتم قتل قتل عندهم على كلمة وهم بالقتل يقتضون . ثم قال : إن الغالب على أهل المغرب الأقصى كثرة التنافس المفرط ، والمحاكمة ، وقلة التفاضل ، والتمور ، والمفائنة .

أما البخل فإنما هو في أراذلهم ، بخلاف الأغنياء ، فإن في كثير منهم السباحة المفرطة والمفانرة بإطعام الطعام والاعتناء بالمفضول والفاضل .

المقصود الثالث

(في ذكر ملوكها، وما يندرج تحت ذلك : من انتقال الملك من الموحدين إلى بني مرين والتعريف بالسلطان أبي الحسن الذي أشار إليه في كلامه في "التعريف". وهم على طبقات)

الطبقة الأولى

(ملوكها قبل الإسلام)

قد تقدم أن بلاد المغرب كلها كانت مع البربر، ثم غلبهم الروم الحكيم عليها ثم اقتحموا قرطاجنة وملكوها، ووقع بين البربر والروم فتن كثيرة كان آخرها أن وقع الصلح بينهم على أن تكون البلاد والمُدن الساحلية للروم، والجبال والصحاري للبربر، ثم زاحم القرطبي الروم في البلاد، وجاء الإسلام والمستول علىها من ملوك القرطبة جرجيس ملكهم، وكان مُلكه متصلاً من طرابلس إلى البحر المحيط، وكرسي مُلكه بمدينة سببلة، ومن يده أترعها المسامون عند الفتح .

الطبقة الثانية

(قواب الخلفاء من بني أمية وبني العباس)

كان كُرمي الملكة بعد الفتح بأفريقية، وكان قواب الخلفاء يُقيمون بها ويتولون القيروان، وكانوا يؤلون على ما فتح من بلاد المغرب من تحت أيديهم . فبقى الأمر على ذلك أيام عبد الله بن أبي سرح، الذي اقتحمها في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم أيام معاوية بن صالح، ثم أيام عقبة بن نافع، ثم أيام أبي المهاجر، ثم أيام عقبة بن نافع ثانياً، ثم أيام زهير بن قيس، ثم أيام حسان بن النعمان، ثم أيام

موسى بن قُصَيْر، ثم أَيَّامَ محمد بن يزيد، ثم أَيَّامَ إسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر، ثم أَيَّامَ يزيد بن أبي مسلم، ثم أَيَّامَ بشر بن صفوان الكلبي، ثم أَيَّامَ عيسى بن عبد الرحمن السلمي، ثم أَيَّامَ عبدالله بن الحبيب، ثم أَيَّامَ كلثوم بن عياض، ثم أَيَّامَ حنظلة بن صفوان، ثم أَيَّامَ عبد الرحمن بن حبيب، ثم أَيَّامَ حبيب بن عبدالرحمن، ثم أَيَّامَ عبدالملك بن أبي الجعد، ثم أَيَّامَ عبد الأعلى بن السمح المعافري، ثم أَيَّامَ محمد بن الأشعث، ثم أَيَّامَ الأظب بن سالم، ثم أَيَّامَ عمرو بن حفص، ثم أَيَّامَ يزيد بن حاتم بن قبيصة، ثم أَيَّامَ روح بن حاتم، ثم أَيَّامَ الفضل بن روح، ثم أَيَّامَ هُرَثة بن أعين، ثم أَيَّامَ محمد بن مقاتل، ثم أَيَّامَ إبراهيم بن الأظب، ممن تقدم ذكره في ملوك أفرقية في خلافة هارون الرشيد. وفي أيامه ظهرت دهوة الأدارسة الآتي ذكرهم بعد هذه الطبقة. وسيأتي بسط القول فيهم بعض البسط في الكلام على مكاتبة صاحب تونس.

الطبقة الثالثة

الأدارسة

(بنو إدريس الأكبر، بن حسن الثالث، بن حسن الثاني، بن الحسن)

السيط، بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم)

وكان مبدأ أمرهم أنه لما خرج حسين بن علي بن حسن الثالث بمكة سنة سبعين ومائة أيام الهادي واجتمع عليه قرابته وفيهم عمه إدريس وقتل الحسين، فراديس وليق بالمغرب، وصار إلى مدينة ويلي من المغرب الأقصى، فاجتمع إليه قبائل البربر وبائعوه وفتح أكثر البلاد، وبقي حتى مات سنة خمس وسبعين ومائة، وأقاموا الدعوة بعده لابنه إدريس الأصغر.

وكان أبوه قد مات وترك أمه حاملا به فكفلوه حتى شب ، فبايعوه سنة ثمان وثمانين ومائة ، وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وافتتح جميع بلاد المغرب وكثر عسكره ، وضافت عليهم وليلي فاخبط لهم مدينة فاس سنة ثنتين وتسعين ومائة على ما تقدم وانتقل إليها ، واستقام له الأمر واستولى على أكثر بلاد البربر ، واقتطع دعوته العباسيين ، ومات سنة ثلاث عشرة ومائتين .

وقام بالأمر بعده أبنته (محمد بن إدريس) ومات سنة إحدى وعشرين ومائتين بعد أن استخلف في مرضه ولده (طليشا بن محمد) وهو ابن تسع سنين ، ومات سنة أربع وثلاثين ومائتين ثلاث عشرة سنة من ولايته .

وكان قد عهد لأخيه (يحيى بن محمد) فقام بالأمر بعده ومات .

فولى مكانه أبنته (يحيى بن يحيى) ثم مات فاستدعوا ابن عمه (علي بن عمر) بن إدريس الأصغر فبايعوه بفاس ، واستولوا على جميع أعمال المغرب ، وقتل سنة ثنتين وتسعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده (يحيى بن إدريس) بن عمر ، بن إدريس الأصغر ، وملك جميع المغرب وخُطب له على منابرهم ، وبقي حتى وافته جيوش عبيد الله المهدي الناطقي ، فغلبوه على ملكه وخلع نفسه من الأمر وأغذ بيعته إلى المهدي سنة خمس وثلاثمائة وأستقر عامل للمهدي على فاس وعملها خاصة ، وبقي المغرب بيد مؤمنى بن أبي العافية كما سيأتي .

الطبقة الرابعة

(ملوك بني أبي العافية من مِخْصَاة)

كانت مِخْصَاة من قبائل البربر لأول الفصح بنواحي (تازا) من أوساط المغرب الأقصى والأوسط وكانوا يرجعون في رياستهم إلى بني أبي ياسل بن أبي الضمَّال وكانت الرئاسة في المائة الثالثة لمِصَالَة - بن حيوس، بن منازل، بن أبي الضمَّال، ابن يزول، بن تافوسين، بن فراديس، بن ونيف، بن مِخْصَاة، بن ورَضَطَف، بن يحيى، بن تمصيت، بن ضريس، بن رجيك، بن مادغش، بن بربر، وموسى بن أبي العافية، بن أبي باسل، بن أبي الضمَّال المتقدم ذكره .

ولما استولى عبيد الله المهدي على المغرب صار مِصَالَة بن حيوس من أكبر قواده ولأه مدينة تاهرت والغرب الأوسط .

ولما زحف مِصَالَة إلى المغرب الأقصى سنة خمس وثلاثمائة واستولى على فاس ثم على مِصَالَة واستقر يحيى بن إدريس بفاس إلى طاعة عبيد الله المهدي وأقام أميراً على فاس على ما تقدم، عقد لابن عمه موسى بن أبي العافية أمير مِخْصَاة على سائر ضواحي المغرب وأمصاره مضافة إلى عمله من قبل : تسول وتازا وماعهما وقفل مِصَالَة إلى القيروان .

فقام موسى بن أبي العافية بأمر المغرب ، وعالود مِصَالَة غزو المغرب سنة تسع وثلاثمائة : أغراه موسى بن أبي العافية يحيى بن إدريس ، فقبض عليه وأخذ ماله وطرده ، فلیحق بنی عمه بالبصرة والريف ، وولى مِصَالَة مكانه على فاس ريمانا الحُكَّامِي وقفل إلى القيروان فمات ، وعظم ملك موسى بن أبي العافية بالمغرب .

(١) لعله بنواحي تازا وغيرها من أوساط الخ وفي "البرج ٦ ص ١٣٤" بنواحي تازا وتسول والكل يرجعون إلى الخ .

ثم ثار بفاس سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة (الحسن بن محمد) بن القاسم ، بن إدريس الملقب بالحجّام، ودخل فاس على حين غفلة من أهلها وقتل ريجاناً والياً، واجتمع الناس على بيعته ، ثم خرج لقتال ابن أبي العافية وألحقوا ، فهلك جماعة من مكثاسة ثم كانت الطلبة لهم . ورجع الحسن مهزوماً إلى فاس فغدر به عامله على عنوة القرويين : حامد بن حمدان الهمداني ، فقبض عليه واعتقله وأمكن ابن أبي العافية من البلد ، وزحف إلى عنوة الأندلسيين فلحقها وقتل عاملها ، وولى مكانه أخاه محمداً ، وأستولى ابن أبي العافية على فاس وجميع المغرب وأجل الأدارسة عنه .

ثم استخلف على المغرب الأفضى ابنه (مدين) وأنزله بمدة القرويين ، واستعمل على عنوة الأندلسيين طوال بن أبي زيد ، وعزل عنه محمد بن ثعلبة . ونهض إلى تلمسان سنة تسع عشرة وثلاثمائة فلحقها ، وغلب عليها صاحبها الحسن بن أبي العيش ابن صبي ، بن إدريس ، بن محمد ، بن سليمان : من عقب سليمان بن عبد الله : أنى إدريس الأكبر الداخل إلى المغرب بعده ، ورجع بعد فتحها إلى فاس وخرج عن طاعة العبيدين ، وخطب للناصر الأموي خليفة الأندلس على منابر عمله ، فبعث عبيد الله المهدي قائده حميداً المكثاسي ابن أنى مصالة إلى فاس ، ففرز منها مدين ابن موسى بن أبي العافية إلى أبيه فدخلها حميد ، ثم استعمل عليها حامد بن حمدان ورجع إلى أفريقيا ، وقد دوخ المغرب .

ثم انتقض أهل المغرب على العبيدين بعد مهلك عبيد الله ، وثار (أحمد بن بكر) بن عبد الرحمن بن سهل الجندامي على حامد بن حمدان عامل فاس ، فقتله وبعث برأسه إلى موسى بن أبي العافية ، فبعث به إلى الناصر الأموي بالأندلس وأستولى على المغرب ، وزحف (ميسور الخصى) قائد أبي القاسم بن عبيد الله المهدي سنة ثلاث

(١) كذا في القسطة الأزهرية أيضاً وفي البرج ٦ ص ١٣٥ طول بن أبي زيد وهو تصحيف .

وعشرين وثلاثمائة إلى فاس وحاصرها فانحسرت إلى أبي العافية عن لقائه، واستنزل ميسور أحمد بن بكر عاملها وقبض عليه وبعث به إلى المهدية .

ثم خرج أهل فاس عن طاعته ، وقدموا على أنفسهم (حسن بن قاسم اللواتي) ، ثم حاصرهم ميسور فدخلوا تحت طاعته ، واشتروا على أنفسهم الإثارة ، فقيل ميسور ذلك منهم ، وأقر حسن بن قاسم على ولايته بفاس ، وأرتحل إلى حرب ابن أبي العافية ، فكانت بينهم حروب أخرى أن ظهر ميسور على ابن أبي العافية ، وأجلاه عن أعمال المغرب إلى بلاد الصحراء ؛ ثم قفل ميسور إلى القيروان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة . ورجع موسى بن أبي العافية من الصحراء إلى أعماله بالمغرب ، وزحف إلى تلمسان ، ففر عنها أبو العيش ولحق بتكور ، واستنفل أمر ابن أبي العافية بالمغرب الأقصى وأتصل عمله بعمل محمد بن نخذ ملك مغراوة وصاحب المغرب الأوسط ، وبتوا دعوة الأموية في أعمالها ، وبعث ابنه مدين إلى منازلة فاس فحاصرها ، وهلك موسى في خلال ذلك سنة سبع وعشرين وثلاثمائة .

وقام ابنه (مدين) بأمره ، وعقد له الناصر الأموي على أعمال أبيه بالمغرب ؛ ثم قسم أعماله بينه وبين أخويه البوري وأبي مقذ ، وأجاز البوري إلى الناصر بالأندلس سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ففقد له ثم هلك سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وهو محاصر لأخيه مدين بفاس ، فقد الناصر لابنه (منصور) على عمله .

ثم توفي مدين ، فقد الناصر لأخيه أبي مقذ على عمله ؛ ثم غلب مغراوة على فاس وأعمالها ، واستنفل أمرهم بالمغرب ، وزاحوا مكثرة عن ضواحيه وأعماله ؛ وأجاز إسماعيل بن البوري ومحمد بن عبيد الله بن مدين إلى الأندلس ، فزلا بها إلى أن أجازوا مع واضح أيام المنصور بن أبي عامر عند ما خرج زيري بن عطية عن طاعتهم سنة ست وثمانين وثلاثمائة .

الطبعة الخامسة

(بنو زيري بن عطية من مغراوة من البربر)

وهو زيري بن عطية، بن عبدالله، بن خزر، بن محمد، بن خزر، بن حفص،
ابن صولات، بن رومان، من بطون زناتة من البربر. وكان أولية أمره أن زيري
هنا كان أمير بني خزر في وقته، وأتت إليه رياستهم وإمارتهم في البدوة.
ولما غلب بلكين بن زيري الصنهاجي صاحب أفريقية وقومه صنهاجة على المغرب
الأوسط سنة تسع وستين وثلاثمائة وأجلوا عنه مغراوة الذين كانوا به من تقدم السنين
وصار المغرب الأوسط جميعه لصنهاجة، لحق مغراوة فيمن بقي من بني خزر، بالغرب
الأقصى، وأمرائهم يومئذ محمد بن الخير، ومقاتل وزيري أبنا عطية بن عبد الله،
ونخردون بن قلفول، ووصلوا إلى سبته وأميرهم المنصور بن أبي عامر حاجب^(١).

وبعث العزيز بن زكار العبيدي من مصر الحسن بن كئون من الأدارسة لاسترجاع
ملكه بالمغرب، فبعث المنصور لحربه أبا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبي عامر
الملقب بسكلاجة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، وأتحاش إليه زيري بن عطية ومن
معه من بني خزر في جموع مغراوة، وزحفوا إلى الحسن بن كئون حتى أبلجوه إلى
الطاعة، ثم أنصرف أبو الحكم بن أبي عامر إلى الأندلس، فعقد المنصور بن
أبي عامر على المغرب الأقصى للوزير (حسين بن أحمد) بن عبد الودود السلمي،
وأنفذه إليه سنة ست وسبعين وثلاثمائة، وأوصاه بملوك مغراوة خصوصاً زيري،
فسار الحسن بن أحمد حتى نزل بغاس وضبط أعمال المغرب. ومات مقاتل بن
عطية سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، وأستقل أخوه زيري بن عطية براسة مغراوة،
وبقي الحسن بن أحمد إلى أن قتل في بعض الحروب سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة،
(١) له حاجب هشام بن عبد الملك خليفة الأندلس كاسياني وهو كذلك في القطة الأثرية على تصليح.

وبلغ الخبر المنصور بن أبي عامر فقصد على المغرب (الزيري بن عطية) المذكور، وكتب إليه بهده وأمره بضبط المغرب، فأستفحل مُلكه وغلب على تِلْسان. فلما كان من يد أبي البهار الصنهاجي، وبعث بالفتح إلى المنصور بن أبي عامر بفتح له العهد، وأختط مدينة (وَجْدَة) سنة أربع وثمانين، وأنزل بها عساكره.

ثم قسد ما بين المنصور بن أبي عامر وبين زيري بن عطية، فعقد المنصور لمولاه واضح على المغرب، وعلى حرب زيري بن عطية، وجهزه إليه في عساكره؛ ثم أتبعه المنصور أبْنَه المظفر عبد الملك فأجتمع على زيري بن عطية، ودارت بينهم الحرب فكانت الهزيمة على زيري وبحر في المعركة وفر إلى فاس فأمتنع عليه أهلها، فلحق بالصحراء جريماً؛ وكتب عبد الملك بن المنصور بالفتح إلى أبيه فاستشربه وكتب إلى أبْنَه (عبد الملك) بهده على المغرب.

وكان زيري بن عطية لما فر إلى الصحراء صرف وجهه إلى حرب صنهاجة بالمغرب الأوسط فقصد وفتح تاهرت وتِلْسان وأعمالها، وأقام الدعوة فيها لهشام ابن عبد الملك خليفة الأندلس وحاجبه المنصور من بعده، وبقي على ذلك حتى مات سنة إحدى وتسعين وثلثمائة.

وبويع من بعده أبْنَه (المُعز بن زيري) بفرى على سنن أبيه من الدماء لهشام بن عبد الملك والمنصور من بعده؛ ومات المنصور في خلال ذلك.

وقام بأمره من بعده أبْنَه المظفر (عبد الملك) وبعث المعز بن زيري يرغب إلى المظفر في عمل فاس والمغرب الأقصى فأجابه إلى ذلك، وكتب له عهد بذلك، خلا بجهالة^(١) فإنها كانت بيد خزرون؛ وبقي المعز في ولايته إلى أن هلك سنة سبع عشرة وأربعمائة.

(١) التي في المبرج ٧ ص ٣٤ أنها كانت بيد مائدين بن خزون.

وولى من بعده أبْن عمه (حَمَامَةُ) بن المعز بن عطية وأستفحل مُلكه ؛ ثم نازعه الأمير أبو الكمال (تيم بن زيرى) بن يعلى اليفرقى سنة أربع وعشرين وأربعمائة ، وأستقل بملك المغرب وبقي حتى مات سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة .

وولى من بعده أبْنه (دُوناس) المعروف بابي العَطَاف ، وأستولى على فاس وسائر عمل أبيه ، فاستقامت دولته ؛ وأحتفل بعمارة فاس وأدار السور على أرباضها ؛ وبني بها المصانع ، والحمامات ، والفنادق ؛ وبقي حتى مات سنة إحدى وخمسين وأربعمائة .

وولى من بعده أبْنه (الْفَتْوح بن دُوناس) ونازعه أخوه الأصغر عُجَيْسَة وأستولى على عُندوة القرويين من فاس ؛ وبقي الفَتْوح بعُدوة الأندلسيين ، وأقرق أمرهما ووقعت الحرب بينهما ؛ وأبقي الفَتْوح بعُدوة الأندلسيين (باب الفتح) المعروف به إلى الآن ، وأبقي عُجَيْسَة بعُدوة القرويين (باب الجيسة) المعروف به إلى الآن ، وحُذِفَت العين منه لكثرة دَوْرانه على الألسنة ؛ وبقي الأمر على ذلك حتى ظفر الفتح بأخيه عُجَيْسَة ، وقتله سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ؛ ودم المغرب على إثر ذلك مادّهم من أمر المرابطين من لَمْتُونَة ؛ وخشي الفتح عاقبة أمرهم ، فرحل عن فاس وتركها .

وزحف صاحب القلعة (بُلكين) بن محمد بن حمّاد إلى المغرب سنة أربع وخمسين ، فدخل فاس وأسترحن بعض أشرفهم على الطاعة ورجع إلى عمله ؛ وولى على المغرب بعد الفتح (معتصر) بن حمّاد ، بن معتصر ، بن المعز ، بن زيرى .

وزحف (يوسف بن تاشفين) إلى فاس فملكها صلحا سنة خمس وخمسين وأربعمائة وخلف عليها حاملا ، وأرتحل إلى عُمّارة تغالفه معتصر إلى فاس وملكها

وقتل العامل ومن معه من لَمْتُونَةَ ؛ وبلغ الخبرُ يَوْسَفَ بنَ تاشفينَ فأرسلَ العساكرَ إلى فاس وحاصرها ، وخرجَ معتصرُ للقاءِ عساكره ، فكانت الدائرةُ عليه وقُتِلَ في المعركةِ سنة ستين وأربعمائة .

وباعَ أهلُ فاس من بعده ابنه (تميم بن معتصر) فكانت أيامُه أيامَ حصارٍ وفَتْنةٍ وشَتَّةٍ وغَلَاءٍ .

ولما فرغَ يوسف بن تاشفين من أمرِ حُمارةِ سنة ثنتين وستين وأربعمائة قصدَ فاسَ فحاصرها أيامًا ثم أفتحها عتوةً وقتلَ بها نحو ثلاثة آلاف من مَغْرَاوَةٍ وبنيِ يفرنَ ومِكنَاسةَ وقبائلَ زَنَانَةَ وهلكَ تميم بن مُعْتَصِرٍ في جملتهم . وأمرَ يوسف بن تاشفينَ بهدمَ الأسوارِ التي كانت فاصلةً بين العُتُوتِيِّينَ وصِيرَهما مصرًا واحدًا وأدارَ عليهما سورًا واحدًا ؛ وفَرَّ مَنْ خَلَّصَ من القتلِ من مَغْرَاوَةٍ من فاس إلى تِلْيسَانَ^(١) ، وأقرضَ ملكُهم من الغربِ الأقصى ؛ وتصاريفَ الأمورِ بيدَ الله تعالى .

الطبقة السادسة

(المراءيون من الملتئمين من البربر)

كان الملتئون من البربر من صِنهاجَةٍ قبل الفتح الإسلامي متوطنين في القفار وراءَ رمالِ الصَّحْرَاءِ : ما بين بلاد البربر وبلاد السودان ، في جملة قبائل صنهاجَةٍ على دينِ المَجُوسِيَّةِ ؛ قد اتخذوا أَلْتَانَمَ شعارًا يميِّزُ بينهم وبين غيرهم من الأمم ؛ والرياسة فيهم يومئذٍ لِلْمَتُونَةِ ، ولم يزالوا على ذلك إلى أن كان فتحُ الأَنْدَلُسِ واستقرَ ملكُهم أيامَ عبد الرحمن أوَّلِ خلفاء بني أمية بالأَنْدَلُسِ .

(١) في الأصل من تِلْيسَانَ إلى فاس وهو خطأ من النسخ والتصحيح من "البرج ٧ ص ٣٦"

قال ابن أبي زرع : أول من ملك الصحراء من لمتونة (يتلوان) وكان يركب في ألف نجيب وتوفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين .

وملك بعده (يئان) فقام بأمرهم وتوفي سنة سبع وثمانين ومائتين .

وقام بأمرهم بعده ابنه (تيم) إلى سنة ست وثلاثمائة وقتله صنهاجة .

ثم أفرق أمرهم بعد تيم مائة وعشرين سنة إلى أن قام فيهم (أبو عبد الله بن نيفأوت) المعروف بتادشت اللمتوني ، وجم ومات ثلاثة أعوام من رياسته عليهم .

وقام بأمرهم صهره (يحيى بن إبراهيم) فخرج في سني أربعين وأربعمائة ، وصاد وصحبته عبدالله بن ياسين الجزولي ليعلمهم الدين ؛ فلما مات يحيى بن إبراهيم أطرخوا عبدالله ابن ياسين واستعضوا عليه وتركوا الأخذ بقوله فاعتزلهم ؛ ثم اجتمع عليه رجال من لمتونة فخرج فيهم وقاتل من استعضى عليه منهم حتى أنابوا إلى الحق وتماهم " المرابطين " وجعل أمرهم في الحرب إلى الأمير يحيى بن عمر ، بن واركوت ، بن ورثطق ، بن المنصور ، بن مرصالة ، بن منصور ، بن فرصالة ، بن أميت ، بن راتمال ، بن تلميت ، وهو لمتونة ؛ فافتحوا درعة ولباساً ، واستعملوا عليها منهم ، وعادوا إلى الصحراء ، وهلك يحيى بن عمر سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

وولي مكانه أخوه (أبو بكر بن عمر) ثم افتحوا بلاد السوس سنة ثمان وأربعين ثم مدينة أغمات سنة تسع وأربعين ؛ ثم بلاد المصامدة وجبال درن سنة خمسين ؛ ثم استشهد عبدالله بن ياسين في بعض الغزوات سنة خمسين ؛ واستقر أبو بكر بن عمر في إمارة قومه ، وافتح مدينة لوانة سنة ثنتين وخمسين ؛ ثم ارتحل إلى الصحراء لجهاد السودان واستعمل على المغرب ابن عمه (يوسف بن ناشين) بن إبراهيم ابن واركوت ، فسار يوسف في عسكره من المرابطين ودوخ أقطار المغرب ، وأخط مدينة مراشش سنة أربع وخمسين .

ثم أترع جبال زناتة بالمغرب من أبيهم ؛ ثم أفتح فاس صلحا سنة خمس وخمسين
ثم استعبدت بعد فتحها ؛ ثم فتحها حنوة سنة اثنين وستين وأربعمئة ، وأمر بهدم
الأسوار التي كانت فاصلة بين عُدُوِّي القرويين والأندلسيين وصيرهما مصرا واحدا ؛
ثم أفتح بعد ذلك مدينة تليسان وأستولى على الغرب الأقصى والغرب الأوسط ؛
ثم صار إلى الأندلس وأستولى على أكثر ممالكها كما سيأتي في ذكر مكتبة صاحب
الأندلس ؛ ثم توفى يوسف بن تاشفين على رأس المائة الخامسة .

وقام بالأمر بعده ابنه (علي بن يوسف) فاستولى على ما كان بيد أبيه من
العُدوتين ، وسار فيهم بأحسن السيرة . ولأربع عشرة سنة من ولايته كان ظهور
المهدي بن تومرت صاحب دولة الموحدين . ومات علي بن يوسف سنة سبع
وثلاثين ، وقد ضعفت كلمة المرابطين بالأندلس لظهور الموحدين .

وقام بالأمر بعده ولده (تاشفين بن علي) وأخذ بطاعته وبيعته أهل العُدوتين ؛
وقد استفحل أمر الموحدين وعظم شأنهم ، ونزل تليسان فقصده الموحدون ،
ففر إلى وهران وأتبعه الموحدون ، فقُتِل سنة إحدى وأربعين وخمسمئة ، وأستولى
الموحدون على الغرب الأوسط .

ثم بوج بمرأئش (إبراهيم بن تاشفين) ، بن علي ، بن يوسف بن تاشفين ،
فألقوه عاجزا فحلّوه .

وولّى مكانه عمه (إصحاق بن علي) بن يوسف بن تاشفين ، وقد ملك الموحدون
جميع بلاد المغرب وقصدوه في مرأئش ، فخرج إليهم في خاصته فقتلوه ، وأجاز
عبد المؤمن والموحدون إلى الأندلس ، فلكوه سنة إحدى وخمسين وخمسمئة ، وفر
أمراء المرابطين في كل وجه .

الطبقة السابعة

(ملوك الموحدين)

كان أول أمرهم أن المهدي محمد بن تومرت، كان إماما متضلعا بالعلوم، قد حج ودخل العراق واجتمع بأئمة من العلماء والنظار، كالغزالي [واليكاء الحراسي] وغيرهما، وأخذ بمنهج الأشعرية أهل السنة، ورجع إلى الغرب وأهله يومئذ على مذهب أهل الظاهر في منع التأويل، فاجتمع إليه قبائل المصامدة من البربر وجعل يثبث فيهم عقائد الأشعرية، ونهى عن الجؤود على الظاهر، وسمى أتباعه الموحدين، ترميزا بتكفير القائلين بالتجسيم الذي يؤدى إليه الوقوف على الظاهر.

وكان الكهان يتعدون بظهور دولة بالمنزب لأمة من البربر، وصرقوا القول في ذلك إليه، ودعا المصامدة إلى بيعته على التوحيد وقتل المجسمين سنة خمس عشرة وخمسمائة فبايعوه على ذلك.

ولما تجلت بيعته لقبوه المهدي، وكان قبل ذلك يلقب الإمام، وأخذوا في قتال المرابطين من لمتونة حتى استقاموا على الطاعة. وتوفي المهدي سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة.

وقام بالأمر بعده (عبد المؤمن) بن علي بعده إليه. فكان من أمره ما تقدم من استيلائه على العلويين وأقراض ملك المرابطين بهما، وكان ذلك من سنة أربع وثلاثين وخمسمائة إلى سنة إحدى وأربعين. ثم صرف همه إلى بجاية وأفريقية فانفتحهما، واستخلص المهديّة والبلاد الساحلية التي كانت النصارى قد استولوا عليها من أيديهم واستولوا على سائر بلاد أفريقية، وعاد إلى الغرب في سنة ست وخمسين وخمسمائة. وتوفي بسلا من الغرب الأقصى في جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين.

(١) يبايخ بالأسل، والصحيح من تاريخ ابن الأثير وهو كذلك في القطعة الأخرية.

وبويع بعده ابنه أبو يعقوب (يوسف بن عبد المؤمن) فاستولى على ما كان بيد أبيه من العدوتين وأفريقية ؛ وأشتتل بإصلاح الملك وجهاد الدؤ ، وأجاز إلى الأندلس لجهاد النصارى ، وقُتل في بعض غزواته فيه بسهم أصابه . وقيل مريض فمات سنة ثمانين وثمانمائة .

وبُيع ابنه (يعقوب بن يوسف) بإشبيلية حبيب وفاته وتلقب بالمنصور ، فاستولى على ما كان بيد أبيه من الممالك إلى الأندلس ، وكان له مع العدو قوائم ، ومريض بالأندلس فمات سنة خمس وتسعين وثمانمائة .

وبُيع ابنه (محمد) ولي عهده وتلقب الناصر لدين الله ، ورجع إلى بلاد المغرب . وفي أيامه ثار (ابن غانية) على أفريقية وتقلب عليها ، وولى أبا محمد ابن الشيخ أبي حفص عليها ، فاستحزرت بها قدم يليه إلى الآن ؛ وأجاز إلى الأندلس وزل إشبيلية ، وألتقى مع العدو في صفر سنة تسع وثمانمائة ، وأبطل المسامون في ذلك اليوم ورجع إلى مرأش فمات في شعبان من السنة المذكورة .

وبُيع ابنه (يوسف بن محمد) سنة إحدى عشرة وثمانمائة ، وهو ابن ست عشرة سنة ، وتلقب المستنصر بالله ، وتأخر أبو محمد ابن الشيخ أبي حفص عن بيعته لصغر سنه ، وغلب عليه مشيخة الموحدين فقادوا بأمره . وبقي المستنصر حتى مات يوم (١١) الأضحي سنة ست وعشرين وثمانمائة .

وبُيع بعده أبو محمد (عبد الواحد بن يوسف) بن عبد المؤمن ، وهو أخو المنصور ويُعرف (بالخلوخ) . وكان والي الحرسية من الأندلس أبو محمد عبد الله بن يعقوب ابن المنصور ، بن يوسف ، بن عبد المؤمن . فثار بالأندلس ودعا لنفسه وتلقب

(١) في البرج ٦ ص ٢٥١ يوم الأضحي من سنة عشرين وثمانمائة وهو الصواب .

(العادل). وأتصل الخبر بمراكش فاضطرب الموحدون على (المخلوع) وبعثوا بيعتهم إلى العادل بالأندلس، وبادر العادل إلى مراكش فدخلها وبقي حتى قيل بها أيام الفطر سنة أربع وعشرين وستمائة.

وكان أخوه (١) إدريس بن المنصور) بإشبيلية من الأندلس قدما لنفسه وبويع وبعث الموحدون بيعتهم إليه، ثم قصد مراكش فهلك في طريقه بوادي أم ربيع مقتحمة سنة ثلاثين وستمائة، وتغلب ابن هود على مبنة.

وبويع بعده ابنه (المأمون عبد الواحد بن إدريس) فلقب الرشيد، ودخل إلى مراكش فبايعوه، وبقي حتى توفي سنة أربعين وستمائة.

وبويع بعده أخوه (أبو الحسن علي السعيد) ولقب المعتضد بالله، وقام بالأمر ثم سار إلى تلمسان فكان بها مهلكة على يد بني عبد الواد في صفر سنة ست وأربعين وستمائة، وكان فيها أميلاء النصاري على إشبيلية.

ثم اجتمع الموحدون على بيعة (أبي حفص) عمر بن أبي إسحاق بن يوسف، ابن عبد المؤمن، فبايعوه ولقب (المرتضى) وكان بسلا فقدم إلى مراكش. وفي أيامه استولى أبو يحيى بن عبد الحق المريني جد السلطان أبي الحسن على مدينة فاس سنة سبع وأربعين وستمائة، واستبد العزفي بسبنة.

ثم انتفض على المرتضى قائد حروبه (أبو العلاء) الملقب بأبي دؤوس، بن أبي عبد الله محمد، بن أبي حفص، بن عبد المؤمن، ففر منه واجتمع عليه جموع من الموحدين وقصد مراكش وبها المرتضى فغلبه عليها، وألقيا وفر المرتضى إلى أزموور

(١) لقبه في البر بالأمون.

(٢) صوابه ابنه عبد الواحد بن المأمون لقب أبيه إدريس كما في البر وغيره.

فقبض عليه واليها وأعتقله إلى أن ورد أمر ^(١) [أبي دبوس] بقتله فقتله ، وأستقل أبو دبوس بالأمر وتلقب (الوائقي بالله) والمعتمد على الله .

ثم جمع يعقوب بن عبد الحق وقصد مرأش نخرج إليه أبو دبوس ، فكانت الهزيمة على أبي دبوس ، ففر هارباً فأدركه وقتل ؛ ودخل يعقوب بن عبد الحق مرأش وملكها سنة ثمان وستين وستمائة ، وفر مشيخة الموحدين إلى معاقلم بعد أن كانوا يابعوا عبد الواحد بن أبي دبوس ولقبوه المتصم ، فأقام خمسة أيام ، وخرج في جملتهم ، وأقرض أمر بني عبد المؤمن ، ولم يبق للوحديين ملك إلا بأفريقية لبني أبي حفص على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثامنة

(٢)

(ملوك بني عبد الحق من بني مرين ، القائمون بها إلى الآن)

وهو عبد الحق بن محيو ، بن أبي بكر ، بن حماسة ، بن محمد ، بن ورزير ، بن فكوس ، بن كوماط ، بن مرين ، بن ورتاجن ، بن ماخوخ ، بن جديج ، بن فاتن ، ابن بدر ، بن نجفت ، بن عبدالله ، بن ورتييص ، بن المعز ، بن إبراهيم ، بن رجيك ، ابن واشين ، بن بصلتن ، بن مشد ، بن إيكاء ، بن ورسيك ، بن أديلت ، بن جانا ، وهو زانته .

كانت منازل بني مرين ما بين فيكيك إلى صا وملويه ، وكانت الرئاسة فيهم (لحمدا) ابن ورزير بن فكوس .

(١) في الأصل المرتضى وهو خطأ .

(٢) هو بوزن أميركا ضبطه السيد مرتضى في كتابه " تاج العروس " في مادة م ر ن .

ولما هلك محمد قام بأمره من بعده أبنة (حمامة) ثم من بعده أخوه (عسكر)
ولما هلك قام برياسته فيهم أبنة (الخضب) فلم يزل أميراً عليهم إلى أن قُتِلَ في حرب
الموحدين في سنة أربعين وخمسة .

وقام بأمرهم من بعده (أبو بكر ابن عم حمامة بن محمد) وبقى حتى هلك .
فقام من بعده أبنة (محيو) ولم يزل حتى أصابته جراحة في بعض الحروب ،
وهو في عداد المنصور بن عبد المؤمن ، هلك منها بعد مَرَّجعه إلى الزَّاب سنة إحدى
وتسعين وخمسة .

وقام برياسته أبنة (عبد الحق بن محيو) وكان أكبر أولاده ، وهو الذي تنسب
إليه ملوك فاس الآن . فأحسن السير في إمارته إلى أن كانت أيام المستنصر يوسف
ابن الناصر : خامس خلفاء بني عبد المؤمن فتارت الفتنة بينه وبين بني مرين ،
وكانت بينهم حروب هلك في بعضها عبد الحق بن محيو .

ونصب بنو مرين بعده أبنة أبا سعيد (عثمان بن عبد الحق) وشهرته بينهم
ادرغال ، ومعناه بلغتهم الأعور ، وقوى سلطانه وغلب على ضواحي المغرب ، وضرب
الإتاوة عليهم وتابعه أكثر القبائل ، وفرض على أمصار المغرب مثل فاس وتازا
وغيرها ضريبة معلومة في كل سنة على أن يكف الغارة عنهم . ولم يزل على ذلك إلى
أن قتله علفج من علوجه سنة سبع وثلاثين وستمائة .

وقام بأمر بني مرين من بعده أخوه (محمد بن عبد الحق) بغيري على سنن أخيه
في الاستيلاء على بلاد المغرب ، وضرب الإتاوة على بلاده ومُدته إلى أن كانت أيام
السعيد بن المأمون من بني عبد المؤمن ، فجهاز عساكر الموحدين لقتال بني مرين ،
فخرجوا إليهم في جيش كثيف في سنة ثنتين وأربعين وستمائة ، ودارت الحرب
بينهم فكانت الهزيمة على بني مرين ، وقتل محمد بن عبد الحق .

وقام بأمرهم من بعده أبنته أبو يحيى^(١) (زكريا بن عبد الحق) وقسم جبايته ببلاد المغرب في عشائري مريين، ودارت الحرب بينهم وبين الموحدين، إلى أن مات السعيد بن المأمون من بني عبد المؤمن، وانتقل الأمر بعده إلى أبنته عبد الله، فضعت دولة بني عبد المؤمن. واستولى (أبو يحيى) بن عبد الحق على أكثر بلاد المغرب، وقصد فاس وبها بعض بني عبد المؤمن فأنشأ عليها وتطلف بأهلها، ودعاهم إلى الدعوة الحفصية بأفريقية، فأجابوه إلى ذلك وبايعوه خازج باب الفتوح. ودخل إلى قسبة فاس لشهرين من موت السعيد في أول سنة ست وأربعين وستمائة، وبايعه أهل تازا وأهل سلا ورباط الفتح، واستولى على نواحيها، وأقام فيها الدعوة الحفصية، وأستبد بنو مريين بملك المغرب الأقصى، وبنو عبد الواد بملك المغرب الأوسط.

وملك سبعمائة سنة ثلاث وخمسين وستمائة من أيدي عامة الموحدين وبقي حتى هلك بفاس في رجب سنة ست وخمسين وستمائة، ودفن بمقبرة باب الفتوح.

وتصددى للقيام بأمره أبنته (عمر) ومال أهل الحبل والعقد إلى عمه أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، وكان ثانياً بناراً قديماً ثم وقع الصلح بينهما على أن ترك يعقوب الأمر لابن أخيه عمر على أن يكون له تازا وبلادها، ثم وقع الخلف بينهما والتقياً ففاز عمر ثم نزل لعمه يعقوب عن الأمر.

ورحل السلطان أبو يوسف (يعقوب بن عبد الحق) فدخل فاس بملكها، ثم هلك عمر بعد سنة، فكفى يعقوب شأنه وأستقام سلطانه، وأخذ في افتتاح أمصار المغرب. وأنتش أمره باستنقاذ مدينة سلا من أيدي النصاري، ثم قصد إلى مرّاكش فخرج إليه الخليفة المرتضى من بني عبد المؤمن، وكانت بينهما حرب

(١) أظهر أخوه وم جميعاً أولاد عبد الحق.

هُزِمَ فِيهَا الْمُرْتَضَى وَقُتِلَ ؛ وَبَاجِ الْمُوَحِّدُونَ أَخَاهُ (إِسْمَاعِيلَ) ثُمَّ قُبِضَ عَلَيْهِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ وَسِتْمِائَةَ فَقُتِلَ فِيمَنْ مَعَهُ ، وَأَقْرَضَ أَمْرَ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْمَغْرِبِ .

وَوَصَلَ السُّلْطَانُ أَبُو يَوْسُفَ إِلَى مَرَّاكُشَ أَوَّلَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِينَ وَسِتْمِائَةَ فَدَخَلَهَا ، وَوَرِثَ مُلْكُ الْمُوَحِّدِينَ بِهَا ؛ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى فَاَسَ بَعْدَ أَنْ أَسْتَخْلَفَ عَلَى مَرَّاكُشَ فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَتِهِ ؛ وَشَرَعَ فِي بِنَاءِ الْمَدِينَةِ الَّتِي أَسْتَجَدَّهَا مُلَاصِقَةً لِمَدِينَةِ فَاَسَ فِي ثَالِثِ شَوَّالٍ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَسِتْمِائَةَ ، وَنَزَلَ فِيهَا بِمَحَاشِيَتِهِ وَدَوِيهِ ؛ وَغَزَا فِي خِلَالِ ذَلِكَ النَّصَارَى بِالْأَنْدَلُسِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ حَتَّى أَذْنَنَ لَهُ شَانِجِيَّةُ بْنُ أَدْفُونَشَ ، وَسَأَلَهُ فِي حَقِّهِ السَّلَامَ لَهُ فَعَقَدَ لَهُ عَلَى شَرْوِطٍ أَشْتَرَطَهَا عَلَيْهِ ، وَعَادَ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ فَمَرِضَ وَمَاتَ فِي آخِرِ الْمَحْزَمِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَسِتْمِائَةَ .

وَبُوعٍ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ وَلِيَ عَهْدَهُ أَبُو يَعْقُوبَ (يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ) بِفَرَّجٍ عَلَى سَنَةِ أَيْبِهِ فِي الْعَدْلِ وَالْفُرُوقِ ، وَأَجَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَجَدَّ السَّلَامَ مَعَ شَانِجِيَّةَ مَلِكِ النَّصَارَى . وَغَزَا تِلْكَ مَرَّاتٍ وَبَقِيَ حَتَّى طَعَنَهُ خَصِيٌّ مِنْ خَلَمِهِ ، وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَمَاتَ سَابِعَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ .

وَبُوعٍ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ أَبُو ثَابِتٍ (عَامِرُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسُفَ) وَأَخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ النَّوَاحِي ؛ ثُمَّ اسْتَقَامَ أَمْرُهُ وَبَقِيَ حَتَّى انْتَقَضَ عَلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ ، بَنُوَاحِي طَلَبَتْهُ مِنْ أَقْصَى الْغَرْبِ ، فَخَرَجَ لِقِتَالِهِ وَمَرِضَ فِي طَلَبَةِ وَمَاتَ فِي ثَامِنِ صَفَرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ .

وَبُوعٍ بَعْدَهُ أَخُوهُ (أَبُو الرَّبِيعِ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسُفَ) فَاحْسَنُ السَّيَةِ ، وَأَجَزَلُ الصَّلَاحِ ، وَسَارَ بِسِيرَةِ آبَائِهِ وَبَقِيَ حَتَّى مَاتَ بِمَدِينَةِ تَارَا فِي سَلْخِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ عَشْرٍ وَسَبْعِينَ وَدُفِنَ بِصَحْنٍ جَامِعِهَا .

ويبيع بعده اخوه أبو سعيد (عثمان بن أبي يعقوب يوسف) فلما استقام أمره بالغرب الأقصى سار إلى تِلْسان سنة أربع عشرة وسبعمائة فاترعها من موسى بن عثمان ابن يغمراسن : سلطان بني عبد الواد بها ؛ وانتقض عليه محمد بن يحيى العزقي صاحب سَبْتَه فسار إليه في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة فأذن للطاعة ؛ وأحضر عبد المهيمن بن محمد الحضرمي من سَبْتَه وولاه ديوان الإنشاء والعلامة .

وفي أيامه قصد بطرة وجوان ملك النصارى بالأندلس غُرْناطة . فاستفأوا به ، فأجاز البحر إليهم ولقي عساكر النصارى فهلك بطرة وجوان في المعركة وكانت النصره للمسلمين . وتوفي في ذي الحِجَّة سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة .

ويبيع بعده ابنه وليّ عهده أبو الحسن (علي بن عثمان) وهو الذي كان في عصر «المَقَرِّ الشهابي بن فضل الله» . وسار إلى تِلْسان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ، فلحقها من ابن أبي تاشفين سلطان بني عبد الواد بها بعد أن قتله بقصره . وملك تُوُس من يد أبي يحيى سلطان الحَفْصِيِّين بها في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ؛ وأنصل مُلكه ما بين بَرْقَة إلى السُّوس الأقصى والبحر المحيط الغربي ؛ ثم أسترجع الحَفْصِيُّون تُوُس بعد ذلك . وملك بعد ذلك سِيْلماسة قاعدة بلاد الصحراء بالغرب الأقصى ، وبقي حتى مات في الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ثنتين وخمسين وسبعمائة ببجل هَنَانَة .

ويُبيع بعده ابنه (أبو عثمان بن أبي الحسن) وكان بنو عبد الواد قد استعادوا تِلْسان في أيام أبيه فارتجعها منهم في سنة ثلاث وخمسين ؛ ونزل له الأمير محمد ابن أبي زكريا صاحب بِيْناية عنها فانظمت في مُلكه . وملك قُسْطَنْطِينَة من الحَفْصِيِّين بعد ذلك بالأمان . ثم ملك تُوُس من أيلهم سنة ثمان وخمسين ، ورجع

إلى المغرب فارتجع الحفصيون ثوئس وسائر بلاد أفريقيا وبقي حتى توفى في ذي الحجة سنة تسع وخمسين .

وكان أبوه (أبو زيّان) وليّ عهده فُعل عنه إلى أبوه (السعيد بن أبي عيّان) وأستولى عليه الحسن بن عمر وزير أبيه فحبسه في داره، واستقل بالأمور دونه .

وتقلب أبو حمّو سلطان بن عبد الواد على تلمسان فآثرها من يده في سنة ستين وسبعمائة .

ثم خرج على السعيد بن أبي عيّان عمه أبو سالم (إبراهيم بن أبي الحسن) وكان بالأندلس بجاء إليه بالأساطيل ، وأجتمع إليه الصاكر ، ووصل إلى فاس ، وخلع الحسن بن عمر سلطانه السعيد عن الأمر ، وأسلمه إلى عمّه أبي سالم وخرج إليه فبايعه ، ودخل فاس في منتصف شعبان سنة ستين وسبعمائة ، وأستولى على ملك المغرب ، وقصد تلمسان فأجفل عنها أبو حمّو سلطان بن عبد الواد فدخلها بالأمان في رجب سنة إحدى وستين وسبعمائة ، فأقر بملكها حفيدا من أحفاد بن عبد الواد يقال له أبو زيّان ، ورجع إلى فاس في شعبان من ستته . وواد أبو حمّو إلى تلمسان فملكها من أبي زيّان . وبني إيوانا فخا بفاس بجانب قصره ، وانتقل إليه ، وفوض أمر القلعة إلى عمر بن عبد الله بن عليّ من أبناء وزرائهم ، فعمد إلى أبي عمر (تاشفين الموحّدين) ابن السلطان أبي الحسن فأجلسه على أريكة الملك ، وبايعه في ذي القعدة سنة ثنتين وستين وسبعمائة ، وأفاض العطاء في الجند . وأصبح السلطان أبو سالم فوجد الأمر على ذلك ففتر بنفسه ، فأرسل عمر بن ^(١) [عبد الله بن] عليّ في أثره من قبض عليه وأحترق رأسه وأتى بها إلى فاس .

ثم أنكر أهل الدولة على عُمر بن عبد الله ما وقع منه من نصب أبي عمر المذكور
لضعف عقله ، فأعمل فكره فيمن يصلح للملك فوقع رأيه على (أبي زيان
محمد بن الأمير عبد الرحمن) بن السلطان أبي الحسن . وكان قد فرغ إلى ملك
النصارى بإشييلية من الأندلس ، فأقام عنده خوفاً من السلطان أبي سالم ، فبعث
إليه من أتى به ، وخلع أبا عُمر من الملك ، وبعث إليه بالآلة والبيعة من تلقاه
بطنجة . ورحل إلى فاس في منتصف شهر صفر سنة ثلاث وستين وسبعائة ،
ودخل إلى قصر الملك ، فأقام به والوزير عُمر بن عبد الله مستبد عليه لا يكل إليه
أمرًا ولا نهيًا وحجره من كل وجه ، فثقل ذلك على السلطان أبي زيان ، ووامر
بعض أصحابه في الفتك بالوزير عُمر ، فبلغ الخبر الوزير فدخل على السلطان من غير
إذن على ما كان اعتاده منه ، وألقاه في بئر وأظهر للناس أنه سقط عن ظهر فرسه
وهو تمل في تلك البئر .

واستدعى من حينه (عبد العزيز) أبن السلطان أبي الحسن من بعض الثور
بالقلمة ، فحضر القصر وجلس على سرير الملك ، ودخل عليه بنو مَرِين فبايعوه وكل
أمره . وذلك في المحرم سنة ثمان وستين وسبعائة ، وأستبد عليه كما كان مستبدًا على
من قبله ، فحجّره ومنعه من التصرف في شيء من أمره ، ومنع الناس أن يسألوه
في شيء من أمورهم ، فثقل ذلك عليه غاية الثقل ، وأكّنه في نفسه إلى أن أستدعاه
يومًا فدخل عليه القصر ، وكان قد أئتمن له رجالًا بالقصر ، فخرجوا عليه وضرّوه
بالسيوف حتى مات . وأستقل السلطان عبد العزيز بمملكته ، وقصد تابستان فلما
من يد أبي حمو سلطان بن عبد الواد بالأمان بعد إغفال أبي حمو عنها . ودخلها يوم
عاشوراء سنة اثنتين وسبعين وسبعائة . وأرتجل عنها آخر المحرم إلى الغرب ووصل

إلى فاس ، ثم عاد إلى تلمسان ونرج منها يريد المغرب ، ففرض ومات في الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وسبعائة .

وبويع بعده أبنته (سعيد بن عبد العزيز) وهو طفل ، وقام بأمره وزيره أبو بكر بن غازي ورجعوا به إلى المغرب ودخل إلى فاس وجُددت له البيعة بها ، واستبد عليه الوزير أبو بكر ، وسجّره عن التصرف في شيء من أمره ليصرفه . ورجع أبو حمو سلطان بني عبد الواد إلى تلمسان فلحقها في جمادى سنة أربع وسبعين وسبعائة .

ونرج عليه (أبو العباس أحمد بن أبي سالم) وكان بالأندلس فأجاز البحر وسار إلى فاس فلحقها . ودخلها أول المحرم سنة ست وسبعين وسبعائة ، وأستقل بملك المغرب ، وكان ذلك بمؤالة ابن الأحمر صاحب الأندلس فأتصلت بينهما بذلك الصّحبة ، وتأكدت المودة ، وتخلّى عن مرأئش لعبد الرحمن ، وكان بينهما صلح وانتقاض تارة وتارة ، وقصد تلمسان فلحقها من أبي حمو بعد فراره عنها ، وأقام بها أياماً وهم أسوارها ونرج منها في اتباع أبي حمو .

وخالفه السلطان (موسى) ابن عمه أبي عتّان إلى فاس فلحقها ، ونزل دار الملك بها في ربيع الأول سنة ست وثمانين وسبعائة ، وقدم السلطان أبو العباس إلى فاس ، فوجد موسى ابن عمه قد ملكها ففر عنها إلى تازا ، ثم أرسل إلى السلطان موسى بالطاعة والإذعان ، فأرسل من أتى به إليه ، فقيده وبعث به إلى الأندلس وأستقل السلطان موسى بملك المغرب ، وتوفي [لثلاث سنين من خلافته ^(١)] .

وبويع بعده (المتصرفُ ابنُ السلطان أبي العباس) فلم يلبث أن خرج عليه (الواق) محمد بن أبي الفضل (ابن السلطان (أبي الحسن) من الأندلس، فصار إلى فاس ودخلها وحلّ بدار الملك بها، وبُيع في شوال سنة ثمان وثمانين وسبعمائة .

وبعث المتصرف إلى أبيه أبي العباس بالأندلس فأجاز السلطان أبو العباس من الأندلس إلى سبّعة، فملكها في صفر سنة تسع وثمانين وسبعمائة، ثم استتله عنها ابنُ الأحمر صاحبُ الأندلس وأنتظمها في ملكه؛ ثم ظهرت دعوةُ السلطان أبي العباس بمراكش وأستولى جنده عليها؛ ثم سار إليها ابنُ المتصرف وملكها، وسار السلطان أبو العباس إلى فاس فملكها ودخل البلد الجديد بها خامسَ رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة لثلاثة أعوام وأربعة أشهر من خَلعه، وبعث بالواق إلى الأندلس ثم أمر بقتله قَتْلَ في طريقه بطَنْجَة .

وكان أبو حمو صاحبُ تلمسان قد مات وأستولى عليها بعده ابنه (أبو تاشفين) قائماً بدعوة أبي العباس صاحبِ فاس؛ ومات أبو تاشفين وأقيمَ ابنُه طفلاً فيها؛ ثم قتله عمه يوسف بن أبي حمو، وجهَّز السلطان أبو العباس ابنه (أبا فارس عثمان) فملكها وأقام فيها دعوة أبيه؛ وتوفي السلطان أبو العباس بمدينة تازا في المحرم سنة ست وتسعين وسبعمائة، وأستدعوا ابنَه أبا فارس فبايعوه بتازا، ورجعوا به إلى فاس، وأطلقوا أبازيان بن أبي حمو من الاعتقال وبعثوا به إلى تلمسان .
وتبقى أبو فارس في مملكة الغرب إلى الآن : وهو السلطان أبو فارس : عثمان ابن السلطان أبي العباس أحمد، ابن السلطان أبي سالم إبراهيم، ابن السلطان أبي الحسن علي، ابن السلطان أبي سعيد عثمان، ابن السلطان أبي يوسف يعقوب، ابن عبد الحق .

المَقْصِدُ الرَّابِعُ

(في بيان ترتيب هذه المملكة، وفيه تسع (عشر) جُمْل)

الجملة الأولى

(في ذكر الجُند، وأرباب الوظائف: من أرباب السيوف والأقلام؛ ومقادير الأرزاق الجارية عليهم، وزىّ السلطان، وترتيب حاله في الملك)

أما الجُند، فأشياخ كبار وأشياخ صغار، وهم القائمون مقام الأمراء الطبلخانات بمصر على ما تقدم في أفريقية، ولا يُعرف بها أمير له عتة كما بمصر والشام وإيران، ولا يُطلق اسم الإمرة عندهم على أحد من الجُند بحال. ثم بعد الأشياخ عامة الجُند من الأندلسيين وغيرهم، والمُلُوج من القرَج، على ما تقدم في مملكة أفريقية من غير فرق في الترتيب؛ والوزراء والقضاة وأرباب الوظائف على نحو ما تقدم في أفريقية.

الجملة الثانية

(في زىّ السلطان والأشياخ وأرباب الوظائف في اللبس)

أما زىّ السلطان والأشياخ وعامة الجُند، فإنهم يتعمّمون بهائم طوال، قليلة الغرض من كنان، ويُعمل فوقها إحرامات يُقوّنونها على أكتافهم، ويتقلّدون السيوف تقليدا بدوياً، ويلبسون الخفاف في أرجلهم (وتسمى عندهم الأتممة) كما في أفريقية، ويسُدّون المهامير فوقها، ويَتَخَذُونَ المَنَاطِقَ وهي (الحوائض) ويعبرن عنها بالمضيمات من فضة أو ذهب. وربما بلغت كل مضمة منها ألف مثقال، ولكنهم لا يسُدّونها إلا في يوم الحرب أو يوم التمييز: وهو يوم عَرَضَهم على السلطان. ويختص السلطان

يَلْبَسُ الْبُرُتْسُ الْأَبْيَضَ الرَّفِيعَ ، لَا يَلْبَسُهُ ذُو سَيْفٍ غَيْرُهُ . أَمَّا الْعُلَمَاءُ وَأَهْلُ الصَّلَاحِ
فَإِنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ ، وَلَا حَرَجَ فِي غَيْرِ الْمَلُونِ الْبَيْضِ مِنَ الْبِرَاسِ عَلَى أَحَدٍ .
وَأَمَّا زِيُّ الْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْكَتَّابِ وَطَائِفَةُ النَّاسِ ، فَقَرِيبٌ مِنْ لِبَاسِ الْجُنْدِ .
إِلَّا أَنْ عَمَّا تَمُوسُ خُضْرٌ ؛ وَلَا يَلْبَسُ أَحَدٌ مِنْهُمْ الْأَنْعَقَةَ : وَهِيَ الْأَخْضَفُ فِي الْحَضَرِ
وَلَا يَتَّبِعُ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ لِبَاسِهَا فِي السَّفَرِ .

الجملة الثالثة

(في الأرزاق المُنْفَقَةِ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ عَلَى أَهْلِ دَوْلَتِهِ)

أَمَّا رِزْقُ الْأَجَادِ فَقِي " مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ " عَنْ السَّلَامِيِّ : أَنَّ لِلْأَشْيَاحِ الْكِبَارِ
الْإِقْطَاعَاتِ الْجَارِيَةَ عَلَيْهِمْ : لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ ثَمَنُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ مِثْقَالٍ مِنْ
الذَّهَبِ ، يَأْخُذُهَا مِنْ قِبَالٍ ، وَدُقْرَى ، وَضِيَاغٍ ، وَقِلَاعٍ ؛ وَيَتَحَصَّلُ لَهُ مِنَ الْقَمْعِ
وَالشَّعِيرِ الْحُبُوبُ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ مِائَتَيْ أَلْفٍ وَمِثْقَالٍ . وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْإِقْطَاعِ
الْإِحْسَانِ فِي رَأْسِ كُلِّ سَنَةٍ وَهُوَ حَصَانٌ بِسَرْجِهِ وَجِلَامِهِ ، وَرِسْفٌ وَرِجٌّ مَحْلِيَانِ ، وَسَبِيَّةٌ ؛
وَهِيَ بَقِيَّةُ قِمَاشٍ فِيهَا ثَوْبٌ طَرْدٌ وَحِيشٌ مُنْعَبٌ سَكَنْدَرِيٌّ ، وَيَعْبُرُونَ عَنْ هَذَا الثَّوْبِ
بِالزَّرْدَخَانَاهِ ، وَثَوْبَانِ بَيَاضٍ مِنَ الْكَتَّانِ عَمَلِ أَفْرِيقِيَّةٍ ، وَإِحْرَامٌ وَشَاشٌ طَوْلُهُ ثَمَانُونَ
ذِرَاعًا ؛ وَقَصْبَتَانِ مِنْ مَلْفٍ وَهُوَ الْجُودُوحُ . وَبِمَا زِيدَ الْأَكْبَارُ عَلَى ذَلِكَ ، وَبِمَا قَصَّصَ
مَنْ هُوَ دُونَ هَذِهِ الرِّتَبَةِ . وَاللَّاشْيَاحُ الصَّغِيرُ مِنَ الْإِقْطَاعِ وَالْإِحْسَانِ نِصْفُ مَا لِلْأَشْيَاحِ
الْكِبَارِ مَعَ الْحِصَانِ الْمُسَرَّجِ الْمُنْتَهَمِ وَالسَّيْفِ وَالرُّمْحِ وَالْكَسْوَةِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَلْبَسُ فِي هَذِهِ
الرِّتَبَةِ فَيَكُونُ أَهْضَمَ . وَمَنْ عَدَا الْأَشْيَاحَ مِنَ الْجُنْدِ عَلَى طَبَقَاتٍ : فَالْمُقَرَّبُونَ إِلَى

السلطان يكون لكل واحد منهم ستون مثقالا من الذهب في كل شهر، وقليل ما هم؛ ومن دون ذلك يكون له في الشهر ثلاثون مثقالا ثم مادونها، إلى أن يتناهى إلى أقل الطبقات وهى ستة مثاقيل في كل شهر. وليس لأحد منهم بلد ولا مزرعة.

وأما قاضى القضاة، فله في كل يوم مثقال من الذهب، وله أرض يسيرة، يزرع بها ما يحب، منه مؤنته وعليق دوابه.

وأما كاتب السر، فله في كل يوم مثقالان من الذهب، وله حيران (يعنى قريتين) يتحصل له منهما متحصل جيد، مع رسوم كثيرة له على البلاد ومناقب وإرفاقات؛ ولكل واحد من كاتب السر وقاضى القضاة في كل سنة بقلة بصرجها ولجامها، وسبيلة فماش يرسم كسوته كما للأشياخ.

الجملة الرابعة

(في جلوس السلطان في كل يوم)

قال السلايمى: من عادة سلطانهم أن يجلس في بكرة كل يوم، ويدخل عليه الأشياء الكبار فيسلموا عليه، فيمد لهم السباط ثمائد في جفان حولها طوافير؛ وهى الخافى، فيها أطعمة ملونة متنوعة؛ ومع ذلك الحلوى: بعضها مصنوع بالسكر، ومعظمها مصنوع بالسل والزيت، فياكلون ثم يشترقون إلى أماكنهم. وربما ركب السلطان بعد ذلك والعسكر معه وقد لا يركب. أما اثريات النهار فإن الغلب أن يركب بعد العصر في عسكره ويذهب إلى نهر هناك، ثم يخرج إلى مكان فيسبح من الصبحاء، فيقف به على نثر من الأرض، وتتطارد الخيل قدامه، وتتطاعن الفرسان، وتتداعى الأفران، ويمثل الحرب لديه، وتقام صفوفها على سبيل التمرين حتى كأنها يوم الحرب حقيقة؛ ثم يعود في موكله إلى قصره، ويتفرق العساكر؛

وتحضر العلماء وفضلاء الناس وأعيانهم إلى محاضراته حيثئذ ، فيمد لهم سباط بين يديه فيأخذون ويؤاكلهم . ثم يأخذ كاتب السر في قراءة القصص والرقاع والكلام في المهمات ، ويبيت عنده من يسامره من الفضلاء في بعض الليالي ، وربما اقتضت الحال ميت كاتب السر فيبيت عنده .

الجملة الخامسة

(في جلوسه للظالم)

قال السلاحي : قد جرت عادة من له علامة أن يرتقب السلطان في ركوبه في موكب (يعني يوم جلوسه للظالم) فإذا أجاز به السلطان صاح من بُعد « لا إله إلا الله أنصرني نصرًا » فؤخذ قصته وتُدفع لكاتب السر ، فإذا عاد جلس في قبة معينة بالجلوسه ، ويجلس معه أكابر أشياخه مقلدين السيوف ، ويقف من دونهم على بُعد ، مضطفين متكئين على سيوفهم ، وقرأ كاتب السر قصص أصحاب المظالم وغيرها فينظر فيها بما يراه .

الجملة السادسة

(في شعار السلطان بهذه المملكة)

منها علم أبيض حرير مكتوب فيه بالذهب نسجاً بأعلى دائره آيات من القرآن ، يسمونه العلم المنصور كما في أفريقية . وربما عبر عنه هؤلاء بسعد الدولة ، يحمل بين يديه في المواكب .

ومنها - أعلام دونه مختلفة الألوان تحمل معه أيضا .

ومنها - سيف ورخ ودرقة . يحملان بين يديه في المواكب أيضا : يحملها ثلاثة من خاصته من وصفاته أو من أبناء خدم سلفه .

ومنها - أطبار تحمل حوله . ويعبرون عنها بالطبرزيات ، يحملها أكابر قواد علوجه من الفرج ورجال من الأندلسيين خلقه وقدمه .

ومنها - رماح طوال وقصار . يحملها خمسون رجلاً مشاة بين يديه مشدودى الأوساط بيد كل واحد منهم رمحان : رمح طويل ورمح قصير ، وهو متقلد مع ذلك بسيف .
ومنها - الجناثب . وهى خيل تُقاد أمامه ، عليها مروج مخروزة بالذهب كالزركش وركبها ذهب كل ركاب زنته ألف دينار ، وعليها ثياب سروج من الحرير مرقومة بالذهب ، ويعبرون عن الجناثب بالمقادات ، وعن ثياب السروج بالبراقع .

ومنها - الطبول تدق خلف ساقه وهى من خصائص السلاطن ليس لأحد من الناس أن يضرب طبلة غيره حتى يمنع من ذلك أصحاب الحلاق .

ومنها - البوقات مع الطبل على العادة .

الجملة السابعة

(فى ركوبه لصلاة العيد)

قال السلايمى : وفى ليلة العيدين يُنادى وإلى البلد فى أهلها بالمسير ، ويخرج أهل كل سوق ناحية ، ومع كل واحد منهم قوس أو آلة سلاح ، متجملين بأحسن الثياب ، ويهت الناس تلك الليلة أهل كل سوق ببناتهم خارج البلد ، ومع أهل كل سوق علم يختص بهم ، عليه رنك أهل تلك الصناعة بما يناسبهم . فإذا ركب السلطان بكرة اصطفوا صقوفاً يمشون قدامه ، ويركب السلطان ويركب العسكر معه مئمة وميمنة والعلاج خلفه ملتفون به ، والأعلام منشورة وراءه ، والطبول خلفها حتى يصل ثم يعود ، فينصرف أرباب الأسواق إلى بيوتهم ، ويحضر طعام السلطان خواصه وأشيائه .

الجملة الثامنة (في خروج السلطان للسفر)

من عادة هذا السلطان إذا سافر أن يخرج من قصره ويترك بظاهر بلده، ثم يرتحل من هناك فيضرب له طبل كبير قبيل الصبح إشعاراً بالسفر، فيتأهب الناس ويستغل كل أحد بالاستعداد للرحيل . فإذا صلى صلاة الصبح ركب الناس على قبايلهم في منازلهم المألوفة، ووقفوا في طريق السلطان صفاً إلى صف، ولكل قبيل رجل علم معروف به ومكان في الترتيب لا يتعداه ، فإذا صلى السلطان الصبح قعد أمام الناس ، ودارت عليه عيده ووضفائه وتبأؤه ، ويجلس ناس حوله يعرفون بالطبقة يجرى عليهم ديوانه ، يقرعون حزبا من القردان ، ويذكرون شيئا من الحديث النبوي، على قائله أفضل الصلاة والسلام . فإذا أمقر الصبح ركب وتقدم أمامه العلم الأبيض المعروف بالعلم المنصور ، وينب يديه الرجال بالسلح والخيال المجنوبة، بثياب السروج الموشية، ويعبرون عن ثياب السروج بالبراقع . وإذا وضع السلطان رجله في الركاب ، ضرب على طبل كبير يقال له تريال ثلاث ضربات إشعاراً بركوبه . ثم يسير السلطان بين صفي الخيل ويسلم كل صف عليه بأعلى صوته « سلام عليكم » ويكتفانه يمينا وشمالا، وتضرب جميع الطبول التي تحت البُتود الكبار الملونة خلف الوزير على بُعد من السلطان، ولا يتقدم أمام العلم الأبيض إلا من يكون من خواص علوج السلطان، وربما أمرهم بالحوالان بعضهم على بعض، ثم ينقطع ضرب الطبول إلى أن يقرب من المنزل .

- وإذا ركب السلطان لا يسأره إلا بعض كبار الأشياخ من بني مرين أو بعض عظماء العرب، وإذا استدعى أحدا لا يأتيه إلا ماشياً، ثم ربما حدثه وهو يمشي، وربما

أكرمهم فأكرمهم بالركوب . فإذا قُرب السلطانُ من المنزلِ تَهَنَّت الزمالة : وهم
الفرّاشون ، ويضربون شُقَّة من النِّكَّانِ في قلبها جلود يقوم بها عِصَى وجبال من
القَصَب في أوتاد، وتستدير على كثير من الأخيَّة وبيوتِ الشَّعر الخاصَّة به وبإياله
وأولاده الصِّغار؛ تكون هذه الشُّقَّة كالمدينة لها أربعة أبواب في كل جهة بابٌ،
وهذه الشُّقَّة هي المعبَّر عنها في الديار المصرية بالحوش؛ ويخف به عيدهم وعُلوجهم
ووصفانهم؛ ويضربُ السلطان أمامَ ذلك قُبَّة كبيرة مرتفعة من نِكَّان تسمى قبة الساقية
لجلوس الناس فيها وحُضُورهم عنده بها، وهذه هي التي تسمى بمصر المدقورة .
وإذا عاد السلطان إلى حضرة ملكه ضَرَبَت البشائرُ سبعة أيام ، وأطعم الناس
طعاما شاملا في موضع يَسَع كائِنهم .

الجملة التاسعة

(في مقدار عسكر هذه المملكة)

قال في "مسالك الأبصار" : سألت أبا عبد الله السلاوي عن عتة هذا العسكر
في سلطنة أبي الحسن المريني، وكان ابن جرار قد قال إن عسكره مائة ألف
وأربعون ألفا - فقال : الذي نعرفه قبل فتحه تَلَمَّسان أن جَرِيدَتِه المُنْبَتَّة في ديوانه
لا تزيد على أربعين ألف فارس غير حَفَظَةِ المُنْدن والسواحل ، إلا أنه [يُمْكِنُه] إذا
استجاش لحرب عليه أن يخرج في جموع كثيرة لا تكاد تحصر، وأنه يمكن أن يكون
قد زاد عسكره بعد فتح تَلَمَّسان مثل ذلك .

الجملة العاشرة

(في مكاتبات السطان)

قال في "مسالك الأبصار" : جرت العادة أنه إذا انتهى الكاتب إلى آخر الكتاب وكتب تاريخه ، كتب السلطان بخطه في آخره ماصوره "وكتب في التاريخ المؤرخ به" . ونقل عن السلاحي : أن ذلك مما أحدثه أبو حفص « عمر المري » عم السلطان أبي الحسن في سلطته ، وتبعه السلطان أبو الحسن على ذلك مع وثوقه بكتاب سيرة حينئذ : الفقيه الفاضل أبي محمد عبد المهين بن الحضرمي وأعتاده عليه ومشاركته له في كل أمر .

الملكة الخامسة

(من بلاد المغرب جبال البربر)

قال في "مسالك الأبصار" : في جنوب الغرب بين مملكة بر العنوة وبين بلاد مالي وما معها من بلاد السودان ثلاثة ملوك من البربر بيض مسلمون : بوم سلطان (أهير) وسلطان (دمونة) وسلطان (تادمكة) كل واحد منهم ملك مستقل بنفسه لا يحكم أحد منهم على الآخر ، وأكبرهم ملك (أهير) وزعيم نحوزي المغاربة : يلبسون الدراريح إلا أنها أضيئ ، وعمائم بأحناك ، ورتوبهم الإبل ، ولا خيل عندهم ولا للرعي [عليهم حكم ولا لصاحب مالي] ولا خبز عندهم ، وعيشهم عيش أهل البر من اللحم واللبن . أما الحبوب عندهم قليلة ، وهم في قلة أهوات .

ونقل عن الشيخ عيسى الزواوي أن لهم جبالا عامرة ، كثيرة الفواكه . وذكر أن بأيدي الثلاثة تهدر نصف ما ملك مالي من ملوك السودان أو أرجح بقليل ،

(١) الزيادة من "مسالك الأبصار" ليستقيم الكلام .

ولكن صاحب مائى أكثر فى تحصيل الأموال لاستيلائه على بلاد الذهب وما يباع
بملكته من السلع ، وما يفتنسه فى الغزوات من بلاد الكفار مجاورته لهم بخلاف
هؤلاء فإنه ليس لهم يد تمتد إلى كسب ، بل غالب أرزاقهم من دوابهم . ثم قال :
ودون هؤلاء فيما بينهم وبين مرأش من بلاد المغرب جبال المصامدة ، وهم خلق
لا يبد ، وأمم لا تخلصى ، وهم يقتخرون بالشجاعة والكرم .

ثم ذكر أنهم كانوا لا يدينون لسلطان إلا أنهم دانوا للسلطان أبى الحسن العريضى
ودخلوا تحت ذيل طاعته . على أنهم لا يملكون أحدا قيادهم ، ولا يسامون إليه
بلادهم . وبكل حال فهم معه بين صحة واعتلال .

المملكة السادسة

(من ممالك بلاد المغرب جزيرة الأندلس)

قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الألف والdal المهملة وسكون النون بينهما
وضم اللام ثم سين مهملة . وهى مقابل بر العنوة من بلاد المغرب ، وبينهما بحر
الزقاق الذى هو قمر بحر الروم ، وقد تقدم ذكره فى الكلام على الأبحر فى أول
هذه المقالة .

وقد آخِيف فى سبب تسمية الأندلس بهذا الاسم : فقيل ملكته أمة بعد
الطوفان يقال لها الأندلس بالشين المعجمة فسمى بهم ثم عرب بالسين المهملة ؛
وقيل خرج من رومة ثلاثة طوالع فى دين الروم ، يقال لأحدهم القندلش بالقاف^(١)
فى أوله وبالشين المعجمة فى آخره ؛ فقول القندلش هذه الأرض فُقرت به ، ثم

(١) لعله فى زمن الروم .

عُرِّبَتْ بإبدال القاف همزةً والشين المعجمة سينا مهملة . ويقال : إن اسمه القديم أفارية ، ثم سُمِّيَ باطقة ، ثم سُمِّيَ أشبانية ، ثم سُمِّيَ الأندلس باسم الأمة المذكورة . قال في "تقويم البلدان" : وسميت جزيرة لإحاطة البحر بها من الشرق والغرب والجنوب ، وإن كان جانبها الشمالي متصلاً بالبر كما سيأتي بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وفيه ست جمل :

الجملة الأولى

(في ذكر ملك أرضه وحلوه)

قال في "تقويم البلدان" : وجزيرة الأندلس على شكل مثلث : ركنٌ جنوبيٌ غربيٌّ ، وهناك جزيرة قُدسٍ وقمٌ بحر الزقاق . وركنٌ شرقيٌّ بين طرطونة وبين برشلونة ، وهي في جنوبيه ، وبالقرب منه بِلَنَسِيَّةٌ وطرطوشةٌ وجزيرة ميورقة . وركنٌ شماليٌّ بميلةً إلى البحر المحيط ، حيث الطول عشر درجات ودقائق ، والعرض ثمانٌ وأربعون . وهناك بالقرب من الركن المذكور مدينة شَنْتِيقَوْه ، وهي على البحر المحيط في شمالي الأندلس وغربيها . قال : والضلع الأول من الركن الجنوبي الغربي وهو الذي عند جزيرة قُدسٍ إلى الركن الشرقي الذي عند ميورقة ، وهذا الضلع هو ساحل الأندلس الجنوبي الممتد على بحر الزقاق . والضلع الثاني من الركن الشرقي المذكور إلى الركن الشمالي الذي عند شَنْتِيقَوْه ، وهذا الضلع هو حدة الأندلس الشمالي ، ويمتد على الجبل المعروف بجبل البرت الحاجر بين الأندلس وبين أرض تُعرَف بالأرض الكيرة ، وعلى ساحل الأندلس الممتد على بحر برديل . والضلع الثالث من الركن الشمالي المذكور إلى الركن الجنوبي المقدم الذكر ، وهذا الضلع هو ساحل الأندلس الغربي الممتد على البحر المحيط .

(١) لله شكل كما يقيد ما بعده وفي القطعة الازهرية تشكيل أرضه .

قال ابن مسعود : قال الجحاري : وطول الأندلس من جبل البرت الفاصل بين الأندلس والأرض الكبيرة وهو نهاية الأندلس الشرقية إلى أشبونة : وهي في نهاية الأندلس الغربية ألف ميل ، وعرض وسطه من بحر الزقاق إلى البحر المحيط عند طليطلة وجبل البرت ستة عشر يوماً . قال في "تقويم البلدان" : وقد قيل : إن طوله غربا وشرقا من أشبونة : وهي في غرب الأندلس إلى أربونة : وهي في شرق الأندلس مسيرة ستين يوماً ، وقيل : شهر ونصف . وقيل : شهر . قال : وهو الأصح .

وأعلم أن جبل البرت المقتم ذكره متصل من بحر الزقاق إلى البحر المحيط وطوله أربعون ميلا ، وفيه أبواب فصحا الأوائل ، حتى صار للأندلس طريق في البر من الأرض الكبيرة ، وقبل فصحا لم يكن للأندلس من الأرض الكبيرة طريق . وفي وسط الأندلس جبل ممتد من الشرق إلى الغرب يقال له جبل الشارة ، يقسمه بنصفين : نصف جنوبي ونصف شمالي .

الجملة الثانية

(فيما أشتمل عليه من المدن)

وهو يستعمل على عدة قواعد ومضافات :

القاعدة الأولى

(غرناطة)

قال في "تقويم البلدان" : يفتح النين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح النون وألف وطاء مهملة وهاء في الآخر . ويقال : أغرناطة بهمزة مفتوحة في أولها . وهي مدينة في جنوب الأندلس ، موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال

أبن سعيد : حيثُ الطول إحدى عشرة درجة وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : ومملكتها في الجنوب والشرق عن مملكة قُرطبة ، وبينها وبين قُرطبة نحو خمسة أيام . قال : وغرناطة في نهاية الحصانة وغاية التزاهة ، تُشبه دِمَشق من الشام ، وتُفَضِّل عليها بأن مدينتها مُشرفة على غوطتها وهي مكشوفة من الشمال ؛ وأنهارها تنصب من جبل الثلج الذي هو من جنوبها وتفتق فيها ؛ وعليها الأرحى داخل المدينة ؛ ولها أشجار وثمار ومياه مسيرة يومين تقع تحت مرأى العين لا يحجبها شيء . قال في "مسالك الأبصار" ولها ثلاثة عشر بابا : باب الأيكة وهو أخضها ؛ وباب الكحل ؛ وباب الرضاء ؛ وباب المرضى ؛ وباب المصرع ؛ وباب الرملة ؛ وباب الدباغين ؛ وباب الطوائين ، وباب الفخارين ؛ وباب الخنلق ؛ وباب الدقاق ؛ وباب البُنود ؛ وباب الأسدر . وحولها أربعة أرباض ^(١) : ربض الفخارين ؛ وربض الأجل ، وهو كثير القصور والبساتين ؛ وربض اليبازين بناحية باب الدقاق ، وهو كثير العمارة يخرج منه نحو خمسة عشر ألف مقاتل ، وهو ربض مستقل بحكامه وقضاياه وغير ذلك . وجامعها من أبدع الجوامع وأحسنها منظرا ، وهو مُحَكَّم البناء لا يُلَاصِقُه بناء ، تُخَفُّ به دكاكينُ اليهود والعطارين ، وقد قام سَقْفُه على أعمدة حسان ، والماء يجري داخله ، ومساجدها [ورباطاتها] لا تكاد تُحصى لكثرتها .

وذكر في "مسالك الأبصار" : أنها قليلة مَهَبِّ الرياح ، لا تجري بها الرياح إلا نادرا لاكتناف الجبال لها . ثم قال : وأصل أنهارها نهران عظيمان (شَيْل) و (حَدْرَه) .

(١) لم يذكر إلا ثلاثة وأسقط ربض الرملة وهو مذکور في المسالك .

(٢) كُتِبَ في "التقويم" أيضا ما قى في "المسجم" سنجل وهو الاظهر .

أما شليل، فينحدر من جبل سُكَيْرٍ بِجَنُوبِهَا ويمر على غربي غُرْنَاطَةَ إلى فَحْصَا،
يُسْقَى فيها أربعين ميلا بين بساتين وقُورَى وضياح كثيرة البيوت والغلال وأبراج
الحمام وغير ذلك . قال : ويتهى لخصها إلى (لَوْشَة) حيث أصحاب الكهف على
قول، وجبل سُكَيْرٍ المذكور هو طُودُ شَاخٍ لَا يَنْفَكُ عَنْ التَّلَجِّ شَتَاءً وَلَا صَيْفًا، فهو
لِلنَّاسِ شَدِيدُ الْبُرْدِ، وَيُؤَثِّرُ بِهِ بَغْرُنَاطَةَ فِي الشِّتَاءِ : لقربه منها إذ ليس بينه وبينها
سوى عشرة أميال . وفي ذلك يقول ابن صدره الشاعر قاتله الله :

أَحِلَّ لَنَا تَرْكُ الصَّلَاةِ بِأَرْضِكُمْ ، * وَشُرْبُ الْحَمِيٍّ وَهُوَ شَيْءٌ مُحَرَّمُ !
فِرَارًا إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ لِأَنَّا * أَرَقُّ طِينًا مِنْ سُكَيْرٍ وَأَرْحَمُ !
لَئِنْ كَانَ رَبِّي مُدْخِلٌ فِي جَهَنَّمَ ، * فَفِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ طَابَتْ جَهَنَّمُ !

وأما حَدَرُهُ، فينحدر من جبل بناحية (وادي ياش) شرقي سُكَيْرٍ فيمر بين بساتين
وَمَزَارِعَ وَكُرُومٍ إِلَى أَنْ يَتَّيَّحَ إِلَى غُرْنَاطَةَ، فيدخلها على باب الدلاف بشرقيها،
يُسْقَى المدينة نصفين، تَطْعَنُ بِهِ الْأَرْحَاءُ بِدَاخِلِهَا، وَعَلَيْهِ بِدَاخِلِهَا نَحْسٌ قَنَاطَرُ : وهي
قنطرة ابن رَشِيقٍ، وقنطرة القاضي، وقنطرة سَمَامٍ جَاسٍ، والقنطرة الجديدة، وقنطرة
الفود؛ وعلى القناطر سواقٍ ومبانٍ محكمة . والماء يجري من هذا النهر في جميع
البلد : في أسواقه وقاعاته ومساجده، يُرْزَقُ فِيهَا أَمَا كُنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَتَغْنِي
جِدَاوُلُهُ نَحْتَهَا فِي الْأَكْثَرِ، وَحَيْثُ طَلَبَ الْمَاءُ وَجِدَ؛ وبالمدينة جِلَانٍ يَشْقَانِ وَسَطَهَا،
يعرف أحدهما بِالنَزْزَةِ وَمَوْزُور . والثاني بالقصبه القديمة، وبالز . وبهما دُور
حَسَنَانِ، وَعَلَالِيٌّ مُشْرِفَةٌ عَلَى لَحْصَا، فيرى منهما منظرا بديعا من فروع الأنهار
والمزروعات وغير ذلك مما يقصر عنه التخييل والتشبيه . وقد صارت قاعدة مُلْكِ
الإسلام بِالْأَنْدَلُسِ بيد ملوكها من بني الأحرر الآتي ذكرهم في الكلام على ملوكها .

قال في "مسالك الأبصار" : وبها من الفواكه التفاح ، والقراصيا البعلبكية التي لا تكاد توجد في الدنيا منظرًا وحلاوة حتى إنها يُعصر منها السُّلُّ . وبها الجوز ، والقسطل ، والتين ، والأعتاب ، والخوخ ، والبُلُوط ، وغير ذلك . ويجبل سُكَّير المقدم ذكره عقاقير كهقاقير الهند وعُشب يستعمل في الأدوية ، يعرفها الشَّجَّارون لا تُوجد في الهند ولا في غيره .

قال في "التعريف" : ومقر سلطانها منها (القصبة الحمراء) قال : ومعنى القصبة عنصم القلعة ، وتسمى حمراء غُرناطة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة عالية شديدة الإمتناع . قال في "مسالك الأبصار" : وهي بديعة متسعة كثيرة المباني الضخمة والقصور ظريفة جدًا ، يمرى بها الماء تحت بلاط كما يمرى في المدينة ، فلا يخلو منه مسجد ولا بيت ، وأعلى بُرج منها عين ماء ، وجامعها من أبدع الجوامع حسنًا ، وأحسنها بناءً ، وبه الثريات الفضية معلقة ، وبجائط محرابه أجمار ياقوت مُرصّفة في جملة ما تمق به من الذهب والفضة ، ومنبره من العاج والابنوس . قال في "تقويم البلدان" في الكلام على الأندلس : ولم يبق للسلمين بها غير غُرناطة وما أُضيف إليها ، مثل الجزيرة الخضراء ، والمريّة . قال في "مسالك الأبصار" : وطولها عشرة أيام ، وعرضها ثلاثة أيام . وهي ممتدة على بحر الزقاق وما إلى ذلك . ثم قال : وأولها من جهة المشرق المريّة ، وهي أول مرامي البلاد الإسلامية . قال في "تقويم البلدان" : وكانت القاعدة قبل غُرناطة حصنًا لثيرة ، غُرب في زمن الإسلام ، وصارت القاعدة غُرناطة .

وقد عدّ في "مسالك الأبصار" من هذه المملكة عدة بلاد مُضافة إلى مملكة غُرناطة الآن .

منها (المريّة) قال في "المشارك" : بفتح الميم وكسر الراء المهملة وتشديد المنة
من تحت وفي آخرها هاء . وهي مدينة بين مملكتيّ مآلقّة ومُرسيّة، موقعها في الإقليم
الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول
أربع عشرة درجة، والعرض خمس وثلاثون درجة وأثنان وأربعون دقيقة . قال :
وهي مدينة مسورة على حافة بحر الرّفاق، وهي باب الشرق، ومفتاح الرّزق، ولها برّ
فضّى، وساحل تيّري، وبحر زبرجديّ، وأسوارها عالية، وقطعتها منيعة شائخة،
وهواؤها معتدل، ويعمل بها من الحرير ما يفوق الجمال^(١) .
قال في "مسالك الأبصار" : والمريّة ثلاثُ مَدَن .

الأولى — من جهة الغرب تعرف بالحوّض الداخليّ، لها سور محفوظ من العدو
بالشّمار والحُرّاس، ولا عمارة فيها ؛ ويلها إلى الشرق المدينة القديمة، وتليها المدينة
الثالثة المعروفة بمصلىّ المريّة، وهي أكبر الثلاث . ولها قلعة يجوار القديمة من جهة
الشّمال، وتسمّى القصبه فيُعرفهم . قال : وهما قصبتان في زاوية الحسن والمنمة .
وساحل المريّة أحسن السّواحل ، وحولها حصون وقرى كثيرة وجبال شائخة .
وجامعها الكبير بالمدينة القديمة، وهو من بديع الجوامع . وهي مدينة كثيرة الفواكه،
وأكثر زرعها بالمطر وطيبه يترتب الخشب وعلمه ؛ وإليها يُجلب الحنطة من برّ
العدوة ؛ وبها دار صناعة لعمارة المراكب ؛ وبينها وبين غرّناطة مسيرة ثلاثة أيام .
وكانت في الزمن الأوّل قبل إضاقتها إلى غرّناطة مملكةً مستقلةً . ويقال : إن وادي
المريّة من أبداع الأوديّة على أن مائه يقلّ في الصيف حتى يُقسط على البساتين .

(١) التي في تقويم البلدان "ويعمل بها من الحرير ما يفوق معمول غيرها" .

قال في "مسالك الأبصار" : وطى وادى العريّة (بجنانة) . قال : وهى الآن قرية عظيمة جدًا ، ذات زيتون وأعناب وفواكه مختلفة ، وبساتين ضخمة كثيرة الثمرات .

ومنها (شَلُوبِين) ^(١) بفتح الشين المعجمة وضم اللام وسكون الواو وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت ونون فى الآخر . سماها فى "تقويم البلدان" : شلوبينية . ثم قال : وهو من حصون غرناطة البحرية على بحر الزقاق ، ومنه أبو على عمر بن محمد الشلوينى إمام نحاة المغرب . قال صاحب حماة : وقد غلط من قال الشلوينى هو الأشقر بلغة الأندلس . قال فى "مسالك الأبصار" : وبها يُزرع قصب السكر ، وهى مُعدة لإرسال من ينصب عليه السلطان من أقاربه .

ومنها (الْمُنْكَب) . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مدينة على القرب من شَلُوبِين دُونَ الْعَرِيّة ، بها دارُ صناعة لإنشاء السفن ، وبها قصب السكر ، ومنها يحمل السكر إلى البلاد ، وبها الموز ، ولا يوجد فى بلد من البلاد الإسلامية [هناك] إلا بها إلا مالا يعتبر ، وبها زبيب مشهور الأسم .

ومنها (بَلَش) . وهى مدينة تلي المنكب من جهة الغرب ، كثيرة الثين والعنب والفواكه . قال أبو عبد الله بن السديد : ليس بالأندلس أكثر عنبًا وتينًا يابسًا منها .

ومنها (مَالِقَة) قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الميم وألف وكسر اللام وفتح القاف وهاء فى الآخر . وهى مدينة من جنوب الأندلس موقعها فى الإقليم الرابع

(١) ضبطه ابن خلكان فى "الوفيات" بفتح اللام وهو المشهور .

(٢) ضبطها ياقوت فى معجمه بفتح اللام وهو الأشهر .

من الأقاليم السبعة . قال : وقياس ابن مسعود أنها حيث الطولُ عشرُ درج وثلاثون دقيقةً ، والعرضُ ثمانٌ وثلاثون درجةً وأربع وخمسون دقيقة : وكانت في القديم مملكةً مستقلةً ، ثم أُضيفت الآن إلى غرناطة وملكها حتى مملكة قرطبة ، وهي بين مملكتي إشبيلية وغرناطة ، وهي على بحر الزقاق ، وبها الكثير من التين واللوز الحسن المنظر ، ومنها يُنقل يابساً إلى جميع غرب الأندلس . قال : في "مسالك الأبصار" : ولها رِبَضان عامران : أحدهما من مَلُوها والآخَر من سَقَلها وبجامعها بديع ، وبصحنه نارنج ونخلة نابتة ، وبها دار صناعة لإنشاء المراكب ، وهي مختصة بعمل صنائع الجلود : كالأغشية ، والحُزْم ، والمدورات ، وبصنائع الحديد : كالسكين والمِقَصِّ ونحوهما . وبها القنَّار المُذهب الذي لا يوجد مثله في بلد . قال ابن السديد : وبها سوق ممتد لعمل الخوص من الأطباق وما في معناها ، ولها عِدَّة حصون في أعمالها ، وفي أعمالها يوجد الحرير الكثير .

ومنها مدينة (مَرَبِلَة) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وضم الباء الموحدة وفتح اللام المشددة وهاء في الآخر . وهي مدينة صغيرة مما على مَلِقة من الغرب على الساحل ، وبها الفواكه الكثيرة والسَّمَك .

ومنها (أُشْبُونَة) . وهي مما على مَرَبِلَة من جهة الغرب على الساحل ، وهي نظيرها في كثرة الفواكه .

ومنها (جبل القَتِّح) . وهو الذي نزل طاروق عند فتح الأندلس في أول الإسلام ، متبعٌ جداً ، يخرج في بحر الزقاق ستة أميال ، وهو أضيئ ما يكون عنده ، وقد كان هذا

الجل في مملكة القَرْج وأقام يعلم عِدَّةَ مَسِين ، ثم أعاده الله تعالى إلى المسلمين في أيام السلطان أبي الحسن المَرْيَنِي ، صاحب الغرب الأقصى في زمن الملك الناصر «محمد بن قلاوون» صاحب الديار المصرية .

ومنها (الجزيرة الخضراء) . وهي مما على جبل الفتح من الغرب على الساحل ؛ وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في «تقويم البلدان» : والقياس أنها حيث الطول تسع درج ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال : وهي مدينة أمام مَبْتَأَ من بَرِّ العُدُوَّة من بلاد الغرب . وهي مدينة طَيِّبَةٌ تَزِيهَةٌ ، تَوَسَّطَتْ مَدَنَ الساحل ، وأشرقت بِسُورِهَا على البحر ؛ ومرسأها من أحسن المَرَامِي للجواز ، وأرضها أرض زرع وضرع ، وخارجها المياه الجارية والبساتين النضيرة ؛ ونهرها يُعرف بوادي السَّل ، وعليه مكان تَزِيه يُشرف عليه وعلى البحر يُعرف بالحاجيَّة ؛ ومن مستترها مَكَانٌ يُعرف بالقَاء . قال ابن سعيد : وهي من أَرشَقِ المَدُن وأطيبها وأرققها بأهلها وأجمعها لخير البر والبحر . قال في «المشترك» : والنسبة إليها جَزِيرِيٌّ ، للفرق بينها وبين إقليم الجزيرة فإنه ينسب إليه جَزَرِيٌّ . قال في «مسالك الأبحار» : وهي آخر البلاد البحرية الإسلامية للاندلس وليس بعدها [لم بلاد] . ثم قال : وهي الآن بيد النصاري أعادها الله تعالى وقصمهم ؛ وقد عدّها في «تقويم البلدان» : من كُورِ إشييلية مما على جانب نهرها من الجَنُوب .

ومنها (رُنْدَة) بضم الراء وسكون النون وفتح الدال المهملة وهاء في الآخر . وهي بعيدة عن البحر . وعدّها في «تقويم البلدان» من كُورِ إشييلية . ثم قال : وبها مَعْقِل تَعَمُّ بالسحاب ، وتَوَجَّعُ بالأنهار [العذاب^(١)] وذكر أنها من كِجَارِ البلدان ؛ ثم قال :

وهى بلدة جليسة ، كثيرة الفواكه والمياه والحُرث والمَاشِيَّة ، وأهلها موصوفون بالجمال وِرْقَةُ البشرة واللَّطَافَة ؛ وبينها وبين الجزيرة الخضراء مَسِيرَةٌ ثَلَاثَةُ أَيَّام .
ومنها (مدينة لَوْثَة) . قال فى "تَقْوِيمُ الْبُلْدَانِ" : وهى عن غَرْنَاطَة على مرحلة بين البساتين والرياض .

ومنها (وَادِيَّاش) بفتح الواو وألف ثم دال مهملة مكسورة بعدها ياء مثناة تحتيَّة وألف ثم شين معجمة . ويقال : (وَادِاش) بإبدال الياء همزة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى بلدة حسنة ، يَدِيعة ، منيعة جدًا ، كثيرة الفواكه والمَزَارِع ؛ والمياه تُسْقَى أمام أبوابها كما فى غَرْنَاطَة ، قرية من جبل شُكْرُ المَقْدَم ذكره مع غَرْنَاطَة ، فلذلك هى شديدة البرد بسبب ما على الجبل المذكور من الثلج .
قال : وهى بلدة مُثْلِفَة ، وأهلها موصوفون بالشعر ، ويحكم بها الرؤساء من أقارب صاحب غَرْنَاطَة أو مَنْ يَسْتَقِلُّ بها سلطانا أو مَنْ خُلِعَ من سلطان لنفسه .

ومنها (بَسْطَة) . وهى بلدة تلى وَادِيَّاش المَقْدَم ذكرها . وعندها فى "تَقْوِيمُ الْبُلْدَانِ" من أعمال جِيَّان . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى كثيرة الزَّرْع واختَصَّتْ بالزعفران ، فيها منه ما يكفى أهل المِلَّة الإسلامية بالأندلس على كثرة ما يستعملونه منه .

ومنها (أَنْدَرَّاش) . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مدينة ظريفة ، كثيرة الحِصْب ، وتختص بالفخار لجودة تربتها ، فليس فى الدنيا مثل فَخَّارها للطبخ .
إلى غير ذلك من البُلْدَان مثل أَرْحُضُونَة وَأَنْتَقِيرَة وَبَرْجَة وغيرها . قال فى "مسالك الأبصار" : وحصون هذه المملكة كثيرة جدًا ، فليس بها من بلد إلا وحوله حُصُون كثيرة محفوظة بولاء السلطان ورجال تحت أيديهم .

القاعدة الثانية

(أشبونة)

قال في "تهويم البلدان" : يضم الحمزة وسكون الشين المعجمة وضم الباء الموحدة ثم واو ونون وفي آخرها هاء . قال : وعن بعض المسافرين أن أولها لام . وهي مدينة في غَرْب الأندلس ، وموقعها في أواخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول ستُدرَج ونحس ونحسون دقيقة ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وأربعون دقيقة . قال في "تهويم البلدان" : وهي قاعدة مملكة على البحر المحيط في غربي إشبيلية وشمالها ، وغربي باجة . وهي مدينة أزيلَّة ولها البساتين والثمار المفضلة على غيرها . قال ابن سعيد : وبينها وبين البحر المحيط ثلاثون ميلا . وهي على جانب نهر يودانس . قال في "تهويم البلدان" : وبزائها خيار البزاة . قال : وكانت في آخر وقت مضافة إلى بَلْيُوس وملكها ابن الأنطس . وذكر في "العبر" : أنها الآن قاعدة مملكة من ممالك النصارى بالأندلس يقال لها مملكة البرغال ، وأنها عمالة صغيرة ، وقد أضيفت الآن إلى أعمال جليقية كما سيأتي ذكره في الكلام على ملوك الأندلس .

ولها مضافات :

منها (شَنْتِيرِين) قال في "تهويم البلدان" : بفتح الشين المعجمة وسكون النون وكسر المثناة من فوق والراء المهملة وسكون المثناة من تحت وفي آخرها نون فيما هو مكتوب بخط ابن سعيد . وهي مدينة كانت في القديم من جليقية شمالاً الأندلس ، ثم أمتقرت من أعمال أشبونة المقدم ذكرها . موقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول ثمانُ درج وعشر دقائق ، والعرض

أثنان وأربعون درجة ونحس وثلاثون دقيقة ، وهى على بحر برطانيّة : وهو بحر برّيدل الخارج من البحر المحيط المقسم ذكره فى الكلام على البحور ، وهى على نهر يصبّ فى البحر وأرضها طيبة .

ومنها (شترة) . وهى مدينة ذكرها فى " تقويم البلدان " مع أشبونة آمستردا ونسبها إلى عملها ، ولم يتعرض لضبطها ولا لطولها وعرضها . وقال : إن بها ثمّاحا مفرطا فى الكبر والنبالة .

ومنها مدينة (باجة) بفتح الباء الموحدة وألف ثم جيم مفتوحة وهاء فى الآخر . قال فى " تقويم البلدان " : وهى شرق أشبونة ، وهى من أقدم مدائن الأندلس ، وأرضها أرض زرع وضرع ، وعسلها فى نهاية الحس ، ولها خاصية فى حسن دباغ الأدم ، وكانت مملكة مستقلة .

القاعدة الثالثة

(بطليوس)

قال فى " تقويم البلدان " : بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة وسكون اللام وفتح المثناة التحتية وسكون الواو وسين مهملة فى الآخر . وهى مدينة من غرب الأندلس موقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول تسع درج ، والعرض ثمان وثلاثون درجة ونحسون دقيقة . قال فى " تقويم البلدان " : ومملكتها فى الشمال والغرب عن مملكة قرطبة . وهى فى الغرب بميلة إلى الجنوب عن مملكة طليطلة . وهى مدينة عظيمة فى بسط من الأرض غصير على جانب نهر . قال : وهى مدينة عظيمة إسلامية كانت بيد المتوكل بن عمر الأفلح ، وبنى بها المبانى العظيمة وفيها يقول ابن الفلاس :

بَطْلَيْوُسُ لَا أَنْسَاكِ مَا أَتَّصِلُ الْبُعْدُ ! * فَفَهْ غَوْرٌ مِنْ جَنَابِكَ أَوْ نَجْدُ !
 وَقَدْ تَوَحَّاتُ تَحْقُوكَ بِئِنَّهَا ، * تَفَجَّرَ وَادِيهَا كَمَا شَقَّقَ الْبُرْدُ !
 وبينها وبين قُرْبَةِ سِتَّةِ أَيَّامٍ .
 ولها مضافات من أعمالها .

منها (مَارِدَةٌ) قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم ثم ألف وراء مهمللة
 مكسورة ودال مهمللة وهاء في الآخر كما هو في خط ابن سعيد . وهي مدينة على
 جَنَوِيِّ نَهْرِ بَطْلَيْوُسَ ، موقعها في أول الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال
 ابن سعيد : حيث الطولُ تسعُ درج ونمسين وخمسون دقيقة ، والعرض تسعُ
 عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة أزلية ، ولها ماء مجلوبٌ تحير^(١)
 صنعته . قال ابن سعيد : قال الرازي : وهي إحدى القواعد التي بنتها ملوكُ العجم للقرار .
 قال : وكان قد اتخذها سلاطينُ الأتراك قبل الإسلام سرياً لملك الأتراك ،
 وكانت في دولة بني أمية يليها عظماءُ منهم ، ثم صار الكرسي بعد ذلك لبَطْلَيْوُسَ ، وقد
 صارت الآن للنصارى .

ويحكى أنه كان يكتبسها حجر يضيء الموضع من نوره ، فأخذته العرب
 أول دخولها .

ومنها (بَابَةٌ) بياء آخر الحروف وألف وباء موحدة وراء مهمللة وهاء في الآخر .
 وهي مدينة ذكرها في "تقويم البلدان" بعد ذكر بَطْلَيْوُسَ استطرادا .

(١) في تقويم البلدان أن عرضها تسع وثلاثون درجة .

القاعدة الرابعة

(إشيلية)

قال في "تهويم البلدان" : بكمر الألف وسكون الشين المعجمة وكسر الباء الموحدة وسكون المثناة من تحت ولام وياء ثانية تحية وفي آخرها هاء. قال : ومعنى اسمها المدينة المنسطة . وهي مدينة أزيلية في غرب الأندلس وجنوبه على القرب من البحر المحيط ، موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول تسع درج وعشر دقائق ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهي على شرقي نهرها الأعظم وجنوبه ، ولها خمسة عشر بابا ، ومملكته غربي مملكة قرطبة ، فطول مملكها من الغرب من عند مصب نهرها في البحر المحيط إلى أعلى النهر من الشرق مائة على مملكة قرطبة نحو خمس مراحل ، وعرضها من الجزيرة الخضراء على ساحل الأندلس الجنوبي إلى مملكة بطليوس في الشمال نحو خمسة أيام ، وبينها وبين قرطبة أربعة أيام ، وهي الآن بيد ملوك النصارى . ولها عدة كُوز في جنوبي نهرها وشماليه .

فأما كُورها التي في جنوبي نهرها وهي الأكثر :

فنها (كورة أركش) قال في "تهويم البلدان" : بالراء المهملة معقل في غاية المنعة . ومنها (كورة شيريش) قال في "تهويم البلدان" : بفتح الشين المعجمة وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة التحية وشين معجمة في الآخر ، وإليها ينسب « الشيريشي » شارح "المقامات الحيرية" .

ومنها (كورة طريف) بفتح الطاء وكسر الراء المهملة وسكون المثناة التحية وفاء في الآخر .

وأما التي شماليّ النهر فكورتان : إحداهما (كورة أوتّة)^(١) . وهي أشهرها وأوتّة مدينة جليّة .

قال في " تهويم البلدان " : ومن الممالك المضافة لإشبيلية مملكة شلب . وهي كورة ومدينة في غربيّ إشبيلية وشماليّها على ساحل البحر المحيط ، بينها وبين قرطبة تسعة أيام ؛ وإشلب هذه قصر يعرف " بقصر الشراخيب " وهو الذي يقول فيه بعض شعرائهم :

وسلم على " قصر الشراخيب " عن قتي * له أبداً شوقٌ إلى ذلك القصر !

القاعدة الخامسة

(قرطبة)

قال في " الباب " : بضم القاف ومكون الراء وضم الطاء المهملتين وباء موحدة وهاء في الآخر . قال في " تهويم البلدان " : هذا هو المشهور . وقال ابن سعيد : هي بلسان القوط بالطاء المعجمة وقوله عن جماعة . وهي مدينة غربيّة نهر إشبيلية في غرب الأندلس بجنوب ، وموقعها في أواخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول عشر درج ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في " تهويم البلدان " : ومملكة قرطبة شرقيّ مملكة إشبيلية . وهي في الجنوب والشرق عن مملكة بطليوس ، وفي الجنوب عن مملكة طليطلة ، ودور قرطبة ثلاثون ألف ذراع ، وهي أعظم مدن الأندلس ، وعليها سور ضخّم من الحجر ، ولها سبعة أبواب ؛ وبلغت عتّة مساجدها ألفاً وسمائة مسجد ،

(١) أي والثانية كورة شلب .

وسمائها تسعة حمام . وهى مدينة حصينة . وقد استولت عليها ملوك النصرانية ، وهى بإبيهم إلى الآن .

ولها مضافات :

منها (مدينة الزهراء) . وهى مدينة بناها الناصر الأموى فى غربى قُرْبَة ، فى سفح جبل .

ومنها (القصير) . وهو حصن فى شرقى قُرْبَة على النهر ، وله كورة من أشهر كورها .

ومنها (حصن المدور) . وهو المعقل العظيم المشهور ، والروم به اعتناء عظيم .

ومنها (حصن مراد) . وهو حصن فى غربى قُرْبَة .

ومنها (كورة طافى) . وهى معاملة كبيرة .

ومنها (كورة إستجة) . وغير ذلك .

القاعدة السادسة

(طَلَيْطَلَة)

قال فى " تهديم البلدان " : يضم الطاء المهملة وقع اللام وسكون المثناة من تحت وكسر الطاء الثانية ثم لام وهاء فى الآخر . وموقعها فى آخر الإقليم الخامس قال ابن سعيد : حيث الطول خمس عشرة درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وثمان عشرة دقيقة . وهى مدينة أزلية كانت قاعدة الأندلس فى القديم ، وبها كان كرمى مُلِك « لَدْرِيق » : آخر ملوك القوط الذى أترعها

المسلمون منه . وهى الآن قاعدة ملك « الادفونش » أكبر ملوك النصرانية بالأنطلس المعروف بالقشت . قال فى « تهويم البلدان » : وهى من امع البلاد وأحصنها ، مبنية على جبل عال ، والاشجار مُحْدقة بها من كل جهة ، ويصير بها الجُلنار بقدر الرمانة من غيرها ، ويكون بها شجر الرمان عدة أنواع ؛ ولها نهر يتربأ كثيرا ينحدر من جبل الشارة من عند حصن هناك يقال له (باجة) وبه يعرف نهر طليطلة .
فيقال : نهر باجة ؛ ومنها الى نهاية الأنطلس الشرقية عند الحاجز الذى هو جبل البرت نحو نصف شهر ، وكذلك إلى البحر المحيط بجهة شلب .

ولها مضافات :

منها (مدينة وليد) بفتح الواو وكسر اللام وسكون المثناة من تحت وذال مهملة فى الآخر . وموقعها فى أواخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول إحدى عشرة درجة وأثنا عشرة دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وثلاث دقائق . قال فى « تهويم البلدان » : وهى من أحسن المدن . وهى فى الغرب من طليطلة فى جنوبى جبل الشارة الذى يقسم الأنطلس بنصفين . قال : ويحلبها القشت ملك الفرنج فى أكثر أوقاته .

ومنها (مدينة الفرج) [بفتح الفاء والراء المهملة ثم جيم ^(١)] وهى مدينة شرق طليطلة . وشرقها مدينة سالم . قال ابن سعيد : ويقال لنهرها وادى المجارة .

ومنها (مدينة سالم) قال ابن سعيد : وهى بالجهة المشهورة بالنغر من شرق الأنطلس . قال : وهى مدينة جليلة . قال فى « تهويم البلدان » : وبها قبر « المنصور بن أبى طامر » .

(١) ضبطناها من التهويم للم القائمة .

القاعدة السابعة

(جَيَّاتُ)

قال في "تقويم البلدان" : بفتح الجيم وتشديد المثناة من تحت وألف ونون في الآخر . وموقعها في أول الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن مسعود : حيث الطول إحدى عشرة درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وسبع وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وتملكها بين مملكتي غرناطة وطليلة . وهي في نهاية من المنعة والحصانة . وهي عن قرطبة في جهة الشرق وبينهما خمسة أيام ، وهي من أعظم مدنى الأندلس وأكثرها خصبا ، وكانت بيد بنى الأحمر أصحاب غرناطة فأخذتها القرنج منهم بالسيف بعد حصار طويل ، وبلادها كثيرة العيون ، طيبة الأرض ، كثيرة الثمار ، وبها الحرير الكثير .

ولها مضافات :

منها (مدينة قجاطة) . وهي مدينة زهرة كثيرة الخصب ، أخذها النصارى بالسيف أيضا .

ومنها (بياسة) بفتح الباء الموحدة وتشديد المثناة التحتية وألف ثم سين مهملة مفتوحة وهاء في الآخر . وهي مدينة على نهر إشبيلية فوق إشبيلية ، طيبة الأرض ، كثيرة الزرع ، وبها الزعفران الكثير ، ومنها يحمل إلى الآفاق .

ومنها (مدينة أدلة) بمد الهمة المفتوحة وكسر الباء الموحدة وفتح الدال المهملة وهاء في الآخر . وهي مدينة إسلامية أحدثت في دولة بنى أمية بالأندلس بجوار بياسة إلا أنها ليست على النهر ، ولها عين تسقى الزعفران .

ومنها (جبل سمّتان) ^(١) . وهو جبل به حصون وقرى كثيرة .
ومنها (مَعْقِلُ شَقُورَةٍ) و (حصن برشانة) .

القاعدة الثامنة

(مُرْسِيَّة)

قال في "تقويم البلدان" : بضم الميم وسكون الراء وكسر السين المهملين ثم ياء
مثناة من تحتها وهاء في الآخر . وموقعها في أوائل الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة
قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ ثمانَ عشرةَ درجة ، والعرضُ تسع وثلاثون درجة
وعشر دقائق . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة إسلامية مُحَدَّثة ، بُنِيَتْ
في أيام الأمويين الأندلسيين ، قال وهي من قواعد شرق الأندلس . وهي تُشَبَّه إشبيلية
في غرب الأندلس بكثرة المَنَازِه والبساتين ، وهي في الذراع الشرقي الخارج من عين
نهر إشبيلية .

ولها عدة منزهات .

منها [(الرَّشَاقَة) و (الزَّهَّاقَة) و (جبل لؤلؤ) وهو] ^(٢) جبل تحته البساتين ، وبسط
سرح فيه العيون .

ولها مضافات :

منها (مدينة دُولَة) . وهي في غربي مُرْسِيَّة .

ومنها (مدينة أَرْيُولَة) وغير ذلك .

(١) كما في التقويم ص ١٧٧ ولم يشرطه .

(٢) الزيادة عن تقويم البلدان .

القاعدة التاسعة

(بَلَنْسِيَّةُ)

قال في "تقويم البلدان" : بفتح الباء الموحدة واللام وسكون النون وكسر السين المهملة وفتح المثناة من تحت وهاء في الآخر . ووقعها في أواخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ عشرون درجة ، والعرضُ ثمانٌ وثلاثون درجة وستُ دقائق . قال في "تقويم البلدان" : وهي من شرق الأندلس ، شرقي مَرْمِيَّةَ وغربي طُرُوشَةَ . وهي في أحسن مكان ؛ وقد حُفَّتْ بالأنهار والجنان ، فلا ترى إلا مياهًا تتفرع ، ولا تسمع إلا أطيارًا تستج . وهي على جنب بحيرة حسنة على القرب من بحر الزقاق ، يُصبُّ فيها نهرٌ يجري على شمالي بَلَنْسِيَّةَ . ولها عدة منازل .

منها (الرصافة) و (مئية ابن عامر) وحيث خرجت منها لاتفي إلا منازلها . قال ابن سعيد : ويقال إن ضوء مدينة بَلَنْسِيَّةَ يزيد على ضوء بلاد الأندلس ، وجوها صقيل أبدا ، لا يرى فيه ما يكدره .

ولها مضافات : (١) وقد صارت الآن من مضافات برشلونة في جملة أعمال صاحبها من ملوك النصارى .

منها (مدينة شاطبة) بفتح الشين المعجمة وألف بعدها طاء مهملة مكسورة ثم باء موحدة مفتوحة وهاء في الآخر . وهي مدينة عظيمة ، ولها معقل في ذاية الامتناع وبلدة مستزعات : منها (البطحاء) و (الغدير) و (العين الكبيرة) . وإليها ينسب الشاطبي صاحب "القصيدة" في القراءات السبع ؛ وقد صارت الآن مضافة إلى ملك برشلونة في يد صاحبها .

(١) هذه الجملة ساقطة من النسخة الأثرية .

ومنها (دانية) بفتح الدال المهمله وألف ثم نون مكسورة ومثناة تحته مفتوحة وهاء في الآخر . وهى من شرق الأندلس ، وموقعها في أوائل الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول تسع عشرة درجة وعشر دقائق ، والعرض تسع وثلاثون درجة وست دقائق . وهى غربي بلنسية على البحر عظيمة القدر كثيرة الخيرات ، ولها عدة حصون . وقد صارت الآن من مضافات برشلونة مع بلنسية ، على ما سياتى ذكره في الكلام على ملوك الأندلس إن شاء الله تعالى .

القاعدة العاشرة

(سرقسطة)

قال في "تقويم البلدان" : بفتح السين والراء المهملين وضم القاف وسكون السين الثانية وفتح الطاء المهمله وهاء في الآخر . وهى مدينة من شرق الأندلس ، موقعها في أواخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول إحدى وعشرون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهى قاعدة النهر الأعلى . وهى مدينة أزليّة يفيض في أرض طيبة ، قد أحدقت بها من بساطينها زمردة خضراء ، وأكثف عليها أربعة أنهار فانحلت بها مربعة مجرّة .

ولها منزهات :

منها (قصر السرور) و(جلس الذهب) . وفيهما يقول ابن هود من أبيات :

قصر السرور وجليس الذهب ، * يكما بلغت نهاية الطرب !

القاعدة الحادية عشرة

(طُرطُوشَة)

قال في "تقويم البلدان" : يضم الطاءين المهملين وبينهما راء ما كنة مهملة ثم واو ما كنة وشين معجمة وهاء في الآخر. وهي مدينة في شرق الأندلس، موقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض أربعون درجة . قال : وهي من كرامى ملك شرق الأندلس . وهي شرقى بلنسية في الجهة الشرقية من النهر الكبير الذى يمر على سرقسطة ويصب في بحر الزقاق، على نحو عشرين ميلا من طُرطُوشَة . قال : وشرقى طُرطُوشَة (جزيرة مأثرة) في بحر الزقاق ؛ وإلى طُرطُوشَة هذه ينسب «الطُرطُوشى» صاحب "سراج الملوك" .

القاعدة الثانية عشرة

(برشونَة)

قال في "تقويم البلدان" : يفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الشين المعجمة وضم النون وسكون الواو ثم نون مفتوحة وهاء في الآخر . ويقال (برشونَة) بابدال النون الأولى لما قال في "تقويم البلدان" : وهي خارجة عن الأندلس في بلاد الفرج، وموقعها في أوائل الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول أربع وعشرون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض اثنتان وأربعون

(١) منجلها ياتون بفتح الطاء الأولى وضم الثانية وقال المجذ بالضم وقد فتح .

درجة . وهي الآن قاعدة ملك النصارى بَشْرُق الأَنْدَلُس ، وقد أضيف إليها أَرْغُون ، وشَاطِبَةُ ، وسَرَقُسطَةُ ، وبَلَنْسِيَّة ، وجزيرة دَانِيَّة ، ومَيُورْقَةُ ، وغير ذلك . على ما يأتي ذكره في الكلام على ملوك الأَنْدَلُس فيما بعد إن شاء الله تعالى .

القاعدة الثالثة عشرة

(بَيْتْلُونَةُ)

قال في "هويم البلدان" : يفتح الياء المثناة من تحت وسكون النون وضم الباء الموحدة واللام ثم واو ساكنة ونون مفتوحة وهاء في الآخر . ودوقها في أوائل الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتان وعشرون درجة ونمسين عشرة دقيقة ، والعرض أربع وأربعون درجة . قال في "هويم البلدان" : وهي مدينة في غرب الأَنْدَلُس خَلْفَ جبل الشَّارَةِ . قال : وهي قاعدة التَّبَرِّي : أحد ملوك الفَرَنْج . وتعرف هذه المملكة بمملكة تَبَرَّة - يفتح النون وتشديد الباء الموحدة المفتوحة وفتح الراء المهملة وهاء في الآخر . وهي مملكة فاصلة بين مملكتي قَشْتَالَةَ وِبَرْشَلُونَةَ ، وهي مما يلي قَشْتَالَةَ من جهة الشرق ، وسيأتي ذكرها في الكلام على ملوك الأَنْدَلُس فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة الثالثة

(في ذكر أنهاره)

اعلم أن بالأَنْدَلُس أنهارا كثيرة قد تَهْتَمُّ ذكر الكثير منها ، وأعظمها نهران : الأول (نهر إشبيلية) . قال ابن سعيد : وهو في قَدْرِ دَجْلَةٍ ، وهو أعظم نهر بالأَنْدَلُس ، ويسميه أهل الأَنْدَلُس النهر الأعظم . قال في "هويم البلدان" وعَجْرُهُ

من جبال شُقُورَة حيثُ الطولُ خمسَ عشرةَ درجةً ، والعرضُ ثمانٌ وثلاثونَ وثلثان ، وهو يجرى في ابتدائه من الشرق إلى الغرب ؛ ثم يصبُّ إليه عدَّةُ أنهر .

منها (نهر شُقِل) الذى يتولى غَرْناطَة . ونهر (سُوس) الذى عليه مدينة إسبجة ، ويسير من جبال شُقُورَة إلى جهات جيان ، ويمر على مدينة بياسة ، ومدينة أبلة ؛ ثم يتولى قُرطبة ، ثم إذا تجاوز قُرطبة وقرب من إشبيلية ينعطف ويمجرى من الشمال إلى الجنوب ، ويمر كذلك على إشبيلية ، وتكون إشبيلية على شرقية وطريقه على غربية مقابل إشبيلية من البر الآخر ؛ ثم ينعطف فيجرى من الشرق إلى الغرب ، ثم يمازى حتى يصبُّ في البحر المحيط الغربى عند مكان يعرف بئر المائدة ، حيث الطولُ ثمانُ درج وربع ، والعرضُ ستٌ وثلاثونَ وثلثان ، وتكون جزيرة قادس في البحر الرومى على يسار مصبه ؛ ويقع في هذا النهر المد والجزر من البحر كما في دجلة عند البصرة ، ويبلغ المد والجزر فيه سبعين ميلا إلى فوق إشبيلية عند مكان يعرف بالأرسى ، ولا يملح ماؤه بسبب المد عند إشبيلية بل يبقى على علوبته ؛ وبين إشبيلية وبين مصب النهر في البحر خمسون ميلا ، فالمد يتجاوز إشبيلية بعشرين ميلا ، والمد والجزر يتعاقبان فيه كل يوم وليلة ، وكلما زاد القمر نورا زاد المد ، والمراكب لا تزال فيه متعذرة مع الجزر صاعدة مع المد ، وتدخل فيه السفن العظيمة الإفريقية بوسقها من البحر المحيط حتى تحط عند سور إشبيلية . قال ابن سعيد : وعلى هذا النهر من الضياع والقرى ما لا يلفه وصف .

الثانى (نهر مُرسية) . قال في "هجوم البلدان" : وهو قسم نهر إشبيلية ، يخرج من جبال شُقُورَة فيتر نهر إشبيلية مغربا على ما تقدم ويصبُّ في البحر المحيط . ويمر نهر مُرسية مشرقا حتى يصبُّ في بحر الروم عند مُرسية .

(١) المراد أن مد النهر وجزره من مد البحر وجزره .

الجملة الرابعة

(في الموجود بالأنطلس)

والظاهر أن كل ما يوجد ببلاد المغرب أو غالبه يوجد به . وقد ذكر في "هجوم البلدان" أنه يوجد به من الوحش : الإيل ، والفزال ، وحمار الوحش . ولا يوجد به الأسد البتة . وقد تقدم ذكر ما يبلدانه من الفواكه والثمار في الكلام على بلاده فأغنى عن إعادته هنا . قال في "هجوم البلدان" : وبه عدة مقاطع رخام من الأبيض والأحمر والخمرى والمجزع وغير ذلك .

الجملة الخامسة

(في ذكر ملوك الأنطلس : جاهليةً وإسلاماً . وهم على طبقات)

الطبقة الأولى

(ملوكها بعد الطوفان)

قال الرازى في كتاب "الاستيعاب" في تاريخ الأنطلس : أول من ملكها بعد الطوفان على ما ذكره علماء عجمها قوم يعرفون بالأنطلس بالشين المعجمة ، وبهم سُمي الأنطلس ، ثم عرب بالسين المهملة ؛ وكانوا أهل تمجس فحس الله عنهم المظرح حتى غارت عيونها وبست أنهارها فهلك أكثرهم ، وفر من قدر على الفرار منهم ، فأفقرت الأنطلس وبقيت خالية مائة عام .

وقال « هرودوتوس » مؤرخ الروم : أول من سكنها بعد الطوفان قوم يقال لهم الأباريون ، وهم من ولد طوبال بن يافث بن نوح عليه السلام سكنوها بعد الطوفان . قال في "الروض المعطار" ويقال : إن عدد ملوكهم الذين ملكوا الأنطلس مائة وتسعون ملكاً .

الطبقة الثانية

الأشباينة

(ملكوا بعد طائفة الأندلس المتقدم ذكرهم)

قال الرازى : وأول من ملك منهم أشبان بن طيطش ، وهو الذى غزا الأفاريقة وحصر ملكهم بطارقة^(١) ، وقل رُخاءها إلى إشبيلية وأخذها دار ملكه ، وبه سميت ؛ وكثرت جموعه فعلا فى الأرض ، وغزا من إشبيلية لإلياء : وهى بيت المقدس بعد ستين من ملكه : خرج إليها فى السُّن فهدمها وقتل من اليهود مائة ألف ، وأسترق مائة ألف ، وفوق فى البلاد مائة ألف ، وقل رُخام لإلياء وآلاتها وذخايرها إلى الأندلس .

ويحكى أن الخضر (عليه السلام) وقف على أشبان هذا وهو يحرق أرضا له أيام حداثته ، فقال له : يا أشبان ، إنك لتوشان ! وسوف يحطيك زمان ، ويملك سلطان . فإذا أنت تغلبت على إلياء ، فارفق بورقة الأنبياء ! - فقال له أشبان : أسأركم رحمك الله ؟ أى يكون هذا وأنا ضعيف مهين ، فقير حقير ؟ - فقال : قل ذلك من قتر فى عصاك اليابسة ماتراه ، فنظر أشبان إلى عصاه فراها قد أورقت ، فأرتاع لذلك ؛ فذهب الخضر عنه وقد قر ذلك فى نفسه ، ووثق بكونه ؛ فترك الأمتنان ، وداخل الناس ، وصحب أهل الباس ، وسمّا به جدّه فارفق فى طلب السلطان حتى نال منه عظيما ، ودام ملكه عشرين سنة ، واتصلت المملكة فى بنه إلى أن ملك منهم الأندلس خمسة وخمسون ملكا .

(١) فى " فتح الطيب ج ١ ص ٦٨ " طائفة باللام .

الطبقة الثالثة

(١)
(الشبوهات)

وهي طائفة ثارت على الأندلس من رومة في زمن مبعث المسيح عليه السلام، وملكوا الأندلس والإفرنجية معها، وجعلوا دار مملكتهم ماردة، وأتصل ملكهم إلى أن ملك أربعة وعشرون ملكا. ويقال: إن منهم كان ذو القرنين. والذي ذكره «هروشيوش» مؤرخ الروم أن الذي خرج عليهم من رومة ثلاث طوالم من الغربيين. وهم: الأنيون، والشوانيون، والقندلش، وأقسموا ملكها: فكانت جليقية لقندلش؛ ونسبونه ماردة وطليلة ومريسية للشوانيين؛ وكانت إشبيلية وقرطبة وحيان ومالقة للأنيون؛ حتى زحف عليهم القوط من رومة كما سيأتي.

الطبقة الرابعة

(القوط)

خرجوا على الشبوهات فغلبوا على الأندلس وأقطعوها من صاحب رومة، وأفردوا بسلطانهم، واتخذوا مدينة طليطلة دار ملكهم (دخشوش) ملك القوط، وهو أول من تنصر من هؤلاء بداء الحواريين ودعا قومه إلى النصرانية؛ وكان أعدل ملوكهم وأحسنهم سيرة.

وقال «هروشيوش»: إنه كان قد ولي عليهم ملك يقال له (اطفالش).

ثم ولي عليهم بعده ملك اسمه (طشريك) وقتله الرومانيون.

(١) في "فتح اليب ج ١ ص ٧٠" البشروعات.

(٢) في "فتح اليب ج ١ ص ٧٠" سبعة وعشرون.

ثم وَلِيَ مكانه ملك اسمه (تَابِه) ثلاث سنين، وزوج أخته من طودشيش ملك الرومانيين، وصاحبه على أن يكون له ما يفتحه من الأندلس؛ ثم مات .

وولى مكانه ملك اسمه (لُذْرِيْق) ثلاث عشرة سنة فزحف على الأندلس وقتل ملوؤها، وطرد الطوائف الذين كانوا بها، وبقي الحال على ذلك نحوًا من ثمانين سنة؛ ثم هلك لُذْرِيْق .

وولى مكانه أبْنَه (وَرِيْقش) سبع عشرة سنة، وأنتقض عليه البشكنس إحدى طوائف القوط فقهرهم وردّهم إلى طاعته؛ ثم هلك .

وولى بعده (الرِيْك) ثلاثا وعشرين سنة؛ ثم قُتل في حرب الفَرَنْج .

وولى عليهم (أشترِيْك بن طودرِيْك) وهلك بعد خمس سنين من ملكه .

وولى عليهم بعده (بشَلِيْقش) أربع سنين .

ثم ملك بعده ملك آخر اسمه (طودرِيْق) إحدى وستين سنة وقتله بعض أصحابه بِأَشْبِيلِيَّة .

وَوَلِيَ بعده ملك اسمه (أَمْلُرِيْق) خمس سنين .

ثم ولى بعده ملك اسمه (طودش) ثلاث عشرة سنة .

ثم وَلِيَ بعده (طود شكل) ستين .

ثم ملك بعده ملك اسمه (أَيْلَة) خمس سنين، وأنتقض عليه أهل قُرْبَة فخار بهم وردّهم إلى طاعته .

(١) في "البرج ٢ ص ٢٣٥" طودشيش .

(٢) في "البرج" الذيك بالمدال المهمة .

(٣) في "البرج ٢ ص ٢٣٦" لبريق . وفيه في هذا الموضع خلاف لما يبدأ من الأصل في كثير من الاسماء .

ثم ولي بعده ملك اسمه (طنجاد) خمس عشرة سنة .

ثم ولي بعده ملك اسمه (ليوبة) سنة واحدة .

ثم ولي بعده ملك اسمه (لويلا) ثمانى عشرة سنة ، وانتقضت عليه الأطراف
فغاربهم وسكنهم ، ثم قُتل .

وولى ابنه (رُذريق) ست عشرة سنة ، وهو الذى بنى البلاط المنسوب إليه
بقرطبة .

ولما هلك ولي بعده ملك اسمه (ليوبة) ستين .

ثم ولي بعده ملك اسمه (بريق) سبع ستين .

ثم ولي بعده ملك اسمه (عندما) ستين .

ثم ملك بعده ملك اسمه (ششوط) ثمان ستين ، وعلى عهده كان (هرقل) ملك
قسطنطينية والشام ، ولهذه كانت الهجرة .

ثم ملك بعده ملك اسمه (رُذريق) ثلاثة أشهر .

ثم ملك بعده ملك اسمه (شتلة) ثلاث ستين .

ثم ولي بعده ملك اسمه (ششادش) خمس ستين .

ثم ولي بعده ملك اسمه (خنشوند) سبع ستين .

ثم ولي بعده ملك اسمه (جنشوند) ثلاثا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده ملك اسمه (بانيه) ثمان ستين .

ثم ولي بعده ملك اسمه (لورى) ثمان ستين .

ثم ملك بعده رجل اسمه (أيقه) ست عشرة سنة .

ثم ولى بعده رجل اسمه (غطسه) أربع عشرة سنة .

ثم ولى بعده رجل اسمه (لدرىق) ستين ، وهو الذى غلبه المسلمون على الأندلس
وفتحوها منه ، وهو آخر من ملك منهم . قال صاحب "الروض المبطار" : وعدد
من ملك منهم إلى آخرهم وهو (لدرىق) ستة وثلاثون ملكا .

الطبقة الخامسة

(ملوكها على أثر الفتح الإسلامى)

وكان فتحها فى خلافة الوليد بن عبد الملك : أحد خلفاء بنى أمية فى سنة اثنتين
وتسعين ، وكان من أمر فتحها أن طليطلة كانت دار الملك بالأندلس يومئذ ، وكان
بها بيت مغلّق متحاشى الفتح ، يلزمه من ثقات القوط قوم قد وكلوا به كي لا يفتح ،
يعهد الأول بذلك للاحر ، كلما ملك منهم ملك زاد على ذلك البيت قفلا . فلما ولى
« لدرىق » الأخير ، حزم على فتح الباب والإطلاع على ما فى البيت ، فأعظم ذلك
أكابريهم وتضرعوا إليه فى الكف ، فأبى وظن أنه بيت مال ، ففصّ الأقفال عنه
ودخله ، فأصابه فاريّا لاشيء فيه إلا تابوتا عليه قفل ، فأمر بفتحها فألفاه أيضا فارضا
ليس فيه إلا شقة مدرجة قد صوّرت فيها صور العرب على الخيول ، وطلمهم الهائم
متسلّذو السيوف متنكبوا القيمى ، رافعو الرايات على الرماح ، وفى أعلاه كتابة
بالعجمية فقرئت فإذا هى " إذا كُسرَت هذه الأقفال عن هذا البيت ، وفتح هذا
التابوت ، فظهر ما فيه من هذه الصور فإن الأئمة المصوّرة فيه تغلب على الأندلس
وتملكها " فوجم لدرىق وعظم غشه وغم الأعاجم ، وأمر برّد الأقفال ، وإقرار
الحرم على حاله .

وكان من سير الأعاجيب أن بيعت أكايرهم بأولادهم ذكورا كانوا أو إناثا إلى بلاط الملك، ليتأدبوا بأدبه، وينالوا من كرامته حتى إذا بلغوا أنكح بعضهم بعضا استئلفا لأبائهم . وكان للذريق عامل على سبته من بر العدو يسمى يُلَيان ، وله ابنة فاتهمه الجمال ، فوجه بها إلى دار للذريق على عادتهم في ذلك ، فوقع نظر للذريق عليها فأعجبته ، فاستكرهها على نفسها فاحتالت حتى أصابت أباهها بذلك سرا ، فشق ذلك عليه ، وحلف لِيُزَيِّنَ سلطان للذريق ، ثم تلطف حتى اقتلع بنته من بيت للذريق ، ثم لم يلبث يُلَيان [أن كتب] إلى موسى بن نصير أمير أفرقيّة من جهة « الوليد بن عبد الملك » يحترضه على غزو الأندلس ، وحثه على ذلك ، ووصف له من حسناتها وفوائدها مادعا إلى ذلك وهوّن عليه أمر فتحها . فتوثق منه موسى بن نصير بذلك ، ودعا موثى له كان على مقلّماته ، يقال له « طارق بن زياد » فعقد له وبعثه إليها في سبعة آلاف ، وهيا له يُلَيان المراكب ، فعبّر البحر وحلّ يجبل هناك يعرف الآن (بجبل طارق) فوجد عجوزا من أهل الأندلس - فقالت له : إنه كان لي زوج عالم بالحديثان ، وكان يحثني عن أمير يدخل بلدنا هنا ، ويصفه بأنه يحكم الهامة وأنت كذلك ، وكان يقول : إنه يكنّيه الأيسر شامة عليها شعر ، فكشف طارق ثوبه فإذا بالشامة كما ذكرت السجور ، فاستبشر بذلك .

ويحكى أنه رأى (وهو في المركب) النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة يمشون على الماء حتى مروا ، فبشّره النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح ، وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهود ، فاستيقظ مستبشرا ، وتيقن الفتح ، وهجم البلد فلحقها . وكان عسكره قد انتهى إلى اثني عشر ألفا إلا ستة عشر ، والذريق في سقاية ألف ، (واقه يؤيد بنصره من يساء) . وأقام طارق بالأندلس حتى قدم إليها مولاه موسى ابن نصير المتقدم ذكره في رجب من السنة المذكورة . وأقام موسى فيها ستين

ثم أنصرف إلى القيروان ، واستخلف عليها ابنه (عبد العزيز) فزل قرطبة وأخذها داراً مارة لهم ؛ وتوجه موسى سنة ست وتسعين بما مباح وما غنمه إلى الوليد ابن عبد الملك ؛ ثم دس سليمان بن عبد الملك على عبد العزيز المذكور من قتله بالأنكس لأتهامه بمؤالة أخيه الوليد .

ثم وليا بعده (عبد العزيز) بن عبد الرحمن القيسى ستين وثلاثة أشهر .

ثم وليا (السنح بن مالك) الخولاني ستين وتسعة أشهر .

ثم وليا (عيسى بن محم) الكلبي أربع سنين وخمسة أشهر .

ثم وليا (يحيى بن مسلمة) ستين وستة أشهر .

ثم وليا (حذيفة بن الأحوص) القيسى سنة واحدة .

ثم وليا (عثمان بن أبي نعة) النخعي خمسة أشهر .

ثم وليا (المهيم بن عبيد) خمسة أشهر .

ثم وليا (عبد الرحمن بن عبد الله) الفافقي ستين وثمانية أشهر .

ثم وليا (عبد الملك) بن [قطن الفهري] أربع سنين ^(٢) .

ثم وليا (عقبة بن الجراح) خمس سنين وشهرين .

ثم وليا (مفلح بن بشر القيسى) ^(٣) أحد عشر شهراً .

ثم وليا (حسام بن ضرار) الكلبي ستين .

(١) له وليا بعد عبد العزيز أيوب بن حبيب الحمي كما يؤخذ من فتح الطيب والعبر .

(٢) في الأصل قطار ، والتصحيح عن البرج ٤ ص ١١٩ .

(٣) في "البرج ٤ ص ١١٩" يلح بن بشر وفيه في هذا المكان زيادة رقص وتقديم وتأخير في المؤالة .

ثم ولها (ثواب الجُدَامِي) سنة واحدة .

ثم ولها (يوسفُ بنُ عبدالرحمن) القَهْرِي تسع سنين وتسعة أشهر .

ثم كانت دولةُ بني أمية بالأندلس ، على ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

الطبقة السادسة

(بنو أمية ، وكانت دارُ ملكهم بها مدينة قُرطُبة)

وأوَّل من ملكها منهم (عبدُ الرحمن بنُ معاويةَ) بنُ هشام ، بن عبد الملك ، ابن مروان ، بن الحكم ، ويُعرف (بعبد الرحمن الداخل) . وذلك أن بني العبَّاس لما تَبَعُوا بني أمية بالقتل ، هرب عبد الرحمن المذكور ، ودخل الأندلس وأستولى عليها في سنة تسع وثلاثين ومائة من الهجرة ؛ وقصده بنو أمية من المشرق والتجَّسَّوا إليه . وتوفَّى في ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائة .

وملك بعده أبْنُه (هشامُ) وتوفَّى سنة ثمانٍ وسبعين ومائة .

وأستُخلف بعده أبْنُه (الحكمُ) وفي أيامه أستعاد الفَرَجُجُ مدينةَ بَرَشْلُونَةَ في سنة خمس وثمانين ومائة ، وتوفَّى لأربعِ بَقيين من ذى الحجة سنة ستٍّ ومائتين .

وأقام في الملك بعده أبْنُه (عبدُ الرحمن) وتوفَّى في ربيع الآخر سنة ثمانٍ وثلاثين ومائتين .

وملك بعده أبْنُه (محمد) وتوفَّى في سلخ صَفَر سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، وعمره خمسٌ وستون سنة .

(١) في "البر" و"فتح اليب" تلمبة بن سلامة الجُدَامِي .

(٢) في "الكمال ج ٦ ص ٤٠" وقيل سنة ثنتين وسبعين ... وهو الاصح .

(٣) في "البر والكمال" سنة ثمانين ومائة .

(٤) في "الكمال ج ٦ ص ١٥٣" ثلاث وسبعين .

وملك بعده أبوه (المنذر) وتوفي ثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين .

وبويع أخوه (عبد الله) يوم موته ، وتوفي في ربيع الأول سنة ثلثمائة .

وولى بعده ابن أبيه (عبد الرحمن) بن محمد المقتول ابن عبد الله المتقدم ذكره ، وخوِطِبَ بأمر المؤمنين ، وتلقب بالناصر بعد أن مضى من ولايته تسع وعشرون سنة ، عند ما بلغه ضعف خلفاء العباسيين بالعراق وظهور الخلفاء العلويين بأفريقية ، ومخاطبتهم بأمر المؤمنين ؛ وتوفي في رمضان سنة خمسين وثلثمائة .

وولى الأمر بعده أبوه (الحكم) وتلقب بالمستنصر ، وتوفي سنة ست وستين وثلثمائة .

وعهد إلى ابنه (هشام) ولقبه المؤيد ، وبايعه الناس بعد موت أبيه ؛ فأقام إلى سنة تسع وتسعين وثلثمائة .

ثم غلبه (محمد بن هشام) بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر المتقدم ذكره ، وتلقب بالمهدي في جمادى الآخرة من السنة المذكورة .

ثم غلبه (سليمان بن الحكم) بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المتقدم ذكره ، فهرب محمد بن هشام المذكور وأستولى على الخلافة في شوال من السنة المذكورة .

ثم غلبه (محمد بن هشام) المهدي المذكور في منتصف شوال من السنة المذكورة .

ثم عاد (هشام بن الحكم) المتقدم ذكره في صابح ذى الحجة من السنة المذكورة .

ثم عاد (سليمان بن الحكم) المتقدم ذكره في منتصف شوال سنة ثلاث وأربع مائة ، ولقب بالمستعين .

ثم غلبه (المهدي محمد) بن هشام المتقدم ذكره في آخرات السنة المذكورة .

ثم غلبه (المستعين^(١)) على قُرْطَبَة ، ثم قُتِل المهدى محمد بن هشام المذكور وهما [هشام المؤيد] إلى خلافته ، هذا كله والمستعين محاصر قُرْطَبَة ، إلى أن أفتتحها عتوة سنة ثلاث وأربعمائة ، وقتلوا المؤيد هشاما .

ثم جاء (علي بن حمود) وأخوه (قاسم) من الأدارسة : ملوك الغرب في عسائر من البربر فملكوا قُرْطَبَة سنة سبع وأربعمائة وقتلوا المستعين وأزالوا ملك بني أمية من الأندلس ، وأتصل ذلك في خلفهم سبع سنين .

ثم غلب علي بن حمود ، المرتضى بالله عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك ، ابن المرتضى عبد الرحمن بن الناصر أمير المؤمنين .

ثم اجتمعوا على رد الأمر لبني أمية ، ثم ولي بعد ذلك المستظهر بالله (عبد الرحمن) ابن هشام بن عبد الجبار في رمضان سنة أربع عشرة وأربعمائة .

ثم غلب عليه المستنكى بالله (محمد بن عبد الرحمن) بن عبيد الله ، بن عبد الرحمن ، الناصر أمير المؤمنين .

ثم رجع الأمر إلى (يحيى بن علي) بن حمود سنة ست عشرة وأربعمائة .

ثم بوييع للعتمد بالله (هشام بن محمد) أخى المرتضى من بني أمية سنة ثمان عشرة وأربعمائة . وتوفي بها سنة ثمان وعشرين ، وأقطعت دولة الأموية من الأندلس ، والله وارث الأرض ومن عليها .

(١) الزيادة عن العبرج ٤ ص ١٥١ لتوضيح المقام .

(٢) في "العبرج ٤ ص ١٥٢" وفر إلى لاردة فهلك بها

الطبقة السابعة

(ملوك بني حمود من الأدارسة: ملوك القرب)

كان في جملة جماعة المستعين: سليمان بن الحكم الأموي المتقدم ذكره القاسم وعلى
أبنا حمود، بن ميمون، بن أحمد، بن علي، بن عبيد الله، بن عمر، بن إدريس بعد
أقراض دولتهم فاس وانتقالهم إلى غمارة وقيام رياستهم بها، فقد المستعين للقاسم
على الجزيرة الخضراء من الأندلس، ولعل على طنجة وعملها من بر العنوة. وطيمت
نفس على بن حمود صاحب طنجة في الخلافة، وزعم أن المؤيد هشاما من بني أمية
عند حصارهم إياه كتب له بعهد الخلافة؛ فبايعوه بالخلافة وأجاز إلى مالقة فلحقها،
ودخل قرطبة سنة سبع وأربعائة، وتلقب بالناصر لدين الله وأتصلت دولته إلى أن
قتله صقاليتة بالحمام سنة ثمان وأربعمائة.

فولي مكانه أخوه (القاسم) بن حمود الذي كان بطنجة وتلقب بالمأمون.

ثم غلبه على ذلك (يحيى ابن أخيه على) وزحف إلى قرطبة فلحقها سنة
ثنتي عشرة وأربعائة وتلقب بالمعتلى، وكانت له وقائع كان آخرها أن أخفقوا على تسليم
المدائن والحضون له؛ فعلا سلطانه، وأشد أمره، وأخذ في حصار ابن عباد
بإشبيلية فجا به فرسه وقتل، وأقطعت دولة بني حمود بقرطبة.

ثم استدعى قومه أخاه (إدريس) بن علي بن حمود من سبتة وطنجة فبايعوه على
أن يولي سبتة (حسن ابن أخيه يحيى) قم له الأمر بمالقة وتلقب بالنايد بالله، وبايعه
أهل المرية وأعمالها ورنلة والجزيرة، ومات سنة إحدى وثلاثين وأربعائة.

وباع البربر بعده (حسن بن يحيى) المعتلى، ولقبوه المستنصر، وبايعته غرناطة
وجملة من بلاد الأندلس، ومات مسموما سنة ثمان وثلاثين وأربعائة.

وكان (إدریس بن یحیی) المعتلى معتقلاً، فأنجرح وبُوع له سنة تسع وثلاثين وأربعائة؛ وأطاعته غُرناطة وقرمونة وما بينهما، ولُقّب العالی؛ ثم قتل محمداً وحسناً ابني عمه إدریس، فثار السودان بدعوة أخيهما محمد بمالقّة فأسلموه.

وبُوع (محمد بن إدریس) المتأيد بمالقّة سنة ثمان وثلاثين وتلقّب بالمهدى، وأقام بمالقّة، وأطاعته غُرناطة وجبّان وأعمالها، ومات سنة أربع وأربعين وأربعائة.

وبُوع (إدریس بن یحیی) بن إدریس المتأيد ولُقّب الموفق ولم يُخطب له؛ وزحف إليه إدریس المخلوع الملقب بالعالی ابن یحیی المعتلى من قمارش فبُوع له بمالقّة إلى أن هلك سنة سبع وأربعين.

وبُوع (محمد الأصغر) ابنُ إدریس المتأيد ولُقّب المستعلى، وخطب له بمالقّة والمريّة وزندة، وهلك سنة ستين وأربعائة.

وكان (محمد بن القاسم) بن حمود قد لحق بالجزيرة الخضراء سنة أربع عشرة وأربعائة فملكها وتلقّب بالعتصم، وبقي بها إلى أن مات سنة أربعين وأربعائة.

ثم ملكها من بعده (أبنة القاسم) ولُقّب الواثق، وهلك سنة خمسين، وصارت الجزيرة الخضراء للعتصم بن عبّاد، وأقرضت دولة بني حمود بالأندلس.

الطبقة الثامنة

(ملوك الطوائف بالأندلس)

لما أضْمَل أمر الخلافة من بني أمية وبني حمود بعلم بالأندلس، وثب الأمراء على الجهات، وتفرق ملك الأندلس في طوائف من العوالى، والوزراء، و كبار العرب والبربر، وقام كل منهم بأمر ناحية؛ وتلقّب بعضهم على بعض وصُفّ

أمرهم حتى أعطوا الإماوة الملوك القرطبة من بني أدفونش حتى أدركهم الله بأمر المسلمين يوسف بن تاشفين .



فأما إشبيلية وضرب الأندلس فاستولى عليهما بنو عبّاد .

كان أولهم القاضي أبو القاسم (محمد بن ذى الوزارتين) أبي الوليد، بن إسماعيل، ابن قُرَيْش، بن عبّاد، بن عمرو، بن أسلم، بن عمرو، بن عَطَاف، بن نعيم الحمي، وأستبد بإشبيلية بعد فرار القاسم بن حمّود عن قرطبة، آثرعها من ابن زيري وكان والياً عليها من جهة القاسم بن حمّود المذكور، وبقي بها إلى أن مات سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة .

ولما مات قام بأمره ابنه (عبّاد) وتلقب المعتضد، وطالت أيامه، وتغلب على أكثر الممالك بغرب الأندلس، وبقي حتى مات سنة إحدى وستين وأربعمائة .

وولى مكانه ابنه (أبو القاسم محمد) الملقب بالمعتد؛ فخرى على سنن أبيه وأستولى على دار الخلافة بقرطبة من يد ابن جهّور، وفزق أبنائه على قواعد الملك، واستفحل ملكه بغرب الأندلس، وظلب على من كان هناك من ملوك الطوائف؛ وبقي حتى غلب أمير المسلمين « يوسف بن تاشفين » على الأندلس فقبض عليه، ونقله إلى أغمات : قرية من قرى مراكش سنة أربع وثمانين وأربعمائة، واعتقله بها إلى أن هلك سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .



وأما قرطبة فاستولى عليها بنو جهّور . وكان رئيس الجماعة بقرطبة أيام فتنة بني أمية، أبو الحزم (جهّور بن محمد) بن جهّور، بن عبد الله، بن محمد، بن النعمر،^(١)

(١) في البرج ٢ ص ١٥٩ "المعر" وهو تصحيف .

أَبْنُ يَحْيَى ، بن أَبِي المَعَاوَرِ ، بن أَبِي عبيدة الكلبي . وأبو عبيدة هذا هو الداخلُ إلى
الأنْدَلُسِ ، وكانت لهم وزارة بقرطبة بالدولة العاصرية . ولما خلع الجند
« المقتدر بالله »^(١) آخر خلفاء بني أمية بالأنْدَلُسِ ، استبدَّ جَهْوَورُ بالأمر واستولى على
المملكة بقرطبة سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة ؛ وكان على سَنَنِ أهل الفضل ، فاستنوا
أمرهم إليه إلى أن يُوجد خليفة ، ثم أقصروا عليه فدبر أمرهم إلى أن هلك في المحرم
سنة خمس وثلاثين وأربعمائة .

وَوَلَّى مكانه ابنه (أبو الوليد محمد بن جَهْوَور) نخلمه أهل قرطبة مسنة إحدى
وستين وأربعمائة ، وأخرجوه [ثم فوض التدبير إلى ابنه عبد الملك بن أبي الوليد
فأساء السيرة فأخرجوه]^(٢) عن قرطبة ، فاعتُصِلَ [بسلطيش]^(٣) إلى أن مات
سنة ثنتين وستين .

وَوَلَّى ابنُ عباد على قرطبة ابنه (مِرَاجَ الدولة) وقتله ابنُ عكاشة سنة سبع
وستين ، ودعا لابن ذى النون (يحيى بن إسماعيل) وقدمها ابنُ ذى النون من بلنسية
وقتل بها مسموما .^(٤)

وزحف المعتضدُ بنُ عباد بعد مهلكه إلى قرطبة ، فلكها سنة أربع وثمانين
وأربعمائة .

(١) في "البرج ٤ ص ١٥٩" المتز رقدتم المؤلف أن أكرم المعتد .

(٢) الزيادة من التلمذة الأزهرية .

(٣) الزيادة من البرج ٤ ص ١٥٩ .

(٤) يؤخذ من "البرج ٤ ص ١٥٩" أن القى قتل مسموما هو مراح الدولة .



وأما بَطْلَيْوُسُ، فكان بها عند فِتنَةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ أَبُو مُحَمَّدٍ (عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْلَمَةَ) التَّجِيبِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْأَقْطَسِ، وَاسْتَبَدَّ بِهَا سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، ثُمَّ هَلَكَ .

فَوَلَّى مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ الْمَظْفَرُ (أَبُو بَكْرٍ) وَعَظُمَ مُلْكُهُ . وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ مُلُوكِ الطَّوَاتِفِ ، وَمَاتَ سَنَةَ سِتِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

وَوَلَّى بَعْدَهُ ابْنُهُ الْمُتَوَكَّلُ (أَبُو خُصَّصٍ عَمْرُو) بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفُ بِسَاجَةِ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ قَتَلَهُ «يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ» سَنَةَ تِسْعِ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِأَهْرَاءَ ابْنِ عَبَّادَ بِهِ .



وأما غَرْنَاطَةُ^(١)، فَلَمَّا كَانَتْ أَيَّامَ الْفِتْنَةِ (زَارِي بْنُ زَيْرِي) بْنُ مِيَادَ، ثُمَّ أَرْحَلَّ إِلَى الْقَيْرَوَانِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى غَرْنَاطَةِ ابْنَهُ، فَبَدَا لِأَهْلِ غَرْنَاطَةِ أَنْ يَعْثُوا إِلَى ابْنِ أَخِيهِ (حَيَّوْسُ بْنُ مَاكُسَ) بْنِ زَيْرِي مِنْ بَعْضِ الْحَصُونِ، فَوَصَلَ وَمَلَكَ غَرْنَاطَةَ وَاسْتَبَدَّ بِهَا، وَتَوَفَّى سَنَةَ تِسْعِ وَعَشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

وَوَلَّى مَكَانَهُ ابْنُهُ (بَادِيسُ) وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي عَبَّادَ حُرُوبٌ، وَتَوَفَّى سَنَةَ سَبْعِ وَسِتِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

وَوَلَّى حَافِدَهُ الْمَظْفَرُ أَبُو مُحَمَّدٍ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُلْكَيْنِ بْنِ بَادِيسَ) وَوَلَّى أَخَاهُ تَمِيمًا بِمَالَقَةِ بَعْدَ جَدِّهِ إِلَى أَنْ خَلَعَهُمَا «يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ» سَنَةَ ثَلَاثِ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

(١) من هنا إلى قوله وأما طليطلة منسوب عليه في القطعة الأثرية وأقصر على ما ساق في الكلام على

غَرْنَاطَةِ قَبِيلِ الطَّبِيعَةِ الثَّامِنَةِ .



وأما طَلَيْطَلَةُ ، فاستولى عليها بَنُو ذِي النُّون . وذلك أن الظافر إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذِي النُّون الهَوَارِي [تَغَلَّبَ] ^(١) أيام الفتنَةِ على حصن أَقْلُتَيْن سنة تسع وأربعمائة ، وكانت طَلَيْطَلَةُ لِيَمِيشَ بن محمد بن يَمِيشَ ولها في أول الفتنَةِ ؛ فلما مات سنة سبع وعشرين مضى إسماعيل الظافر إلى طَلَيْطَلَةَ فلما كان ^(٢) وأمتدَّ مُلْكُهُ إلى جنجالَةَ من عمل مُرْمِيَّةَ ؛ ولم يزل بها إلى أن هلك سنة تسع وعشرين .

فَوَلِيَ مكانَهُ أَبْنُهُ المأمُونُ (أبو الحسن يَحْيَى) فاستفحل مُلْكُهُ ، وعَظُمَ بين ملوك الطوائف سلطَانُهُ ؛ ثم ظَلَبَ على بَلَنْسِيَّةَ وقرطَبَةَ ، ومات مسموما سنة سبع وستين وأربعمائة .

وَوَلِيَ بعده على طَلَيْطَلَةَ حافِئُهُ (القادر يَحْيَى) بن إسماعيل بن المأمُون يَحْيَى بن ذِي النُّون ؛

وكان الطاغيةُ أَدْفُونش ملك الفَرَجَجِ بالأَنْدَلُس قد استَفْجَلَ أمرُهُ عند وقوع الفتنَةِ بين ملوك الأَنْدَلُس فضايِقَ أَبْنِ ذِي النُّون حَتَّى تَغَلَّبَ على طَلَيْطَلَةَ وخرج له عنها (القادر يَحْيَى) سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ؛ وشرط عليه أن يُظَاهِرَهُ على أَخْذِ بَلَنْسِيَّةَ ، فقبل شرطه وقَسَمَها الأَدْفُونش ملكُ الفَرَجَجِ ، وبقيت معه إلى الآن أعادها الله تعالى إلى نِطَاقِ الإسلام .



وأما شاطِبَةُ وما معها من شرق الأَنْدَلُس ، فاستولى عليها العامريون . بُويعَ للنصور (عبد العزيز) بن الناصر عبد الرحمن بن أبي عامر شاطِبَةُ سنة إحدى عشرة

(١) الزيادة عن البرج ٤ ص ١٦١

(٢) لعلها جنجال .

وأربعائة، أقامه الموالى العامريون عند الفتنة البربرية في زمن بني أمية، فاستبد بها، ثم تار عليه أهل شاطبة فترك شاطبة ولحق ببلنسية فملكها، وفوض أمره لوالى .

وكان (خيران العامري) من موالهم قد تغلب قبل ذلك على أربونة سنة أربع وأربعائة، ثم ملك مُرمية سنة سبع، ثم جيان والمريّة سنة تسع، وبايعوا جميعا للنصور عبد العزيز . ثم انتقض خيران على المنصور وسار إلى مُرمية وأقام بها ابن عمه (أبا عامر محمد بن المظفر) بن المنصور بن أبي عامر، وجمع الموالى على طاعته، وسماه (المؤمن) ثم (المعتصم) ثم أخرجه منها، ثم هلك خيران سنة تسع عشرة وأربعائة .

وقام بأمره بعده الأمير (عميد الدولة أبو القاسم زهير العامري) وزحف إلى غرناطة فبرز إليه باديس بن جيوس فقتله بظاهرها سنة تسع وعشرين وأربعائة، وصار ملكه للنصور (عبد العزيز) صاحب بلنسية .

وكان قائده مُحمّد وأبنة معن يتوليان حروبه مع مجاهد العامري صاحب دانية، فولى على المريّة (معن بن مُحمّد) سنة ثلاث وثلاثين وأربعائة، وغزا الموالى العامريين بشاطبة فغلبهم عليها .

وولى على بلنسية أبنة (عبد الملك) ققام بأمره وجاهد المأمون بن ذى النون فغلبه على بلنسية وانزعها منه سنة سبع وخمسين .

ولما مات المأمون وولى حافظه القادر على ما تقدم ذكره ولى على بلنسية (أبا بكر) ابن عبد العزيز بقية وزراء ابن أبي عامر، فحسن له ابن هود الانتقاض على القادر، ففعل وأستبد بها سنة ثمان وستين وأربعائة حين تغلب المقتدر على دانية، ثم هلك لسنة ثمان وسبعين لعشر مئتين من ولايته .

ووليّ أبْنُه القاضي (عثمان) فلما سَلِمَ القادرُ بنُ ذِي النون طَلِيْطَةً للأدْفونش وزحف إلى بَلْسِيَّةَ، خلعوا القاضي عثمانَ خوفاً من أَسْتِلاءِ ملك القَرْنَج عليها .

ثم ثار على القادر سنة ثلاث وثمانين القاضي (جعفرُ بن عبد الله) بن حِجَافَ ، فقتله وأَسْتَبَدَّ بها، ثم تغلب النصارى عليها سنة تسع وثمانين وقتلوه؛ ثم جاءهم (يوسفُ بن تاشفين) .

وأما مَعْنُ بن مُحمَّدَ قائد عبد العزيز بن أبي عامر، فإنه أقام بِالْمَرْيَةِ لما ولّاه المنصور سنة ثلاث وثلاثين، وتسمّى ذا الزارقين؛ ثم خلعهُ .

ووليّ أبْنُه (المعتصمُ أبا يحيى محمد بن معن بن مُحمَّدَ) سنة أربع وأربعين، ولم يزل بها أميراً إلى أن مات سنة ثمانين وأربعمئة .

ووليّ أبْنُه (أحمد) وبقيَ حتّى خلعهُ يوسفُ بن تاشفين .



وأما سَرَقُسطَةُ والثغر فاستولى عليهما بقية بنى هُودَ، إذ كان مُنْذِرُ بنُ يَحْيَى بنِ مَطَّرَفَ، بن عبد الرحمن، بن محمد، بن هاشم التُّجِيبِيّ صاحبَ الثغر الأعلى بالأندلس، وكانت دار إمارته سَرَقُسطَةَ . ولما وقعت فتنة البربر آخر أيام بنى أميّة، أَسْتَقِلَ (مُنْذِرُ) هذا بِسَرَقُسطَةَ والثغر، وتلقب بالمنصور، ومات سنة أربع عشرة وأربعمئة .

ووليّ مكانه أبْنُه (يحيى) وتلقب بالمظفر .

وكان أبو أيّوب (سليمانُ بن محمد) بن هُودَ بن عبد الله بن موسى، مولى أبي حُدَيْفَةَ الجُدَامِيّ من أهل نسبهم مستقلاً بمدينة (طُطَيْلَةَ) و(الارْدَة) من أول الفتنة . وجُدَّهم

هُودٌ هو الداخل إلى الأندلس ، فتلقب سليمان المذكور على المظفر يحيى بن المنير
وقته سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وملك سرقسطة والنغر من أيديهم ، وتحول
إليها ، وتلقب بالمستعين واستفحل ملكه ، ثم ملك بلنسية ودانية . وولى على لاردة
أبنة (أحمد المقتدر) ومات سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة .

فولى أبنة (أحمد) الملقب بالمقتدر سرقسطة وسائر النغر الأعلى ، وولى أبنة
(يوسف) الملقب بالمظفر لاردة . ومات أحمد المقتدر سنة أربع وسبعين لتسع
وثلاثين سنة من ملكه .

فولى بعده أبنة (يوسف المؤمن) وكان له اليد الطولى في العلوم الرياضية ، وألف
فيها التاليف الفاضلة ، مثل " المناظر " و " الاستكمال " ^(١) وضمهما ، ومات سنة ثمان
وسبعين وأربعمائة .

وولى بعده أبنة (أحمد) الملقب بالمستعين ، ولم يزل أميراً بسرقسطة إلى أن مات
شهيداً سنة ثلاث وخمسمائة في زحف ملك القرنج إليها .

وولى بعده أبنة (عبد الملك) وتلقب عماد الدولة ، وزحف إليه الطاغية أدفونش
ملك القرنج فملك منه سرقسطة وأخرجه منها ، وأستولى عليها سنة ثلث عشرة
وخمسمائة ، ومات سنة ثلاث عشرة .

وولى أبنة (أحمد) وتلقب سيف الدولة والمستنصر ، وبالغ في النكاية في الطاغية
ملك القرنج ، ومات سنة ست وثلاثين وخمسمائة .

وكان من ممالك بني هود هؤلاء طرطوشة ، وقد كان ملكها (مقاتيل) أحد الموالى
الباصرين سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، ومات سنة خمس وأربعين .

(١) القى في البرج ٤ ص ١٦٢ " الاستكمال " .

وملكها بعده (يعلّى العامري) ولم تكل مدته .

وملكها بعده (نيل) ^(١) أحلم إلى أن نزل عنها لعماد الدولة (أحمد بن المستعين) ستة ثنتين وخمسين وأربعمائة ، فلم تزل في يده ويد يّيه بعده إلى أن غلب عليها العدو المغذول فيما ظَلَب عليه من شرق الأندلس .



وأما دانية وميورة ، فاستولى عليهما (مجاهد بن علي) بن يوسف مولى المنصور ابن أبي حامر ، وذلك أنه بعد الفتنة كان قد ملك طرطوشة ثم تركها وسار إلى دانية واستقر بها ، وملك ميورة [ومئورة] وبّاسة ، واستقل بملكها سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، وولى عليها ابن أخيه (عبدالله) ثم ولى عليها بعد ابن أخيه موله (الأغلب) سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . وهلك مجاهد سنة ست وثلاثين وأربعمائة .

وولى ابنه (علي) وثقّب إقبال الدولة ، ودام ملكه ثلاثا وثلاثين سنة ، ثم غلبه المقتدر بن هود على دانية سنة ثمان وستين وأربعمائة وقله إلى سرقسطة ، فات قريبا من [وفاة المقتدر] ^(٢) سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، وبقي الأغلب مولى مجاهد على ميورة ، وكان كثير الغزو في البحر فاستأذن علي بن مجاهد في الغزو ، واستخلف على ميورة صهره سليمان بن مشكان نأبا عنه فأقام مليون خمس سنين ثم مات فولّى علي بن مجاهد مكانه (مبشر) وتسمى ناصر الدولة فأقام خمس سنين ، وأقرض ملك علي بن مجاهد وتغلب عليه المقتدر بن هود فاستقل (مبشر) بميورة ولم يزل يركد الغزو إلى بلاد العدو حتى جمع له طائفة برشلونة وحاصره بميورة عشرة

(١) في "المبرج" ٤ ص ١٦٣ "شيل .

(٢) الزيادة من "المبرج" ٤ ص ١٦٥ .

أشهر، ثم أقتلها منه واستباحها سنة ثمان ونحسمائة؛ وكان مبشر قد بعث بالصريح إلى (علي بن يوسف) صاحب المغرب، فلم يواف أسطوله بالمسد إلا بعد تنقلب العدو عليها وموت مبشر؛ فلما وصل العساكر والأسطول دفعوا عنها العدو وولى علي بن يوسف عليها من قبله (وأثود بن أبي بكر التتوني) ثم عسف بهم فولى عليها (يحيى بن علي بن إسماعيل) بن غانية صاحب غرب الأندلس فبعث إليها اخاه (محمد بن علي) فأقام في ولايتها عشر مستين إلى أن هلك أخوه يحيى، وسلطائهم علي بن يوسف وأستقرت ميمنة في ملك بني غانية وكانت لهم بها دولة ثم ملكها الموحدون وأقرض أمر بني غانية وبقيت في أيدي الموحدين حتى ملكها القرع من أيديهم آخر دولتهم.

وأما غرناطة فاستولى عليها (زاري بن زيري) بن مياد الصنهاجي، ثم عن له أن قدم على المعز بن باديس صاحب أفريقية وهو حفيد أخيه بلكين، فقدم عليه وأستخلف مكانه بفراطة ابناً له فأساء السيرة فيهم فأرسلوا إلى ابن عمه حيوس بن ماكس بن زيري فحضر إليهم فبايعوه، وعظم فيها سلطانه إلى أن مات مسنة تسع وعشرين وأربعمائة.

وولى من بعده ابنه (باديس بن حيوس) وتلقب بالمظفر، وهو الذي مصر غرناطة وأختط قصبته وشيد قصورها وحصن أسوارها؛ ومات سنة سبع ومبعمين وأربعمائة، وقد ظهر أمر المرابطين بالمغرب.

وولى من بعده حافده (عبد الله بن بلكين) بن باديس فبق بها إلى أن أجاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس، ونزل بفراطة سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة فقبض على عبد الله المذكور.

الطائفة التاسعة

(ملوك المرابطين من لمتونة : ملوك الغرب المتغلبين على الأندلس)

لما غلب أمير المسلمين (يوسف بن تاشفين) أمير المرابطين على بلاد المغرب وأستولى عليها، وكان الأندلس قد تقسم بأيدي ملوك الطوائف مجامعهم، وكان الطاغية ابن الأدفونس ملك الخلافة قد طمع في بلاد الأندلس، بعث أهل الأندلس إلى أمير المسلمين يستصرخون به فلي دعوتهم ومار إلى الأندلس .

ونزل الجزيرة الخضراء في سنة تسع وسبعين وأربع مائة ودفع الأدفونس ، وسار تارة ببلاد المغرب وتارة ببلاد الأندلس، وملك إشبيلية وبلنسية، وأستقل (عبد الله بن بلكين) عن غرناطة وأخاه تيمنا عن مالقة وغلب المعتمد بن حباد على جميع عمله وأستزل ابنه المأمون عن قرطبة وأبنته الراضى عن رندة وقرمونة، وأتزع بطليوس من صاحبها عمر بن الأفطس ، وأتزع عامة حصون الأندلس من أيدي ملوك الطوائف ، ولم يبق منها إلا سرقسطة في يد المستعين بن هود ، وأنتظمت بلاد الأندلس في ملكه وأقرض ملك الطوائف أجمع منها ، وأستولى على السنوتين وخاطب المستظهر الخليفة العباسي ببغداد في زمنه فمقد له على المغرب والأندلس وكتب له بذلك عهدا وأرسله إليه ، ولم يزل الأمر على ذلك حتى توفي سنة خمس مائة . وقام بالأمر بعده ابنه (علي بن يوسف) وفي أيامه تغلب الأدفونس على سرقسطة وأستولى عليها .

وعقد على بن يوسف لولده (تاشفين) على غرب الأندلس سنة ست وعشرين وخمسمائة وأنزله قرطبة وإشبيلية ؛ وعقد (الأبي بكر بن ابراهيم) على شرق الأندلس وأنزله بلنسية ؛ وعقد (الأبن غانية) على الجزائر الشرقية : دانية وميورقة ومنورقة .

وبقي الأمر على ذلك إلى أن غلب الموحدون على بلاد المغرب وآتروها من يد تاشفين
أبن علي في سنة إحدى وخمسين ومئوها .

ثم عقد عبد المؤمن أمير الموحدين لأبنه (أبي يعقوب) على إشبيلية ، ولأبنه
(أبي سعيد) على غرناطة ثم كانت أيام يوسف بن عبد المؤمن ففزا الأندلس ،
ثم رجع إلى إشبيلية سنة ثمان وستين وولّى عمه (يوسف) على بلنسية ، وعقد
لأخيه (أبي سعيد) على غرناطة ، وعقد على قرطبة لأخيه (الحسن) وعلى إشبيلية
لأخيه (علي) . ثم عقد (لأبي زيد) أبن أخيه أبي حفص على غرناطة ولأبن
أخيه أبي محمد عبد الله بن أبي حفص على مالقة . ثم عقد لأبنه أبي إسمحق على
إشبيلية ولأبنه يحيى على قرطبة ، ولأبنه أبي يزيد على غرناطة ولأبنه أبي عبد الله
على مرسية . وقتل في قتال النصارى في صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

وولى أبنه (أبو يعقوب) ورغب أبن أدفونس في مهادته فهادنه . وعقد
على إشبيلية للسيد أبي زيد بن الخليفة ، وعلى بطليوس لأبي الربيع بن أبي حفص ،
وعلى غرب الأندلس لأبي عبد الله بن أبي حفص . ورجع إلى مراكش سنة أربع
وتسعين وخمسمائة ومات بعدها .

وولى أبنه الناصر (محمد بن المنصور) ونزل إشبيلية ، وذلك في صفر سنة تسع
وسمائة ثم رجع إلى مراكش فمات بها .

وولى بعده أبنه (المستنصر يوسف) وكان الوالي بمرسية أبا محمد عبد الله بن
المنصور فدعا لنفسه ، وتسمى بالعدل ، وكان أخوته أبو العلاء صاحب قرطبة
وأبو الحسن صاحب غرناطة وأبو موسى صاحب مالقة فبايعوه مراً وخرج من

مُرْسِيَّةً إِلَى إِشْبِيلَةَ فَدَخَلَهَا وَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُوَحِّدُونَ بِالْبَيْعَةِ ، وَدَخَلَ مَرَاكُشَ فَكَانَتْ
بِالْأَنْدَلُسِ قَتْنٌ آخَرُهَا أَنَّ نَارَ ابْنِ هُوْدٍ عَلَى الْأَنْدَلُسِ وَأَسْتَوْلَى [عَلَيْهِ] وَأَخْرَجَ مِنْهُ
الْمُوَحِّدِينَ .

الطائفة العاشرة

(بنو الأحمر ملوك الأندلس إلى زماننا هذا)

وقد تعرض القاضي شهاب الدين بن فضل الله إلى الذي كان في زمانه منهم
وهو (يوسف) ولم ينسبه غير أنه قال : إنه من ولد قيس بن سعد بن عبادة .
ثم ذكر أنه فاضل ، له يد في الموشحات .

وأعلم أن بنى الأحمر هؤلاء أصلهم من أَرْجُونَةَ من حصون قُرْطُبَةَ وَيَنْتَسِبُونَ
إِلَى سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ سِيدِ الْخَرْجِ ، ولم أقف على نسبهم إليه ، ويعرفون ببني نصر ،
وكان كثيرهم آخِرَ دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ الشَّيْخُ أَبُو دَبُوسَ (مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ) بْنُ نَصْرِ
المعروف بابن الأحمر وأخوه إسماعيل ، وكان لهما وَجَاهَةٌ وَرِيَاسَةٌ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ .

ولما ضَعُفَ أَمْرُ الْمُوَحِّدِينَ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَسْتَقَلَّ بِالْأَمْرِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ هُوْدٍ
الناظر بِمُرْسِيَّةٍ وَقَامَ بِدَعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَتَغَلَّبَ عَلَى جَمِيعِ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ،
ثَارَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ نَصْرِ : جَدُّ بَنِي الْأَحْمَرِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ هُوْدٍ ، وَبُوعِ
لَهُ سَنَةٌ ثَمَعَ وَعَشْرِينَ وَسِتَّمِائَةً ، عَلَى الدَّهْلِ لِلْأَمِيرِ أَبِي زَكَرِيَّا يَمِينِي صَاحِبِ أَفْرِقِيَّةٍ
مِنْ بَقِيَّةِ الْمُوَحِّدِينَ ، وَأَطَاعَتْهُ جِيَاكُ وَشَرِيشُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مِبَايَعَتِهِ . ثُمَّ بَاعَ
لِابْنِ هُوْدٍ سَنَةً إِحْدَى وَثَلَاثِينَ عِنْدَ وَصُولِ تَقْلِيدِ الْخَلِيفَةِ مِنْ بَغْدَادَ لِابْنِ هُوْدٍ . ثُمَّ
تَغَلَّبَ عَلَى إِشْبِيلَةَ سَنَةً ثَمْنِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَأَسْمِعِلَتْ مِنْهُ بَعْدَ شَهْرٍ وَرَجَعَتْ لِابْنِ هُوْدٍ

[ثم تغلب] على غُرَاطَةَ سنة خمس وثلاثين ، وبأيَّوه وهو بَيَّان ، فقدم إليها وتزلفا
وأبتنى بها حصن الحمراء منزلاً له ، وهو المعبر عنه بالقصبة الحمراء : وهى القلعة ؛
ثم تغلب على مَالِقَةَ وأخذها من يد عبد الله بن زنون التائبها بعد مهلك ابن هود ؛
ثم أخذ المَرِيَّة من يد محمد بن الرميى وزير ابن هود التائبها سنة ثلاث وأربعين .
ثم بايعه أهل لُورَقَة سنة ثلاث وستين [وأتبعها] ممن كانت بيده . وفى أيامه وأيام
ابن هود التائب استعاد العدو المخلوئ من المسلمين أكثر بلاد الأندلس وحُصُونه ،
وهى يبدعهم إلى الآن ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وبقي حتى مات سنة إحدى وسبعين وسبعمائة .

وقام بأمره من بعده أبنته الفقيه (محمد) ابن الشيخ محمد بن يوسف ، واستجاش
بني مَرِين ملوك المغرب على أهل الكُفَر فلبَّوه بالإجابة ؛ وكان لهم مع طاغية
الكُفَر وقائع أبليت فيهم التأثير ، وبلغت فيهم حدَّ النكابة ، وبقي حتى هلك سنة
إحدى وسبعمائة .

وولى من بعده أبنته (محمد المخلوع) ابن محمد الفقيه .

ثم ظلب عليه أخوه (أبو الجيوش نصر بن محمد) الفقيه ، وأعتقه سنة ثمان
وسبعمائة ، وأستولى على مملكته ، فأساء السيِّرة فى الرعية ، والصَّحبة لمن عنده من
غُرَاة بني مَرِين .

فبايعوا (أبا الوليد إسماعيل) ابن الرئيس أبى سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف
ابن نصر ، وزحف من مَالِقَةَ إلى غُرَاطَةَ ، فهزم عساكر أبى الجيوش ، فصالحه على
الخروج إلى واديّاش ولحق بها ، فقتل له بها مُلُكا إلى أن مات سنة ثنتين وعشرين

(١١) وسبعائة، فدخل أبو الوليد إلى غُرْناطة وملكها، وكان بينه وبين مَلِك قشتالة من ملوك النصارى واقعةٌ بظاهر غُرْناطة ظهرت فيها مُعْجزةٌ من معجزات الدين لغبلة المسلمين مع قتلهم المشركين مع العدد الكثير، وغدر به بعض قرابته من بني نصر فطعنوه عند ما انقضَّ مجلسه بباب داره فقتله .

وبُويح لابنه (محمد بن أبي الوليد إسماعيل) فاستولى عليه وزيره محمد بن المحروق، وطلب عليه حتى قتله بمجلسه غُترا في سنة تسع وعشرين وسبعائة، وأستبدَّ بأمر مملكته، وأستجاش بني مَرِين على طاعة الكُفْر حتى أسترجع جبل القَتَح من أيديهم سنة ثلاث وثلاثين وسبعائة، وغدروا به بعد رجوعه من الجبل المذكور إلى غُرْناطة فقتلوه بالرمح .

وقدموا مكانه أخاه (أبا الحجاج يوسف) بن أبي الوليد إسماعيل وهو الذي ذكر في التعريف أنه كان في زمانه . وفي أيامه تغلب النصارى على الجزيرة الخضراء، وأخذوها صلحا سنة ثلاث وأربعين بعد حروب عظيمة، قُتل ولَد السلطان أبي الحسن المريني في بعضها وكان هو بنفسه في بعضها . ولم يزل حتى مات يوم الفطر سنة خمس وخمسين وسبعائة، طُعن في صجوده في صلاة العيد، وقُتل للبين قاتله .

وولي مكانه ابنه (محمد بن يوسف) وقام بأمره مولاهم رضوان الحاجب [فنبه عليه وصحبه . وكان أخوه إسماعيل ببعض قصور الحمراء وكانت له ذِمَّة وصهر من محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن محمد ابن الرئيس أبي سعيد، فسلط محمد هذا بعض الزعافة قسور حصن الحمراء على الحاجب فقتله، وأخرج صهره إسماعيل ونصبه

(١) للكل [وخلق أخاه السلطان محمدا ، وكان بروضة خارج الحمراء ففر إلى السلطان أبي سالم بن أبي الحسن الميربي : ملك المغرب فأحسن ثقله وأكرمه .

وأستقل أخوه (إسماعيل بن يوسف) بالملك في ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان المعظم قدره ، سنة متين وسبعائة ، وأقام السلطان إسماعيل في الملك بالأنكلس إلى أن مات أول سنة ثلاث وتسعين وسبعائة .

وأقيم مكانه أبو المجاج (يوسف بن إسماعيل) وبايعه الناس ومات سنة أربع وتسعين وسبعائة .

وبويح ابنه (محمد) وهو محمد بن يوسف بن محمد المخلوع بن يوسف بن إسماعيل ابن الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر ، وقام بأمره محمد انحصاصي القائد من جماعة أبيه ، وقد شغل الله طاعة الكفر بما وقع بينه وبين أخيه من الفتن المستأصلة ، فأمتنع صاحب الأنكلس عما كان يؤديه من الإتاوة للنصارى في كل سنة ، وأمتنع ذلك من استقبال سنة ثنتين وسبعين وسبعائة وإلى هذا الوقت . (ورد الله الذين كفروا يغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال) .



وأعلم انه لما أفتح المسلمون الأنكلس ، أجفلت أمم النصرانية أمامهم إلى سيف البحر من جانب الجوف ، وتجاوزوا الدروب من وراء قشتالة ، وأجمعوا ببلقية وملكوا عليهم (بلاية بن قافلة) فأقام في الملك تسع عشرة سنة ، وهلك سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة .

(١) الزيادة عن البرج ٤ ص ١٧٤ باختصار يستقيم الكلام . وفي القطعة الأخرى رضوان صاحب أبيه رحمه فأقام خمس سنين ، ثم داخل أخوه إسماعيل من قبل رضوان المجاج وخلق الخ (٢) لله يوسف بن محمد كما يؤخذ من اسم والده الآتي .

ووليَّ ابنُه (قافلة) ستين ثم هلك ، فولَّوا عليهم بعده (أدفونش بن بطرة) من الجَلَالَةِ أو القُوط ، واتصل الملك في عقبه إلى الآن ، فجمعهم أدفونش المذكور على حَاية مايقى من أرضهم بعد ممالك المسلمين عامتها ، وآتوها إلى جَلِيْقِيَّة ، وهلك سنة ثنتين وأربعين ومائة ثمان عشرة سنة من مُلكه .

ووليَّ بعده ابنُه (فرويلة) إحدى عشرة سنة قوَّى فيها سلطانه ، وقارنه اشتغال « عبد الرحمن الداخل » : أولِ خلفاء بنى أمية بتمهيد أمره ، فاسترجع مدينة لكَّ ، وبريقال ، ومُعمورة ، ومُسلمة ، وشقوبية ، وقشتالة ، بعد أن فتحها المسلمون وصارت في مملكتهم ، وهلك سنة ثنتين وخمسين .

ووليَّ ابنُه (أور بن فرويلة) ست سنين ، وهلك سنة ثمان وخمسين .

ووليَّ ابنُه (شبلون) عشر سنين ، وهلك سنة ثمان وستين .

فولَّوا من بنى أدفونش مكانه رجلا اسمه (أدفونش) فوثب عليه (مورفاط) قتله وملك مكانه سبع سنين .

ثم وليَّ منهم آخر اسمه (أدفونش) ثنتين وخمسين سنة ، وهلك سنة سبع وعشرين ومائتين .

فوليَّ ابنُه (ردمير) واتصل الملك في عقبه على التوالي إلى أن ولي منهم (ردمير) بن أردون آخر ملوكهم المستبدين بأمرهم . قال ابن حيان : في " تاريخ الأندلس " : وكانت ولايته بعد ترهب أخيه أدفونش الملك قبله ، وذلك سنة تسع عشرة وثلثمائة في زمن الناصر الأموي الخليفة بالأندلس ، وتنبأ للناصر الظهور عليه إلى أن كانت وقعة الحَنْظَلق سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وحصل للساكنين فيها الابتلاء العظيم ، وهلك ردمير سنة تسع وثلاثين وثلثمائة .

وولي أخوه (شانجة) وكان مُعجبا بياها فوهن مُلكه، وضعف سلطانه، ووشب عليه قوامس دوتله - وهم ولأه الأعمال من قبل الملك الأعظم - فلم ينتظم لبني أدفونش بعدها مُلك مستقِل في الجلالة إلا بعد حين، وصاروا كجوك الطوائف . قال ابن حيان : وذلك أن فُردلُند قومس أليّة والقلاع - وكان أعظم القوامس - أنتقض على شانجة المتقتم ذكره، ونصب للـك مكانه ابن عمه (أردون بن أدفونش) وأسبَد عليه ، فالت النصرانية عن شانجة إليه ، وظاهرهم ملك البشكنس على شانجة، ووفد شانجة على الناصر الأموي بقرطبة صريحا؛ ففُهِز معه عساكر وأستولى على سمورة فلحها وأنزل المسلمين بها ، وأتصلت الحرب بين شانجة وفُردلُند القومس . وفي خلال ذلك ولي الحكم المستنصر الأموي؛ ثم هلك شانجة بن أدفونش بيطليوس .

وقام بأمرهم بعده ابنه (ردمير) وهلك أيضا فُردلُند قومس أليّة والقلاع ، وقام بأمره بعده ابنه غريسة، ومات الحكم المستنصر قويا سلطاناً رديما، وعظمت نكايته في المسلمين إلى أن قبض الله لهم المنصور بن أبي طامر حاجب هشام ؛ فأتحن في عمل ردمير وغزاه مراراً وحاصره ؛ وأفتتح (شئت مانكس) ونحربها فتشاعت الجلالة بردمير ، ورجع إلى طاعة المنصور سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ؛ وهلك على أثرها ؛ فأطاعت أمه .

وأتفتت الجلالة على (برمُند بن أردون) فقد لة المنصور على سمورة وليون وما أتصل بهما من أعمال غليسية إلى البحر الأخضر فقبل ؛ ثم أنتقض فغزاه المنصور سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ، فافتتح ليون وسمورة ، ولم يبق بعدها للجلالة

(١) جمع قومس وهو الأمير .

(٢) أي ردمير كما يؤخذ من عبارة البرج ٤ ص ١٨١ .

إلا حصونٌ يسيرة بالجبل الحاجر بينهم وبين البحر الأخضر ؛ ولم يزل المنصور به حتى ضرب عليه الجزية وأُزيل المسامين مدينة سمورة سنة تسع وثمانين وثلثمائة ؛ وولى عليها أبا الأحوص (مَعْن بن عبد العزيز) التَّجِيبِي ؛ وسار إلى (غربية بن فُردُند) صاحب أليّة فلما عليه لَشْبُونَة قاعدة غليسية ونَحْرُها ؛ وهلك غربية .

فولى أبنه (شانجة) ف ضرب عليه الجزية ، وصارت الجَلالَة بأجمعهم في طاعة المنصور وهم كالمَمال له . ثم أُنقَضَ برمند بن أردون فزاه المنصور حتى بلغ شَتَّ ياقب ، مكان حجّ النصارى ومَنَاقِبَ يعقوب الحواري من أقصى غليسية ؛ فأصابها خالية فهدمها وقتل أبوابها إلى قُرطبة ، فجعلها في نصف الزيادة التي أضافها إلى المسجد الأعظم . ثم أُنشِجَ قاعدتهم (شَتَمَرِيّة) سنة خمس وثمانين وثلثمائة ؛ ثم هلك برمند بن أردون ملك بني أدفونش .

فولى أبنه (أدفونش) وهو سبط غربية بن فُردُند صاحب أليّة ؛ وكان صغيرا فكفله (منند بن غند شلب) قومس غليسية ، إلى أن قُتِلَ منند غيلة سنة ثمان وتسعين وثلثمائة فاستقل أدفونش بأمره ، وطلب القَواميس المتعذرين على أبيه وعلى مَنْ سلف من قومه مثل بني أرغومس وبني فُردُند المتقِمَ ذكهم بالطاعة فأطاعوا ودخلوا تحت أمره . ثم جاءت الفتنة البربرية على رأس المائة الرابعة فضُفَّ أمر المسامين ، وتغلب النصارى على ما كان المنصور تغلب عليه بِقَشائِلَة وجَلِيْقِيّة ؛ ولم يزل أدفونش بن برمند مَلِكاً على جَلِيْقِيّة وأعمالها . ثم كان المَلِكُ من بعده في عَقِبِهِ إلى أن كان ملوك الطوائف ، وتغلب المرابطون ملوك الغرب من لَمْتُونَة على ملوك الطوائف بالأندلس ، على ما سيأتي في الكلام على مَكْتَابَةِ أبْنِ الأحرار ملك المسامين بالأندلس .

وفى بعض التواريخ أن ملك قشتالة الذى ضرب الجزية على ملوك الطوائف فى سنى نحسين وأربعائة هو (البيطين) وأنه لما هلك قام بأمره بنوه فردلند ، وغرمية ، وردمير . وولى أمرهم (فردلند) ثم هلك ؛ وخلف شانجة وغرمية والفنش فتنازعوا ؛ ثم خلاص الملك للفنش ، وأستولى على طليطلة سنة ثمان وسبعين وأربعائة ؛ وعلى بلنسية سنة تسع وثمانين وأربعائة ؛ ثم أرتبعها المراتون من يده حتى أستعادها النصارى سنة ست وثلاثين وستمائة . وهلك الفنش سنة إحدى وخمسمائة .

وقام بأمر الجلالة (١١) وتزوجت ردمير ، ثم فارقت وتزوجت بعده قطا من أقاطها فانت منه بولد كانوا يسمونه (السلطين) . وأوقع ابن ردمير بـابن هود سنة ثلاث وخمسمائة الواقعة الى أستشهد فيها ، وملك منه سرقسطة .

وفى بعض التواريخ أن أمر النصارى فى زمن المنصور أبى يعقوب ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن كان دائرا بين ثلاثة من ملوكهم الفنش ، واليبوج ، وابن الزند ، وكيرهم الفنش .

ولما قشلت ريح بنى عبد المؤمن فى زمن المستنصر بن الناصر ، أستولى الفنش على جميع ما فتحه المسلمون من معقل الأندلس ؛ ثم هلك الفنش .

وولى أبنه (هراندة) وكان أحول وبذلك يلقب ، فأرتبع قرطبة وإشبيلية من أيدي المسلمين .

وزحف ملك أرغون فى زمنه فأستولى على ماردة ، وشاطبة ، ودانية ، وبلنسية ، وسرقسطة ، والزهراء ، والزاهرة ، وسائر القواعد والثغور الشرقية ؛ وأتجاز المسلمون

إلى سِيف البحر ، وملَّكوا عليهم آبن الأحمر بعد ولاية آبن هُود . وكان استرجاع الطاغية ماردة سنة ستّ وعشرين وستمائة ؛ وميُورقة سنة سبع وعشرين ؛ وبلنسية سنة ستّ وثلاثين ، ومَرَقُسطَة وشَاطِبَة قبل ذلك بزمان طويل . ثم هلك هِرَّانْدَة ، ووليَّ أبْنُه [شَانْجَة] ^(١) ثم هلك [سنة ثلاث وتسعين] ^(١) .

ووليَّ أبْنُه (هِرَّانْدَة) وكان بينه وبين عساكر يعقوب بن عبد الحق : سلطان الغرب الواصلة إلى الأندلس حروب متصلة ، الفَلَب فيها لعساكر آبن عبد الحق ؛ ثم خرج على هِرَّانْدَة هذا أبْنُه (شَانْجَة) فوفد هِرَّانْدَة على السلطان يعقوب بن عبد الحق فقبِلَ يده ، وأستجاشه على ولده شَانْجَة ، فقبِلَ وفادته ، وأتمه بالمال والعساكر ، ورهن عنده على المال التاج المعروف من ذخائر سلفهم ، فهو عند بني عبد الحق إلى الآن .

ثم هلك هِرَّانْدَة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وأستقلَّ أبْنُه (شَانْجَة) بالملك ، ووفد على يوسف بن يعقوب بالجزيرة الخضراء بعد مهلك أبيه يعقوب بن عبد الحق وعقد معه الهدنة ؛ ثم قهض وأستولى على مدينة طريف سنة ثلاث وتسعين وستمائة ؛ ثم هلك سنة ثلث عشرة وسبعائة .

فوليَّ أبْنُه (بطرَة) صغيرا ، وكفله عمه جُوان وهلكا جميعا على غرناطة عند زحفهما إليها سنة ثمان عشرة وسبعائة .

فوليَّ أبْنُه (المنشَة بن بطرَة) صغيرا وكفله زُعماء دولته ، ثم أستقلَّ بأمره وهلك محاصرا جبل الفتح سنة إحدى وخمسين وسبعائة في الطاعون الجارف .

(١) الزيادة من البرج ٤ ص ١٨٤ .

(٢) في البرج ٤ ص ١٨٣ "ثلاث وثمانين" .

وولي (أبنة بطرة) وفرأبنة القمط إلى برشلونة فاستجاش صاحبها على أخيه بطرة فأجابته ، وزحف إليه بطرة فاستولى على كثير من بلاده ، ثم كان الغلب للقمط سنة ثمان وستين وسبعائة ، وأستولى على بلاد قشتالة ، وزحفت إليهم أم النصرانية ، ولحق بطرة بأم الفرج الذين وراء قشتالة في الجوف بمجعات الليمانية وبرطانية إلى ساحل البحر الأخضر وجزائره فزوج بنته من ابن ملكهم الأعظم المعروف بالبسن غالس ، وأمه بأم لأحمصى فلما قشتالة والقرنتيرة ، وأتصلت الحرب بعد ذلك بين بطرة وأخيه القمط ، إلى أن غلبه القمط وقتله سنة ثنتين وسبعين وسبعائة ، وأستولى القمط على ملك بني أدفونش أجمعه ، وأستقام له أمر قشتالة ، ونازعه البسن غالس ملك الإفرنجية بابنه الذي هو من بنت بطرة ، وطلب له الملك على عادتهم في تملك ابن البنت ، وأتصلت الحرب بينهما ، وشغله ذلك عن المسلمين فامتنعوا عن أداء الإتاوة التي كانوا يؤدونها إلى من كان قبله ، وهلك القمط سنة إحدى وثمانين وسبعائة .

فولي أبنة (دُنْ جُوان) وفرأخوه غريس ولحق بالبرتغال ، وأمتجاش على أخيه مجموع كثيرة ، ثم رجع إليه وأصطلح عليه ، ثم هلك دُنْ جُوان سنة إحدى وتسعين وسبعائة ، ونصب قومه في الملك أبنة بطرة صبيا صغيرا لم يبلغ الحلم وقام بكفالاته وتدير دولته البركيش خال جده القمط بن الهنشة والأمر على ذلك إلى الآن ، وقتهم مع البسن غالس ومع الفرج متصلة ، وأيديهم عن المسلمين مكفوفة (والله من ورائهم محيط) .

قلت : والممالك القائمة بجزيرة الأندلس الآن من ممالك النصرانية أربع ممالك .

المملكة الأولى

(مملكة قشتالة)

التي عليها سِياقة الحديث إلى أن صارت إلى بطرة بن دُونِ جُوَانِ المتقنم ذكره .
وهي مملكة عظيمة وعمالات منسمة تشتمل على طيطة، واشبيلية، وقشتالة ،
وغليسية والقرنيرة وهي بسط من الغرب إلى الشرق ويقال للملكها الأدفونس والعاملة
تسميه الففش .

المملكة الثانية

(مملكة البرتغال)

وهي في الجانب الغربي من قشتالة، وهي عمالة صغيرة تشتمل على أشبونة وغرب
الأندلس، وهي الآن من أعمال جليقية، إلا أن صاحبها متميز بسمته ومملكه .

المملكة الثالثة

(مملكة برشلونة)

وهي بجهة شرق الأندلس، وهي مملكة كبيرة، وعمالات واسعة، تشتمل على
برشلونة، وأرضون، وشاطبة، ومرقسطة، وبلنسية، وجزيرة دانية، وميورقة،
وكان ملكهم بعد العشرين والسبعائة أئمه بطرة وطال عمره، وهلك سنة سبع
وثمانين وسبعائة، وأتفرد أخوه الملك مرقسطة مقاماً لأخيه ثم سار بعد ذلك
في أسطول فلك جزيرة صقلية من أيدي أهلها وصارت داخلة في أعمالهم .

المملكة الرابعة

(مملكة نبرة مما على قشتالة من جهة الشرق ، فاصلا بين عمالات

ملك قشتالة وعمالات ملك برشلونة)

وهي عمالة صغيرة ، وقاعدتها مدينة يبلونة ، وملكها ملك البشكنس . أما ماوراء الأندلس من الفرج فأم لا تحصى ، وسيأتى الكلام على ذكر ملكهم الأكبر ريدفرتس فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة السادسة

(في ترتيب هذه المملكة)

أما مملكة المسلمين فلا يخفى أنها في معنى بلاد المغرب . [وفي كثير من الأوقات يملكون ملوك المغرب الأقصى ، فبالضرورة إن ترتيبهم جارطى ترتيب بلاد الغرب]^(١) .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن أهل الأندلس في الجملة لا يتعممون ، بل يتعمدون شعورهم بالتنظيف والحناء ما لم يغلب الشيب ؛ ويتطيلسون فيلقون الطيلسان على الكتيف أو الكتيفين مطويا طيا طريفا [والمتعم فيهم قليل]^(١) ؛ ويلبسون الثياب الرفيعة الملوثة من الصوف والكتان ونحو ذلك ، وأكثر لباسهم في الشتاء الجوخ وفي الصيف البياض . قال : وأرزاق الجند به ذهب بحسب مراتبهم ، وأكثرهم من برّ العنوة من بنى مرين وبنى عبد الواد وغيرهم . والسلطان مسكنه القصور الرفيعة ، ويقعد السلطان للناس بدار العدل في مكان يعرف بالسبيكة من القصبة الحمراء التي هي القلعة يوم الاثنين ويوم الخميس

(١) الزيادة من القطة الأزهريّة :

صباحا ، ويحضر معه المجلس الرؤساء من أقاربه ونحوهم ، ويُقرأ يحلّسه عشر من القراءن وشيء من الحديث النبوي ، يأخذ الوزير القِصص من الناس فتقرأ عليه . وأما الحرب فإنهم فيها يتجَال : تارة لهم وتارة عليهم ، والنصر في الأغلب للمسلمين على قُلَيْهِمْ وكثرة عدوهم بقوة الله تعالى . وبالبلاد البحرية أسطول الحراريق المفزق في البحر الشامي ، يركبها الأتجاد من الرُماة والرؤساء المهرة ، فيقاتلون العدو على ظهر البحر ، وهم الظافرون في الغالب ، ويُغيرون على بلاد النصارى بالساحل وما هو بقربه فيأُسرون أهلها ذكورهم وإناثهم ، ويأتون بهم بلاد المسلمين ، فيبرزون بهم ويحملونهم إلى غرناطة إلى السلطان فيأخذ منهم ما يشاء ويهدى ويبيع .

وقد كانت لهم وقعة في الإفرنج سنة تسع عشرة وسبعائة على مَرَج غرناطة قُتِل فيها من الإفرنج أكثر من ستين ألفا ومِلكان : هما بطرة وجوان عمه فقُديت جيفة جوان بأنوال عظيمة ، وحملت جُثة بطرة إلى غرناطة ، فعلقت على باب قلعتها في تابوت ، وأستمرت معلقة هناك ، وحاز المسلمون غنيمة من أموالهم قلبا يُذكر مثلها في تاريخ ، ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ .

وقد تَقَسَّم في المقالة الأولى في الكلام على النوع الرابع مما يحتاج إليه الكاتب : وهو حفظ كتاب الله تعالى : أن بعض ملوك الفَرَنْج كتب إلى ابن الأحمر : صاحب غرناطة كتابا يُهدده فيه ، فكان جوابه أن قلبه وكتب على ظهره ﴿أرجع إليهم فلنأينهم بجود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أئلة وهم صاغرون﴾ .

وأما ملوك الفَرَنْج به فعلی ترتيب سائر ممالك الفَرَنْج مما هو غير معلوم لنا .

الفصل الثالث

من المقالة الثانية

في الجهة الجنوبيّة عن مملكة الديار المصرية : من مصر والشام والحجاز ،
ومضافاتها مما هو واقع في الثاني والثالث والرابع من الأقاليم السبعة)
اعلم أنه قد دخل في جهتي الشرق والغرب المتقسمتين ذكرًا ما كنّ مما هو في جهة
الجنوب عن مملكة الديار المصرية ومضافاتها ، أنساق الكلام إليها استطرادا
وأستبعا : كأطراف اليمن ، والهند ، والصين الجنوبيّة الخارجة عن الإقليم الثاني
إلى جهة الجنوب مما أستبعت ممالك الشرق ، والمقصود الآن الكلام على ما عدا
ذلك ، وهو بلاد السودان .

وهي بلاد متسعة الأرجاء ، رَحبة الجَوَاف ، حدّها من الغرب البحر المحيطُ
الغربيّ ؛ ومن الجنوب الخراب مما على خطّ الاستواء ؛ ومن [الشرق] بحر القلزم
مما يقابل بلاد اليمن والأمكنة المجهولة الحال شرق بلاد الزنج في جنوبيّ البحر
الهنديّ ؛ ومن الشمال البراريّ الممتدة فيما بين الديار المصرية وأرض برقة ، وبلاد
البربر ، من جنوبيّ المغرب إلى البحر المحيط .

والمشهور منها ست ممالك :

المملكة الأولى

(بلاد البجا)

والبجا بضم الباء الموحدة ونح الجيم وألف في الآخر . وهم من أقصى السودان
لونا . قال ابن سعيد : وهم مسلمون ونصارى وأصحاب أوثان ؛ ومواطنهم

فَجَنُوبِي صَعِيد مِصْرٍ مِمَّا عَلَى الشَّرْقِ، فِيمَا بَيْنَ بَحْرِ الْقَلْزَمِ وَبَيْنَ نَهْرِ النَّيْلِ، عَلَى الْقُرْبِ
مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ .

وقاعلتهم (سَوَاكُنْ) بفتح السين المهملة والواو وكسر الكاف ونون في الآخر .
قال في " تهويم البلدان " في الكلام على " بَحْرِ الْقَلْزَمِ " : وهى بَلِيدَةٌ لِلسُّودَانِ، حَيْثُ
الطُّولُ ثَمَانٌ وَخَمْسُونَ دَرَجَةً، وَالْعَرْضُ إِحْدَى وَعِشْرُونَ دَرَجَةً .

قلت وقد أخبرنى من رآها أنها جزيرةٌ على طَرَفِ بَحْرِ الْقَلْزَمِ مِنْ جِهَتِهِ الْغَرْبِيَّةِ قَرْيَةً
مِنَ الْبَرِّيَّةِ يُسْكِنُهَا التُّجَّارُ، وَصَاحِبُهَا الْآنَ مِنَ الْعَرَبِ الْمَعْرُوفِينَ بِالْحِدَارِيَّةِ - بِالْحَاءِ وَالْدَّالِ
الْمَهْمَلَتَيْنِ الْمَفْتُوحَتَيْنِ وَأَلْفٌ ثُمَّ رَاءَ مَهْمَلَةٍ وَبَاءَ مَوْحَلَةٍ مَفْتُوحَةٍ وَهَاءٌ فِي الْآخِرِ، وَلَهُ
مَكْتَابَةٌ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ بِالْدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَيُقَالُ فِي تَعْرِيفِهِ الْحُدُورِيَّةِ بِضَمِّ
الْحَاءِ وَسُكُونِ الدَّالِ وَضَمِّ الرَّاءِ، عَلَى مَا سَأَتَى ذِكْرَهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمَكْتَابَاتِ فِي الْمَقَالَةِ
الرَّابِعَةِ فِيمَا بَعْدُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وقد عدّ في " تهويم البلدان " مِنْ مَدُنِ الْبُجَا (الْعَلَّاقِ) بفتح العين المهملة
وَاللَّامِ الْمَشْتَدَّةِ ثُمَّ أَلْفٌ وَقَافٌ مَكْسُورَةٌ ثُمَّ يَاءٌ مَثْنَاءٌ مِنْ تَحْتِ . مِنْ آخِرِ الْإِقْلِيمِ
الْأَوَّلِ مِنَ الْإِقَالِيمِ السَّبْعَةِ . قَالَ فِي " الْأَطْوَالِ " : حَيْثُ الطُّولُ ثَمَانٌ وَخَمْسُونَ
دَرَجَةً، وَالْعَرْضُ سِتُّ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً . قَالَ فِي " تهويم البلدان " : وهى بِالْقُرْبِ
مِنَ بَحْرِ الْقَلْزَمِ ، وَلَهَا مَعَاصِرٌ لَيْسَ بِالْحَيِّدِ ، وَيَجِبُهَا مَدِينٌ نَهَبٌ ، يَتَحَصَّلُ مِنْهُ
بِقَدَرٍ مَا يَنْفَقُ فِي اسْتِخْرَاجِهِ ، قَالَ الْمُهَلَّبِيُّ : إِذَا أَخَذْتَ مِنْ أَسْوَأِهَا فِي شِمْتِ الْمَشْرِقِ
تَصِلُ إِلَى الْعَلَّاقِ بَعْدَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَحَلَةً . قَالَ : وَبَيْنَ الْعَلَّاقِ وَعَيْنَابِ ثَمَانِ
مَرَاكِلَ وَمِنَ الْعَلَّاقِ يَدْخُلُ إِلَى بِلَادِ الْبُجَا .

المملكة الثانية

(بلاد النوبة)

بضم النون وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وهاء في الآخر . ولون بعضهم يميل إلى الصفاء ، وبعضهم شديد السواد . قال في "مسالك الأبصار" : وبلادهم مما يلي مصر في نهاية جنوبيها مما يلي المغرب على ضفتي النيل الجاري إلى مصر . قال في "تقويم البلدان" في الكلام على الجانب الجنوبي : وبينها وبين بلاد النوبة جبال منيعة .

وقاعدتها مدينة (دقّلة) . قال في "تقويم البلدان" : الظاهر أنها بضم الدال المهملة وسكون النون وقاف مضمومة ولام مفتوحة وهاء في الآخر . وما قاله هو الجارى على السنة أهل الديار المصرية ، ورأيتها في "الروض المطار" مكتوبة (دقّلة) ببدال النون ميما ، مضبوطة بفتح الدال ، وباقي الضبط على ماחקم . وأنشد بيت شعر شاهدا لذلك . وموقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول ثمان وخمسون درجة وعشر دقائق ، والعرض أربع عشرة درجة وخمس عشرة دقيقة . قال : وفي جنوبيها وغربيها مجالات زنج النوبة الذين قاعدتهم (كوشة) خلف الخط ، وفي غربي دقّلة وشمالها منهن المذكورة في الكتب . قال الإدريسي : وهي في غربي النيل على ضفته وشرب أهلها منه . قال : وأهلها سودان لكنهم أحسن السودان وجوها ، وأجلهم شكلا ، وطعامهم الشعير والذرة والتمر يخلط إليهم ، واللحم التي يستعملونها لحوم الإبل : طرية ومقعدة ، ومطبوخة . وفي بلادهم القيلة ، والزرايف ، والغزلان .

(١) في التقويم "مطبوخة" وهو تصحيف .

قال في "مسالك الأبصار" : ومثلها أشبه بالقري والضباع من المدن، قليلة الخير والخصب، يابسة الهواء . قال : وحديثي غير واحد ممن دخل التوبة : أن مدينة دثلة تمتدة على النيل، وأهلها في شطف من العيش، والحبوب عندهم قليلة إلا الذرة، وإنما تكثر عندهم الخوم والألبان والسمك . وأنفرا أطبختهم أن تطبخ اللوبيا في مرق اللحم، ويؤرد ويصف اللحم واللوبيا على وجه التريد . وربما حملت اللوبيا بورقها وعروقها . قال : ولهم آنهاك على السكر بالزور وميل عظيم إلى الطرب .

ولما خاف بنو أيوب نور الدين الشهيد صاحب الشام على أنفسهم حين هم بقصدهم، بعث السلطان صلاح الدين أخاه شمس الدولة إلى (التوبة) ليأخذها لتكون مؤثلا لهم إذا قصدوا، فأروها لاتصلح لملهم، فعدوا إلى اليمن وأستولوا عليها، وجعلوها كالمعقل لهم . قال ابن سعيد : ودین أهل هذه البلاد النصرانية . قال في "مسالك الأبصار" : ومن هذه البلاد نجح "لنأين الحكيم" ثم سكن مدينة أيلة، ثم دخل إلى بيت المقدس . ومنها أيضا "نئون المصرى" الزاهد المشهور، وإنما سمي المصرى لأنه سكن مصر فسب إليها . وكان ملوكها في الزمن القديم وسائر أهلها على دين النصرانية، فلما فتح عمرو بن العاص رضى الله عنه مصر غزاها . قال في "الروض المبطار" : فرأهم يرمون الحديق بالنبل، فكف عنهم، وقدر عليهم إمارة في كل سنة . قال صاحب "العبر" : وعلى ذلك جرى ملوك مصر بعده، وربما كانوا يماطلون بذلك ويمتنون من أدائه، فتغزوهم عساكر المسلمين من مصر حتى يطيعوا، إلى أن كان ملكهم في أيام الظاهر بيبرس رحمه الله، رجلا اسمه (مرقشكوك) وكان له ابن أخ اسمه (داود) فتغلب عليه، وأتزع الملك من يده، وأستفعل ملكه بها، وتجاوز حدود مملكته قريب (أسوان) من آخر ضعيد

الديار المصرية ؛ فقدم (مرقسنكر) المذكور على الظاهر بيبرس بالديار المصرية ، واستجده على ابن أخيه (داود) المذكور ؛ فجهز معه العساكر إلى بلاد النوبة ، فانهمز (داود) وخلق بمملكة الأبواب من بلاد السودان ، قبض عليه ملكها وبعث به مقيداً إلى الظاهر بيبرس ؛ فاعتل بالقلعة حتى مات ؛ وأستقر (مرقسنكر) في ملك النوبة على جزية يؤقها في كل سنة ، إلى أن كانت دولة المنصور (قلاوون) ثم أستقر بمملكة دقلة في الدولة المنصورية (قلاوون) رجل اسمه سيمادون وغزبه عساكر قلاوون سنة ثمانين وسبعمائة .

ثم ملكهم في أيام الناصر "محمد بن قلاوون" رجل اسمه (أمن) وبقي حتى توفي سنة ست عشرة وسبعمائة .

وملك بعده دقلة أخوه (كرنيس) .

ثم خرج من بيت الملك منهم رجل اسمه (نشل) فهاجر إلى مصر ، وأسلم وأحسن إسلامه ، وأقام بمصر بالأبواب السلطانية ، وأجرى عليه السلطان الملك الناصر رزقا ، ولم يزل حتى أمتنع (كرنيس) من أداء الجزية سنة ست عشرة وسبعمائة ، فجهز إليه السلطان العساكر مع نشل المقدم ذكره ، وقد تسمى عبد الله ففر كرنيس إلى بلاد الأبواب ، فاستقر (عبد الله نشل) في ملك دقلة على دين الإسلام ، ورجعت العساكر إلى مصر ، وبعث الملك الناصر إلى ملك الأبواب في أمر كرنيس فبعث به إليه ، فأسلم وأقام بباب السلطان ، وبقي نشل في الملك حتى قتله أهل مملكته سنة تسع عشرة وسبعمائة ، فبعث السلطان كرنيس إليهم فلهم وأتقطعت الجزية عنهم من حين أسلم ملوكهم . قال في "العبر" : ثم انتشرت أحياء جهينة من العرب في بلادهم وأستوطنوها ، وطأوا فساداً ، وعجز ملوك النوبة عن مدافعتهم ،

فصاهروهم مصانةً لهم ، وتمزق بسبب ذلك مُلكهم حتى صار لبعض جُمُيئة من أمهاتهم على رأى العجم فى تملك الأخت وابن الأخت ؛ فتمزق مُلكهم واستولت جُمُيئة على بلادهم ، ولم يُحسِنُوا سياسة المُلك ، ولم يتقدَّ بعضهم إلى بعض ، فصاروا شيعاً ولم يبقَ لهم رسم مُلك ، وصاروا رحالةً باديةً على عادة العرب إلى هذا الزمان .

وذكر فى "مسالك الأبصار" : أن ملكها الآن مُسلم من أولاد (كتر الدولة) قال : وأولاد الكتر هؤلاء أهل بيت ثارت لهم نواثر مَرَّات . فيحتمل أن أولاد الكتر من جُمُيئة أيضاً جميعاً بين المقاتلين .

وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أن سُلطانهم كواحد من السائمة ، وأنه يأوى الغرباء إلى جامع دُفلة فيرمِل إليهم ، فيأتونه فيضيِفُهُم ويُنعم عليهم هو وأمرأؤه ، وأن غالب عطائهم الدَّكاديك : وهى أكسية غلاظ ظالها سُود . وربما أعطوا عبداً أو جاريةً .

(وقد ذكر فى "الروض المعطار" : أن عمرو بن العاص رضى الله عنه قصد قتال النوبة فراهم يروون الحنق بالنبل فكف عنهم ، وقد عليم إتاوة من الرقيق فى كل سنة) ، ولم تزل ملوك مصر تأخذ منهم هذه الإتاوة فى أكثر الأوقات حتى ذكر فى "مسالك الأبصار" أنه كان عليهم فى زمنه مُقرَّر لصاحب مصر فى كل سنة من العيد ، والإمءاء ، والحِراب ، والوَحُوش النوبية .

قلت : أما الآن فقد أقطع ذلك . (وربك يخلق ما يشاء ويختار) .

المملكة الثالثة

(بلاد البرنو)

وبلاد البرنو - بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وضم النون وسكون الواو .
 وهم مسلمون والغالب على ألوانهم السواد قال في " التعريف " : وبلاده تحُدُّ بلاد
 التُّرُور من الشرق ؛ ثم يكون حُدُّها من الشمال بلادَ أفريقيا ؛ ومن الجنوب المَحَج .
 وقاعدتهم مدينة (كَا كَا) بكافين بعد كلِّ منهما ألف فيما ذكر لي رسولُ سلطانهم
 الواصلُ إلى الديار المصرية حجةَ الحجج في الدولة الظاهرية (بَرْقُوق) . وقد
 تعرَّض إليها في " مسالك الأبصار " في تحديد مملكة مَالِي على ما يأتي ذكره
 إن شاء الله تعالى .

ومن مدنها أيضا مدينة (كُتْنِيكِي) بكاف مضمومة وتاء مثناة فوقية ساكنة
 ونون مكسورة وسين مهملة ساكنة وكاف مكسورة بعدها ياء مثناة تحية . وهي
 شرقى (كَا كَا) على مسيرة يوم واحد منها .

قلت : وقد وصل كتاب ملك البرنو في أواخر الدولة الظاهرية (بَرْقُوق) يذكر
 فيه أنه من ذرية " سيف بن ذى يزن " إلا أنه لم يحقق النسب فذكر أنه من
 قريش وهو غلط منهم فإن " سيف بن ذى يزن " من أحقاب تبابعة اليمن من حمير .
 على ما يأتي ذكره في الكلام على المكتبات ، في المقالة الرابعة فيما بعد ، إن شاء
 الله تعالى .

ولصاحب البرنو هذا مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، يأتي ذكرها
 هناك إن شاء الله تعالى .

المملكة الرابعة

(بلاد الكايم)

والكايم بكاف بعدها ألف ثم نون مكسورة وميم في الآخر . وهم مسلمون أيضا والغالب على ألوانهم السواد . قال في "مسالك الأبصار" : وببلادهم بين أفرقيّة وبرقة ، ممتدة في الجنوب إلى سمت الغرب الأوسط . قال : وهي بلاد حط ، وشقف ، وموء مزاج مستول عليها . وغالب عيشهم الأرز ، والقمح ، والذرة ، وببلادهم الثين ، والايحون ، واللفت ، والباذنجان ، والرطب . وذكر عن أبي عبدالله السلاجي ، عن الشيخ عثمان الكايمي وغيره أن الأرز ينبت عندهم من غير بذور . ومعاينتهم يقاس ينسج عندهم اسمه دندى ، طول كل ثوب عشرة أذرع فاكثر . قال : ويتعاملون أيضا بالودع ، والخرز ، والنحاس المكسور ، والورق ، لكنه جميعه يسعر بذلك القماش .

وذكر ابن مسعيد : أن في جنوبيها محاربي فيها أشخاص متوحشة ، كالنول أقرب الحيوانات إلى الشكل الآدمي ، تؤذى بنى آدم ولا يلحقها الفارس .

وذكر أبو عبد الله المراكشي في كتابه "التكملة" عن أبي إسحاق إبراهيم الكايمي الأديب الشاعر : أنه يظهر ببلاد الكايم في الليل أمام الماشي بالقرب منه قلل نار تضيء ، فإذا مشى بعدت منه ، فلا يصل إليها ولو جرى ، بل لا تزال أمامه . وربما رماها بحجر فأصابها ، فينشغل منها شرارات . قال في "مسالك الأبصار" : وأحوالها وأحوال أهلها حسنة ، وربما كان فيهم من أخذ في التعليم ، ونظر من الأدب نظرة النجوم فقال إني سقيم ، لها يزال يداوى حليل فهمه ، ويدارى جامع علمه ، حتى تشرق عليه أشعتها ، ويحرز بلبياجه أمتعتها .

وقاعدتها (مدينة جيمي) . قال في "تقويم البلدان" : بكسر الميم وبالياء المشاة تحت الساكنة وكسر الميم ثم بامثلة تحية في الآخر حسب ما دوفى خط ابن سعيد . وموقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول ثلاث وخمسون درجة ، والعرض تسع درج ، وبها مقرة سلطانهم . قال في "مسالك الأبصار" : ومبدأ هذه المملكة من جهة مصر بلدة اسمها (دلا) وآخرها طولاً بلدة يقال لها (كأكا) وبينهما نحو ثلاثة أشهر . وقد تقدم أن كأكا هي قاعدة سلطان البرنو . وبينها وبين جيمي أربعون ميلاً . قال وبها فواكه لا تشبه فواكه بلادنا ؛ وبها الرمان ، والخوخ ، وقصب السكر . قال في "مسالك الأبصار" : وسلطان هذه البلاد رجل مسلم . قال في "تقويم البلدان" : وهو من ولد «سيف بن ذى وزن» . قال في "مسالك الأبصار" : وأول من بت الإسلام فيهم الهادي العثاني ، ادعى أنه من ولد «عثان بن عفان» رضى الله عنه وملكها ، ثم صارت بعده لليزيين . وذكر في "التعريف" : أن سلطان الكايم من بيت قديم في الإسلام ، وقد جاء منهم من ادعى النسب العلوي في بني الحسن . ثم قال : وتمتد بهم «الشافعي» رضى الله عنه . قال في "مسالك الأبصار" : وملكهم على حقارة سُلْطانه ، وسوء بقعة مكانه ، في غاية لا تُترك من الكبرياء ، يسح برأسه عتار السماء ، مع ضعف اجناد ، وقلة متحصّل بلاد ، لا يراه أحد إلا في يوم العيدين بكرة وعند العصر . أما في سائر السنة فلا يكلمه أحد ولو كان أميراً إلا من وراء حجاب . قال : والعدل قائم في بلادهم ، ويتنهبون بمنهب الإمام «مالك» رضى الله عنه ، وهم ذوو اختصار في اللباس ، يلبسون في أئدين ، وعسكرهم يتنمّون ؛ وقد بنوا مدرسة لالكية بالقسطاط يترل بها وفودهم .

المملكة الخامسة

(بلاد مالى ومضافاتها)

و(مالى) يفتح الميم وألف بعدها لام مشددة مفتحة وياء مشاة تحت فى الآخر .
وهي المعروفة عند العامة ببلاد (التكرور) . قال فى "مسالك الأبصار" : وهذه المملكة
فى جنوب المغرب ، متصلة بالبحر المحيط (قال فى "التعريف" : وحدها فى الغرب
البحر المحيط ، وفى الشرق بلاد البرنو ، وفى الشمال جبال البربر ، وفى الجنوب المصح .
ونقل عن الشيخ سعيد الدكالى : أنها تقع فى جنوب مراً كش ودواخل بر العنوة
جنوباً بغرب إلى البحر المحيط . قال فى "مسالك الأبصار" : وهي شديدة الحر ،
قسيقة المعيشة ، قليلة أنواع الأقوات ، وأهلها طوال فى غاية السواد وتقل
الشعور ، وغالب طول أهلها من سوقهم ، لا من هياكل أبدانهم . قال ابن سعيد :
والتكرور قسمان : قسم حضر يسكنون المدن ، وقسم رحالة فى البوادي .

وقد حكى فى "مسالك الأبصار" عن الشيخ سعيد الدكالى : أن هذه المملكة
مربعة ، طولها أربعة أشهر أو أزيد ، وعرضها مثل ذلك ، وجميعها مسكونة
إلا ماقل ، وهذه المملكة هى أعظم ممالك السودان المسلمين .

وتشتمل على ثمان جمل :

الجملة الأولى

(فى ذكر أقاليمها ومنازلها)

وقد ذكر صاحب "العبر" : أنها تشتمل على خمسة أقاليم كل إقليم منها
مملكة بذاتها .

الإقليم الأول

(ماليّ)

وقد تقسم ضبطه . وهو إقليم واسطة الأقاليم السبعة الداخلة في هذه المملكة ، واقع بين إقليم صوصو وإقليم كوكو ؛ صوصو من غربيه ، وكوكو من شرقيّه .

وقاعدته على ما ذكره في "مسالك الأبصار" : مدينة (بنّى) ^(١) قال في "مسالك الأبصار" : بالباء الموحدة والتون ثم الباء الموحدة أيضا . قال : وهي ممتدة تقدير طول برید في عرض مثل ذلك ؛ ومبانيها متفرقة ، وبنائها بالبالستا . وهو أنه يُبنى بالطين بقدر ثلثي ذراع ، ثم يُترك حتى يجف ، ثم يُبنى عليه مثله ، وكذلك حتى يتسوى ؛ وسقوفها بالخشب والقصب ، وغالبها قباب أو جملونات كالأكباش ؛ وأرضها تراب مُرمِل ، وليس لها سور ، بل يستدير بها عدة فروع من النيل من جهاتها الأربع ، بعضها يُنحّض في أيام قلة الماء ، وبعضها لا يُعبّر فيه إلا في السفن . وللك عدة قصور يدور بها سور واحد .

الإقليم الثاني

(صوصو)

بصادين مهملتين مضمومتين ، بعد كل منهما واو ساكنة . وربما أبدلوا الصاد سينتا مهملة سمي بذلك باسم سكّانه . قال في "العبر" : وهم يسمونها الانكرارية . وهو في الغرب عن إقليم ماليّ المقدم ذكره فيا ذكره في "العبر" عن بعض القلة .

(١) في القطعة الأزهرية "مدينة بنّى بكسر الياء المثناة تحت وسكون الياء الثانية وكسر المثناة فوق وياء مثناة تحت في الآخر" .

الإقليم الثالث

(بلاد غانة)

يفتح الفين المعجمة وألف ثم نون مفتوحة وهاء في الآخر . وهي غربي إقليم
صُوصو المقتم ذكره ثجاور البحر المحيط الغربي .

وقاعدته (مدينة غانة) التي قد أُضيف إليها . قال في "تقويم البلدان" :
وموقعها خارج الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب . قال ابن سعيد : حيث
الطول [تسع وعشرون درجة ^(١)] والعرض عشر درج . قال في "تقويم البلدان" :
وهي محل سلطان بلاد غانة .

وقد حكى ابن سعيد : أن لغانة نيلًا شقيق نيل مصر ، يصب في البحر المحيط
الغربي عند طول عشر درج ونصف ، وعرض أربع عشرة . وإليها تسير التجار
المغاربة من بحلباسية في برمقفر ومقاوّر عظيمة في جنوب الغرب نحو خمسين يومًا ،
فيكون بين غانة وبين مصبه نحو أربع درج . وهي مبنية على ضفتي نيلها هذا .
قال في "العبر" : وكان أهلها قد أسلموا في أول الفتح الإسلامي .

وقد ذكر في "تقويم البلدان" : أنها مدينتان على ضفتي نيلها ، إحداهما يسكنها
المسلمون والثانية يسكنها الكفار .

وقد ذكر في "الروض المطار" : أن لصاحب غانة معلقين من ذهب ، يربط
عليهما فرسان له أيام مقعده .

(١) الزيادة عن التقويم قلا عن ابن سعيد .

الإقليم الرابع (بلاد كوكو)

وهي شرق إقليم مالى المقدم ذكره . قال في "الروض المطار" : ومليكها قائم بنفسه ، له حشم وقواد وأجناد وزى كامل ، وهم يركبون الخيل والجمال ، ولم بأس وقهر لمن جاورهم من الأمم . قال : وبها ينبت عود الحبة : وهو عود يشبه العاقر قرحا ، إلا أنه أسود ، من خاصته أنه إذا وُضِعَ على بخر الحبة خرجت إليه بسرعة ، ومن أمسكه بيده أخذ من الحبات ما شاء من غير جزع يدركه أو يقع في نفسه . ثم قال : والصحيح عند أهل المغرب الأقصى أن هذا العود إذا أمسكه تمسك بيده أو علقه في عنقه لم تهربه حية البتة .

وقاعدته (مدينة كوكو) بفتح الكاف وسكون الواو وفتح الكاف الثانية وسكون الواو بعدها . وموقعها في الجنوب عن الإقليم الأول قال ابن سعيد : حيث الطول أربع وأربعون درجة ، والعرض عشر درج . قال : وهي مقر صاحب تلك البلاد . قال : وهو كافر يقاتل من غربيته من مسلمي غانة ومن شرقيه من مسلمي الكايم .

وذكر المهلب في العزيزي أنهم مسلمون ، وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهر ونصف . قال في "الروض المطار" : وهي مدينة كبيرة على ضفة نهر يخرج من ناحية الشمال ، يمر بها ويمجاوزها بأيام كثيرة ، ثم ينقوص في الصحراء في رمال كما ينقوص الفرات في بطائح العراق . قال ابن سعيد : وكوكو في شرق النهر ، ولباس عامة أهلها الجلود يسترون بها عورتهم ، وتجارتهم يلبسون الأكسية ، وعلى رؤوسهم الكرازين ، ولبس خواصهم الأزرق . قال في "مسالك الأبصار" : وسكانها قبائل يرثان من السودان .

الإقليم الخامس (بلاد تَكُور)

وهي شرقى إقليم (كُوكُو) المتقدم ذكره، ويليها من جهة الغرب مملكة (البرنو) المتقدمة الذكر، وبها عُرفت هذه المملكة على كبرها واشتهرت.

وقاعدته (مدينة تَكُور) بفتح التاء المثناة فوق وسكون الكاف وضم الراء المهملة وسكون الواو وراء مهملة في الآخر. قال في "الروض المطار": وهي مدينة على النيل على القرب من ضفافه أكبر من مدينة سَلَا من بلاد المغرب، وطعام أهلها السمك، والذرة، والألبان، وأكثر مواشيهم الجمال، والمعز، ولباس طامة أهلها الصوف، وعلى رؤوسهم كرازين صوف، ولباس خاصتهم القطن والمآزر. قال: وبينها وبين بحيرة من بلاد المغرب أربعون يوما يسير القوافل، وأقرب البلاد إليها من بلاد لَمْتُونَة بالصحرار آسفي بينهما خمس وعشرون مرحلة. قال: وأكثر ما يسافر به تجار الغرب الأفقي إليها الصوف، والحاس، والخرز، ويخرجون منها بالتبر، والخدم. قلت: وذكر في "مسالك الأبصار": أن هذه المملكة تشتمل على أربعة عشر إقليما. وهي إغانة، وزاقون، وزنكا، وتكرون، وسغانة، وبانغو، وزرنطابنا، ونيترام، وضمورا، وزاغاب، وكابرا، وبراغودي، وكوكو، ومالي. فذكر أربعة من الأقاليم الخمسة المتقدمة الذكر، وأسقط إقليم صوصو، وكأنها قد انصهرت وزاد باقي ذلك، فيحتمل أنها انصهرت إلى صاحبها يومئذ بالفتح والاستيلاء عليها. قال في "مسالك الأبصار": وفي شمالي بلاد مالي قبائل من البربر بيض تحت حكم سلطانها: وهم نيتصر، ونيغراس، وملوسة، ولَمْتُونَة، ولهم أشياخ تحكم عليهم

إلا يتصر، فإنهم يتداولهم ملوكهم تحت حكم صاحب مالى . قال : وكذلك في طاعته قوم من الكفار بعضهم يأكل لحم الآدميين . وقيل عن الشيخ سعيد الدكالى : أن في طاعة سلطانها بلاد مغارة الذهب . وهم بلاد همج، وعليهم إتاعة من التبرئ تحمل إليه في كل سنة، ولو شاء أخذهم ولكن ملوك هذه المملكة قد جزبوا أنه ما فتحت مدينة من هذه المدن وفشا بها الإسلام، وتطلق بها داعى الأذان، إلا قل بها وجود الذهب ثم يتلاشى حتى يعدم، ويزداد فيها إليه من بلاد الكفار، فرضوا منهم ببذل الطاعة، وحمل قرد عليهم . وذكر نحو ذلك في " التعريف " في الكلام على غانة .

المجلة الثانية

(في الوجود بهذه المملكة)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ سعيد الدكالى^(١) : أن بها الخيل من نوع الأكاديش التترية . قال : وتجب الخيل العرب إلى ملوكهم، يتغالون في أثمانها، وكذلك عندهم البغال، والحمير، والبقر، والغنم؛ ولكنها كلها صغيرة الجثة، وتلد الواحدة من المعز عندهم السبعة والثمانية، ولا مرعى لمواشيهم، إنما هي جلالة على الثمامات والمزابل . وبها من الوحوش الفيلة، والآساد، والثمور؛ وكلها لا تؤذى من بنى آدم إلا من تعرض لما . وعنهم وحش يسمى (تري) يضم الناء المثانة والراء المهمة وتقديد الميم، في قدر الذئب، يتولد بين الذئب والفئج لا يكون إلا خشي : له ذكر وفرج، متى وجد في الليل آدمياً صغيراً أو مراهقاً أكله . ولا يتعرض إلى أحد في النهار؛ وهو ينعر كالشور، وأسنانه متداخلة . وعنهم تماسيح عظام منها ما يكون

(١) نسبة إلى وكالة قال في القاموس كرامة . وفي المعجم بالفتح به بالنزب

طوله عشرة أذرع وأكثر، ومرارته عندهم سُم تاتل تحمل إلى خزانة ملكهم .
وعندهم بقر الوحش، وحير الوحش، والفزلان . وفيما يسميت بيلماسة من بلادهم
جواميس متوحشة تصاد كما يُصاد الوحش . وبها من الطيور الدواجن الإوز،
والدجاج، والحمام . وبها من الحبوب الأرز، والقوى : وهودق مزغب، يُدرَس
فيخرج منه حب أبيض شبيه بالخردل في المقدار أو أصغر منه ، فينسل ثم يطحن
ويعمل منه الخبز، وهذا الحب هو والأرز هما غالب قوتهم؛ وعندهم الذرة وهي
أكثر حبوبهم؛ ومنها قوتهم وذيقي خيولهم ودوابهم، وعندهم الحنطة دلي قلة فيها،
أما الشعير فلا وجود له عندهم ألبنة؛ وعندهم من الفواكه البستانية الجيز وهو
كثير لديهم؛ وعندهم أشجار برية ذوات ثمار ما كولة مستطابة، منها شجريسمي
تادموت يحمل شيئاً مثل القواويس كبراً في داخلها شيء شبيه بدقيق الحنطة، ساطع
البياض، طعمه مرنّ لذيذ يأكلون منه، وإذا جف جعلوه على الحناء فيسوده
كالنواذر؛ ومنها شجريسمي زيزور تخرج ثمرته مثل قرون الحروب فيخرج منها
شيء شبيه بدقيق الترمس حلو لذيذ الطعم، له نوى . ومنها شجريسمي قوى،
يحمل شبيه السفرجل، لذيذ الطعم يشبه طعم الموز، وله نوى شبيه بغضروف العظام،
يأكله بعضهم معه . ومنها شجر اسمه فارقي، حمله شبيه بالليمون وطعمه يشبه طعم
الكثيرى بداخله نوى ملحم، يؤخذ ذلك النوى وهو طري، فيطحن فيخرج منه شيء
شبيه بالسمن يجمد، ويبيض به البيوت، وتوقد منه السرج، ويُعدّل منه الصابون،
وإذا نُصِد أكله وضع في قدر على نار ليئة، ويسقى الماء حتى يقوى غليانه وهو
مغطى الرأس، ويسارنى كشف الظاء في آتقاده، نانه متى كُشف اتقدّر فار ولحق
بالسقف . وربما اتعقد منه نار فأحرق البيت، لذا نخبج برّد، ويحمل في ظروف
القرع، وصار يستعمل في المأكّل كالسمن . ومتى جعل في غير ظروف القرع

من الآتية ترقها . ويوجد بها من الثمرات البرية ما حوشيه بكل الفواكه البستانية على اختلاف أنواعها ، ولكنها حريفة لا تستطاب ، يأكلها الحمج من السودان ، وهي قوت كثير منهم .

وبها من الخضراوات اللوبياء ، واللفت ، والثوم ، والبصل ، والباذنجان ، والكرنب ، أما الملوخية فلا تطلع عندهم إلا برية ، والقرع عندهم بكثرة . وعندهم شيء يشبه بالقلناس إلا أنه ألد من القلقاس ، يزرع في الخلاء فإن سرق منه سارق ، قطع الملك رأسه وعلقه مكان ما قطع منه ، عادة عندهم يتوارثونها خلفا عن سلف ، لا توجد فيها رخصة ، ولا تنفع فيها شفاعاة .

وجبالها ذوات أشجار مشنكية ، غليظة السوق إلى الغاية ، تُظل الواحدة منها خمسمائة فارس . وفيها بناية وما وراءها في الجنوب من بلاد السودان الحمج معادن الذهب .

وقد حكى في "مسالك الأبصار" عن الأمير أبي الحسن علي بن أمير حاجب عن السلطان (منسا موبى) سلطان هذه المملكة : أنه سأله عند قدومه الديار المصرية حاجبا عن معادن الذهب عندهم — فقال : توجد على نوعين : نوع في زمان الربيع ينبت في الصحراء له ورق يشبه بالنجيل ، أصوله التبر . والثاني يوجد في أماكن معروفة على ضقات تجارى النيل ، تحفر هناك حفائر فيوجد فيها الذهب كالنجارة والحصى ، فيؤخذ . قال : وكلاهما هو المسمى بالتبر . ثم قال : والأول أخف في العيار ، وأفضل في القيمة ، وذكر في "التعريف" نحوه . وذكر عن الشيخ عيسى الزواوى عن السلطان (منسا موبى) المتقدم ذكره أيضا أنه يحفر في معادن الذهب كل حفرة عمق قامة أو ما يقاربها ، فيوجد الذهب في جنباتها . وربما وجد مجتمعا في سفلى

(١) في الأصل والأول أ ... في الحيار والصحيح عن "التعريف" و "المسالك" .

الحفيرة؛ وأنت في مملكته أئماً من الكفار لا يأخذ منهم جزية، إنما يستعملهم في إخراج الذهب من معادنه. ثم قد ذكر في "مسالك الأبصار": أن النوع الأول من الذهب يوجد في زمن الربيع عقيب [الأمطار]^(١) ينبت في مواضعها، والثاني يوجد في جميع السنة في ضفلات مجارى النيل. وذكر في "التعريف": أن نبات الذهب بهذه البلاد يبدأ في شهر (أغشت) حيث سلطان الشمس قاهر، وذلك عند أخذ النيل في الارتفاع والزيادة. فإذا انحط النيل تبتع حيث ركب عليه من الأرض؛ فيوجد منه ما هو نبات يشبه النجيل وليس به. ومنه ما يوجد كالخضى. بفعل الجميع مما يحدث في هذا الزمن في أماكن النيل خاصة، وفيه مخالفة لما تقدم. بل قد قال: إن شهر (أغشت) الذي يطلع فيه الذهب وهو من شهور الروم، ويقع - والله أعلم - أنه يركب من (تموز) و(آب) يعني من شهور السريان، وهذا غلط فاحش. فقد تقدم في المقالة الأولى أن شهور الروم متطبقة على شهور السريان في الابتداء والاكتهاء، دون ابتداء أول السنة؛ وشهر (أغشت) من شهور الروم هو شهر (آب) من شهور السريان بعينه.

ثم قد حكى في "مسالك الأبصار" عن والى مصر عن (ملسا مومنى) المتقدم ذكره: أن الذهب ببلاده حى له، يجمع له متحصله كلقطعة، إلا ما يأخذه أهل تلك البلاد منه على سبيل المراقبة.

وحكى عن الشيخ سعيد الدكالى: أنه إنما يهادى بشيء منه كالمصانعة، وأنه يتكسب عليهم في المبيعات لأن بلادهم لا شيء بها. ثم قال: وكلام الدكالى أثبت وعليه ينطبق كلامه في "التعريف" حيث ذكر غائنه ثم قال: وله عليها إتاوة ممتدة

(١) يهاض بالاصل والتصحيح من "المسالك".

تَحْمَلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ . وَبِهَذِهِ الْبِلَادِ أَيْضًا مَعْدُنُ مُحَاسٍ وَلَيْسَ يُوجَدُ فِي السُّودَانِ إِلَّا عِنْدَهُمْ . قَالَ الشَّيْخُ عَيْسَى الزَّوَاوِي : قَالَ لِي السُّلْطَانُ مُوسَى : إِنْ عِنْدَكَ فِي مَدِينَةٍ أَسْمَاهَا (نَكُوا) مَعْدُنُ مُحَاسٍ أَحْمَرٌ، يَتَلَبَّ مِنْهُ قُضْبَانٌ إِلَى مَدِينَةِ بَنِي قَاعِدَةَ مَالِي فَبِعْتُ مِنْهُ إِلَى بِلَادِ السُّودَانِ الْكُفَّارِ، فُبَاعَ وَزَنَ مِثْقَالُ بَنَلَى وَزَنَهُ مِنَ النَّهَبِ؛ يُبَاعُ كُلُّ مِائَةِ مِثْقَالٍ مِنْ هَذَا النَّحَاسِ بِسِتَّةِ وَسِتِينَ مِثْقَالًا وَثَلَاثِي مِثْقَالٍ مِنَ النَّهَبِ .

وبِهَذِهِ الْبِلَادِ (مَعْدِنُ مِلْحٍ) وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ السُّودَانِ الْوَارِثِينَ فِي الْحُبُوبِ وَالْمُسَايِينَ لِجِلْمَانَسَةِ وَمَا وَرَافِعَا مِلْحٍ سِوَاهُ . قَالَ "الْمُقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ" : حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الصَّائِغِ ، أَنَّ الْمِلْحَ مَعْدُونٌ فِي دَاخِلِ بِلَادِ السُّودَانِ؛ فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُغَرَّرُ وَيَصِلُ بِهِ إِلَى أَنَاسٍ مِنْهُمْ يَتَدَوَّنُونَ نَظَائِرَ كُلِّ صُبْرَةٍ مِلْحٍ مِثْلَهُ مِنَ النَّهَبِ . قَالَ ابْنُ الصَّائِغِ : وَحَدَّثْتُ أَنَّ مِنْ أُمَمِ السُّودَانِ الدَّاخِلَةِ مَنْ لَا يَظْهَرُ لَهُمْ بَلٌّ إِذَا جَاءَ الثَّجَارُ بِالْمِلْحِ وَضَعُوهُ ثُمَّ ظَاوُوا ، فَيَجِيءُ السُّودَانُ فَيَضَعُونَ إِزَاءَهُ النَّهَبَ ، فَإِذَا أَخَذَ التِّجَارُ النَّهَبَ ، أَخَذَ السُّودَانُ الْمِلْحَ ، قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : قَالَ لِي الدَّكَّالِيُّ : وَأَهْلُ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ كَثِيرٌ فِيهِمُ السَّحَرُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَيْنَاةٌ حَتَّى لَمَسُوا فِي بِلَادِ الْكُنَّارِ مِنْهُمْ يَصِيدُونَ الْفِيلَ بِالسَّحَرِ حَقِيقَةً لَا بِجَازَا؛ وَفِي كُلِّ وَقْتٍ يَتِمُّ كُنُوتٌ عِنْدَ مُلْكِهِمْ بِسَبَبِهِ ، وَيَقُولُ أَحَدُهُمْ : إِنْ نَلَلْنَا قَتَلَ أَحَدٌ أَوْ وَلَدَى السَّحَرِ ، وَالسُّلْطَانُ يَحْكُمُ عَلَى الْقَاتِلِ بِالْقِتْصَاصِ وَقَتْلِ السَّاحِرِ .

وَحَكَى عَنْهُ أَيْضًا : أَنَّ السُّمُومَ بِهَذِهِ الْمَمْلَكَةِ كَثِيرَةٌ ، فَإِنْ عِنْدَهُمْ حَشَائِشٌ وَحَيَوَانِيَّةٌ يَرْكَبُونَ مِنْهَا السُّمُومَ الْقَتَالَةَ ، وَلَا سِوَاهَا مِنْ سَمٍّ يَوْجَدُ عِنْدَهُمْ . قَالَ الشَّيْخُ مُعِيدُ الدَّكَّالِيِّ : وَمِنْ خِصَاصَةِ هَذِهِ الْبِلَادِ أَنَّ يَسْرِعَ فِيهَا فَسَادُ الْمَتَنَزَّاتِ لِأَسْمَا السَّمْنِ فَانْهُ يَفْسُدُ وَيَتَبَّنُ فِيهَا فِي يَوْمَيْنِ .

الجملة الثالثة

(في معاملة هذه المملكة)

ذكر في "مسالك الأبصار" عن ابن أمير حاجب : أن المعاملة عندهم بالودع وأن التجار تجلبه إليهم كثيراً ، قَرَّبَ في الرِّيح الكثير. وكان هذا في المعاملات النازلة من مثل الماكل وما في معناها ، وإلا فالذهب عندهم على ما تهم من الكثرة .

الجملة الرابعة

(في ذكر ملوك هذه المملكة)

قد تهم أن هذه المملكة قد أجمع بها خمسة أقاليم ؛ وهي : إقليم مالى ، وإقليم صوصو ، وإقليم غانة من الجانب الغربي عن مالى ، وإقليم كوكو ، وإقليم كزور من الجانب الشرقي عن مالى ؛ وأن كل إقليم من هذه الخمسة كان مملكة مستقلة ، ثم أجمع الكل في مملكة صاحب هذه المملكة ، وأن مالى هي أصل مملكته . قال في "مسالك الأبصار" : وهو وإن غلب عليه عند أهل مصر أسم سلطان التُّكُورِ فإنه لو سَمِعَ هذا إِنْفَ منه ، لأن التُّكُورِ إنما هو إقليم من أقاليم مملكته ، والأحب إليه أن يقال (صاحب مالى) لأنه الإقليم الأكبر ، وهو به أشهر . ونقل عن الشيخ سعيد الدكالي : أنه ليس بمملكته من يُطَلَقُ عليه أسم ملك إلا صاحب غانة وهو كالتائب له وإن كان ملكاً . وكانه إنما بقى أسم الملك على صاحب غانة دون غيره لعدم أتراعها منه والاستيلاء عليها استيلاء كلياً . قد قال في "التعريف" : وأما غانة فإنه لا يملكها وكأنه مالئها ، يتركها عن قُدرة عليها : لأن بها وبما وراها جنوباً منابت الذهب . وذكر ما تهم من أن بلاد منابت الذهب متى نشأ فيها الإسلام

(١) في الأصل سبعة ، وهو موهوم من النسخ لأن الملعود هنا المتقدم هناك خمسة .

والإثان، عليم فيها نبات الذهب، وصاحب مالى يتركها لذلك لأنه مسلم، وله عليها إتاوة كبيرة مقررة تجل إليه فى كل سنة .

وقد ذكر صاحب " العبر " : أن هذه الممالك كانت بيد ملوك متفرقة، وكان من أعظمها مملكة غانة . فلما أسلم الملتزمون من البربر، تسلطوا عليهم بالغزو حتى دان كثير منهم بالإسلام، وأعطى الجزية آخرون ، وضعف بذلك ملك غانة وأضعف، فغلب عليهم أهل صوصو المجاورون لهم ، وملكوا غانة من أيدي أهلها . وكان ملوك مالى قد دخلوا فى الإسلام من زمن قديم .

قال : ويقال إن أول من أسلم منهم ملك أسمه (بريندانه) بيا موحدة وراء مهملة مفتوحتين وميم مكسورة ونون ساكنة ودال مهملة بعدها ألف ثم نون مشددة مفتوحة وهاء فى الآخر فيما ضبطه بعض علمائهم . ثم حج بعد إسلامه ، فاقتضى سبته فى الحج ملوكهم من بعده .

ثم جاء منهم ملك أسمه (مارى جازلة) ومعنى (مارى) الامير الذى يكون من نسل السلطان ومعنى (جازلة) الأسد ، فقوى ملكه وغلب على صوصو ، وأترع ما كان بأيديهم من ملكهم القديم وملك غانة الذى يليه إلى البحر المحيط . ويقال : إنه ملك عليهم نحساً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده ابنه (منسا ولى) ومعنى (منسا) بلغتهم السلطان ، ومعنى (ولى) حلى ، وكان من أعظم ملوكهم ، وحج أيام الظاهر بيبرس صاحب مصر .

ثم ملك من بعده أخوه (والى) .

ثم ملك من بعده أخوه (خليفة) وكان أحق ، يغلب عليه الحق فيرى الناس بالسهام فيقتلهم ، فوثب به أهل مملكته فقتلوه .

وملك بعده سبط من أسباط « ماري جازلة » المقدم ذكره، اسمه (أبو بكر) على فاحشة العجم في تليك البنت وابن البنت .

ثم قلب على الملك مولى من موالهم اسمه (ماكورة) . ويقال (سيكره) فاتسع نطاق مملكته وغلب على البلاد المجاورة له ، وفتح بلاد كوكو وأستضافها إلى مملكته ، وأتصل ملكه من البحر المحيط الغربى إلى بلاد التكرور ، قوى سلطانه ، وحابه أم السودان ورحل إليه التجار من بلاد الغرب وأفريقية . وسج أيام السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » ورجع قتل في أثر عوده .

وملك بعده (قو) بن السلطان « ماري جازلة » .

ثم ملك من بعده (محمد بن قو) ثم أنتقل الملك من ولد ماري جازلة إلى ولد أخيه أبى بكر .

فولى منهم (متسا موسى) بن أبى بكر . قال فى « العبر » : وكان رجلا صالحا ، ومليكا عظيما ، له أخبار فى العدل تؤثر عنه ، وعظمت المملكة فى أيامه إلى الغاية ، وأفتتح الكثير من البلاد .

قال فى « مسالك الأبصار » : حكى ابن أمير حاجب والى مصر عنه ، أنه فتح بسيفه وحده أربعاً وعشرين مدينة من مدن السودان ذوات أعمال وقرى وضياح . قال فى « مسالك الأبصار » : قال ابن أمير حاجب : سأله عن سبب انتقال الملك إليه - فقال : إن الذى قبل كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك ، فجهم ممين سفن ، وشحنها بالرجال والأزواد التى تكفيهم سنين ، وأمر من فيها أن لا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته أو تستفد أزوادهم ، فخابوا مدة طويلة ، ثم عاد منهم سفينة واحدة وحضر مقدمها ، فسأله عن أمرهم . فقال : سارت السفن زمانا طويلا حتى عرض

لها في البحر في وسط الجثة واد له جثة عظيمة، فابتلع تلك المراكب وكنت آخر القوم فرجعت بسيفتي، فلم يصدقه: بغير التي صفيته ألقا للرجال وألقا للآزواد، وأمتخلفني وسافر بنفسه ليعلم حقيقة ذلك، فكان آخر العهد به وبمن معه. قال في "العبر": وكان حجه في سنة أربع وعشرين وسبعائه في الأيام الناصرية «محمد بن قلاوون».

قال في "مسالك الأبصار": قال لي المهندار خرجت لملتقاء من جهة السلطان فأكرمني إكراما عظيما، وعاملني بأجل الآداب، ولكنه كان لا يحدثنني إلا بترجمان مع إجادته اللسان العربي. قال: وما قدم، قدم للخزانة السلطانية حملا من التبر، ولم يترك أميرا ولا رب وظيفة سلطانية إلا بعث إليه بالذهب. وكنت أحاوله في طلوع القلعة للاجتماع بالسلطان حسب الأوامر السلطانية فيأبى خشية تخميل الأرض للسلطان ويقول: جئت للرجل لا لغيره، ولم أزل به حتى وافق على ذلك.

فلما صار إلى الحضرة السلطانية. قيل له: قبل الأرض، فتوقف وأبى إباء ظاهرا. وقال: كيف يجوز هذا؟ فأمر إليه رجل كان إلى جانبه كلاما - فقال: أنا أحمده لله الذي خلقني وفطرني ثم سجد، ونهض إلى السلطان، فقام له بعض القيام وأجلسه إلى جانبه وتحدثا طويلا، ثم قام السلطان مومئ فيعت إليه السلطان بالمال الكاملة له ولا محابيه، وخيلا مفرجة مئجمة. وكانت خلفه طرد وحش يقصب كثير، يستجاب مقدس، مطرز بزركش، على مفرج إسكندري، وكثرة زركش، وكلايب ذهب، وشاش بحري، ورقم خلية، ومنطقة ذهب مرصعة، وسيف محلي، ومتنديل منحب نر، وفرسين مرسجين ملجمين بمراكب بطل عملة وأعلام، وأجرى عليه الأتزال والإقامات الوافرة مدة مقامه.

ولما آن أوان الحج بعث إليه بمبلغ كبير من الدراهم ، وُجِّنَ جليلة كاملة الأكوار
والعُدَّة لمركبه ، وُجِّنَ أتباع لأصحابه وأزواجه ، ورَكَزَ له العليق في الطُّرُق ،
وأمر أميرالركب بإكرامه واحترامه .

ولما عاد ، بعث إلى السلطان من هدية المجاز تبركا ، فبعث إليه بالحلج الكاملة
له ولأصحابه ، والتحف والألطف من البر السكندري والأمتعة الفانرة ،
وعاد إلى بلاده .

وذكر عن ابن أمير حاجب والى مصر أنه كان معه مائة رجل ذهب أنفقها
في سفرته تلك على من طريقه إلى مصر من القبائل ثم بمصر؛ ثم من مصر إلى الججاز
توجيها وعودا حتى احتاج إلى القرض ، فاستدان على ذمته من تجار مصر بمبلغ
عليه فيه المكاسب الكثيرة ، بحيث يحصل لأحدهم في كل ثلاثة دينار سبعة دينار
ربحاً ، وبعث إليهم بذلك بعد توجيهه إلى بلاده . قال في "العبر" ويقال : إنه كان
يحمل آتة اثنا عشر ألف وصيفة لابسات أقيّة السياج .

قال في "مسالك الأبصار" : وذكر لي عنه ابن أمير حاجب : أنه حكى له
أن من عادة أهل مملكته أنه إذا نشأ لأحد منهم بنتٌ حسناء ، فقدمها له أمة
موطوءة ، فيملكها بغير تزويج مثل ملك اليمين - فقلت له : إن هذا لا يحل لمسلم
شراً - فقال : ولا للوك ؟ - فقلت : ولا للملوك وآمال العلماء . فقال :
والله ما كنت أعلم ذلك ! وقد تركته من الآن . قال في "العبر" : ودام ملكه
عليهم خمسا وعشرين سنة ومات .

فلك بعده ابنه (منسا مغا) ومعنى مغا عندهم محمد ، يعنون السلطان محمداً ،
ومات لأربع سنين من ولايته .

وملك بعده أخوه (منسا سليمان) بن أبي بكر، وهو أخو منسا موسى الملقب
ذكرة، قال في "مسالك الأبصار": واجتمع له ما كان أخوه أفتحه من بلاد
السودان وأضافه إلى يد الإسلام، وبني به المساجد والجوامع والمنارات، وأقام به الجمع
والجماعات والأذان؛ وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضي الله
عنه، وتفقه في الدين. قال في "العبر" ودام ملكه أربعاً وعشرين سنة، ثم مات
وولى بعده ابنه (قنيتا بن سليمان)^(١) ومات لتسعة أشهر من ملكه.

وملك بعده (ماري جافله) بن منسا مغا بن منسا موسى فأقام أربع عشرة سنة
أساء فيها السيرة، وأفسد ملكهم، وأتلف ذخائرهم بسرّفه وتبذيره، حتى انتهى به
الحال في السرف أنه كان يخرّاتهم حجر ذهب، زنته عشرون قنطاراً متقولاً من
المعدن من غير سبك ولا علاج بالنار. وكانوا يرونه من أنفاس ذخائرهم لندور وجود
مثله في الحديد، فباعه على تجار مصر المترددين إليه بأجنس ثمن، وصرف ذلك كله
في الفسوق، وكان آخر أمره أن أصابته علة النوم وهو مرض كثيراً ما يصيب أهل
تلك البلاد لا سيما الرؤساء منهم، يأخذ أحدهم النوم حتى لا يكاد يفيق، فأقام به
سنتين حتى مات سنة خمس وسبعين وسبعائة.

وملك بعده ابنه (موسى) فنكّب عن طريق أبيه، وأقبل على العدل وحسن
السيرة.

وتقلب على دولته وزره (ماري جافله) فحجّره وقام بتدبير الدولة؛ وكان له فيها
أحسن تدبير؛ وبقي منسا موسى حتى مات سنة تسع وثمانين وسبعائة.
وملك بعده أخوه (منسا مغا) وقُتل بعده بسنة أو نحوها.

(١) ونفع في المبرج ٦ ص ٢٠١، ٢٠٢ "قنيتا".

وملك بعده (صندكى) زوج أم موسى المتقدم ذكره، ومعنى (صندكى) الوزير،
ووثب عليه بعد أشهر رجل من بيت مارى جازطة .

ثم خرج من ورائهم من بلاد الكفرة رجل اسمه (مخود) يُنسب إلى (منسا قو)
أبن منسا ولى، بن مارى جازطة، ولقبه منسا مفا، وغلب على الملك فى سنة ثلاث
وتسعين وسبعائة .

(قال فى "التعريف" : وصاحب التكرور هذا يدعى نسباً إلى عبد الله بن صالح،
أبن الحسن، بن على بن أبى طالب كرم الله وجوههم . قلت : هو صالح بن عبد الله
أبن موسى، بن عبد الله أبى الكرام، بن موسى الجون، بن عبد الله، بن حسن المنفى،
أبن الحسن السبط، أبن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وقد ذكر فى "تقويم البلدان" : أن سلطان غانة يدعى النسب إلى الحسن بن على
عليهما السلام، فيحتمل أنه أراد صاحب هذه المملكة لأن من جملة من هو فى طاعته
غانة، أو من كان بها فى الزمن القديم قبل استيلاء أهل الكفر عليها)

الجملة الخامسة

(فى أرباب الوظائف بهذه المملكة)

قد ذكر فى "مسالك الأبحار" أن بهذه المملكة : الوزراء، والقضاة، والكتاب،
والدواوين، وأن السلطان لا يكتب شيئاً فى الغالب، بل يكمل كل أمر إلى صاحب
وظيفته من هؤلاء فيفصله . وكتابهم بالخط العربى على طريقة الفارسية .

الجملة السادسة

(في عساكر سلطان هذه المملكة، وأرزاقهم)

أما مقدار العساكر، فقد ذكر الشيخ سعيد الدكالي : أن مقدار عسكره مائة ألف نفر، منهم خيالة نحو عشرة آلاف فارس، وباقيهم رجالة لاخليل لهم .
وأما الإقطاعات لأمرأء هذا السلطان وجنوده والإنعامات عليهم ، فقد قال الدكالي : إن من أكابرهم من يبلغ جملة ماله على الملك في كل سنة خمسين ألف مقال من الذهب، وأنه يتقدمهم مع ذلك بالخليل والساش، وإن همته كلها في تحصيل زعيمهم وتمصير منسبهم .

الجملة السابعة

(في زى أهل هذه المملكة)

قال الدكالي : لباسهم عمامة يحذك مثل القرب، وقمائمهم بياض من ثياب قطن تلتصق عندهم في نهاية الرقة واللطف تسمى الكصيا ولبسهم شبيه بلبس المفاربة حجاب ودراريح بلا تقريح والأبطال من قمرانهم تلبس أساور من ذهب، فمن زادت فروسيته ليس معها أطواقا من ذهب فإن زادت ليس مع ذلك خلاخل من ذهب، ولها زادت فروسيته البطل ألبسه الملك سراويل متسعة وسراويلاتهم ضيقة أحكام الساقين متسعة الشرج، وأهل هذه المملكة يركبون بالسروج وهم في غالب أحوالهم في الركوب كأنهم من العرب، إلا أن هؤلاء يدعون في الركوب بأرطهم النبي بخلاف غيرهم من سائر الناس جميعا، ولا يعرف عندهم ركوب بجل بكون.

الجملة الثامنة

(في ترتيب هذه المملكة)

أما جلوس السُلطان في قصره فإنه يجلس على مصطبة كبيرة، على دكة كبيرة من آبنوس، كالنخبة على قدر المجلس العظيم المتسع، عليها أنياب الفيلة في جميع جوانبها، الباب إلى الباب، وعنده سلاح له من ذهب كله : سيف، ومِرْزاق، وقوس، وتركاش، ونشاب، وعليه سراويل كبيرة مفصلة من نحو عشرين نصفية، لا يلبس مثله أحد منهم، بل هو من خصوصيته، ويقف خلفه نحو ثلاثين مملوكا من الترك وغيرهم ممن يُتباع له من مصر، يمسك واحد منهم جتر من حرير عليه قبة، وطائر من ذهب صفة بازي يحمل على يساره، وأمرأته جلوس حوله يمينا وشمالا، ثم دونهم أعيان من فرسان عسكره جلوس، وبين يديه شخص يتنى له وهو سيفه، وآخر سيفه بينه وبين الناس يسمى الشاعر، وتنتهي إليه الشكاوى والمظالم فيفصلها بنفسه، ولا يكتب شيئا في الغالب، بل يأمر بالقول بلسانه، وحوله أناس بألبسهم طبول يدقون بها، وأناس يرتقصون وهو يضحك منهم، وخلفه صنجقان منشوران، وأمامه فرسان مشدودان محصلان لركوبه متى أحب، ومن عطس في مجلسه ضرب ضرا مؤلما، لا يسأخ أحد في مثل ذلك، فإن بغت أحدا منهم العطاس، أنبطح في الأرض وعطس حتى لا يعلم به. أما الملك فإنه إذا عطس ضرب الحاضرون بألبسهم على صدورهم. ولا يدخل أحد دار السلطان متعلا كائنا من كان، ومن لم يتخلع عليه قتل بلا عفو: حاملا كان أو ساهيا، وإذا قدم عليه أحد من أمرائه أو غيرهم، وقف أمامه زمانا، ثم يؤمى القادم بيده اليمنى مثل من يضرب الجوك ببلاد توران وإيران من بلاد المشرق. وصفة ذلك أن يكشف مقم رأسه ويرفع

الذى يضربُ الجوك يده اليمنى إلى قريب أذنه ، ثم يضعها وهي قائمة متصبية ،
ويُقيها بيده اليسرى فوق فخذه ، واليد اليسرى ميسوطة الكفّ ثلثي مرفق اليمنى
ميسوطة الكف مضمومة الأصابع بعضها إلى جانب بعض كالْمَشْط ، تُماسّ شحمة
الأذن . قال ابن أمير حاجب : وقد رأيت هذا عند خدمتهم للسلطان « موسى »
لما قدم الديار المصرية . فإذا أنتم على أحد بإنعام أو وعده ومدا جميلا أو شكره
على فعل ، تمنع المنعم عليه بين يديه من أول المكان إلى آخره ، فإذا وصل إلى آخر
المكان ، أخذ غلبان المنعم عليه أو من هو من أصحابه من رماذ يكون موضوعا
في آخر مجلس الملك مُعدّا لهذا الشأن ، فيلترق رأس المنعم عليه ، ثم يعود ويتمتع ،
إلى أن يصل بين يدي الملك ، ويضرب جوكا آخر بيده ثم يقوم .

وأما في الركوب فقد جرت عادة سلطان هذه المملكة أنه إذا قديم من سفر أن يحمل
على رأسه الجتر راكب ، ويُشرع على رأسه طم ، وتضرب أمامه الطبول ، والطناير ،
والبوقات بقرُون لم فيها صناعة محكمة . قال ابن أمير حاجب : وشعار هذا السلطان
أعلام وألوية يجار جندا ، ورثكة أصفر في أرض حمراء .

وأما غير ذلك من سائر أموره ، فقد ذكر الشيخ سعيد الدكّال : أن من عادة هذا
السلطان أنه إذا عاد إليه أحد ممن بعثه في شئ له أو أمر مهم أن يسأله عن كل
ما حدث له من حين مفارقه له وإلى حين عوده مفصّلا . قال ابن أمير حاجب :
وقد رأيت السلطان موسى وهو بمصر لا يأكل إلا منفردا وحده ، لا يحضره عند
الأكل أحد البتة .

المملكة السادسة

(من ممالك بلاد السودان، مملكة الحبشة)

يفتح الحاء المهمل والماء الموحدة والباء الموحدة والشين المعجمة وهاء في الآخر .

وهي مملكة عظيمة جليلة المقدر ، متسعة الأرجاء ، فسيحة الجوانب . قال في "مسالك الأبصار" : وأرضها صعبة المسالك : لكثرة جبالها الشائعة ، وعظم أشجارها ، وأشبائك بعضها ببعض ، حتى إن ملكها إذا أراد الخروج إلى جهة من جهاتها ، تقدمه قوم مُرَصَّدُونَ لإصلاح الطُرُق بآلات لقطع الأشجار وإحراقها بالنار . قال : وهم قوم كثير عندهم ، ولم يملك بلادهم غيرهم من النوع الإنساني ، لأنهم أجبر بني حام ، وأخبر بالوغل في القتال والافتحام ، طُولَ زمنهم في الأسفار ، وصيد الوحش ، وقتلهم إنما يكون عُرْبًا من غير لذة تدفع عنهم ولا عن خيالهم . ثم وصفهم بعد ذلك بأوصاف لولا ما هم عليه من الشرك لكانوا في الرتبة العليا من مراتب بني آدم : فذكر أن المشهور عنهم مع ما هم عليه من المجاعة أنهم يقبلون الحسب ويصفحون عن الجرائم . ومن عادتهم أن من رعى سلاحه في القتال حرم قتاله ، ويكرمون الضيف ، ولا ينقض الصديق منهم عهد صديقه ، وإذا أحبوا أظهروا المحبة ، وإذا أبغضوا أظهروا البغض ؛ والغالب عليهم الذكاء والفطنة وصديق الحَدَس ، ولهم علوم وصناعات خاصة بهم ؛ ولهم قلم يكتسبون به من اليمن إلى الشمال كما في العربي ، عِدة حُرُوفه ستة عشر حرفاً ، لكل حرف منها سبعة فروع ، فيكون نثها مائة وأثنين وعشرين حرفاً ، سبوى حروف أندر مستقلة بذاتها لا تفتقر إلى حرف من الحروف المذكورة ، مضبوطة بحركات نحوية متصلة بالخط لا متفصلة عنه . ومع كونهم جلساً واحداً

(١) كذا في المسالك أيضاً غير أنه قال : اللغة من ذلك مائة ومائون فأقله .

فَلُغَاتُهُمْ تَرِيدُ عَلَى نَحْسِينَ لِسَانًا، وَيَمِيلُ الْكَثِيرُ مِنْ أَلْوَانِهِمْ إِلَى الصَّفَاءِ، وَلِكُلِّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ وَتَمَّ فِي وَجُوهِهِمْ يَبْرَعُهُ بِالتَّلْعِيطِ، بَعْضُهُمْ يَسَمُّ فِي الْخُدَيْنِ وَتَمَّا خَفِيفًا، وَأُخْرًا يَسَمُّونَ فِي الْخُدَيْنِ وَالْجَهَةِ إِلَى الْأَنْفِ خُطُوطًا طَوَالًا . وَيَقَالُ : إِنْ أَوَّلَ بِلَادِهِمْ مِنَ الْجَهَةِ الْغَرْبِيَّةِ بِلَادُ التُّكُرُودِ مِمَّا إِلَى جِهَةِ الْيَمَنِ، وَأَوَّلًا مِنَ الْجَهَةِ الشَّرْقِيَّةِ الْمَسَائِلَةُ إِلَى بَعْضِ الْجَهَةِ الشَّمَالِيَّةِ بِحَرِّ الْهِنْدِ وَالْيَمَنِ؛ وَفِيهَا يَمُوتُ النَّهْرُ الْمُسَمَّى سَيْحُونَ الَّذِي يَرْفَعُ مِنْهُ نَيْلُ مِصْرَ . وَقَدْ عَدَّ مِنْهَا أَحَدَ عَشَرَ إِقْلِيمًا مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ بِمُقَازَةِ بِمَكَانٍ يُسَمَّى (وَادِي بَرَكَةَ) يَتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى إِقْلِيمٍ يُسَمَّى (سَحَّرَت) وَيُسَمَّى قَدِيمًا يَكْرَايَ، وَكَانَ بِهِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ مَدِينَةٌ أَسْمَاهَا (أَحْشَرَم) بِلُغَةِ أُخْرَى مِنْ لُغَاتِهِمْ، وَتُسَمَّى أَيْضًا (زَرْفَرْنَا) . يَهَا كَانَ كَرْسِيُّ مُلْكِ النَّجَاشِيِّ، وَكَانَ مَسْتَوِيًّا عَلَى أَقْلِيمِ الْحَبَشَةِ . وَلِيهِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ إِقْلِيمٌ (أَحْمَرَا) الَّذِي بِهِ الْآنَ مَدِينَةُ الْمَلِكَةِ، ثُمَّ إِقْلِيمُ شَاوَةَ، ثُمَّ إِقْلِيمُ دَامُوتَ، ثُمَّ إِقْلِيمُ لَامْنَانَ، ثُمَّ إِقْلِيمُ السَّيْهَوِ، ثُمَّ إِقْلِيمُ الزَّلْحِ، ثُمَّ إِقْلِيمُ عَدَلِ الْأُمَرَاءِ، ثُمَّ إِقْلِيمُ حَسَّاسَا، ثُمَّ إِقْلِيمُ بَارِيَا، ثُمَّ إِقْلِيمُ الطَّارَازِ الْإِسْلَامِيِّ . قَالَ : وَبِهَا أَقْلِيمٌ كَثِيرَةٌ النَّدَدِ، بِجَهْوَةِ الْأَسْمَاءِ، غَيْرُ مَشْهُورَةٍ وَلَا مَعْلُومَةٍ .

ثُمَّ هِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ :

القسم الأول

(بِلَادُ النَّصْرَانِيَّةِ)

وهي القسمُ الْأَوْفَرُ عَدَدًا، الْأَوْسَعُ مَجَالًا، وَهُوَ الَّذِي يَمْلِكُهُ مَلِكُ (أَحْمَرَا) بِفَتْحِ الْأَلْفِ وَسُكُونِ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْحَاءِ وَالرَّاءِ الْمَهْمَلَتَيْنِ وَأَلْفٍ فِي الْآخِرِ . وَهِيَ جَنْسٌ مِنْ الْحَبَشَةِ .

وَيَشْتَمِلُ عَلَى سِتِّ جُحُلٍ :

(١) فِي الْقِطْعَةِ الْأَزْهَرِيَّةِ مَعْلُومَةٌ هَكَذَا [وَأَوَّلًا مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ مُقَازَةُ الْخُ] .

الجملة الأولى

(في ذكر قواعدها)

وقاعدتها مدينة (مَرَعْدَى) بفتح الميم وكسر الراء ومكون العين وكسر الدال المهملتين وياء مثناة تحت في الآخر . وهى مدينة بإقليم أنحرأ المقتم ذكره فيما ذكره في "مسالك الأبصار" إلا أنه لم يذكر صفتها ، والذي ذكره في "تقويم البلدان" : أن قاعدة الحبشة (مدينة جَرِي) بإقليم المفتوحة والراء المهمللة الساكنة ثم ميم مكسورة ثم ياء مثناة تحتية في الآخر كما ضبطه ابن سعيد . وموقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول خمس وخمسون درجة ، والبرصُ تسع درج وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهى مدينة ذكرها أكثر المصنفين في كُتُب المسالك والممالك والأطوال والعروض ، وأنها كرمى مملكة الحبشة وقاعدتهم ، ولم يزد على ذلك ، فيحتمل أنها قاعدة قديمة ، ويحتمل أنها القاعدة المستقرة .

الجملة الثانية

(في الموجود بها)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" : أنَّ بها من المَوَاشِي ذوات الأربع : الخيل ، والبغال ، والبقر ، والغنم وما فى معناها ؛ وأغنامهم تُشبه أغنام حِذَابَ وإيَمَن . ومن الوحوش الأسد ، والثمر ، والفهد ، والفيل ، والزرافة ، والغزال ، وبقر الوحش ، وحمار الوحش ، والقردة ، وغيرها من الوحوش .

وبها من الطيور الجتوية : الصقورة ، والبزة بكثرة ، والنسور البيض والسود ،
والتراب ، والمجل ، وطير الواجب بجلته ، والحم ، والمصفور ، وغير ذلك مما لم يوجد
بالديار المصرية . ومن الطيور البرية دجاج الحبس وأمتاها . ومن الطيور المائية
البط ، وعندهم بنهرهم سمك يشبه البورى ، وسمك يشبه الثعبان ، يطول إلى مقدار
ذراعين ونصف ، ويغلف إلى مقدار كبار الخشب ؛ وبنهرهم أيضا التماسيح وقرس
البحر ، وغير ذلك .

وبها من الحبوب : الحنطة ، والشعير ، والحبس ، والعدس ، واليسلا ، والذرة ،
وبعض الباقلا ، وحبب أخرى غير ذلك منها حب يسمى (قناهل) يستعملونه
قوتاً كالحنطة . والحنطة عندهم على مثال الحنطة الشامية ، والشعير حبه عندهم أكبر
من حب الشعير بالديار المصرية والشامية ؛ ومنه ضرب يسمى طمجة . ولون
الحبس عندهم إلى الحمرة . والباقلا عندهم عزيز الوجود فى أكثر البلاد ، ولكنهم
لا يفتقرون إليه للعلف لكثرة المراعى ببلادهم .

وعندهم حب يسمى (طافى) على قدر الخردل ، ولونه إلى الحمرة ، ويكسبه إلى
السود ، يتخذون منه الخبز . وعندهم ببعض الأقاليم حب شبيه بالحنطة إلا أن له
قشرين ، يتزع قشره بالهرس كالأرز ، ويتخذون منه طعاما يكون مغنياً عن الحنطة .
وعندهم زرع الكنان وحب الرشاد ؛ وهم يزدعون على المطر فى كل سنة مرتين :
مرة فى الصيف ، ومرة فى الشتاء ، تحصل فى كل مرة الغلات .

وقل البطرك (بنيامين) أنه وقع عندهم المطر الكثير ، وتحصل مع المطر الصواعق
العظيمة .

وعندهم من أصناف المقاتى القرع ، وفى بعض الأقاليم يطبخ صغير .

وعندهم من يقول : الثوم ، والبَصَل ، والكُرْبَةُ الخضراء ؛ ومن الرياحين
الرِّيحَان ، والْقَرْقُل ، ونباتٌ أبيضٌ يسمى بَعْرَان . وعندهم الياسمين البرّي ،
وإكنه ليس بمشومٍ لهم .

وعندهم من القواكه العنبُ الأسودُ على قَلَّة ، والتين الوزيري ، وأصنافُ
الحوامض خلا النَّارِج .

وعندهم شجر يسمى (چان) يجيم بين الجيم والشين لا تمر له ، وإنما له قلوب
نُشِبِه قلوب النَّارِج تُؤْكَل فتريد في الذكاء والفهم ، وتُفْرَح ، إلا أنها ثَقُل الأكل ،
والثوم ، والجَمَاع . وعنايتهم به عنايَةُ أهل الهند بالتَّبَل وإن كان بينهما مَبَايِنَةٌ .
وأى نفع فيما فائدته قليل الثوم والأكل والجَمَاع ، اللاتي هي لثلاث الدنيا ، حتى
يحكى أنه وُصِف لبعض ملوك اليمن - فقال : أنا لا يذهبُ متحصِّلٌ مُلكي إلا على
هذه الثلاث ، فكيف أسمى في دَعَائِها بأكل هذا ؟

ومن أشجارهم الزيتون ، والصَّنَوْبَر ، والجَمِيز ؛ وفي بعض بلادهم الآبنوس ،
وفي بعضها المقل ، وفي بعضها القنأ المحجوف والمسئود . وما كلُّهم شحومُ البقر والمعز ،
وبعضُ شحوم الضأن ؛ ومشروبهم اللبن البقري ، وفي ضعفهم يتداوون بالابن
المُداف بالماء وسمن البقر .

وعندهم سَل النحل بكثرة في جميع الأقاليم ، تختلف ألوانه باختلاف المَراعى :
منه ما يُوجَد في الجبال فيؤخذ من غير شجر على أخذه . ومنه ماله خلأيا من خشب
متقوِّرة ، له مَلَاك يَخْصُون به . ووقود مصابيحهم شحوم البقر . أما الزيت الطيب
فَيُجَلَّب إليهم . وأدهانهم بالسمن . وأواني طعامهم فَخَار مذهبون أسود . وأغسالمهم
بالماء البارد ، وربما استعملوا الحار منه .

وحكى البطرك (ثيأسين) أن عندهم من المعادن معدن الذهب، ومعدن الحديد .
وحكى عن الشريف عز الدين التاجر: أن في بعض بلادهم يوجد معدن الفضة .
ومصاعفهم الذهب، والفضة، والنحاس، والرصاص، كل أحد منهم بحسبه .

الجملة الثالثة

(في ذكر معاملاتهم وأسعار بلادهم)

أما معاملاتهم، فقد ذكر في "مسالك الأبحار" أن معاملتهم مقايضة بالأبقار والأغنام والحبوب وغير ذلك . وأما الأسعار فالقمح والشعير اللذان هما أصل المطعومات ليس لهما عندهم قيمة تذكر، لاستغنائهم عن ذلك باللحم واللبن . وسأى ذكر معاملة الطراز الإسلامى فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة الرابعة

(في ذكر زيهم وسلاحهم)

أما زيهم، فقد ذكر في "المسالك" أن لباسهم في الشتاء والصيف واحد: لكل واحد منهم ثوبان غير مخيطين: أحدهما يثبته وسطه، والآخر يلتحف به؛ ولا يعرفون لباس المخيط جملة، إلا أن الخواص والأجناد يفضلون في اللباس؛ فيلبسون الحرير والأبراد الجمية؛ والعوام يلبسون ثياب القطن على ما تقدم .

وأما سلاح المقاتلة منهم، فالسيوف، والخرااب، والمزاريق، والقسي، يرمون عنها بالنبل: وهو ثياب صغير، وربما رمى بعضهم بالنبل عن قوس طويل يشبه قوس البنلق، ولم يدرى مدورة، ودرأق طوال يتقون بها .

الجملة الخامسة

(في ذكر بطارقة الإسكندرية، الذين عن توليتهم نشأ ولاية ملوك الحبشة)

اعلم أنه قد تقدم في المقالة الأولى في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب عند ذكر النحل والملل أن البطارقة عند النصارى عبارة عن خلفاء الحواريين الذين هم أصحاب المسيح عليه السلام، وأنه كان لهم في القديم أربعة كراسي : كرسي برومية : قاعدة الروم ، وكرسي بالإسكندرية من الديار المصرية ؛ وكرسي أنطاكية : قاعدة العوالم من بلاد الشام، وكرسي بيت المقدس . وأن كرسي رومية قد صار لطائفة الملكانية وبه بطركهم المبرر عنه بالبابا إلى الآن . وكرسي الإسكندرية قد صار آخرًا لبطرك اليعاقبة تحت ذمة المسلمين بالديار المصرية من لدن الفتح الإسلامي وهلم جرا إلى زماننا . وأن كرسي بيت المقدس وكرسي أنطاكية قد بطلا باستيلاء دين الإسلام عليهما . ثم كرسي الإسكندرية بعد مصلحه إلى اليعاقبة قد تبع البطرك القائم به على مذهب اليعاقبة الحبشة والثوبة وسائر متنصرة السودان ، وصار لسيهم كالحليفة على دين النصرانية عندهم ، يتصرف فيهم بالولاية والعزل ، لا يصح ولاية ملك منهم إلا بتوليته ، حتى قال في "التعريف" في الكلام على مكتبة ملك الحبشة : ولولا أن معتقدين النصرانية لطائفة اليعاقبة أنه لا يصح تعمد مسمودى إلا باقتضال من البطريك ، وأن كرسي البطريك كنيسة الإسكندرية ، فيحتاج إلى أخذ مطران [بعد مطران ^(١)] من عنده ، وإلا كان تمخ بأفقه على المكتبة ، لكنه مضطر إلى ذلك . قال : ولأوامر البطريك عنده ما شريعت من الحرمة ، وإذا كتب إليه كتابا فأتى ذلك الكتاب إلى أول مملكته ، خرج عميد تلك الأرض فحمل الكتاب على رأس

(١) الزيادة عن "التعريف" .

علم ، ولا يزال يحمله بيده حتى يخرجهُ من أرضه وأرباب الدولة في تلك الأرض كالقُسُوس والشَّامِسة حوله مُشاةً بالأذخنة ، فإذا خرجوا من حدّ أرضهم تلقّاهم من يليهم أبداً كذلك في كل أرض بعد أرض حتى يصلوا إلى أنحرا ، فيخرج صاحبها بنفسه ، ويفعل مثل ذلك الفعل الأول ، إلا أن المطران هو الذي يحل الكتاب لمظنته لا لتأبى الملك ، ثم لا يتصرف الملك في أمر ولا نهي ولا قليل ولا كثير حتى يُنادى للكتاب ويجمع له يوم الأحد في الكنيسة ، ويُقرأ والملك واقف ، ثم لا يجاس مجلسه حتى ينفذ ما أمره به .

ولما تعذر الوقوف على معرفة تواريخ ملوكهم ، اكتفينا بذكر البطارقة الذين عنهم تنشأ ولاياتهم ، فكانوا هم ملوكهم حقيقة .

اعلم أن أول من ولي من البطارقة كنيسة الإسكندرية مرقس الإنجيلي : تلميذ بطرس الحواري ، الذي أرسله المسيح عليه السلام إلى رومية . وإنا سُمي مرقس الإنجيلي لأن بطرس الحواري حين كتب إنجيله كتبه بالرومية ونسبه إلى مرقس المذكور فلقب بالإنجيلي ، وأقام مرقس المذكور في بطركية الإسكندرية سبع سنين يدعو إلى النصرانية بالإسكندرية ومصر وبرقة والمغرب ثم قتله نيروث قيصر ابن اقليوديش قيصر سادس القياصرة .

وولي مكانه (حنانيا) ويسمى بالعبرانية أنانيو ثم مات لسبع وثمانين سنة للمسيح .
 وولي مكانه (فلبو) فأقام ثلاث عشرة سنة ثم مات .

فولي مكانه (كرتيانو) ومات لإحدى عشرة سنة من ولايته في أيام (طرنيش قيصر) .

وولي مكانه (إريمو) ثقي عشرة سنة .

ثم ولي بعده (نسطس) في أيام (أندريانوس قيصر) ، وكان حكيما فاضلا فأقام في البطركية إحدى عشرة سنة ثم مات .

وولي مكانه (أرمانيون) إحدى عشرة سنة أيضا [ومات] في أيام (أندريانوس) قيصر أيضا .

وولي بعده (موقيانو) فلبث تسع سنين وومات في أيام (أنطونيس قيصر) في الخامسة من ملكه .

وولي بعده (كلوتيانو) فأقام أربع عشرة سنة في أيام أنطونيس قيصر وومات .

وولي بعده (أغريتوس) فبقي اثني عشرة سنة وومات .

وولي بعده (يليانس) في أيام [أوراليانس^(١)] قيصر فلبث عشر سنين وومات .

فولي مكانه في أيام أوراليانس (ديمثريوس) فأقام ثلاثا وثلاثين سنة .

وولي بعده (تاوكللا) فأقام ست عشرة سنة وومات .

فولي بعده (دونوشوش) فلبث تسع عشرة سنة [ومات] .

وولي مكانه (مكسيموس) فأقام ثقي عشرة سنة وومات .

وولي مكانه (تاوفا) فلبث عشر سنين [ومات] وكان النصارى إذ ذاك يُقيمون الدين خفية فلما صار بطركا صانع الروم ولاطفهم بالهدايا فاذنوا له في بناء كنيسة سررم ، وأعلنوا فيها بالصلاة .

ثم ولي بعده (بطرس) فلبث عشر سنين وقتله (ديقلاديانوس قيصر) .

(١) يبيح له في الأصل والتكبير عن المقرري وفي القطعة الأزهرية [في أيام طرغش] ولكنه منبذ عليها بالشطب .

وولي مكانه تلميذه (إسكندروس) وكان كبير تلامذته فلبث ثلاثاً وعشرين سنة .
وقيل ثنتين وعشرين سنة ، وقيل ست عشرة سنة ، وكسّر صمّ النحاس الذي
كان في هيكل زحل بالإسكندرية وبني مكانه كنيسة ، وبقيت حتى هدمها العبيديون
عند ملكهم الإسكندرية ؛ ومات لإحدى وعشرين سنة من ملك (قسطنطين)
ملك الروم .

وولي مكانه تلميذه (إيناسيوس) ووثب عليه أهل إسكندرية ليقتلوه لانتحال
منها غير مذهبهم فهرب . .

وتولى مكانه (لوقيوس) ثم ردّ (إيناسيوس) المتقتم ذكره إلى كرسية بعد خمسة أشهر
وطرد لوقيوس ، وأقام إيناسيوس بطركاً إلى أن مات .

فتولى بعده تلميذه (بطرس) ستين ووثب عليه أصحاب لوقيوس فهرب وردّ
لوقيوس إلى كرسية ، فأقام ثلاث سنين ، ثم وثبوا عليه وردّوا بطرس ومات
لسنة من إعادته ، وقيل إنه حُيس وأقيم مكانه (أريوس) من أهل سُمسطا .

ثم ولي (طياناواس) أخو بطرس ، فلبث فيهم سبع سنين ومات . ويقال :
إن إيناسيوس المتقتم ذكره ردّ إلى كرسية ثم مات .

فولى مكانه كاتبه (تاوفينا) [فأقام سبعا وعشرين سنة] ومات .^(١)

وتولى مكانه (كيرلس) ابن أخته [فأقام ثنتين وثلاثين سنة] ومات .^(١)

فولى مكانه (ديسقرس) فأحدث بدعة في الأمانة التي يستفدونها فأجمعوا
على نفيه .

وَوَلَّوْا مَكَانَهُ (بِرطارس) وَأَفْرَزَتْ النَّصَارَى مِنْ حَيْثُذَ إِلَى يَعْقُوبِيَّةَ وَمَلْكَانِيَّةَ .
وَوَثَبَ أَهْلُ الإسْكَندَرِيَّةِ عَلَى بِرطَارَسَ الْبَطْرِكِ فَقَتَلُوهُ لَسْتُ سَتِينَ مِنْ وَلَايَتِهِ
وَأَقَامُوا مَكَانَهُ (طِيْمَانَاوَسَ) وَكَانَ يَعْقُوبِيًّا ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَلِيَ الْبَطْرِكِيَّةَ مِنَ الْيَعَاقِبَةِ
بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ فَأَقَامَ فِيهَا ثَلَاثَ سَتِينَ ثُمَّ جَاءَ قَائِدُ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فَنَفَاهُ وَأَقَامَ مَكَانَهُ
(سُورِسَ) مِنَ الْمَلْكَانِيَّةِ ، فَأَقَامَ تِسْعَ سَتِينَ . ثُمَّ عَادَ (طِيْمَانَاوَسَ) الْمُتَقَدِّمُ ذِكْرَهُ إِلَى
كُرْسِيِّه بِأَمْرِ لَاوَنَ قَيْصَرَ . وَيُقَالُ أَنَّهُ بَقِيَ فِي الْبَطْرِكِيَّةِ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ سَنَةً وَمَاتَ .
فَوَلَّى مَكَانَهُ (بَطْرَسَ) وَهَلَكَ بَعْدَ ثَمَانِ سَتِينَ .

وَوَلَّى مَكَانَهُ (أَنْثَاسِيُوسَ) وَهَلَكَ لِسَبْعِ سَتِينَ ، وَكَانَ قِيًّا يَبْعُضُ الْبَيْعَ فِي بَطْرِكِيَّةِ
بَطْرَسَ وَمَاتَ .

فَوَلَّى مَكَانَهُ (يُوحَنَّا) وَكَانَ يَعْقُوبِيًّا ، وَمَاتَ بَعْدَ سَبْعِ سَتِينَ .
وَوَلَّى مَكَانَهُ (يُوحَنَّا الْحَيْمَنَ) وَمَاتَ بَعْدَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً .
فَوَلَّى مَكَانَهُ (دِيَسْقُرُسَ الْجَدِيدَ) وَمَاتَ بَعْدَ سَتَيْنِ وَنِصْفٍ .
ثُمَّ وَلَّى مَكَانَهُ (طِيْمَانَاوَسَ) وَكَانَ يَعْقُوبِيًّا ، فَكَثَّ فِيهِمْ ثَلَاثَ سَتِينَ ، وَقِيلَ
سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، ثُمَّ تَفَى .

وَوَلَّى مَكَانَهُ (بُولُصَ) وَكَانَ مَلِكًا فَلَمْ تَقْبَلْهُ الْيَعَاقِبَةُ ، وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ سَتِينَ .
ثُمَّ وَلَّى قَيْصَرَ قَائِمًا مِنْ قَوَادِهِ أَسْمُهُ (أَنْثُولِيَانَرِيُوسَ) فَدَخَلَ الْكَنِيسَةَ عَلَى زِيَّةِ
الْجُنْدِ ، ثُمَّ لَيْسَ زِيَّةُ الْبَطَارِكَةِ وَحَلَّاهُمْ عَلَى رَأْيِ الْيَعْقُوبِيَّةِ ، وَقَتَلَ مِنْ أَمْتَنَعٍ وَكَانُوا
مَاتَيْنِ ، وَمَاتَ لِسَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ وَلَايَتِهِ .

ووليّ مكانه (يوحنا) وهلك ثلاث سنين .

وأفرد اليعاقبة بالإسكندرية وكان أكثرهم القبط وقدموا عليهم طودوشوش بطركا، فكثّ فيهم ثنتين وثلاثين سنة . ثم جعل الملكية بطركهم داقيانوس وطردها طودوشوش عن كرسيه ستة أشهر ؛ ثم أمر قيصر بأن يُعاد فُعيد؛ ثم نفاه بعد ذلك .

ووليّ مكانه (بولس التّيسى) فلم يقبله أهل الإسكندرية ولا ماجاه به ؛ ثم مات وعُظمت كنائس القبط اليعقوبية ، وألقوا شدة من الملكية ، ومات (طودوشوش) الذى كان قد هُي .

وتولى البطركية (بطرس) ومات بعد ستين .

ووليّ مكانه (داميانو) فكثّ ستاً وثلاثين سنة ، وتحرّبت الدّيرة في أيامه .

ثم وليّ على الملكية بالإسكندرية ومصر (يوحنا الرّحوم) وهو الذى عمّل البهارستان للرّضى بالإسكندرية ، ولما سمع بمسير الفرس إلى مصر هرب إلى قبرس فمات بها لعشر سنين من ولايته ، وخلا كرسيّ الملكية بعده بالإسكندرية سبع سنين .

وكانت اليعاقبة بالإسكندرية قدّموا عليهم (انسطانيوس) فكثّ فيهم ثلثي عشرة سنة ، وأستردّ ما كانت الملكية آستولوا عليه من كنائس اليعقوبية ومات .

ثم وليّ (أندرانيكون) بطركا على اليعاقبة فأقام ستّ سنين تحرّبت فيها الدّيرة ، ثم مات .

ووليّ مكانه لأوّل المجرّة (بنيامين) فكثّ تسعا وثلاثين سنة . وفى خلال أيامه قلب هرقل ملك الروم على مصر وملكها .

وولي أخاه (منانيا) بطركا على الاسكندرية وواليا وكان مَلِكًا . ورأى بنيامين
البطرك في نومه مَنْ يَأْمُرُهُ بِالْإِخْتِفَاءِ فَاخْتَفَى . ثم غَضِبَ (هرقل) على أخيه (منانيا)
لمعتقد في الدين فأحرقه بالنار ثم رمى يُحْتَسِه في البحر ؛ وبقى (بنيامين) مخفيا إلى
أن فتح المسلمون الإسكندرية فكتب له عمرو بن العاص بالأمان ، فرجع إلى
الإسكندرية بعد أن غاب عن كرسيه ثلاث عشرة سنة ؛ وبقي حتى مات في سنة
تسع وثلاثين من الهجرة ؛ واستمرت البطركية بعده في العقوبة بمفردهم وظلوا
على مصر ، وأقاموا جميع كراسيهم أساقفة يعاقبة ، وأرسلوا أساقفتهم إلى النوبة
والحبشة فصاروا يعاقبة .

وخلفه في مكانه (أغانوا) فكتب سبع عشرة سنة ، ثم مات في سنة ست وخمسين
من الهجرة ، وهو الذي في أيامه قد أثيرت كائس الملكية من اليعاقبة ، وولي عليهم
بطرك بعد أن أقاموا من لئس خلافة عمر بغير بطرك نحوًا من مائة سنة ورياسة
البطرك لليعاقبة وهم الذين يبعثون الأساقفة إلى النواحي . ومن هنا صارت النوبة
ومن وراءهم من الحبشة يعاقبة ؛ وهو الذي بنى كنيسة مرقص وبقيت حتى
هدمت أيام العادل أبي بكر بن أيوب .

وولي مكانه بطرك اسمه (يوحنا) .

ثم ولي البطركية بعده (ايساك) فأقام ستين وأحد عشر شهرا [ومات] .
وكانت تقديمته في الثامنة عشرة ليوشطيان ملك الروم ، وهتزر أن لا يقتل بطرك .
إلا يوم الأحد .

(١) عبارة "المبرج ٢ ص ٢٢٧" وفي أيام هشام ردت كائس الملكية من أيدي اليعاقبة وولي

وقدّم عوضه (سيمون السرياني) فأقام مسيح ميتين ونصفا ، ومات في الرابع والعشرين من أبيب سنة أربعمائة وست عشرة للشهداء في خلافة عبد الملك ابن مروان .

ويقال : إنه وصل إليه رسول من الهند يطلب منه أن يقدم لهم أسقفاً وقسوساً فامتنع إلى أن يأمره صاحب مصر ، ففضى إلى غيره ففعل له ذلك .

وقدّم بعده في البطركية (الاسكندروس) في سنة إحدى وثمانين من الهجرة في يوم عيد مرقص الإنجيل سنة أربعمائة وعشرين للشهداء ، فكث أربعا وعشرين سنة ونصفا ، وقيل نحسا وعشرين سنة ؛ وقاسى شدة عظيمة ، وصودر دفتين ، أخذ منه في كل دفعة ثلاثة آلاف دينار ، ومات في سنة ثمان ومائة ، وكانت وفاته بالإسكندرية .

وقدّم عوضه (قسيا) فأقام خمسة عشر شهرا ومات .

فقدّم مكانه (نادر) في سنة تسع ومائة فأقام إحدى عشرة سنة ومات .

فقدّم مكانه (ميخائيل)^(١) في سنة عشرين ومائة فأقام ثلاثا وعشرين سنة ولحقه شدة أذى من عبد الملك بن مويى نائب مروان الجعدي على مصر ثم من مروان لما دخل إلى مصر إلى أن قُتل في أبي صير وأطلق البطرك والنصارى نائب أبي العباس السفاح .

وفي سنة إحدى وثلاثين ومائة رُسم بإعادة ما استولى عليه اليعاقبة من كنائس الملكية بالديار المصرية إليهم ، فأعيدت وأقيم لهم بطرك ، وكانت الملكية قد أقاموا غير بطرك سبعا وتسعين سنة من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين الفتح الإسلامي إلى خلافة هشام بن عبد الملك .

(١) في الاصل جاتيل والصحیح عن القزوينی .

وفي سنة سبع وأربعين ومائة هـ رف أبو جعفر المنصور (ميخائيل) بطرك اليعاقبة ،
وأقام عوضه (ميثا) فأقام تسع سنين ، ومات في خلافة الهادي «محمد بن المهدي» .
وقُدِّم مكانه (يوحنا) فأقام ثلاثا وعشرين سنة ، ومات سادس عشر طوبة سنة
خمسمائة ونحس عشرة للشهداء .

ثم في سنة اثنتين وسبعين ومائة في خلافة الرشيد قُدِّم في البطركية (مَرْقِص الجليلي)
فأقام عشرين سنة وسبعين يوما . وفي أيامه رسم الرشيد بإعادة كنائس الملكية التي
استولى عليها اليعاقبة ثانيا إليهم ، وثارَت العربان والمغاربة وتحرَّروا الدِّيَّرة بوادي هَيْب
ولم يبقَ فيها من الرهبان إلا اليسير ثم مات في سنة إحدى عشرة ومائتين .

وقُدِّم عوضه في البطركية (يعقوب) قيل في السنة الثالثة من خلافة المأمون .
وفي أيامه عُثِرَت الديارات وعادَت الرهبان إليها ، ومات في سنة اثنتين وعشرين
ومائتين .

وقُدِّم عوضه (سيمان) في السنة المذكورة في خلافة المعتصم فأقام سنة واحدة .
وقيل سبعة شهور وستة عشر يوما . وخلا الكرسي بعده سنة واحدة وتسعة
وعشرين يوما .

وفي سنة سبع وعشرين ومائتين قُدِّم في البطركية (بطرس) ويقال (يوساب)
وكانت تقلبته في دير (بومقار) بوادي هَيْب حادي عشرى هاتور سنة خمسمائة
وسبعة وأربعين للشهداء . وقيل : إنه قُدِّم في أيام المأمون ، وإنه أقام ثمانى عشرة
سنة ، ومير أسافقة إلى أفرقيّة والقثروان ؛ ومات سنة اثنتين وأربعين ومائتين ؛
وخلا الكرسي بعده ثلاثين يوما .

وَقُدِّمَ عَوْضُهُ (جائيل) ^(١) في السنة العاشرة من خلافة المتوكل . ويقال : إنه كان قُصًا بدير بوحنس ، فأقام سنة واحدة وخمسة أشهر ، ثم مات ودُفِنَ بدير يوممقار . وهو أول من دُفِنَ [فيه] من البطارقة . وخلا الكرمي بعده أحدا وثمانين يوما .

وَقُدِّمَ عَوْضُهُ (قسبا) في سنة أربع وأربعين ومائتين من الهجرة ، وهي الثانية عشرة من خلافة المتوكل ، وكان شمسًا بدير يوممقار ، فأقام سبع سنين وخمسة شهور ثم مات ودُفِنَ بدنوشر ، وخلا الكرمي بعده أحدا وخمسين يوما .

وقدَّم مكانه بطرك اسمه (اساسو) ويقال (سالوسو) في أول سنة من خلافة المعتز وأحمد بن طولون بمصر ، فأقام إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر ومات ، وهو الذي عمل مجارى المياه التي تجري تحت الأرض من خليج الإسكندرية إلى أدريها .

ولما مات قدَّم مكانه (ميخائيل) في خلافة المعتمد في سنة ثلاث وستين ومائتين ، فأقام خمسًا وعشرين سنة . وصادره أحمد بن طولون في عشرين ألف دينار ، فباع في المبادرة رباع الكائن بالإسكندرية ، وبركة الجيش بظاهر مصر ، ومات .

فبقِيَ الكرميُّ بعده أربع عشرة سنة شاغرا إلى سنة ثلثائة . [وفي يوم الاثنين ثالث شوال سنة ثلثائة ^(٢)] احترقت الكنيسة العظمى بالإسكندرية التي كانت بنتها (كلا بطره) ملكة مصر هيكلًا لِرُحْل .

ثم قدَّم البطرك (ضريال) في السنة السابعة من خلافة المعتمد ، وهي سنة إحدى وثلثائة ، فأقام إحدى عشرة سنة ومات .

(١) في القرى ميكايل .

(٢) الزيادة عن القرى ليضع الكلام .

فُقِّدَ مكانه البطرك (قسيا) فأقام آتتّى عشرة سنة ومات . وفي السنة الأخيرة من رياسته (وهي سنة ثلاث عشرة وثلاثة) أحرق المسيهون كنيسة مريم بِمَشَقٍّ ونهبوا ما فيها وتبعوا كنائس اليعاقبة والنساطرة .

ولما مات قسيا المذكور قَدَّمُوا عليهم بطركا لم أقف على اسمه ، فأقام عشرين سنة ، ثم مات .

وقُدِّمَ في البطركية (تاوفانيوس) من أهل إسكندرية في السنة الحادية عشرة من خلافة المطيع فأقام أربع سنين وستة أشهر ، ومات مقتولا في سنة ثمان وأربعين وثلاثة .

وقُدِّمَ مكانه البطرك (ميثا) في السنة الخامسة عشرة من خلافة المطيع ، والأخشيذ نائب بمصر ، فأقام إحدى عشرة سنة ثم مات . وخلا كرميُّ اليعاقبة بعد موته سنة واحدة .

ثم قُدِّمَ مكانه بطرك اسمه (أفراهام السرياني) في سنة ست وستين وثلاثة ، فأقام ثلاث سنين وستة أشهر ، ومات في أيام العزيز الفاطمي بمصر مسموما من بعض كُتَّاب النصارى : لإنكاره عليه التسترى ، وقُطِعَتْ يَدُ ذلك الكاتب بعد موته ، ومات لوقته . وخلا الكرميُّ بعده ستة أشهر .

وقُدِّمَ عوضه بطرك اسمه (فيلايوس) في سنة سبع وستين وثلاثة . وقيل : في السنة الخامسة للعزيز الفاطمي فأقام أربعا وعشرين سنة وسبعة أشهر ومات .

وقُدِّمَ بعده بطرك اسمه (دخريس) في سنة ثلاث وتسعين وثلاثة في أيام الحاكم الفاطمي ، فأقام ثمانا وعشرين سنة ، ثم مات ودفن بِرُكَّة الحبش . وخلا كرميُّ

اليَاقِبَة بعده أربعة وسبعين يوما . [ثم قَدِمَ اليَاقِبَة بعده (سابونين) بطركا في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ، فأقام خمس عشرة سنة ومات ؛ فخلفا الكرسي بعده سنة وخمسة أشهر ^(١)] .

ثم قَدِمَ بعده بطرك اسمه (انرسطوديس) في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة في خلافة المستنصر الفاطمي ، فأقام ثلاثين سنة ، ومات في السنة الحادية والأربعين من خلافة المستنصر المذكور بالكنيسة المعلقة بمصر . وهو الذي جعل كنيسة بومرقورة بمصر وكنيسة السيدة بحارة الروم بطركية . وخلفا الكرسي بعده اثنين وسبعين يوما .

ثم قَدِمَ بعده البطرك (كيرلس) فأقام أربع عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصفا ، ومات بكنيسة المختارة بجزيرة مصر سَلَخَ ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وأربعمائة . وخلفا الكرسي بعده مائة وأربعة وعشرين يوما .

وقَدِمَ عوضه بطرك اسمه (ميخائيل) في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ، في أيام المستنصر الفاطمي صاحب مصر ، وكان قبل ذلك حبيسا بسنجار ، فأقام تسع سنين وثمانية أشهر ، ومات في المعلقة بمصر .

وقَدِمُوا عوضه بطركا اسمه (مقاري) سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة بدير بومقار ، ثم كل بالإسكندرية ، وعاد إلى مصر وقَدَسَ بدير بومقار ثم في الكنيسة المعلقة . وفي أيامه هدم الأفضل بن أمير الجيوش كنيسة بجزيرة مصر كانت في بستان اشتراه .

ولما مات قَدِمَ عوضه بطرك اسمه (غبريال) أبو العلا صاعد ، سنة خمس وعشرين وخمسمائة في أيام الحافظ الفاطمي ، وكان قبل ذلك شماسا بكنيسة بومرقورة ؛ قَدِمَ

(١) الزيادة عن المقرئ ، وهي لازمة بما تم الكلام .

بالمعلقة، وكُمِّل بالإسكندرية، فأقام أربع عشرة سنة، ومات بكنيسة بومرقورة .
 وخلا الكرسي بعده ثلاثة أشهر .

وقُدِّم بعده بطرك اسمه (ميخائيل) بن القُدومي في السنة الخامسة عشرة من
 خلافة الحافظ أيضا ؛ وكانت قبل ذلك راهبا بقلية دنشري، قُدِّم بالمعلقة وكُمِّل
 بالإسكندرية ، ومات بدير بومقار في رابع شوال سنة إحدى وأربعين وخمسمائة .
 وخلا الكرسي بعده سنة واحدة وسبعين يوما .

وقدم عوضه بطرك اسمه (يونس) بن أبي الفتح بالمعلقة بمصر وكُمِّل بالإسكندرية،
 فأقام تسع عشرة سنة ، ومات في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى
 وخمسين وخمسمائة . وخلا الكرسي بعده ثلاثة وأربعين يوما .

٦٩ / وقُدِّم بعده بطرك اسمه (مرقص) أبو الفرج بن زرعة في سنة إحدى وستين
 وخمسمائة بمصر وكُمِّل بالإسكندرية ، فأقام اثنتين وعشرين سنة وستة أشهر وخمسة
 وعشرين يوما، وفي أيامه أُحْرِقَت كنيسة بومرقورة بمصر، ثم مات . وخلا الكرسي
 بعده سبعة وعشرين يوما .

وقدم بعده بطرك اسمه (يونس) بن أبي غالب في طشر ذي الحجة سنة أربع وثمانين
 وخمسمائة بمصر وكُمِّل بالإسكندرية ، وأقام ستاً وعشرين سنة وأحد عشر شهرا
 وثلاثة عشر يوما، ومات في رابع عشر رمضان المعظم قدره، سنة ثمان عشرة ومائة
 بالمعلقة بمصر، ودفن بركة الحبش .

وقُدِّم بعده بطرك اسمه (داود) بن يوحنا، ويعرف بابن لقلق بإمر العادل بن
 الكامل ، فلم يوافق عليه المصريون فأبطلت بطركيته ، وبقي الكرسي بدير بطرك
 تسع عشرة سنة .

ثم قَدَّمَ بطرك أسمة^(١) (كيرلس) داود بن لقلق في التاسع والعشرين من رمضان المعظم سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، فأقام سبع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام ، ومات في السابع عشر من رمضان المعظم سنة أربعين وستمائة ، ودُفِنَ بدير الشَّعْبِ بالجيزة . وخلا الكرسي بعده سبع سنين وستة أشهر وستة وعشرين يوما .

وقدَّمَ بعده بطرك أسمة (سيوس) بن القس أبي المكارم ، في رابع رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة وحُكِّلَ بالإسكندرية ، وأقام إحدى عشرة سنة وخمسة وخمسين يوما ، ومات في ثالث المحرم سنة ستين وستمائة . وخلا الكرسي من بعده خمسة وثلاثين يوما^(٢) .

ثم قَدَّمَ بعده في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون البطرك (بنيامين) وهو الذي كان معاصرا لثَّوْرِ الشَّهَابِيِّ بن فضل الله ، وتقل عنه بعض أخبار الحبشة . ثم قَدَّمَ بعده المؤتمن (جرجس) بن القس مفضل في شهور سنة أربع وستين وسبعائة .

ثم قَدَّمَ بعده البطرك متى وطالت مدته في البطركية ثم مات في شهور سنة اثنتي عشرة وثمانمائة .

وأستقر بعده الشيخ الأجدد (رفائيل) في أواخر السنة المذكورة ، وهو القائم بها إلى الآن .

(١) عبارة المقرئى بعد ما تقدم "ثم قدم هذا القس" . يعنى به داود بن لقلق المتقدم فانه بعد أن منع عنها المدة المذكورة قدم اليها في التاريخ المذكور .

(٢) في الأصل إحدى وعشرين وهو خطأ ، والصحيح عن المقرئى .

(٣) في المقرئى خمسة وثمانين يوما .



: أما ملوكهم القاثمون ببلادهم ، فلم يتصل بنا تفاصيل أخبارهم ؛ غير أن المشهور أن ملكهم في الزمن المتقدم كان يلقب النجاشي ، سمى لكل من ملك عليهم ، إلى أن كان آخرهم (النجاشي) الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم ، وكتب إليه بإسلامه ، ومات وصلى عليه صلاة الغائب ؛ وكان اسمه بالحشية (أحممة) ويقال (صحمة) ومعناه بالعربية عطية .

وقد ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في " مسالك الأبصار " : أن الملك الأكبر الحاكم على جميع أقطارهم يسمى بلتهم (الحطى) بفتح الحاء المهملة وتشديد الطاء للمهملة المكسورة وياء مثناة تحت في الآخر . ومعناه السلطان اسمًا موضوعًا لكل من قام عليهم ملكًا كبيرًا . ثم قال : ويقال : إن تحت يده تسعة وتسعين ملكًا ، وهو لم تمام المائة . وذكر أن الملك القاثم يملكهم في زمانه اسمه (عثمسيون) ومعناه ركن صهيون . قال : وصهيون بيعة قديمة البناء بالإسكندرية معظمة عندهم . قال : ويقال : إنه من الشجاعة على أوفر قسم ، وأنه حسن السيرة ، عادل في رعيته . قال في " التعريف " : وقد بلغنا أن الملك القاثم عليهم أسلم سرًا ، واستمر على إظهار دين النصرانية إبقاءً لملكه . فيحتمل أنه (عثمسيون) المقدم ذكره ، ويحتمل أنه غيره . قال في " التعريف " : ومدبر دولته رجل يقرب إلى بني الأرشى الأجلية بنمشق . قال في " مسالك الأبصار " : ومع ما هم عليه من سعة البلاد ، وكثرة الخلق والأجناد ، مفتقرون إلى العناية والملاحظة من صاحب مصر . لأن المطران الذي هو حاكم شريعتهم في جميع بلادهم من أهل النصرانية لا يقام إلا من الأقباط اليعاقبة بالديار المصرية ، بحيث تخرج الأوامر السلطانية من مصر

للبطرك المذكور بإرسال مطران إليهم . وذلك بعد تقدم سؤال ملك الحبشة الذى هو الخطى وإرسال رسله وهداياه . قال : وهم يدعون أنهم يحفظون تجارى النيل المنحدر إلى مصر، ويساعدون على إصلاح سلوكه تهربا لصاحب مصر.

وقد ذكر ابن العميد مؤرخ النصارى فى تاريخه : أنه لما توقف النيل فى زمن المستنصر بالله الفاطمى ، كان ذلك بسبب فساد تجاريه من بلادهم ، وأن المستنصر أرسل البطرك الذى كان فى زمانه إلى الحبشة حتى أصلحوه واستقامت تجاريه . لكن قد تقدم فى الكلام على النيل عند ذكر مملكة الديار المصرية من هذه المقالة ما يخالف ذلك .

الجملة السادسة

(فى ترتيب مملكتهم)

قال فى "مسالك الأبصار" : يُقال إن الخطى المذكور وجيشه لم يخيم يتقلونها معهم فى الأسفار والتزومات ، وإنه إذا جلس الملك يجلس على كرمى ، ويجلس حول كرسيه أمراء مملكته وكبارؤها على كرامى من حديد : منها ما هو مطعم بالذهب ، ومنها ما هو ساذج على قدر مراتبهم . قال : ويُقال إن الملك مع نفاذ أمره فيهم يتثبت فى أحكامه . ولم يزد فى ترتيب مملكتهم على ذلك .

ولملك الحبشة هنا مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، يأتى ذكرها فى الكلام على المكتبات فى المقالة الراجعة إن شاء الله تعالى .

القسم الثاني

(من بلاد الحبشة ما بيد مسلي الحبشة)

وهي البلادُ المقابلةُ لبر اليمن على أعلى بحر القلزم ، وما يتصل به من بحر الهند ، ويعبر عنها "بالطراز الإسلامي" لأنها على جانب البحر كالطراز له . قال في "مسالك الأبصار" : وهي البلاد التي يقال لها بمصر والشام بلاد الزيلع . قال : والزيلع إنما هي قرية من قراها ، وجزيرة من جزائرها ، غلب عليها اسمها . قال الشيخ عبد المؤمن الزيلعي النقيبه : وطولها برًا وبحرًا خاصًا بها نحو شهرين ، وعرضها يمتد أكثر من ذلك ، لكن الغالب في عرضها أنه مقفر ، أما مقدار العمارة فهو ثلاثة وأربعون يومًا طولًا ، وأربعون يومًا عرضًا . قال في "مسالك الأبصار" : وبيوتهم من طين وأحجار وأخشاب ، مسقفةً بمجملونات وقباب ؛ وليست بذوات أسوار ولا لها خفامة بناء ، ومع ذلك فلها الجوامع ، والمساجد ، وتقام بها الخطب والجمع والجماعات ؛ وعند أهلها محافظة على الدين ، إلا أنه لا تعرف عندهم مدرسة ، ولا خانقاه ، ولا رباط ، ولا زاوية . وهي بلاد شديدة الحر ، وألوان أهلها إلى الصفاء ، وليست شعورهم في غاية الثقل كما في أهل مالي وما يليها من جنوب المغرب ؛ وفطنهم أنبه من غيرهم من السودان ، وقطرهم أذكى ؛ وفيهم الزهاد ، والابرار ، والفقهاء والعلماء ؛ ويمتدحون بمنهج أبي حنيفة ، خلا وفات فإن ملكها وغالب أهلها شافعية .

وتشتمل على ست جبل :

الجملة الأولى

(فيا أشتملت عليه من القواعد والأعمال)

مقتضى ما ذكره في "مسالك الأبصار" و"التعريف" أن هذه البلاد تشتمل على سبع قواعد ، كل قاعدة منها مملكة مستقلة بها ملك مستقل :

القاعدة الأولى

(وَقَات)

قال في "تقويم البلدان" : بالواو المفتوحة والفاء ثم ألف وتاء مثناة فوق في الآخر، والعامة تسميها (وَقَات). ويقال لها أيضا (جَبْرَة) يفتح الجيم والباء الموحدة والراء المهملة ثم هاء في الآخر، والنسبة إلى جَبْرَة جَبْرِيٌّ. وموقعها بين الإقليم الأول وخط الاستواء . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول سبع ونعمسون درجة ، والعرض ثمانُ درج . قال : وعن بعض المسافرين أنها من أكبر مُدُن الحبشة . وهي على تَشْرَمِن الأرض، وعمارتها متفوقة ، ودارُ الملك فيها على تَلِّ والقلعة على تَلِّ ، ولها وادٍ فيه نهر صغير ، ومُطَرٌّ في الليل غالباً مطراً كثيراً ، وبها قَصَبُ السُّكَّر . قال في "مسالك الأبصار" : وقال الشيخ عبد الله الزَّيْلِيُّ : وطول مملكتها خمسة عشر يوماً وعرضها عشرون يوماً بالسير المعتاد . قال : وكلُّها عامرة أهلةٌ بَقْرَى متصلة ؛ وهي أقرب أخواتها إلى الديار المصرية وإلى السَّوَا حِلِّ المُسَامِنَةِ لِلْيَمَنِ ؛ وهي أوسعُ الممالك السَّبع أرضاً ؛ والإجلابُ إليها أكثرُ لُقُرْبِها من البلاد . قال في "مسالك الأبصار" : وعسكرُها خمسة عشر ألفاً من الفُرسان ، ويتبعهم عشرون ألفاً فأكثرُ من الرِّجَالَةِ ، ومبائى الكلام على مائِر أحوالها عند ذكر أحوال مائِر أخواتها فيا بعدُ إن شاء الله تعالى .

ومن مضافاتها (زَلْمٌ) . قال في "تقويم البلدان" : الظاهر أنها بفتح الزاي المعجمة وسكون الياء المتناة التحتية وفتح اللام ثم عين مهمله في الآخر . وهي قُرْصَة من قُرْص هذه البلاد ، وموقعها بين الإقليم الأول وَخَطَّ الاستواء . قال في "القانون" : حيث الطول إحدى وستون درجة ، والعرض ثمان دَرَج . قال في "تقويم البلدان" : وهي في جهة الشرق عن (وَقَات) وبينهما نحو عشرين مرحلة . قال ابن سعيد : وهي مدينة مشهورة وأهلها مسلمون ؛ وهي على رُكْن من البحر في وطأة من الأرض . قال في "تقويم البلدان" : وعن بعض مَنْ رآها أنها مدينة صغيرة نحو عِيَذَابِ القَدَر ؛ وهي على الساحل والتُّجَّار قتل عندهم فيُضَيِّفونهم ويتأخَّرون لهم . قال ابن سعيد : وهي شديدة الحر وماؤها عذبي من جفارات ؛ وليس لهم بساتين ، ولا يعرفون الفواكه . قال في "القانون" : وفيها مفاصُّ لؤلؤ . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" أنها في مملكة صاحب أوقات . وذكر في "تقويم البلدان" عن بعض من رآها أن فيها شيوخا يحكون بين أهلها ، وقال : إن بينها وبين مدَن من اليمن في البحر ثلاث مجاري ، وهي عن مدَن في جهة الغرب بميلة إلى الجنوب .

القاعدة الثانية

(دَوَارو)

بفتح الدال المهملة وواو ثم ألف وراء مهمله وواو وهي مدينة ذكرها في "مسالك الأبصار" و "التعريف" : ولم يتعرض لصفتها . وذكر في "مسالك الأبصار" : أنها تلي أوقات المقسمة الذكر ، وأن مملكتها طولها

خمسة أيام ، وعرضها يومين . ثم قال : وهى على هذا الضيق ذات عسكر جَم ،
نظير عسكر أوقات فى الفارس والراجل . وسيأتى الكلام على تفصيل أحوالها
مع أخواتها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

القاعدة الثالثة

(أرابينى)

وهى مدينة ذكرها فى "المسالك" و"التعريف" أيضا ، ولم يذكر شيئا من
صفتها . ثم ذكر أن مملكتها مربعة : طولها أربعة أيام ، وعرضها كذلك ؛ وعسكرها
يقارب عشرة آلاف فارس . أما الرجال فكثيرة للغاية .

القاعدة الرابعة

(هذيه)

قال فى "تقويم البلدان" : بالهاء والذال المهملة والياء المثناة التحتية ثم هاء
فى الآخر على ما ذكره بعض من رآها . وموقعها بين الإقليم الأول من الأقاليم السبعة
وبين خط الاستواء . قال : والقياس أنها حيث طول سبع ونحسون درجة ،
والعرض سبع درج . وذكر عن بعض المسافرين أنها جنوبى (وقأت) . قال
فى "مسالك الأبصار" : وهى تلى أرابينى المقدم ذكرها ، وطول مملكتها ثمانية أيام ،
وعرضها تسعة أيام ؛ وصاحبها أقوى إخوانه من ملوك هذه الممالك السبعة ،
وأكثر خيلا ورجالا ، وأشد بأسا على ضيق بلاده عن مقدار أوقات . قال :
ولملكها من العسكر نحو أربعين ألف فارس ميوى الرجال ، فإنهم خلق كثير مثل
الفرسان مرتين أو أكثر . قال فى "تقويم البلدان" : ومنها تجلب الخُدام ، وذكر

أنهم يَحْصُونَهُمْ بِقَرْيَةٍ قَرْيَةٍ مِنْهَا . وذكر في "مسالك الأبصار" : أن الخُدَّامَ يُجَلِّبُ
إِلَيْهَا مِنْ بِلَادِ الْكُفَّارِ . ثم حكى عن الحاج فرج الفوى التاجر : أنه حدثه أن ملك
أَعْمَرًا مَنَعَ مِنْ خَصِي الْعَبِيدِ وَيُسَكِّرُ ذَلِكَ وَيُسَدِّدُ فِيهِ . وإنما السَّرَاقُ يَقْصِدُ بِهِمْ
مَدِينَةَ أَمَمِهَا (وَسَلُّوْ) بفتح الواو والشين المعجمة واللام ، أهلها هَمَجٌ لِأَدِينٍ عِنْدَهُمْ
فُخْصِي بِهَا الْعَبِيدُ ، لَا يُقَدِّمُ عَلَى هَذَا فِي جَمِيعِ بِلَادِ الْحَبْشَةِ سِوَاهُمْ . قال : ولذلك
التُّجَّارُ إِذَا اشْتَرَوْا الْعَبِيدَ يُخْرِجُونَ بِهِمْ إِلَى (وَسَلُّوْ) فَيَخْصُونَهُمْ بِهَا لِأَجْلِ زِيَادَةِ الثَّمَنِ ؛
ثُمَّ يَحْمِلُ مِنْ خُصِي مِنْهُمْ إِلَى مَدِينَةِ (هَدْيَةٍ) لِقَرَبِهَا مِنْ (وَسَلُّوْ) فُعَادَ عَلَيْهِمُ الْمُوسَى
مَرَّةً ثَانِيَةً لِيَنْفَتَحَ بَحْرِي الْبُولِ لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ آسَدَ عِنْدَ الْخَصِي بِالْقَبِيحِ ، فَيُعَاجِلُونَ
بِهَدْيَةٍ إِلَى أَنْ يَرَوْهَا ، وَلَئِنْ أَهْلُ (وَسَلُّوْ) وَإِنْ كَانَ لَهُمْ مَعْرِفَةٌ بِالْخَصِي فَلَيْسَ لَهُمْ
مَعْرِفَةٌ بِالْعِلَاجِ ، بِخِلَافِ أَهْلِ هَدْيَةٍ فَإِنَّهُمْ قَدْ دَرَبُوا [عَلَى] ذَلِكَ وَعَرَفُوهُ . ثم قال :
وَمَعَ هَذَا فَالَّذِي يَمُوتُ مِنْهُمْ أَكْثَرُ مِنَ الَّذِي يَعْشَى ، وَأَضْرُّ مَا عَلَيْهِمْ حُكْمُهُمْ بِلَا مَعَالِجَةَ
مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، فَإِنَّهُمْ لَوْ عَوَّلُوا فِي مَكَانٍ خَصِيهِمْ كَانَ أَرْفَقَ بِهِمْ .

القاعدة الخامسة

(شَرْحًا)

بفتح الشين المعجمة وسكون ألراء المهملة وحاء ثم ألف .

وهي مدينة تلي (هَدْيَةٍ) المَقْسَمَةَ الذِّكْر . ذكرها في "مسالك الأبصار"
و"التعريف" ولم يَصْرُحْ لَهَا بِوَصْفٍ . قال في "مسالك الأبصار" : وطولُ
مَمْلَكَتِهَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، وَعَرْضُهَا أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ . قال : وعسكرها ثَلَاثَةُ آلَافٍ فَارَسَ ،
وَرِجَالُهَا مِثْلُ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ فَكَثَرَتْ ، وَمِثَالِي الْكَلَامِ عَلَى سَائِرِ أَحْوَالِهَا مَعَ سَائِرِ أَخَوَاتِهَا
فِيهَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

القاعدة السادسة

(بالي)

بفتح الباء الموحدة وألف ثم لام وياء آخر الحروف .

وهي مدينة تلى شرحاً المقدمة المذكور في "المسالك" و"التعريف"
قال في المسالك : ولكنها أكثر خصباً ، وأطيب سكناً ، وأبرد هواء ، ومياقي
الكلام على سائر أحوالها مع سائر أخواتها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

القاعدة السابعة

(دارة)

بفتح الدال المهملة وألف بعدها راء ثم هاء . وهي مدينة تلى (بالي) المقدمة المذكور،
ذكرها في "المسالك" و"التعريف" . قال في "المسالك" : وطولها ثلاثة أيام،
وعرضها كذلك . وهي أضعف أخواتها حالاً ، وأقلها خيلاً ورجالاً . قال :
وعسكرها لا يزيد على ألفي فارس ، ورجالة كذلك ؛ ومياقي الكلام على سائر أحوالها
في الكلام على سائر أخواتها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة الثانية

(في الموجود بهذه المسالك ، على ما ذكره في "مسالك الأبصار")

قد ذكر أن عندهم من المواشي الخليل العراب ، والبغال ، والحمر ، والبقر ، والغنم
بكثرة . أما المعز فقليل عندهم . ومن الوحش : البقر ، والحمر ، والغزلان ،

والمهّما، والإيل، والكركدن، والفهد، والأسد، والضبعة العرجاء، وتسمى عندهم
مرعيف، وعندهم جواميس برية تُصاد كما تقتل في إقليم مالى. وعندهم من الطيور
الدواجن الدجاج، ولكن لا رغبة لهم في أكله استغذأوا له: لأكله القمامات والزبالات،
ودجاج الحبش يصيدونه ويأكلونه، وهو عندهم مُستطاب. وعندهم من الحبوب
الحنطة، والشعير، والذرة، والطاق: وهو حبٌ نحو الخردل أحمر اللون على ما تقدم
ذكره في الكلام على القسم الأول من بلاد الحبشة. وعندهم الخردل أيضا. وعندهم
من الفواكه العنب الأسود على قلة، والموز، والرمان الحامض، والتوت الأسود
على قلة فيه، والمميز بكثرة. وعندهم من الحمضات: الأترج، والليمون، والقليل
من النارج. وعندهم بين برى، وخوخ برى، ولكنهم لا يأكلون الخوخ دون
العين. وعندهم فواكه أخرى لا تُعرف بمصر والشام والعراق، منها شجيرة تسمى
كشباد، ثمرة أحمر على صفة البُسْر، وهو حلو ماوى، وشجيرة تسمى كوشى، ثمرة مستدير
كالبرقوق، ولونه أصفر خلوق كالشمس، وهو من ماوى، وشجيرة تسمى طانة، ثمرة
أصغر من البُسْر، وفي وسطه شبه النوى، وهو حلو صادق الحلاوة ونواه يؤكل معه
لعدم صلابته. وشجيرة اسمها أوجاق - بفتح الواو والجيم - ثمرة أكبر من حب الفلفل
وطعمه شبيه به في الحرافة مع بعض حلاوة. وعندهم شجيرة حان المقدم ذكره
في القسم الأول من بلاد الحبشة، وهو الذى يؤكل عندهم للدكاء والقيطنة، ولكنه
يُقل النوم والنكاح على ما تقدم ذكره هناك. وعندهم من أنواع المقاتى البطيخ
الأخضر، والخيار، والقرع. ومن الخضروات اللوبيا، والكُرنَب، والباذنجان،
والشمار، والصمتر. أما الملوخيا فإنها تطلع عندهم برية.

الجملة الثالثة

(في معاملاتهم وأسعارهم)

أما معاملاتهم فعلى ثلاثة أنواع . منها ماهو بالأعراض مُقايضةً : تباع البقر بالغنم ونحو ذلك كما في القسم الأول من بلاد الحبشة . ومنها ماهو بالدنانير والدرهم كصبر والشام ونحوهما ، وهو (وَقَات) وأعمالها خاصة . قال في "مسالك الأبصار" : وليس بأوقات سِكَّةٌ تضرب بل معاملتهم بدنانير مصر ودرهمها الواصلة إليهم صعبة التجار . وذلك أنه لو ضرب أحد منهم سِكَّةً في بلاده لم تُرَجَّ في بلد غيره . ومنها ماهو بالحككات ، جمع حَكْنَة - بفتح الحاء المهملة وضم الكاف والتون - كما ضبطه في "مسالك الأبصار" وهي قِطْع حديد في طول الإبرة ، ولكنها أعرضُ منها بحيث تكون في عَرْض ثلاثِ إبرٍ ، يتعاملُ بها في سائر هذه البلاد سوى ما تقدم ذكره . قال : وليس لهذه الحَكْنَة عندهم سعر مضبوط بل تُباع البقرة الجيدة بسبعة آلاف حَكْنَة ، والشاة الجيدة بثلاثة آلاف حَكْنَة . وتُكَال غَلَّتْهم بكلِّ أَمْسِه الرابعة ، بمقدار وِيَّة من الكيل المصري . وزنة أُرطالم اثنتا عشرة أوقية كل أوقية عشرة دراهم بصنجة مصر .

وأما الأسعار فكلُّها رَخِيعة حتى قال في "مسالك الأبصار" : إنه يُباع بالدرهم الواحد عندهم من الحنطة بمقدار حِمْل بَنَل ؛ والشعير لقيمة له . وعلى هذا قَس .

الجملة الرابعة

(في ملوكهم)

قد تهتم في الكلام على القسم الأول من بلاد الحبشة أن الحطى الذى هو
سلطانهم الأكبر تحت يده تسعة وتسعون ملكا وهو لهم تمام المائة . وقد ذكر
في " التعريف " : أن هذه السبعة من جملة التسعة والتسعين الذين هم تحت يده .
قال في " مسالك الأبصار " : وأملك منهم في بيوت عفونية إلا بالي اليوم ،
فإن الملك بها صار إلى رجل ليس من أهل بيت الملك ، تهرب إلى سلطان آخر
حتى ولده مملكة بالي فاستقل ملكا بها . على أنه قد وليها من أهل بيت الملك
رجال أكفاء ، ولكن الأرض لله يورثها من يشاء . قال : وجميع ملوك هذه
الممالك وإن توارثوها لا يستقل منهم بملك إلا من أقامه سلطان آخر ، وإذا
مات منهم ملك ومن أهله رجال قصبوا جميعهم سلطان آخر ، وتقربوا إليه جهدا
الطاقة ، فيختار منهم رجلا يوليّه ، فإذا ولده سمع البيعة له وأطاعوا ، فهم له كالنواب ،
وأمرهم راجع إليه . ثم كلهم متفقون على تعظيم صاحب أوقات ، متقادون إليه .
ثم قال : وهذه الممالك السبع ضيعة البناء ، قليلة الغناء ، لضعف تركيب أهلها ،
وقلة محصول بلادهم ، وتسلب الحطى سلطان آخر عليهم ، مع ما بينهم من عداوة
الدين ، ومباينة ما بين النصارى والمسلمين . قال : وهم مع ذلك كتبهم متفرقة ،
وذات بينهم فاسدة .

ثم حكى عن الشيخ عبد الله الزبائى وغيره : أنه لو أفضت هذه الملوك السبعة
وأجتمعت ذات بينهم ، قدروا على منافعة الحطى أو التماسك معه ، ولكنهم مع
ما هم عليه من الضعف وأقتراب الكلمة بينهم تنافس . قال : وهم على ما هم عليه

من النِّلَّةِ والمَسْكَنَةِ لِحَطَّى سلطان أحمرا عليهم قطائعُ مقرَّرة ، تحمل إليه في كل سنة من القماش الحرير والكتان ، مما يُجَلَّب إليهم من مصر واليمن والعراق . ثم قال : وقد كان الفقيه « عبد الله الزيلعي » قد سعى في الأبواب السلطانية بمصر عند وصول رسول سلطان أحمرا إلى مصر في تتجُّزُّ كُتابِ البَطْرِيْكِ إليه ، بكف أذيتِه عَمَّن في بلاده من المسلمين وعن أخذ حريمهم . وبرزتِ المراسيمُ السلطانيةُ للبَطْرِيْكِ بكتابة ذلك ، فكتب إليه عن نفسه كتابا بليغا شافيا ، فيه معنى الإنكار لهذه الأفعال ، وأنه حَرَّمَ هذا على مَنْ يَعمله ، بعباراتٍ أجاد فيها ؛ ثم قال : وفي هذا دلالة على الحال .

قلت : وقد تُكْتَب في أوائل الدولة الظاهرية « برقوق » كُتُبٌ عن السلطان في معنى ذلك ، وقرينه كُتُبٌ من البَطْرِيْكِ (مَنِّي) بطريرك الإسكندرية يومئذ بمعناه . وتوجَّه به إلى الحَطَّى سلطان الحبشة ، « برهان الدين الدِّمياطِي » فذهب وطاد بالحبَّاء من جهة الملك ؛ لكن ذكر عنه أنه أتى أمورا هناك تقدح في عقيدة ديانته ، والله أعلم بحقيقة ذلك . وستأتى الإشارة إلى المكتبة إلى هؤلاء الملوك السبعة في المقالة الرابعة في الكلام على المكتبات إن شاء الله تعالى .

الجملة الخامسة

(في زِيِّ أَهْلِ هَذِهِ الْمُلْكَةِ)

أما لَيْسَهم ، فإنه قد جرت عادتهم أن الملك يَصِّبُ رأسه بِصَبَايَا من حرير ، تَلَوَّرُ بدائر رأسه ، ويبقى وسط رأسه مكتوفاً ؛ والأمراء والجنود يُعْصِيون رُؤُوسهم كذلك بِصَبَايِب من قُطُن ؛ والفُقهاء يَلْبَسُونَ العِثَام ؛ والعامةُ يَلْبَسُونَ كُوفِي بِيضاً

مطابقات، والسلطان والجند يتررون بباب غير محيطة : يَشُدُّ وسطه بثوب، ويترر
بآخره، ويلبسون مع ذلك سراويلات . ومن عداهم من الناس يقتصرون على شدِّ
الوسط والأزار خاصة بلا لبس سراويل . وربما ليس القمصان منهم بعضُ
الفقهاء وأرباب النعم .

وأما ركوبهم الخيل، فإنهم يركبونها بنير مُرَّوج، بل يُوطأ لهم على ظهورها بجلود
مُرَّعِزِي حتى ملوكهم .
وأما سلاحهم فعليه الحراب والنشاب .

الجملة السادسة

(في شعار الملك وترتيبه)

أما شعار الملك، فقد جرت عادتهم أن الملك إذا ركب تقدم قدامه الحجاب
والنقباء لطرد الناس، ويضرب بالشبابة أمامه، ويضرب معها بوقيات من خشب،
في ردوسها قرون مجوفة، ويدقُّ مع ذلك طبولٌ معلقة في أعناق الرجال تسمى عندهم
الوطواط . ويتقدم أمام الكل بوقٌ عظيم يسمى الجنباء، وهو بوق ملوئ من قرن
وحش عندهم من نوع قمر الوحش اسمه (عجرين) في طول ثلاثة أذرع، بجوف
يُسمع على مسيرة نصف يوم، يعلم من مسمعه ركوب الملك، فيبادر إلى الركوب
معه من له عادة به .

وأما ترتيب الملك عندهم، فإن من عادتهم أن الملك يجلس على كرسى من حديد
مُطعم بالنهب، علوه أربعة أذرع من الأرض، ويجلس أكابر الأمراء حوله

على كراسى أخفص من كرسيه ، وبقية الأمراء وقوف أمامه ، ويحمل رجلان السلاح على رأسه . ويتنصص صاحب (وقات) بأنه إذا ركب جمل على رأسه جتر على عادة الملوك .

ثم إن كان الملك راجا فرسا ، كان حامل الجتر ماشيا بازائه والجتر بيده ، وإن كان راجا بغلا ، كان حامل الجتر رديفه والجتر بيده على رأس الملك .

وبالجملة فإنه يمد من حشمة الملك أو الأمير عندهم أنه إذا كان راجا بغلا أن يردف غلامه خلفه ، بخلاف ما إذا كان راجا فرسا فإنه لا يردف خلفه أحدا . وما يمد ب (وقات) من حشمة الملك أو الأمير أنه إذا مشى يتوكأ على يدي رجلين . وملوكهم تنصدي للحكم بأنفسهم وإن كان عندهم القضاء والعلماء . وليس لأحد من الأمراء ولا سائر الجنود إقطاعات على السلطان ولا شؤون كما بمصر والشام ، بل لهم الدواب السائمة . ومن شاء منهم زرع وأستقل ولا يعارض في ذلك . وليس لأحد من ملوكهم سباط عام ، بل إنما يمد سباطه له وتخاصيته ، ولكنه يفرق على أمرائه بقرا عوضا عن أمر أكلهم على السباط . وأكثر ما يعطى الأمير الكبير منهم مائتا بقرة .

قلت : وأهل المقتر الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبحار" و"التعريف" عنة بلاد من ممالك الحوشة المسلمين .

منها (جزيرة دحلان) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الدال المهملة وسكون الميم ثم لام مفتوحة وكاف . وهي جزيرة في بحر القلزم ، واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول إحدى وستون درجة ، والعرض أربع عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي جزيرة مشهورة على

طريق المسافرين في بحر عَدَنَاب إلى الْيَمَن . قال ابن سعيد : غَرَبِيَّة مَدِينَةِ (حَلِي) من بلاد الْيَمَن ، فطولها نحو مائتي ميل ، وبناها وبين بَرِّ الْيَمَن نحو ثلاثين ميلاً [وَمَلِك دَهْلَك من الحبش المسلمين] وهو يُدَارِي صاحب الْيَمَن .

ومنها (مدينة عَوَان) بفتح العين المهملة والواو وألف ثم نون . وهي مدينة على ساحل بحر القلزم مقابل (بِهَامَةِ الْيَمَن) حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض ثلاث عشرة درجة ونصف درجة . قال في "تقويم البلدان" : وإذا كان وقت الضحى ظهر منها (الجنّاح) وهو جبل طلي في البحر .

ومنها (مدينة مَقْدُشُو) بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال المهملة ثم شين معجمة وواو في الآخر كما نقله في "تقويم البلدان" عن ضبطه في "مُزِيل الأرتياب" بالشكل . وموقعها بين الإقليم الأول من الأقاليم السبعة وخط الاستواء . قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتان وسبعون درجة ، والعرض درجتان . قال في "مُزِيل الأرتياب" : وهي مدينة كبيرة بين الزنج والحبشة . قال : وهي على [بحر] الهند ، ولها نهر عظيم شبيه ببلبل مصر في زيادته في الصيف . قال : وقد ذكر أنه شقيق لنيل مصر في شجره من بحيرة كورا ، ومصبه ببحر الهند على القرب من مَقْدُشُو .

قلت : وقد أتى الخطي ملك الحبشة النصاري على معظم هذه الممالك بعد الثمانمائة وفتحها وقتل أهلها وحرق ما بها من المصاحف وأكره الكثير منهم على الدخول في دين النصيرية ، ولم يبق من ملوكها سوى ابن مسيار المقاتلة ببلاد جزيرة دَمَك تحت طاعة الخطي ملك الحبشة وله عليه إتاقرة مقررة ، والسلطان سعد الدين

(١) الزيادة عن تقويم البلدان .

(٢) ضبطها ياقوت بفتح الدال .

صاحب زَيْج وما معها وهو عاص له خارج عن طاعته بينه وبينه الحروب لا تنقطع ،
والسلطان سعد الدين في كثير من الأوقات النصره عليه والغلبة والله يؤيد بنصره
من يشاء .



وأعلم أن ما تقدم ذكره من ممالك السودان هو المشهور منها ، وإلا فورا ذلك
بلاد نائية الجوانب بعيدة المرمى متقطعة الأخبار .

منها (بلاد الزنج) . وهى بلاد شرقى الخليج البربرى المقدم ذكره في الكلام
على البحار ، تقابل بلاد الحبشة من البر الآخر .

وقاعدتها (سُقالة الزنج) . قال في "تهويم البلدان" بالسين المهملة والفاء ثم ألف
ولام وهاء في الآخر . وموقعها جنوبى خط الاستواء . قال في "القانون" :
حيث الطول خمسون درجة ، والعرض في الجنوب درجتان . قال في "القانون" :
وأهلها مسلمون . قال ابن سعيد : وأكثر معاشهم من الذهب والحديد ، ولباسهم
جلود الثور . وذكر المسعودى أن الخليل لا تعيش عندهم ، وعسكرهم رجالة ، وربما
قاتلوا على البقر .

ومنها (بلاد الممّج) جنوبى بلاد التكرور . فقد ذكر ابن سعيد أنه خرج على أصناف
السودان طائفة منهم يقال لهم [النّمام] ^(١) يشبهون التتر ، خرجوا في زمن خروجهم
فأهلكوا ما جاؤهم من البلدان . وذكر في "مسالك الأبصار" من ابن أمير حاجب
والى مصر عن منسا موسى ملك التكرور أنهم كالتتر في تدوير وجوههم ، وأنهم يركبون
خُولا مشققة الأنوف كالأكاديش ، وأن هج السودان عند لا يستوصيهم الزمان
وأن منهم قوما يأكلون لحم الناس .

(١) يياض بالأصل والتصحيح من مسالك الأبصار .

الفصل الرابع

من الباب الرابع من المقالة الثانية

(في الجهة الشمالية عن ممالك الديار المصرية ومضافاتها، خلا ما تقدم ذكره
 مما انضم إلى ممالك المشرق من شمالي الشرق، نحو أرمينية، وأزان،
 وأذربيجان، وشمالي خراسان، وشمالي مملكة توران : من خوارزم،
 وما وراء النهر، وبلاد الأزق، وبلاد القرم، وما إلى ذلك
 وما انضم إلى ممالك المغرب من شمالي الغرب،
 وهو الأندلس)

ويتقسم ذلك إلى قسمين :

القسم الأول

(ما بيد المسلمين مما في شرقي الخليج الفُسطَطيني فيما بينه وبين أرمينية
 وهي البلاد المعروفة ببلاد الروم)

قال في "التعريف" : وتُعرف الآن ببلاد الدربندات . وقد سماها في "التعريف"
 و "مسالك الأبيصار" بلاد الأتراك، وكأنه يريد بالأتراك التتركان، فإنهم هم الذين
 أنضاف ملكها بعد ذلك إليهم، على ما سيأتي بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وقد ذكر في "تقويم البلدان" أنه يُحيط بهذه البلاد من جهة الغرب بحر الروم،
 وعامة الخليج الفُسطَطيني، وبحر القرم . ومن جهة الجنوب بلاد الشام والجزيرة .
 ومن جهة الشرق أرمينية . ومن جهة الشمال بلاد الكرج وبحر القرم . وذكر

في " التعريف " ما يخالف ذلك فقال : إنها متحصرة بين بحري القرم والخليج القسطنطيني ، تنهى من شرقها إلى بحر القرم المسمى يعرنيطش وما نيطش ؛ وفي الغرب إلى الخليج القسطنطيني ، وتنهى متشاملة إلى القسطنطينية ؛ وتنهى جنوبا إلى بلاد لاؤن : وهي بلاد الأرمن يحدها البحر الشامي . وبالجملة فإنها مفارقة ما يسامت شرقها من بلاد الأرمن المضافة إلى بلاد الشام من ممالك الديار المصرية . والحاصل أن هذه البلاد مبتدؤها من الشرق مما يلي المغرب حدود أرمينية في شمالي بلاد الجزيرة وما والاها من بلاد الأرمن المضافة الآن إلى مملكة حلب ؛ وتأخذ في جهة الغرب إلى بحر الروم ، فيصير البحر في جانبها من الجنوب ويمتد عليها حتى يتصل بالخليج القسطنطيني ، فيدور عليها الخليج وما يتصل به من بحر القرم من جهة الغرب ثم من جهة الشمال كالجزيرة ويحيط بها البحر من جميع جوانبها خلا جهة الشرق .

وقد كانت هذه البلاد في زمان الروم من مضافات القسطنطينية وأعمالها . قال في "مسالك الأبصار" : وقد كانت هذه البلاد على عهد الروم تحتك الأعنة ، ومشتبك الأمسنة ؛ دار القياصرة ، ومكسر الأكاسره . ثم وصفها بأنم الأوصاف ، فقال بعد أن ذكر أنها أثري البلاد : مخورها تنفجر ماء ، وجوها يسخر أنواع ، تعقد دون السماء سماء ؛ فيخصب زرعها ، ويحجم المحل ضرعها ، ويخصف ورق الجنة على الحدائق ثمرها ويضعها ؛ ويطرب ورقها منظرها البديع ، ويحبرها من صناعة صنعاء الربيع ؛ فلا تسمع إلا كل مطربة تنأج النجي ، وتشيقي الشجي ، وتخلب قلب الخلي ، وتهب الغواني ما في أطواقها من الخلي ، يعجب ثوبها السندسي ، وتبأها المتعاق بذيل البهار بسجافها القنديسي . فلا تجول في أرضها إلا على أرائك ، ولا تنظر

إلا نساء كالحور العين وولدانا كالملائكة . ثم قال بعد كلام طويل : وهى شديدة البرد لا يوصف شتاؤها ، إلا أن سكناها تستعد للشتاء بها قبل دخوله ، وتحصل ما تحتاج إليه ، وتنتخه فى بيوتها ، وتستكثر من القديد والأدهان والخمور ، فتأكل وتشرب مدة أيام الشتاء ، ولا تخرج من بيوتها ، ولو أرادت ذلك لم تقدر عليه ، حتى تكوب الثلوج . قال وهذه الأيام هى بلهنية العيش عندهم .
ويُحصر المقصود من ذلك فى خمس جمل :

الجملة الأولى

(فيما أشتمت عليه من القواعد ، وهى على ضربين)

الضرب الأول

(القواعد المستقاة بها الملوك والحكام)

من يكتتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية)

فأما ما ذكره المقر الشهابى بن فضل الله من ذلك فى " التعريف " و " مسالك الأبصار " ، فست عشرة قاعدة عبر عنها فى " مسالك الأبصار " :
بذلك . ونحن نورد هنا على ما أوردها وإن كان قد أخل بها فى الترتيب .

القاعدة الأولى - (كرتيان) بكسر الكاف وسكون الراء المهملة والميم وفتح المثناة تحت وألف ثم نون فى الآخر . وهى مدينة فى شرق هذه البلاد ، متوسطة فى المقدار ، مبنية بالحجر ، عليها سورا دوائر . وبها مساجد وأسواق وحمامات ، وبوسطها قلعة حصينة على جبل مرتفع ، وخارجها أنهار تجري وبساتين ذات أشجار وفواكه متوعة ، وأراض مزودة .

القاعدة الثانية — (طَنْزَلُ) بضم الطاء المهملة وسكون النون وضم الزين المعجمة وسكون الزاي المعجمة وضم اللام وواو في الآخر . وهى مدينة متوسطة فى أوساط هذه البلاد، وبنائها بالحجر، وإسمها سور . وبها المساجد والأسواق والحمامات . وخارجها أنهار تجري وبساتين محدقة ذات فواكه وثمار .

القاعدة الثالثة — (تَوَازَا) بضم التاء المثناة فوق وواو مفتوحة بعدها ألف ثم زاي معجمة وألف فى الآخر وهى مدينة عظيمة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهذه المملكة تقع شرق كرميان محضا، وموقعها ما بين جنوبى بركى إلى قوله ، وكرسيه تَوَازَا . قال : ولصاحبها أربع قلاع ونحو ستمائة قرية ، وعساكره نحو أربعة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل . وقد عثها فى "مسالك الأبصار" من جملة مضافات كصطُمونية الآتى ذكرها . وذكر أنه كان بها إذ ذاك أمير من قبل صاحبها اسمه (مراد بك) . وذكر فى "التعريف" أن اسمه أرينة .

القاعدة الرابعة — (حميدلى) . قال فى "مسالك الأبصار" وحميدلى اسم للإقليم ، وقاعدته مدينة (بركو) وموقعها من قوله إلى قراصار . قال : ولصاحبها أيضا إقليم بلواج وإقليم قراغاج وإقليم أكرى دوز . قال : وهذه البلاد منها قليلة وقراها كثيرة، وبها خمس عشرة قلعة، وعسكر صاحبها خمسة عشر ألف فارس ومثلهم رجالة وهى نهاية ما أخذ إلى الشمال وقد ذكر فى "التعريف" : أن صاحبها كان اسمه فى زمانه دندار . قال : وهو أخو يونس صاحب أبتاليسا، وحيث قد تكون من مملكة بنى الحميد .

القاعدة الخامسة — (قَسْطُمُونِيَّةُ) . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح التاف وسكون السين وبالطاء المهملتين وضم الميم وسكون الواو وكسر النون وبالياء المثناة

من تحت وهاء في الآخر، وربما أبدلوا القاف كافاً، وعليه جرى في "التعريف" و"مسالك الأبصار": وهي مدينة في شرق هذه البلاد داخلية في حدودها، موقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد: حيث الطول خمس وخمسون درجةً وثلاثون دقيقة، والعرض ست وأربعون درجةً وثمناً وأربعون دقيقة. قال: وهي قاعدة التركمان، وترآكتها يقرؤون (القُسْطَنْطِينِيَّة) وهي شرق (هرقلة) وفي الجنوب عن سنوب على ثلاث مراحل منها، وقيل خمس مراحل. وهي في الشرق عن أنكوريه على خمسة أيام منها. وقد أخبرني بعض أهل تلك النواحي أنها مدينة متوسطة المقدار، مبنية بالجر، ذات مساجد وأسواق وحمامات، وليس عليها سور، وخارجها أنهر وبساتين ذات فواكه. قال في "مسالك الأبصار": وبها الأكاديش الرومية الفاتحة، المفضل بعضها على كل ما سبق من تحليل العراب؛ ولها أنساب محفوظة عندهم تكيل العرب، يتخالي في أمانها لا سيما في بلادها، حتى تبلغ قيمة الواحد منها ألف ديناراً فوقه، بل لا يستكثر فيها من يعرفها بثل مال. قال في "التعريف": وكانت آتروقت (السليان باشاه) وكان أميراً كبيراً كثير المدد، مؤفور المدد، ذا هية وتمتع، ثم مات.

وورث ملكه ابنه (إبراهيم شاه) وكان عاقاً لأبيه، خارجاً عن مرأضيه؛ وكان في حياته يتفرد بملكه سنوب. قال: وهي الآن داخلية في ملكه، منخرطة في ملكه. قال: وعسكره على ما يقال لنا ويبلغنا نحو ثلاثين ألف فارس.

القاعدة السادسة — (قاويا). قال في "مسالك الأبصار": وملكها عجور سمسون من غريها. قال: ولصاحبها عشر مدن ومثلها قلاع، وعسكره نحو سبعة آلاف فارس أما الرجال فكثير عندهم ودرهمها نصف درهم فضة خالصة، ورطلها

سنة عشر وطلا بالمصرى ، وملكها نحو إردب بالمصرى ، وأسعارها رخيّة وقد ذكر في " التعريف " : أن اسم صاحبها في زمانه (مراد الدين حمزة) . قال : وهو ملك مضغوف ، ورجل يجالس أنسه مشغوف .

القاعدة السابعة — (برّسا) يضم الباء الموحدة وسكون الراء وفتح السين المهملتين وألف في الآخر . وربما أبدلت السين صادًا مهملةً . والموجود في " التعريف " و"مسالك الأبصار" وظهرها إثبات السين دون الصاد . وهي مدينة كبيرة في شمالي هذه البلاد ، مبنية بالطوب والخجر ، وسقوفها من الخشب ، وغالبها جملونات ؛ وبها مساجد وأسواق وحمّامات ؛ وبعض حمّاماتها من أعين حارة تنبع من الأرض كذلك كما في طبرية بالشام ؛ ولها سور عظيم ؛ ويوسطها قلعة شاهقة مرتفعة البناء بها سكن ملطانتها ؛ وفيها قصور عظيمة متمتعة ، وجامع وثلاث حمّامات .

وخارج ريّس المدينة نهران :

أحدهما — يسمى (ككدرّا) يضم الكاف الأوبى وسكون الثانية وفتح الدال والراء المهملتين وألف في الآخر . ومعناه وادٍ أزرق ، سمي بذلك لأنه يخرج من جبل أزرق ، وتقطع منه المجارة بشيّة جريه ، فتجري منه يجران الماء ، فيأخذها من عليه من أهل تلك النواحي فيعمر بها ، ومعظم عمارة برّسا منها .

والنهر الثاني — يسمى (منرباشى) في قدر القرآت ، يسقّ المدينة ويترّ في جامعها ؛ وبها جبل عظيم اسمه (كش) به معدن فضة سمي باسم الفضة .

وبرّسا هذه هي مقرّ مملكة أولاد (عثمان جقّ) الذين هم الآن رؤوس ملوك تلك البلاد ، ولهم أقياد جميعهم على ما سيأتى ذكره في الكلام على ملوكها . وقد ذكر في " التعريف " : أن صاحبها في زمانه كان أرخان بن عثمان . وذكر في " مسالك

الأبصار" عن الشيخ حيدر العريان: أن عسكره نحو خمسة وعشرين ألفاً، وأن بينه وبين صاحب القسطنطينية الحروب، وأيامها بينهم تارات، له في غالبها على صاحب القسطنطينية القلب، وملك الروم يُداريه على مال، يحمله إليه في كلِّ هلال . قال : ولقد جاز الجزيرة إلى بلاد النصارى وعث في نواحيها، وشد على بطارقيتها لاعلى قلاحيها، وألقى علوجها بحيث تلتج سُيُولُ الدماء، وتختلج سيوفُ النصر من الأعداء، وسيأتي ذكر ما آتته إليه فتحه من بر القسطنطينية بعد هذا في الكلام على ملوك هذه المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

القاعدة الثامنة — (أكبرا) . قال في "مسالك الأبصار" : وهي تجاور مملكة برسا آخذة إلى الشمال وجبل القسيس جنوبها وسنوب شمالها وهي طريق من طرق سنوب وقلاعها وعساكرها كثيرة . ومنها يخرج الحرر الكثير واللاذن إلى غيرها من البلاد، ورطلها ثمانية أرطال بالمصرى، ومثلها نحو إردب ونصف وأسعارها رخيصة وقد ذكر في "التعريف" : أن صاحبها في زمانه كان (صاروخان بن قرأسي) ولم يبين من أي طوائف التركمان هو .

القاعدة التاسعة — (مرمرأ) بفتح الميم وسكون اراء المهمله وفتح الميم الثانية والراء المهمله الثانية وألف في الآخر . وهي مدينة في شمالي هذه البلاد، بها جبل فيه مَقَطَعُ رُخَام . قال في "الروض المطار" : والروم تسمى الرخام مَرْمَرًا، فسميت بذلك . وذكر في "التعريف" : أن صاحبها في زمانه كان اسمه (بخشي بن قرأسي) ولم يبين من أي طوائف التركمان هو . وقد أخبرني بعض أهل تلك البلاد أنها قد تحربت ودمرت، ولم يبق بها عمارة .

القاعدة العاشرة — (مقنيسيا) بفتح الميم وسكون الغين المعجمة وكسر النون وسكون الياء المثناة تحت وكسر السين المهمله وفتح الياء الثانية وألف في الآخر .

وهى مدينة فى أوساط هذه البلاد، متوسطة فى المقدار، مبنية بالجمر، وعليها سور دائر، وبها مساجد وأسواق وحمامات وبساتين ومروج. وقد ذكر فى "التعريف": أنه كان اسم صاحبها فى زمانه (صاروخان) ولم يزد على ذلك.

القاعدة الحادية عشرة - (نَيْف) بكسر النون وسكون الياء المثناة تحت وفاء فى الآخر. وهى مدينة لطيفة بأوساط هذه البلاد، بالقرب من (مَقْنِسِيَا) المقدم ذكرها على نحو مرحلتين منها. وهى مبنية بالجمر، وبها المساجد والأسواق والحمامات وخارجها الأنهار والزروع والبساتين المختلفة الفواكه.

القاعدة الثانية عشرة - (بَرْكِي) بفتح الباء الموحدة وكسر الراء المهملة وكسر الكاف وياء مثناة تحت فى الآخر. وهى مدينة متوسطة القدر على القرب من نيف المقدم ذكرها على نحو مرحلتين منها، وبها المساجد والأسواق والحمامات والمياه والبساتين والزروع.

القاعدة الثالثة عشرة - (فُوكِه) . وقد ذكر فى "التعريف": أن صاحبها فى زمانه كان اسمه (أرخان بن منتشا) وأقتصر على ذلك.

القاعدة الرابعة عشرة - (أَنْطَالِيَا) . قال فى "تقويم البلدان": بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء المهملة وألف ولام مكسورة وهاء فى الآخر. ووقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال فى "تقويم البلدان": والقياس أنها حيث الطول أربع وخمسون درجة وأثنان وثلاثون دقيقة، والعرض إحدى وأربعون درجة وأربعون دقيقة. قال ابن سعيد: وهى بلدة مشهورة. وقال ابن حوقل: هى حصن [للروم على شط البحر منبج وأوسع الرستاق كثير الأهل]^(٢). قال

(١) القى فى التقويم وألف فى الآخر.

(٢) الزيادة عن التقويم.

في "تقويم البلدان" : وهي على دّخلة في البحر، وسورها من حجر في غاية الحصانة، ولها بابان : باب إلى البحر، وباب إلى البر . وأخبرني من رآها أنها ذات أشجار وبساتين ومياه تجري ، وبها قلعة حصينة بوسطها ؛ وبها نهر يُعرف بالصّباب . قال في "تقويم البلدان" : وهي كثيرة المحمضات : من الأترج، والتارنج، والليمون، وما أشبه ذلك . قال ابن سعيد : وكانت للروم فاستولوا عليها المسلمون في عصرنا . قال : وبها أسطول صاحب الدروب، وبينها غير مأمونة في الأنواء . قال في "تقويم البلدان" : وكان الحاكم بها شخصاً من أهل تلك البلاد فخرج منها إلى بعض جهاتها، فكبسها التركان وملكوها ثم أمسكوه قتلوه . قال : وصاحبها في زماننا واحد من بني الحميد ملوك التركان . وقد ذكر في "التعريف" : أن صاحبها في زمانه كان اسمه (خضر بن يونس) . وذكر في "مسالك الأبصار" : أن صاحبها في زمانه كان اسمه (خضر بن دندار) من أولاد (منتشا) . وقال : إن عسكره نحو أربعين ألف فارس . ثم قال : إن ليني دندار هؤلاء إلى ملوك مصر آتاءً، وكان بمصر منهم من له إمرة ثم عاد إلى بلاده .

القاعدة الخامسة عشرة — (قراصار) بفتح القاف والراء المهملة وألف ثم صاد مهملة مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة في الآخر. وتُعرف بقراصار التكا بفتح التاء المثناة فوق . وهي قلعة على جبل مرتفع يُحْف بها ربض بأعلى الجبل ، وحول الرّض في الجبل زراعتهم وبساتينهم . وقد ذكر في "التعريف" : أن اسم صاحبها في زمانه (زكريا) ولم يزد على ذلك . وهي غير مدينة قراصار الصاحب . وهي مدينة لطيفة بأوساط بلاد الروم في الغرب عن قراصار هذه وفي الشمال عن أنطاليا .

القاعدة السادسة عشرة — (أرمناك) بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الميم وفتح النون وألف ثم كاف في الآخر . وهي مدينة في مشارق الروم، مبنية

بالمجر غير مسورة ؛ وبها مساجد واسواق وحمامات ؛ وبها بساتين كثيرة وفواكه
جمّة إلا أنها شديدة البرد . وقد ذكر في " التعريف " : أنها بيد أولاد قرمان .
وذكر في " مسالك الأبصار " : أن المملكة كانت بيد (محمد بن قرمان) . وذكر
في " التتيف " : أن آخر من استقر بها في شوال سنة سبع وستين وسبعائة
(علاء الدين علي بك) بن قرمان .



وأما ما زاد ذكره في " التتيف " : فخمس قواعد :

القاعدة الأولى - (العلّايّ) بفتح العين المهملة واللام وألف بعدها ثم ياء
منشأة تحت وألف في الآخر . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة .
قال في " تهويم البلدان " : والقياس أنها حيث الطول اثنتان وخمسون درجة ،
والعرض تسع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال : وهي بلدة محدثة أنشأها
(علاء الدين علي) بعض ملوك بني سلجوق بالروم فنسبت إليه . وقيل لها (العلّائية)
على النسب ، ثم خففها الناس ، فقالوا : (العلّايّ) ثم قال : والذي تحقق عندي
من جماعة قديموا منها أنها بليدة صغيرة أصغر من أظاليّا على دخلة في بحر الروم .
وهي من قرص تلك البلاد . وذكر أنها في الجنوب عن أظاليّا على مسيرة يومين ،
وعليها سور دائريّ وأنها كثيرة المياه والساتين . وقد ذكر في " التتيف " : أن الحاكم
بها في زمانه كان اسمه (حسام الدين محمود) بن علاء الدين . وقال : إنه كتب إليه
عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية في شوال سنة سبع وستين وسبعائة ، ولم يبين
من أية طوائف الترككان هو . وذكر في " مسالك الأبصار " : أنها في ساحل بلاد
بني قرمان ، وأن الحاكم بها من قبلهم حينئذ كان اسمه (يوسف) .

القاعدة الثانية — (بَلَّاط) بفتح الباء الموحدة واللام وألف ثم طاء مهملة في الآخر . وهي بلدة بأوساط الروم على نحو ثمانٍ مراحلٍ من بُرسَا ؛ وهي مدينة صغيرة بغير سور، وبها قلعةٌ خرابٌ كانت مبنيّةً بالرخام؛ وبها مساجدٌ وأسواقٌ وأربعُ حَمَّاماتٍ . ذكر لي بعضُ أهل تلك البلاد أنها بيد أولاد (متنشا) من ملوك التُّركمان .

القاعدة الثالثة — (أَكْرَدُور) بفتح الهمزة والكاف وسكون الراء وضم الدال المهملتين وسكون الواو وراء مهلة في الآخر . قال في "التتقيف" : ويقال أكردون بالنون بدل الراء الأخيرة . وهي بلدة غير مسورة بها قلعة عظيمة على جبل شاهق، وبها مساجدٌ وأسواقٌ وحَمَّاماتٍ ، إلا أنَّ بساطينها قليلة، وبها بُرْجٌ عظيم .

القاعدة الرابعة — (أَيَّاسُ لُوقُ) بفتح الهمزة والياء المثناة تحت وألف ثم سين مهملتان ساكنتان ولام مضمومة بعدها واو ساكنة ثم كاف في الآخر . وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر الرومي ، بها المساجدُ والأسواقُ والحَمَّاماتُ ؛ وبها أعينٌ وأنهارٌ تجري وبساتينٌ ذاتُ فواكه . وقد أخبرني بعض أهل تلك البلاد أنها في ملك بنى أيدين .

القاعدة الخامسة — (سُتُوب) . قال في "تقويم البلدان" : بالسین المهملّة والنون والواو وباء موحدة في الآخر ولم يقيدها بالضبط . وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ سبع وخمسون درجة ، والعرضُ ستُّ وأربعون درجةً وأربعون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قُوزة مشهورة (يعني على بحر القيرم) . ثم قال : وهي في الشمال عن كَسْطُمُونِيَّةَ وفي القرب عن سَامْسُون . قال : وعن بعض النُّقّاش أن بسُتُوبَ سُوراً حصيناً ، يضربُ البحرُ في بعض أبراجه . ولها بساتينٌ كثيرةٌ إلى الغاية ؛ ويذنها وبين سَامْسُون نحو

أربع مراحِل . ثم قال : وصاحب سنوب في زماننا من ولد البرواناه ، وله شواهد يغزوها في البحر ولا يكاد أن ينقهر . وذكر في " مسالك الأبصار " : أنها من مضافات كَسْطُمُونِيَّة المقدم ذكرها ، وأنه كان بها في زمانه نائب من جهة (إبراهيم ابن سليمان باشاه) صاحب كَسْطُمُونِيَّة اسمه غازي چلي . وقال في " التتيف " : يقال إن بها إبراهيم بك بن سليمان باشاه ، فإن كان يريد الذي كان في زمن صاحب " مسالك الأبصار " : بكَسْطُمُونِيَّة ، فقد أبعد المرحى . وإن كان آخر بعده كان سُمِّي باسمه ، فيحتمل أنه في " التعريف " قد ذكر صاحبها في جملة ملوك الكُفَر وكان ذلك كان قبل أن تُفتح .

الضرب الثاني

(من هذه البلاد ما لم يَسْقِ إلى صاحبه مكتبة)

عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، ممن هو بصدد أن تَطْرأ له

مكتبة ، فيحتاج إلى معرفته)

وهي مئة قواعِد :

منها (سيواس) . قال في " تقويم البلدان " : بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الواو ثم ألف وسين مهملة في الآخر . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " : حيثُ الطولُ إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرضُ أربعون درجة وعشر دقائق . قال ابن سعيد : وهي من أمهات البلاد مشهورة على ألسنة التجار ، وهي في بَسيط من الأرض . قال في " تقويم البلدان " : وهي بلدة كبيرة مسورة ، وبها قلعة صغيرة ذاتُ أعين ، والشجر

بها قليل، ونهرها الكبير بعيدٌ عنها بمقدار نصف فرسخ . قال : ويقول المسافرون : إن فيها [أربعاً^(١)] وعشرين خاناً للسبيل؛ وهى شديدة البرد، وبينها وبين قيسارية ستون ميلاً؛ وكانت ميساوس هذه قد غلب عليها فى الأيام الظاهرية « برقوق » صاحب الديار المصرية قاضياً (القاضى إبراهيم) وملكها .

ومنها (أناسية) . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة والميم وألف وكسر السين المهملة ثم ياء مثناة تحتية مفتوحة وهاء فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال فى "رسم المعمور" : حيث الطول سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمس وأربعون درجة . قال فى "تقويم البلدان" : ذكر بعض من رآها أنها بلدة كبيرة ذات سور وقلعة، وفيها بساين ونهر كبير عليه نواصير، يمر عليها ثم يصب فى بحر سنوب يعنى بحر القرم . قال ابن سعيد : وهى من مدن الحكاء، وهى مشهورة بالحسن وكثرة المياه والبساين والكروم، وهى فى الشرق عن سنوب وبينهما ستة أيام . ثم قال : وذكر بعض من رآها أن بها معدن فضة .

ومنها (هرقلية) . قال فى "تقويم البلدان" : بكسر الهمزة وفتح الراء المهملة وسكون القاف وفتح اللام ثم هاء فى الآخر . وموقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة قال فى "الأطوال" : حيث الطول سبع وخمسون درجة وعشرون دقيقة، والعرض إحدى وأربعون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن سعيد : وهى فى شرق نهر يتزل من جبل العاليا إلى نحو سنوب وهرقلية عليه فى قرب البحر . قال : وهى التى هدمها الرشيد . قال : وفى شرقها جبل الكهف .

وقد حكى ابن خردادبة في كتابه "المسالك والممالك" عن بعضهم أنه سار إلى هذا الكهف ودخل بمساعدة صاحب الروم فوجد به أموالاً بَرُوقاً في كهف في جبلٍ عليهم مُسُوحٌ قد طال عليها الزمن حتى صارت تَفْرِكُ باليد ، وقد طليت أجسادهم بالمرِّ والصبر فلم يَبْلَوْا ، وَلِصَقَتْ جلودهم بِعَظَامِهِمْ ، وَجَفَّتْ ، وَعِنْدَهُمْ بَادِنٌ يَحْتُمُّهُمْ ، وأنه أنكر أن يكون أولئك هم أهل الكهف المذكورون في القرآن ، للاختلاف في محلِّ الكَهْف هل هو في هذه البلاد أو غيرها .

ومنها (أَقْسَرَا) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح السين والراء المهملتين وألف في الآخر، وربما أبدلت السين صاداً مهملَةً . قال : ويقال إن أصلها (أَخْ سَرَا) يعني بالخلاء المعجمة بدل القاف . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيثُ الطولُ خمس وسبعون درجةً ، والعرضُ أربعون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينةٌ ذاتُ أشجار وفواكِه ، ولها نهر كبيرٌ يَجْرُ وسطَ البلد ويدخلُ الماءُ منه بعضُ بيوتها ، ولها قلعة حصينة في وَسَطِهَا . قال ابن سعيد : وبها تعملُ البُسُطُ الأَقْصَرِيَّةُ الفاتكة ؛ ومنها إلى قُوَيْنَةَ ثمانية وأربعون فرسخاً ، وكذلك بينها وبين قَيْسَارِيَّةَ .

ومنها (قَيْسَارِيَّةٌ) . قال في "اللباب" : بفتح القاف وسكون المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وألف ثم راء مهملَةً وياء مثناة تحتية مفتوحة مشددة وهاء في الآخر قال في "تقويم البلدان" : وتقال بالصاد المهملة بدل السين . قال ابن سعيد : وهي منسوبة إلى قَيْسَرٍ ، وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيثُ الطولُ ستون درجة والعرضُ أربعون درجة . قال ابن سعيد : وهي مدينةٌ جبليةٌ يحلُّها سلطان البلاد . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلدةٌ كبيرةٌ

ذات أشجار وبساتين وفواكه وعيون تدخل إليها . ودخلها قلعة حصينة ،
وبها دار للسلطنة .

وقيسارية هذه كان بها تخت السلطنة لبني سلجوق بهذه البلاد . ولما ملك التتر
هذه البلاد بقوا بقيامهم في الملك إلى أن دخلها السلطان الملك (الظاهر بيبرس) .
صاحب الديار المصرية ، وجلس على تخت آل سلجوق بها ، ثم عاد إلى الديار
المصرية فزال ملك السلجوقية منها من حينئذ ، على ما سيأتي ذكره في الكلام على
ملوك هذه البلاد .

ومنها (قونية) . قال في " تقويم البلدان " : بضم القاف وسكون الواو وكسر
النون وبعدها ياء مثناة من تحت مفتوحة وهاء في الآخر . وموقعها في الإقليم الخامس
من الأقاليم السبعة قال في " الأطوال " : حيث الطول ست ونمسون درجة ،
والعرض تسع وثلاثون درجة . قال ابن سعيد : وهي مدينة مشهورة ، وبها دار
للسلطنة ، والجبال مطيقة بها من كل جانب ، وتبعد عنها من جهة الشمال . ويتزل
من الجبل الجنوبي منها نهر يدخل إليها من غربيها ، وبها البساتين من جهة الجبل
على نحو ستة فراعص ، ونهرها يسقى بساتينها ، ثم يصير بحيرة ومروجا ، وبها القواكه
الكثيرة ، وفيها يوجد المشمش المعروف بقمر الدين ، وهي ثاني قاعدة مملكة
السلجوقية ببلاد الروم ، كان الملك ينتقل منها إلى قيسارية ، ومن قيسارية إليها .
قال ابن سعيد [وبقلعتها تربة ^(١)] أفلاطون الحكيم .

ومنها (أقي شهر) بفتح الهمزة ثم قاف ساكنة وشين معجمة مفتوحة وهاء
ساكنة وراء مهمل في الآخر ، كما في " تقويم البلدان " : عمن يؤتى به من

(١) يباح بالأصل والتصحيح عن تقويم البلدان .

أهل المعرفة ، وربما أبدلوا الماء ألفا فقالوا (أَقْشَار) . وفي كتاب " الأطوال " :
(أَخْ شَهْر) بإبدال القاف خاء معجمة . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم
السبعة ، قال في " الأطوال " : حيثُ الطولُ خمس وخمسون درجةً ، والعرضُ
إحدى وأربعون درجةً . قال ابن سعيد : وهي من أنزه البُلدان ، وبها بساينٌ
كثيرة وفواكه مفضلة . قال في " تقويم البلدان " : وأخبرني من رآها أنها على
ثلاثة أيام من قونية شمالاً بغرب .

ومنها (عَمُورِيَّة) . قال في " تقويم البلدان " : بفتح العين المهملة وميم مشددة
مضدومة وواو ساكنة وراء مهملة مكسورة ثم ياء مثناة من تحت مفتوحة وهاء
في الآخر . قال : وهي بلدة كبيرة ، ولها قلعة داخلها حصينة ، وأكثر ساكنيها
التركيان وبها بساينٌ قليلٌ ، ولها نهر وأعينٌ جارية ، وهي التي فصحا « المعتصمُ
ابنُ الرشيد » : أحد خلفاء بني العباس ، وكان المنجمون قد زعموا أنها لا تفتح
إلا في زمان التين والعنب ، فلما فصحا أنشده أبو تمام قصيدته التي أولها :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ * فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْحَدِّ وَالْعَلَبِ !

ومنها (أَنْكُورِيَّة) . قال في " تقويم البلدان " : بفتح الهيمزة وسكون النون وضم
الكاف وسكون الواو وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة تحتية مكسورة ^(١) وهاء في الآخر .
ويقال لها (أَنْقَرَةُ) أيضا بفتح الهيمزة وسكون النون ثم قاف وراء مهملة وهاء
في الآخر . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " :
حيثُ الطولُ أربع وخمسون درجةً ، والعرضُ إحدى وأربعون درجةً . قال ابن

(١) كذا في التقويم أيضا مضيا عليه بلامه التوقف ولعله مصحف عن مفتوحة وبنظايرها كثيرة مثل
أرمينية وعمورية وإطلاكية الخ .

سعيد : وهى بلدة لما قلعة على تل عالٍ ، وهى بين الجبال ، وليس بها بساكنين ولا ماء ، وشرب أهلها من الآبار ؛ وهى عن قسطنطينية فى جهة الغرب على خمسة أيام .

ومنها (فَلَكُ بَار) . قال فى "تقويم البلدان" : الفَلَكُ معروف ، وبأرباء موحدة وألف وراء مهمل فى آخرها . قال : وهى مدينة أنشأها ملك من ملوك بنى الحميد اسمه (فَلَكُ الدين) وهى فى مستوي من الأرض فى وسط الجبال على قريب من منتصف الطريق بين قونية والعلايا ، فى الغرب من قونية على مسيرة خمسة أيام ، وهى فى الشرق عن أنطاليا على مسيرة خمسة أيام . قال : وليس فى تلك الجبال الآن مدينة أكبر منها ، وقد صارت قاعدة لبنى الحميد : ملوك التركمان بتلك الناحية .

ومنها (لَا زَنْدَةُ) . قال فى "تقويم البلدان" : بلام وألف وراء مهمل مفتوحة ونون ساكنة ثم دال مهمل وهاء فى الآخر . قال : وهى قرية من قونية على مسافة يوم من الشرق والشمال ، حيث الطول سبع وخمسون درجة ، والعرض أربعون درجة وثلاثون دقيقة .

وقد تقدم فى الكلام على مملكة الشام من مضافات الديار المصرية أن مدينة ملطية دخلت فى مملكة مصر ومضافاتها فصارت فى معاملة حلب .

والحتم انه قد تقدم أن خليج القسطنطينية وما اتصل به من بحر نيطنش المعروف ببحر انبرم يطيف بهذه البلاد من غربها وشمالها ، وعلى ساحل هذا البحر عدة قرى منتظمة فى سلك هذه البلاد قد ذكرها فى "تقويم البلدان" فى الكلام على مملكة أرمينية وماعها ، وأشار إليها فى الكلام على هذا البحر عند ذكره له فى جملة البحار على ما تقدمت الإشارة إليه فى الكلام على البحار فى أول هذه المقالة ، غالبها فى مملكة ابن عثمان صاحب برسا .

أوطا (الجرون) . وهى قلعة خراب عند قِمِّ الخليج القسطنطينى من الجهة الشمالية مقابل القُسْطَنْطِينِيَّة، حيثُ الطول نحوون درجة، والعرضُ خمس وأربعون درجة وعشر دقائق .

ويلها من جهة الشمال بِمَيْلَةٍ إلى الشرق مدينة أسمها (كَرِي) بكاف وراء مهملة ثم باء موحدة وياء مثناة تحت فى الآخر .

ويلها فى الشرق مدينة أسمها (بَنْتَر) بباء موحدة ونون وتاء مثناة فوق وراء مهملة .

ويلها فى الشرق والشمال بلدة أسمها (سامصرى) بسين مهملة وألف ثم ميم وصاد وراء مهملتين وألف فى الآخر .

ويلها فى الشرق أيضا مدينة أسمها (كُتُرُو) بكاف وتاء مثناة من فوق ثم راء وواو فى الآخر وهى آخر أعمال قسطنطينية .

ويلها فى الشرق مدينة أسمها (كِينُولِي) بكسر الكاف وسكون المثناة التحتية وضم النون وسكون الواو وكسر اللام وياء مثناة من تحت فى الآخر .

ويلها فى جهة الغرب (قُرْضَة سَتُوب) المقدم ذكرها فى الكلام على ما زاده فى " التقيف " .

ويلها من جهة الشرق مدينة (سَامْسُون) المقدم ذكرها فى الكلام على الضرب الثانى من هذه البلاد .

ويلها فى جهة الشرق أيضا مدينة (أَطْرَابُون) بألف وطاء وراء مهملتين وباء موحدة بعدها زاي معجمة ثم واو ونون . وهى آخر مُدُن هذه البلاد على الساحل، ومنها ينتهى إلى ساحل بلاد الكُرْج على ما تقدم الكلام عليه فى الكلام على بحر نيطلش .

الجملة الثانية

(في ذكر الموجود بهذه البلاد)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ حيدر العريان الرومي : أن بها من المواشي الخليل ، والبقر ، والغنم مالا يقع عليه عدد ولا يدخل تحت الإحصاء ، ويتاج بلادهم من الخليل هي البراذين الرومية الفاتحة . وقد تقدم الكلام على القسطنطينيات منها في الكلام على قسطنطينية ؛ ويطلب إليهم العربيات من بلاد الشام وغيرها ؛ وأكثر مواشيهم نتاجا الغنم . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مما يئسط فرش الأرض [منها] . قال : ومنها المعز المرعزي ، ذوات الأوبار المضاهية لأنهم الحرير . ثم قال : وغالب قينة أهل الشام وديار بكر والعراق وبلاد السج وذبائحهم مما يفضل عنها ويطلب إليها منها ، وهي أطيب أغنام البلاد تحما ، وأشهاها تنحما ، ويرتب على ذلك في كثرة الوجود الألبان وما يتحصل عنها من السمن والجبن وغير ذلك . وبها من الحبوب القمح ، والشعير ، والباقل ونحوها ؛ ويزرع بها الكتان ، والقطن الكثير ؛ وبها من الفواكه كل ما يوجد بمصر والشام من التفاح ، والسفرجل ، والكثير ، والقراصيا ، والإجاص ، والرمان : الحلو والمز والحامض ، وغير ذلك . أما الحمضات فلا توجد إلا ببلاد السواحل من بلادهم على ما تقدم ذكره ؛ والموز والتفاح لا يوجد ببلادهم ؛ وبها من العسل ما يضيئ التلج بياضا والسكر لذاعة وطعما ، لاحقة فيه ولا إفراط حلاوة توقف الأكل عنه ، إلى غير ذلك من الأشياء التي يطول ذكرها . وقد هتمت أن بها معدن فضة بملينة برسا ، ومعدن فضة بأماسية . وذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ حيدر العريان أن بها ثلاثة معادن فضة مستمرة العمل : معدن بملينة ركوة ، ومعدن بملينة كش ، ومعدن بأراضي مدينة تانريت .

الجملة الثالثة

(في معاملاتها وأسعارها)

أما معاملاتها، فقد ذكر في "مسالك الأبحار" عن الشيخ حيدر العريان أن الملوك التركمان هؤلاء هودا ولكن لا يروج نقد واحد منهم في بلاد الآخر. قال: ودرهمهم في الغالب تقدير نصف وربع درهم من نقد مصر؛ وأرطالهم مختلفة، وأكثرها بالتقريب زنة اثني عشر رطلا بالمصرية، وأقلها ثمانية أرطال، وكلهم الذي تباع به الفلّات يسمى الوط تقدير إردب ونصف بالمصرية.

وأما أسعارها، فقد ذكر أنها رخيصة رخيصة الأسعار للغاية لقلّة المكوس وكثرة المراعى وأنساع أسباب التجارة واكتناف البحر لها من كل جانب بحيث يعمل إليها على ظهوره كل شيء مما لا يوجد فيها. قال: وقيمة الفلّات بها دون قيمتها بمصر والشام أو مثلهما في الغالب. والأغنام في غاية الرخص، حتى إن الرأس الغنم الجيد لا يتجاوز اثني عشر درهما من دراهمهم، يكون بنحو تسعة دراهم من دراهم مصر لما ما دون ذلك، ويرتب على ذلك رخص اللحم. أما اللبن وما يعمل منه فإنه لا يكاد يوجد من يشتريه: لاستغناء كل أحد بما عنده من لبن مواشيه، لا سيما في زمن الربيع. قال: والعسل لا يتجاوز الرطل منه ثلاثة دراهم برطلهم ودرهمهم، وهو (ذلك الرطل الكبير والدرهم الصغير) والتواكه في أوانها في حكم اللبن وما في معناه في زمن الربيع، في عدم وجود من يشتريه. ثم قال: وبالجملة فبلاد الروم إذا غلت وأحطت كانت كسر الشام إذا أقبل وأرخص.

الجملة الرابعة

(في ذكر مَنْ ملك هذه البلاد)

قد ذكر ابن سعيد : أن هذه البلاد كانت بيد اليونان ، وهم بنو يونان بن حلجان ابن يافث بن نوح عليه السلام من جملة ما بيدهم قبل أن يغلب عليهم الروم ؛ ثم غلب عليها الروم بعد ذلك فيما غلبوهم عليه ، واستمرت بأيديهم في مملكة صاحب القُسطنطينية على ما سيأتي ذكره في الكلام على مملكة القُسطنطينية فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وكان كل مَنْ ملك هذه البلاد التي شرقيّ الخليج القُسطنطيني يسمى (الْمُسْتَق) بضم النال المهملة وفتح الميم وسكون السين المهملة والتاء المثناة فوق وقاف في الآخر، وله ذكر في حروب الإسلام . قال في "العبر" : وكان تغور الساميين حيثلذ من جهة الشام (مَلَطِيَّة) ومن جهة أذربيجان (أَرْمِينِيَّة) إلى أن دخل بعض قرابة (طُغْرُبُك) أحد ملوك السُّلجُوقِيَّة في عسكري إلى بلاد الروم هذه فلم يظفروا منها بشيء .

ثم دخلها بعد ذلك (نماني) أحد أمراءهم بعد الثلاثين وأربعائة ، ففتح وغنم وأتى في بلادهم حتى صار من القُسطنطينية على خمس عشرة مرحلة ؛ وبلغ سببه مائة ألف رأس ، والغنائم عشرة آلاف عجلة ، والظهُرُ مالا يُحصى .

ثم فتح (قطلمش) بن إسرائيل بن سُلجُوق قونية ، وأقصرًا ، وأعمالها ؛ ثم وقعت الفتنة بين قطلمش وبين (ألب أرسلان) السُّلجُوق بعد طُغْرُبُك ، وقُتِل قطلمش في حربه في سنة ست وخمسين وأربعائة .

وملك البلاد من بعده (أبنة سليمان) ثم كان بين سليمان ومسلم بن قريش صاحب الشام حروباً أنهزم سليمان في بعضها ووطن نفسه بختجرات في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

وملك بعده أبنة (قليج أرسلان) تلك البلاد ، ثم قُتل قليج أرسلان في بعض الوقائع .

وولي مكانه بقونية وأقصرًا وسائر بلاد الروم أبنة (مسعود) وأستقام له ملكها ، ثم توفي مسعود بن قليج أرسلان سنة إحدى وخمسين وخمسمائة .

وملك بعده أبنة (قليج أرسلان) .

ثم قسم قليج أرسلان المذكور هذه البلاد بين أولاده : فأعطى قونية وأعمالها لابنة (غياث الدين كيخسرو) وأقصرًا وسواس لابنة (قطب الدين) ودوقات لابنة (ركن الدين سليمان) وأنكورية لابنة (عبي الدين) وملطية لابنة (عز الدين قيصرشاه) والأبلستين لابنة (غياث الدين) وقيسارية لابنة (نور الدين محمود) وأعطى أماسية لابن أخيه . ثم ندم على هذه القسمة ، وأراد أنزع الأعمال من أولاده فخرجوا عن طاعته إلا أبنة غياث الدين كيخسرو صاحب قونية فإنه بقي معه . وحاصر أبنة محمودا في قيسارية فتوفي وهو محاصر لها في منتصف شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

وأستقل غياث الدين كيخسرو بقونية وما والاها .

ثم ملكها من يده أخوه (نور الدين محمود) .

ثم ملك (قطب الدين) صاحب أقصرًا وسواس قيسارية من يد أخيه محمود فدارا ، ثم مات قطب الدين في أثر ذلك .

فلك أخوه (ركن الدين سليمان) صاحب دُوقاط ما كان بيد أخيه قطب الدين من سيواس وأقصرًا وقيسارية . ثم ملك قونية بعد ذلك من يد أخيه غياث الدين . ثم ملك أماسية ، ثم سار إلى ملطية ، فلحقها من يد عز الدين قيصر شاه سنة سبع وتسعين وخمسة . ثم ملك أنكورية بعد ذلك في سنة إحدى وستائة ، وأجمع لركن الدين سليمان سائر أعمال إخوته وتوفى عقب ذلك .

وتوفى بعده ابنه (قليج أرسلان) فأقام يسيرا ثم قبض عليه أهل قونية وملكوا عمه غياث الدين كيخسرو مكانه ققوى ملكه وعظم شأنه ، وبقي حتى قُتل في حرب صاحب القسطنطينية سنة سبع وستائة .

وملك بعده ابنه (كيكاوس) وتلقب الغالب باقه ، وبقي حتى مات سنة ست عشرة وستائة ، وخلف بين صغاراً .

وملك بعده أخوه (علاء الدين كيقياد محمد شاه) وبقي حتى توفى سنة أربع وثلاثين وستائة .

وملك بعده ابنه (غياث الدين كيخسرو) وتوفى سنة أربع وخمسين وستائة .
وملك بعده ابنه (علاء الدين كيقياد) بعهد من أبيه . وفي أيامه أرسل القان (منكوقان بن جنكوزخان) صاحب التخت بقرأقوم عسكراً فاستولوا على قيسارية ومسيرة شهر معها ورجعوا إلى بلادهم . ثم عادوا في سنة خمس وخمسين وستائة واستولوا على ما كانوا استولوا عليه أولاً وزادوا عليه ؛ فسار علاء الدين كيقياد إلى القان بهدياً استصحبها معه مصانفاً له فمات في طريقه ؛ فوصل رفقته بما معهم من الهدايا إلى القان ، فأخبروه الخبر ، ورغبوا إليه في ولاية (عز الدين كيكاوس) أنى كيقياد المذكور فكتب القان إليه بالولاية ؛ ثم أشرك بعد ذلك بينه وبين أخيه

(ركن الدين قليج أرسلان) على أن يكون من سيواس إلى نُجُوم القسطنطينية غربا
لعز الدين كيكاوس . ومن سيواس إلى أرزن الروم شرقا متصلا ببلاد التتر ،
ركن الدين قليج أرسلان ، على إتاوة تُحمَل إلى القان بقرأقوم ؛ وجَهَّز القان من
أمرائه أميرا اسمه (بيدو) على أن يكون شحنة له ببلاد الروم ، لا يتفقدون في شيء
إلا عن رأيه ، ورجعوا إلى بلادهم ، وقد حملوا معهم جثة كيقباد إلى قونية فدفنوه
بها . ولم يزل الأمر على ذلك حتى سار هولاكو بن طولی بن جنكخان بعد استيلائه
على بغداد إلى الشام في سنة ثمان وخمسين ومائة ، بعث إلى عز الدين كيكاوس ،
وركن الدين قليج أرسلان المذكورين بالطلب ، فحضرأ إليه وحضرأ معه فتح حلب ،
ومعهما معين الدين سليمان البرواناه صاحب دقلم ، فاختر هولاكو أن يكون
البرواناه المذكور سفيراً بينه وبينهما ؛ ثم هلك بيدو الشحنة ببلاد الروم .

وولى بعده أبنه (صمغان) ثم غلب ركن الدين قليج أرسلان على أخيه (عز الدين
كيكاوس) وبقي في الملك وحده ، وفزع كيكاوس إلى (ميخائيل الشكري) صاحب
القسطنطينية ، فأقام عنده حتى بلغه عنه ما غير خاطره عليه فقبض عليه وأعتقله
حتى مات .

وأسبذ ركن الدين قليج أرسلان بسائر بلاد الروم ، فطلب على أمره معين الدين
سليمان البرواناه المقدم ذكره ؛ ولم يزل حتى قتله .

وأقام أبنه (غياث الدين كيخسرو) بن قليج أرسلان مكانه وأستولى عليه وحججه ،
وصار البرواناه هو المستولى على بلاد الروم والقائم بملكها .

ثم دخل (الظاهر بيبرس) صاحب الديار المصرية إلى بلاد الروم في سنة خمس
ومسعين ومائة ، ولقبه صمغان بن بيدو الشحنة من جهة التتر على بلاد الروم

في جيش التتر، فهزمهم وقتل وأسر، ومار إلى قيسارية فملكها وجلس على تخت آل سلجوق بها، ثم رجع إلى بلاده .

ويبلغ ذلك (أبنا) بن هولاكو صاحب إيران، فسار في جموعه إلى قيسارية ورأى مصارع قومه فشق عليه، وآتهم البرواناه في ممالأه الظاهر، فقبض عليه وقتله .

وأستقل (غياث الدين كيخسرو) بن ركن الدين قليج أرسلان بالملك بعده .

ثم لما ولي (أرغون) بن أبنا مملكة إيران بعد أبيه، قبض على غياث الدين كيخسرو وقتله في سنة إحدى وثمانين وسبعمائة .

وأقام مكانه (مسعودا) ابن عمه ككاؤس، وعزل صفغان بن بيدو الشحنة . وولى مكانه أميرا اسمه (أولاكو) وبقى مسعود بن كيخسرو في الملك وليس له منه سوى الأسم، والمتحدث هو الشحنة الذي من جهة التتر إلى أن مات في سنة ثمان عشرة وسبعمائة، وأستقل الشحنة بالمملكة . وبقى أمراء التتر يتغالبون على الشنكية واحدا بعد واحد إلى أن كان منهم الأمير (سلامش) وبقى بها مدة . ثم انحرف عن طاعة بيت هولاكو صاحب إيران، وكتب إلى الملك المنصور لاجين صاحب الديار المصرية يطلب تقليدا بأن يكون حاكما بجميع بلاد الروم، وأن يكون (أولاد قرمان) ومن عداهم في طاعته، فكتب له تقليد بذلك بإنشاء الشيخ شهاب الدين «محمود الحلبي» على ما سيأتي ذكره في الكلام على التقاليد فيما بعد إن شاء الله تعالى في المقالة الخامسة .

ثم خاف على نفسه من (غازان) صاحب إيران، ففر إلى الديار المصرية في الدولة المنصورية لاجين، ثم عاد إلى بلاد الروم لإحضار من تأثر من أهله فقبضت عليه

عساكر غازان وحملته إليه قتلته . ولم يزل أمرهم على التنقل من أمير إلى أمير من أمراء التتر إلى أن كان منهم الأمير (برغل) وهو الذى قتل هيتوم ملك الأرمن صاحب سيس . ثم كان بعده فى سنة عشرين وسبعائة الأمير (إسبغا) .

ثم وثى أبو سعيد صاحب إيران بعد ذلك على بلاد الروم هذه (دِير دَاش) ابن جويان سنة ثلاث وعشرين وسبعائة فقوى بها ملكه . ثم قتل أبو سعيد جويان والد دِير دَاش المذكور ، فهرب دِير دَاش إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية . وكان سُتقر الأشقر أحد أمراء الملك الناصر قد هرب إلى السلطان أبى سعيد فوقع الصلح بين السلطانين على أن كلا منهما يقتل الذى عنده ففعل ذلك .

وكان قد بقي ببلاد الروم أمير من أمراء دِير دَاش اسمه (أرتا) فبعث إلى أبى سعيد بطاعته ، فولاه البلاد فلحمها ، فقتل سيواس وأخذها كرسيا لملكه ، ثم خرج عن طاعة أبى سعيد وكتب إلى الناصر «محمد بن قلاوون» صاحب الديار المصرية ، وسأله كتابة تقليد بالبلاد ، فكتب إليه بذلك وجُهِزَتْ إليه الخيل ، فأقام دعوة الخطبة الناصرية على منابر البلاد الرومية ، وضرب السكة باسمه ، وجُهِزَ بعض الدراهم المضروبة إلى الديار المصرية ، وصارت بلاد الروم هذه من مضافات الديار المصرية ، ولم يزل (أرتا) على ذلك إلى أن توفى سنة ثلاث وخمسين وسبعائة .

وأستولى على الروم أولاده من بعده إلى أن كان بها (محمد بن أرتا) فى سنة ست وستين وسبعائة ، وجي حتى توفى فى حدود الثمانين والسبعائة وخلف أبنا صغيرا . فاستولى عليه الأمير (قليج أرسلان) أحد أمراء دولتهم وكفله .

ثم غدر به (القاضي إبراهيم) صاحب سيواس وقتله في سنة اثنتين وتسعين وسبعائة وأستولى على مملكة سيواس .

قال في "العبر" : وكان من طوائف التُّركُان ببلاد الروم جموعٌ كثيرةٌ ، كانوا يستعينون بهم في حروبهم على أعدائهم ؛ وكان كثيرهم في المائة الرابعة أميرا من أمرائهم اسمه (جق) فلما ملك سليمان بن قطلمش المقدم ذكره قونيةً وأقصرًا بعد أبيه على ما تقدم ذكره ، خرج جق هذا مع « مسلم بن قريش » صاحب الموصل على سليمان بن قطلمش . فلما ألقى الجمعان مال (جق) بمن معه من التُّركُان إلى سليمان بن قطلمش ، فانهزم مسلم بن قريش وقُتل ، وأقام أولئك التُّركُان أيام سليمان بن قطلمش بيجبال تلك البلاد وسواحلها . فلما ملك التتر هذه البلاد وصار الملك قليج أرسلان بعد غلبة أخيه كيكاؤس ، كان أمراء التُّركُان يومئذ (محمد بك) وأخوه (إلياس بك) وصهره (على بك) وقريبه (سونج) فخرجوا عن طاعة قليج أرسلان وبعثوا بطاعتهم إلى هولاكو صاحب إيران وتقرير إتاقية عليهم على أن يبعث إليهم بلواء الملك على عادة الملوك ، وأن يبعث شحنة من التتر تختص بهم ، فأجابهم إلى ذلك وقلدهم الملك وبعث إليهم بلواء . فلما كوا عليهم (محمد بك) .

ثم أرسل هولاكو يطلب محمد بك ، فأمتنع عليه وخالفه صهره على بك فقدم على هولاكو فقتله على قومه مكان محمد بك . ثم جاء محمد بك إلى قليج أرسلان صاحب بلاد الروم مستأينا فأمنه ثم قتله ، وأستقر على بك في إمرة التُّركُان .

ولما تناقص أمر التتر وضعف ببلاد الروم المذكورة وأستقر بنو أرتنا بسيواس وأعمالها ؛ غلب هؤلاء على ما وراء الدروب وما كان فتحه التتر من نواحي الشمال إلى خليج القسطنطينية .

وأشتهر من ملوكهم ست طوائف :

(١) في الأصل « ثم غلب هولاكو الخ » وهو خطأ والصواب ما اجتأه قلا عن "البرج" ص ٥٦٢ .

الطائفة الأولى

(أولاد قرمان)

وهم أصحاب أرميناك وقسطمونية وما والاها من شرق هذه البلاد كما تقدم . قال في "مسالك الأبصار" : وهم أهل بيت توارثوا هذه البلاد ، ولا يُخاطَب قائم منهم إلا بالإمارة . قال في "التعريف" : وهم أهل من لدى ملوكنا من التتر كان : لقرب ديارهم ، وتواصل أخبارهم ، ولنكايتهم في ممالك سبيس وأهل بلاد الأرمن ، وأجتياحهم لهم من ذلك الجانب ، مثل اجتياح عساكرنا لهم من هذا الجانب . قال : وأكبرهم قدرا ، وأتمكهم نابا وظفرا ، الأمير (بهاء الدين موسى) وحضر إلى باب السلطان وتلقى بالإجلال ؛ وأحل في ممتد الظلال ، وأورد موارد الزلال ، وأرى ميامن أسعد من طلعة الهلال ، وجمع مع الركب المصري وقضى المناسك ، وأسبل في ثرى تلك الربا بقية دمه المتناسك ؛ وشكر أمراء الركب دينه المتين ، وذكروا ما فيه من حسن اليقين ، وطاد إلى الأبواب السلطانية ، وأجلس في المرتين مع أمراء المشورة ، فأشرك في الرأي وسأل السلطان في منشور يكتب له بما يفتح بسيفه من بلاد الأرمن ليقاتل بعلمه المنشور ، ويختمني من حجر المران جنى عسله المنشور ، فكتبه له .

ثم قال : وهم على ما هم عليه يدارون ملوك التتر ، وهو من سلف من أهل بيته مع ملوك مصر لأتقن المكاتبات بينهم ، ولا ينقطع بذل خدمته لهم ، وإقبالهم عليه ، واعتدائهم بمواليتهم .

قال في "مسالك الأبصار" : وهم عصابة ذات أيد ويد ، وجوش كثيرة العدد ؛ وهم أصحاب الجروب التي ضمعت الحبال ؛ ولم مع الأرمن وبلاد التكمفود ، وقائع

لا يَحْمِلُهَا إِلَّا الْكَفُّورُ ؛ تَنْخَطِفُهُمْ عِقَابُهُمُ الْقَسَائِمُ [وَتَلْتَمِهُمُ^(١)] أَسْوَدُهُمُ الضَّرَائِمُ .
قال : وهم أهل بيت ألقى الله عليهم حبةً منه ، وإذا شاء أميرهم جمع أربعين ألفاً .
ثم ذكر بعد ذلك بكلام طويل أنهم هم الذين كانوا القوا بين سلامش وبين المنصور
لاجين ، وأنهم هم الذين لا يُرتاب في رأيهم ، ولا يُطعن في دينهم ، بل مهما ورد
من جهتهم تُلْقَى بالقبول ، وحمل على أحسن المحامل . ثم قال : وحكى عن ترداد
إليهم وعرف ما هم عليه أنهم رجالٌ صدق ، وقومٌ صبر ، لا أُسْتَخَفُّ لهم حَفيظُه ،
ولا تُردُّ بِحَفَتِهَا لهم صُدُورُ مَنِيظِه ؛ ولهذا أمراء الروم لا يَطشُّون لهم مَوْطِئًا يَفِيظُ ،
ولا يُؤاِطُّون لهم مَدَّةَ سُورٍ في مَشَقٍّ ولا مَقِيظٍ ؛ وما أحدٌ من يحسُّهم على ما آتاهم الله
من فضله إلا من يستجيش عليهم بالتار ، ويعتدُّ عليهم عظام الذنوب الكبار ؛
وقايةً الله تَكْفِيهِم ، وحياطته عن عيون القوم مُخَفِّفِهِم ؛ ولذلك كان السلطان
(محمود غازان) يقول : أنا أطلب الباغى شرقاً وغرباً ، والباغى في ثوبى ، يريد
أولاد قرمان وتُرْجُكان الروم [ومع هذا لم يسلط عليهم^(٢)] .

وحكى عن الصدر شمس الدين عبد اللطيف أنى التجيب أنه قال يوما : لولا
الأكراد وأولاد قرمان وتُرْجُكان الروم ، دُشْتُ بِمِثْلِي مَغْرِبَ الشمس .

الطائفة الثانية

(بنو الحميد)

وهم أصحاب أنطاليا وقلك بار على ما تقدم ذكره ، وهم من عظماء ملوك التُركِكان .

(١) يياض بالأصل والصحيح عن "سالك الإصار" .

(٢) الزيادة من المسالك .

الطائفة الثالثة

(بنو أيدين)

وهم أصحاب يري وما معها، على ما تقدم ذكره . قال في "مسالك الأبصار" وقد ذكر محمد بن أيدين صاحب بركي المذكورة : وهذا ابن أيدين ما أعرف أن له بمن حوله من ملوك الممالك المسماة، ولا أن له أخبارا ترد طروقاً ولا إسماء؛ بل هو في عزلة من كل جانب، لا غلط ولا نجيب .

الطائفة الرابعة

(بنو منتشا . وهم أصحاب فولة وما معها)

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن منهم أولاد دندار . ثم قال : ولؤلؤا بني دندار إلى ملوك مصر آنساء، ولهم من تحف سلاطينها ثمناء . قال : وكان بمصر منهم من له امرأة فيها ثم عاد إلى بلاده بعد مهلك تمرناش بن جوبان ، لأنه كان قد ترك بلاده لأجله ، وفر هارباً من يده لعداوة كان قد اضطربت بينهما شُرورها، واضطربت أمورها، فلما خلت من مجاورة تمرناش تلك البلاد، عاد . ويقال : إنه قُتل ولم يصل إلى بلاده .

الطائفة الخامسة

(بنو أورخان بن عثمان جق)

وهو صاحب برسا على ما تقدم ذكره . قال في "العبر" : وكان قد اتخذ برسا داراً للملكة ، ولكنه لم يفارق الحيام إلى القصور ، وإنما كان يتزل بجيامه في بسطها وضواحيها ولم يزل على ذلك إلى أن مات .

وملك بعده أبنته (مراد بك) وتوغل في بلاد النصرانية فيما وراء الخليج القسطنطيني في الجانب الغربي ، وفتح بلادهم إلى أن قرب من خليج البنادقة ، وجبال جنوة ، وصير أكثرهم أمراء ورعايا له ، وعاث في بلاد الكفار بما لم يُعهد قبله من مثله ، وأحاط بالقسطنطينية من كل جانب حتى أعطاه صاحبها الجزية . ولم يزل على ذلك حتى قُتل في حرب الصقالية سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

وملك بعده أبنته (أبو يزيد) بخرى على سنن أبيه ، وغلب على قطعة من بلاد الروم هذه فيما بين سيواس وأنطاليا والملايا ، بساحل البحر إلى قريب مدينة بنى قمران ؛ ثم تزوج في بنى قمران بنت أحمد غلب على ما بيده من تلك النواحي ، ودخل بنو قمران وسائر التركان في طاعته ، ولم يبق خارجاً عن ملكه إلا سيواس التي كانت بيد قاضيا (إبراهيم) المتغلب عليها وملطبة الداخلة في مملكة الديار المصرية ومضافاتها على ما عتقتم . ولم يزل على ذلك حتى قصده ثمرلك بعد تخريب الشام في سنة ثلاث وثمانمائة وقبض عليه ، فبقى في يده حتى مات .

وملك بعده أبنته (سليان جلي) وبقى حتى مات .

فلك بعده أخوه (محمد بن أبي يزيد) بن مراد بك بن عثمان جق ، وهو القائم بمملكتهما إلى الآن .

قال في "مسالك الأبصار" : ولو قد اجتمعت هذه البلاد لسلطان واحد ، وكُفَّت بها أكلُ المفاسد ؛ لما وسع ملوك الأرض إلا اقتباجُ تبعائه ، وأرتجاع كل زمانٍ ذاهبٍ في غير جنابه ، ثم قال : الله أكبر إن ذلك لملك عظيم ، وسلك تنظيم ، وسلطنة كبرى ودنيا أخرى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) .

الجملة الخامسة

(في زى أهل هذه المملكة ، وترتيب الملك بها)

أما زى أهلها فإن ليس السلطان والأمراء والجند أقيّة تربية ضيقة الأحكام ،
مرتدة على الأكف ، والأمراء منهم يلبسون فوق ذلك أقيّة قصار الأحكام من رقيق
الخام مضربة تضرباً واسعاً ، وعلى رؤوسهم عمام من لانس متوسطة المقدارين الكبير
والصغير ، مكوّرة تكويراً خاصاً ، حسن الصنعة ، متداخل بعض اللقات في بعض ،
ويلبسون خفافاً من آدم ، وقد شاهدت أميراً من أمراءهم وردّ رسولا عن أبي يزيد
أبن مراد بك بن عثمان إلى الظاهر « برقوق » صاحب الديار المصرية وهو على هذه
الهيئة ، وكثير من الجند يلبسون الطرايطر البيض والحمر المتخذة من اللبد .



وأما ترتيب مملكتهم فلم تتحررلى كيفية ذلك إلا أنه قد تقدم قلا عن صاحب
"العبر" أنهم كانوا يسكنون الخيم ثم نزّوا المدن بعد ذلك ؛ فلا يبعد أن يكون
ترتيب ملكهم على نحو من ترتيب التترواقه أعلم .

القسم الثاني

(من الجهة الشمالية عن الديار المصرية ، ما بيد ملوك النصارى)

وهو ثلاثة أضرب :

الضرب الأول

(جزائر بحسر الروم)

وهو البحر الشاميّ الممتد من البحر المحيط الغربي ، المسمى (بحر أوقيانوس) إلى
ساحل الشام وما على سمت من بلاد الأرمن الممتد ساحله الجنوبي على ساحل

الديار المصرية، ثم على ساحل بركة، ثم على ساحل أفريقية، ثم على ساحل الغرب الأوسط، ثم على ساحل الغرب الأقصى إلى البحر المحيط . وساحله الشمالي على بلاد الروم التي شرقي الخليج القسطنطيني، ثم على سواحل بلاد الروم والفرنجية من غربي الخليج المذكور إلى ساحل الأندلس إلى البحر المحيط، على ما تقدم ذكره في الكلام على البحار في أول هذه المقالة .

وبه إحدى عشرة جزيرة :

إحداها — جزيرة (قُبرس) . قال في "اللباب" : بضم القاف وسكون الباء الموحدة وضم الراء المهملة وفي آخرها سين مهملة . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال في "الأطوال" : حيثُ الطولُ سبع وخمسون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . وهي جزيرة في مشارق هذا البحر . قال ابن سعيد : على القُرب من ساحل الشام بينها وبين الكُرك^(١) (بضم الكاف وسكون الراء المهملة من بلاد الأرمن) نحو نصف مجرى . قال : وطولها من الغرب إلى الشرق مائتا ميل ، ولها ذنب دقيق في شرقها . قال الإدريسي : ودورها مائتان وخمسون ميلا ؛ ولصاحبها مكتبة تخصه عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، على ما سيأتي ذكره في الكلام على المكتبات، في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

الثانية — (جزيرة رُودس) . قال في "تقويم البلدان" : بضم الراء المهملة ثم واو ساكنة ودال مهملة ويقال معجمة مكسورة ثم سين مهملة . وموقعها في الإقليم [الرابع] من الأقاليم السبعة قال في "الأطوال" : حيثُ الطولُ إحدى وخمسون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي

(١) كذا في التقويم أيضا بالكاف في الأثر ولعله بالميم .

(٢) بياض بالاصل ، والصحيح عن "تقويم البلدان" .

على حَيَال الإسكندرية ، بين جزيرة المَصْطَكِي وجزيرة أفریطش . قال : وأمتدادها من الشمال إلى الجنوب بانحراف نحو خمسين ميلا ، وعرضها نصف ذلك . وبين هذه الجزيرة وبين ذَنَب جزيرة أفریطش مجرى واحد ، وهى فى الغرب عن جزيرة قُبْرَس بانحراف إلى الشمال . قال : وبعضها للفرنج ، وبعضها لصاحب اصطنبول (وهى القُسْطَنْطِينِيَّة) ومن رُودِس يُجَلِّب العسل الطيب المَدِيمُ النَظِير ؛ ولصاحبها مكتبة تخصه عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الثالثة — (جزيرة أفریطش) . قال فى " اللباب " : بفتح الالف وسكون القاف وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة من تحت وكسر الطاء وشين معجمة فى الآخر . قال فى " الروض المِعْطَار " : سُمِّيَتْ بذلك لأن أول من سَمَرها كان اسمه (قراطلى) قال : وتسمى أيضا (أفریطاش البترليش) ومعناها بالعربية مائة مدينة . وهى على سِتِّمْت بَرْقَة ، وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة ، قال ابن سعيد : ومدينتها حيث الطولُ سبع وأربعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرضُ أربعون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن سعيد : وهى جزيرة غليظة مشهورة ، وأمتدادها من الغرب إلى الشرق ودورها ثلثمائة وخمسون ميلا . وقيل : هذه الأميال إنما هى طولها شرقا بغرب لادورها ؛ وذكر فى " تَلْبُط الأَطْوَال " أن دورها سبعة عشر يوما . قال فى " تَقْوِيم البُلْدَان " : ومنها يجلب إلى الإسكندرية العسل والجُبْن وغير ذلك . قال فى " الروض المِعْطَار " : وهى جزيرة عامرة ، كثيرة الخصب ، ذات كروم وأشجار ، وبها معدن ذهب . وأكثر مواشيتها المعز ، وليس بها إبل ؛ ولم يكن بها سِج ولا قَلْب ولا غيرها من الدوابِّ الدابة بالليل ، وكذلك ليس بها حية ، وإن دخلت إليها حية ماتت فى عامها . ويقال : إن صناعة الموسيقى أول ما ظهرت بها ؛ وبينها وبين ساحل بَرْقَة يوم وليلة ، وبينها وبين قُبْرَس أربعة بحار ،

والإيا ينسب الأثيمون الأفرطشي المستعمل في الأدوية . وكان « عبد الله بن أبي سرح » أمير مصر قد آتنتحها في زمان إمارته في خلافة « عثمان » رضى الله عنه ، وبقيت بأيدى المسلمين حتى قلب عليها النصارى في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة . قال في « الروض المِعْطار » : وهى بيد صاحب القُسْطَنْطِيَّة .

الرابعة - (جزيرة المَصْطَكِ) بفتح الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المهملة والكاف وألف في الآخر . وسميت بذلك لأنه ينبت بها شجر المَصْطَكِ . قال في « قويم البلدان » : وهى جزيرة بالقرب من قَمَ الخليج القُسْطَنْطِينِ . وقال ابن سعيد : هى داخلَةٌ في بحر الروم على مائة وخمسين ميلا من قَمَ الخليج القُسْطَنْطِينِ . قال : وطولها من الشمال إلى الجنوب نحو ستين ميلا . قال : وهى شرقى (جزيرة الغرب) وبينهما نحو ثلاثين ميلا . قال في « قويم البلدان » : وبها دُيُورَةٌ وقَرْىٌ ، ومنها تجلب المَصْطَكِ إلى البلاد ، وهى صَمْعٌ شجر ينبت بها يُسَيِّدُ شجر القُسْطِ الصغار ، يُسَرِّطُ في فصل الربيع بِمَشارِيط قسيل منها المَصْطَكِ ، ثم تجمَّد على الشجر ، وربما قَطَر منه شيء على الأرض ، والأول أجود .

الخامسة - (جزيرة التَّغْرِيبِ)^(١) بآلاء المثناة فوق المفتوحة وسكون الفين المحجمة وكسر الراء المهملة وياء مثناة تحت وباء موحدة في الآخر . قال في « قويم البلدان » : وهى من القُرْبَى ، وموقعها في أواخر الإقليم السادس من الاقاليم السبعة . قال ابن سعيد : وطرفها الشرقى حيث الطولُ ثمانٌ وأربعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرضُ اثنتان وأربعون درجةً وخمسةً وخمسون دقيقةً . وهى جزيرة كبيرة في الغرب عن جزيرة المَصْطَكِ المقدم ذكرها ، وامتدادها من المغرب إلى المشرق بانحراف إلى

(١) سماها في قويم البلدان « جزيرة التغربت » وذكر أن في بعض النسخ « التغريب » كما هنا .

الجنوب مائة ونمسون ميلا ، وفي العرض من عشرين ميلا إلى نحو ذلك . قال في "تقويم البلدان" : وهي معروفة بخروج الشوانى والقطائع منها .

السادسة — (جزيرة لَمْرِيَا) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح اللام وسكون الميم وكسر الراء المهمله ثم ياء مثناة تحتية وألف في الآخر . قال : وعن بعض المسافرين أن بعد المثناة هاء . قال ابن سعيد : وتُعرَف في الكتب بجزيرة بلونس ، وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : ووسطها حيث الطول خمس وأربعون درجة وأثنان وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وثلاث عشرة دقيقة . قال : وهي أكبر جزائر الروم وتدورها على التحقيق سبع مائة ميل ، وفيها أخوار وتعميمات ، ومدينتها في وسطها .

السابعة — (جزيرة صَقْلِيَّة) . قال في "اللباب" : بفتح الصاد المهمله والقاف^(١) ولام وياء مثناة من تحت وهاء في الآخر . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة ، وبين ذنبها الغربي وبين تونس بحرى وستون ميلا ، وتدورها خمسمائة ميل . وهي على صورة شكل مثلث حاد الزاوية : فالزاوية الأولى شمالية ، وهناك المجاز الضيق إلى الأرض الكبيرة (يعنى التى وراء الأندلس) وهو نحو مئة أميال . والزاوية الثانية جنوبية ، وهي تقابل برطابلس من أفريقيا من بلاد الغرب . والزاوية الثالثة غربية ، وهناك (بركان النار) في جزيرة صغيرة مقطعة شمالي الزاوية المذكورة ، وشمالي صَقْلِيَّة بلاد قفريقية الآتى ذكرها في الكلام على الضرب الثانى . قال في "تقويم البلدان" : وصاحب صَقْلِيَّة في زماننا هذا فرنجى من الكيتلان اسمه الريد افريك .

(١) ضبطها ياقوت بثلاث كرات وتشديد اللام والياء ثم قال وأكثر أهل صقلية يفتحون الصاد واللام .

وقاعدتها مدينة (بَزْم) بفتح الباء الموحدة واللام وسكون الزاي المعجمة وميم في الآخر. قال ابن سعيد : وهي حيث الطول خمس وثلاثون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وبها عِدَّةُ مَدُنٍ غير هذه القاعدة .

منها مدينة (مَازَر) . قال في "المشترك" : بفتح الزاي المعجمة وبعدها راء مهملة ، وإليها ينسب "الإمام المَازِرِيُّ المَالِكِيُّ" شارح "موطأ مالك" وغيره . ومنها (قَصْرِيَّاتٌ) بلفظ قصر المروف ، ويأنة بفتح الياء المثناة تحت وألف ونون مشددة ، وهي مدينة كبيرة على سَنِّ جبل .

الثامنة — (جزيرة سُرْدَانِيَّة) . قال في "تقويم البلدان" : بضم السين وكسر الراء وفتح الدال المهملات ثم ألف ونون مكسورة وياء مثناة تحت مفتوحة وهاء في الآخر. قال : وأسمها بالقرنيجية سُرْدَانِي ، يعني بإبدال السين صادًا مهملة وحذف الهاء من الآخر. وهي غربي الجزيرة المتقدمة الذكر . وموقعها في الإقليم الرابع بين مَرْمِيَّيْنِ الحَسْرَازِ من البر الجنوبي وبين مملكة يَزَّةَ من البر الشمالي . قال في "الأطوال" : وطولها إحدى وثلاثون درجة ، وعرضها ثمان وعشرون درجة . قال ابن سعيد : وأمتدادها من الطول من الشمال إلى الجنوب بحري ونصف ، وفي غربها مقاصد السَّرجان الفائق الذي ليس له نظير ، وبها معدن فضة ، وهي الآن بيد الفرنج الكيكلانيين ، ولملك الكيكلان نائب بها .

التاسعة — (جزيرة قَرَسَمَة) بفتح القاف وسكون الراء المعجمة وفتح السين المهملة والقاف وهاء في الآخر . وهي مقابل (جَنَوَة) الآتي ذكرها في الضرب الثاني ،

وبينها وبين سرديانية المتقدمة الذكر مجاز نحو عشرة أميال ؛ وأمتدادها من الشمال إلى الجنوب مجرى ونصف ، ووسطها متسع ، ورأسها من جهة جنوة ضيق .

العاشرة — (جزيرة أنكلطرة) بألف ونون ساكنة وكاف مفتوحة ولام مفتوحة وطاء مهملة ساكنة وراء مهملة مفتوحة وهاء في الآخر . قال ابن سعيد : ويقال (أنكلترة) بإبدال الطاء تاء مثناة من فوق . قال : وطول هذه الجزيرة من الجنوب إلى الشمال بأحراف قليل أربعمائة وثلاثون ميلا ، وأتساعها في الوسط نحو مائتي ميل ، وفيها معدن [الذهب] ^(١) والفضة والنحاس [والقصدير] ^(٢) وليس فيها كروم لثينة البرد بها ، وأهلها يحملون الذهب إلى بلاد الفرنج ، ويتناضون عنه الخمر لمدمه عندهم .

وقاعلتها (مدينة لندرس) بلام ونون ودال وراء وسين مهملات . وصاحب هذه الجزيرة يسمى (الانكتار) بنون وكاف وتاء ثنثة فوقية وألف وراء مهملة في الآخر . وهو الذي عقد الهدنة بينه وبين الملك العادل « أبي بكر بن أيوب » في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، والملك العادل على عسقلان . وكان من أمره أنه لم يحلف على الهدنة بل أخذت يده وعاهدوه ، وأصبح بأن الملوك لا يحلفون ؛ وكانت الهدنة بينهما ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، أولها كانون الأول الموافق لخداي عشرى شعبان من السنة المذكورة .

الحادية عشرة — (جزيرة السناقر) . جمع سُقْر وهو الجارح المعروف المقدم ذكره في الكلام على ما يحتاج الكاتب إلى وصفه في المقالة الأولى . وهي جزيرة على القرب من (جزيرة أنكلترة) المتقدمة الذكر . قال ابن سعيد : وأمتدادها في الطول شرقا بغرب سبعة أيام ، وفي العرض أربعة أيام . قال في «تقويم البلدان» : ومنها

ومن الجزائر التي شمالها تجلب السَّاقِرُ التي هي أشرف أنواع الجَوَارِحِ ، وإلى ذلك أشار في "التعريف" في الكلام على أوصاف السَّاقِرِ بقوله وهي مجلوبةٌ من البحر الشامي . قلت : وجزيرة جربة تَهْتَمُ ذكرها مع بلاد أفريقية . وجزيرة ميورقة وجزيرة يانسة وجزيرة قادس تَهْتَمُ ذكرها مع جزيرة الأندلس .

الضرب الثاني

(ماشمالاً بحر الروم المقدم ذكره من غربي الخليج المُسْتَنْطِنِيّ مما يمتد غرباً إلى البحر المحيط الغربي ، وما يتصل بذلك مما شمالاً ببحر نبطش المعروف ببحر القرم إلى أقصى الشمال ، وهو جهتان)

الجهة الأولى

(ما هو في جهة الغرب عن الخليج المُسْتَنْطِنِيّ . وهو قُطْرَان)

القُطْرَانُ الأول

(ما بين الخليج المذكور وبين جزيرة الأندلس ، وما على تمت ذلك . ويشتمل على ممالك كِبَارٍ وممالك صِغارٍ)
فاما الممالك الكِبَارُ ، فالمشهور منها خمس ممالك :

المملكة الأولى

(مملكة المُسْتَنْطِنِيَّةِ)

قال في "اللباب" : يضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون النون وكسر الطاء الثانية وسكون المثناة من تحت ثم نون (يعني مفتوحة) ثم هاء في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وتسمى بوزنطيا يعني بالباء الموحدة والواو

والزأى المعجمة والنون والطاء المهملة ثم ياء مثناة من تحت وألف في الآخر .
وربما قالوا : بُوزَظِيَّةٌ بإبدال الألف هاء . وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم
السبعة قال في "رسم المعمور" : حيث الطول ثماناً وأربعون درجة ، والعرض
خمسة وأربعون درجة ، وواقفه على ذلك صاحب "الأطوال" وصاحب "القانون"
وأبن سعيد : وهى قاعدة الروم بعد رومية وعمورية ؛ وهى المستقرة قاعدة ملك
لم إلى الآن .

قال في "الروض المطار" : نزل رومية من ملوك الروم عشرون ملكاً ؛ ثم نزل
عمورية منهم ملكان ؛ ثم طادت الملكة إلى رومية فتركها منهم ملكان ؛ ثم ملك
(قُسطنطين) بن هيلاني ، فبُعد بناء بُوزَظِيَّةَ وزاد في بناتها ، وسماها قُسطنطينية نسبة
إليه ونزل بها فصارت دار ملك للروم بعده إلى الآن . قال : وهى على ضفة الخليج
المتصب من بحر نيطنش وما نيطنش إلى بحر الروم ، وقد صار هذا الخليج مشهوراً بها .
فيقال فيه (الخليج القُسطنطيني) كما تقدم . وجهاتها الثلاث من الشرق والغرب
والجنوب إلى البحر ، والجهة الرابعة وهى الشمال إلى البر ، وقطرها من الشرق إلى
الغرب ثمانية وعشرون ميلاً ؛ ولها سُورَان من حجارة بينهما فضاء ستون ذراعاً ،
وعرض السور الداخل اثناً عشر ذراعاً ، وارتفاعه اثنتان وسبعون ذراعاً ، وعرض
السور الخارج ثمانية أذرع ، وارتفاعه اثنتان وأربعون ذراعاً ؛ وفيما بين السورين
نهر يسمى (قُسطنطينيائوس) مغطى ببلاط من نحاس ، يشتمل على اثنتين وأربعين
ألف بلاطة ، طول كل بلاطة ستة وأربعون ذراعاً ؛ وعمق النهر اثنتان وأربعون
ذراعاً . ولها نحو مائة باب أكبرها باب الذهب : وهو باب في شمالها ، طوله
أحد وعشرون ذراعاً ، وهو مذهب بالحديد ، وبه أعمدة من ذهب ؛ وبها قصر
في غاية الكبر والعلو ، وطريقه الذى يتوصل إليه منه يعرف بالبستون . وهو من

عجائب الدنيا، يُسمى فيه بين سَطْرَيْن من صُور مفرَّعة من النحاس البديع الصَّناعة على صُور الآكَمِين وأنواع الخليل والسَّباع وغير ذلك ، وفي القصر ضروب من عجائب المصنوعات .

قال في "تهويم البلدان" : وحكى لى بعض من سافر إليها أن داخلها مزدرع وبساتين، وبها خراب كثير ، وأكثَر عمارتها في الجانب الشرقى الشمالى ، وكنيستها مستطيلة، وإلى جانب الكنيسة عمودٌ عالٍ دَوَّرُهُ أَكْثَر من ثلاثة باعات ، وعلى رأسه فارسٌ وفرسٌ من نحاس ، وفي إحدى يديه حربة كبيرة، وقد فتح أصابع يده الأخرى وهو مشير بها . قيل : إن ذلك صورة (قُسْطَنْطِين) باني المدينة . قال في العزيرى : ولها أربع عشرة معاملة .

وأعلم أن هذه المملكة كانت أولاً بيد اليونان . قال البيهقي : وهم بنو يونان بن علجان، بن يافث، بن نوح عليه السلام . وفي التوراة أن يونان ابن يافث لصلبه، وأسمه فيها (ياثان) بقاء تحرب من الواو . وخالف الكندي فنسبهم إلى عابر بن فالغ فجعل يونان أخا لقحطان ، وذكر أنه خرج من اليمن بأهله وولده مناضباً لأخيه قحطان فقتل ما بين إفرنجية والروم ، فاختلط نسبه بنسبهم . ورد عليه أبو العباس^(١) الثاني في ذلك بقوله :

[و] تَحْلَطُ يُونَانًا بِقَحْطَانَ ضَلَّةً * لَعَمْرِي لَقَدْ بَاعَدْتَ بَيْنَهُمَا جِلْدًا!

(١) هو عبد الله بن محمد الثاني وأزل الأبيات :

أبا يوسف إني نظرت فلم أجد * على القصص رأيا مع منك ولا عقدا
وصرت حكما عند قوم إذا أمرؤ * بلام جعالم يحمد عثم عندا
أقربت الحسادا بدين محمد * لقد جئت شيئا يا أخا كتمة إذا
وتحفظ الخ اه من مروج الذهب (ج ١ ص ١٣٨) .

وقيل انهم انما نَجَّوْا من رجل يقال له (الكن) وُلِدَ سنة سبع وأربعين لوفاة موبى عليه السلام .

وكانت قاعدة ملكهم الأولى (مدينة أغريقية) . وهى مدينة بناها (أغريقش) ابن يونان المتقدم ذكره على الجانب الغربى من الخليج القسطنطينى ، وهى أولُ مُنْتَهَم ، ثم هدمها هيلوس أحد ملوكهم وبنى (مدينة مَقْنُونِيَّة) ^(١) فى وسط المملكة بالجانب الغربى أيضا ونزلها فصارت منزلا لملوكهم من بعده ، وإليها يُنسب ملوكهم فيقال ملوكُ مَقْنُونِيَّة ؛ وقد كان يقال للإسكندر بن فيليس المَقْنُونى نسبة إلى مَقْنُونِيَّة هذه . ومن طائفة اليونان كان معظمُ الحكماء الذين عنهم أُخِذَتْ علومُ الفلسفة ، ومنهم بقراط وسقراط وأفلاطن وأرسطوطاليس وإقليدس وغيرهم من الحكماء .

وكان لهم عدة ملوك ، أولهم (يُونان) بن يافث بن نوح . ثم ملك بعده ابنه (أغريقش) وهو الذى بنى مدينة أغريقية المتقدم ذكرها . وتوالى الملك فى ولده ، وقهرروا اللطينيين ودال ملكهم فى أرمينية .

ثم ملك (هرقل الجبار) بن ملكان ، بن سلقوس ، بن أغريقش . ثم ملك بعده ابنه (بلاق) وإليه تُنسب الأئمة البلاقية التى هى الآن على بحر سوداق ؛ واتصل الملك فى عقب بلاق المذكور إلى أن ظهر عليهم إخوانهم الروم وأستبدوا بالملك .

فكان أولهم (هردوس) بن مطرون ، بن رومي ، بن يونان ؛ فلك الأئمة الثلاثة ، وصار اسمه لقباً لكل من ملك بعده .

(١) قال ياقوت : فتح أوله وثانية وضم القال المعجمة الخ .

ثم ملك بعده أبنته (هرمس) وحاربه القُرس قهروه وضرُّوا عليه الإتاوة .

ثم ملك بعده أبنته (مطرونوس) فحمل الإتاوة للقُرس .

ثم ملك بعده (فيلبوس) فظهر على الأعداء وهدم مدينة أغيريقيَّة، وبني مدينة مقدونيَّة المتقَّمة ذكرها، وكان محبًّا في الحكمة فكثُر الحكماء في دولته .

ثم ملك بعده أبنته (الإسكندر) فاستقام له الأمر وملك الشام، وبيت المقدس، والهند، والسِّند، وبلاد الصين، وأثَّنت، وخراسان، وبلاد السُّرك، وذَلَّتْ له سائر الملوك، وهاداه أهل المغرب والأندلس والسُّودان، وبني مدينة الإسكندرية بالديار المصرية عند مصب النيل على ساحل البحر الرومي، وبني بالسِّند أيضا مدينة سماها الإسكندرية، ورجع إلى بابل فمات بها، وعرض الملك على أبنته إسكندروس فبني واختار الرِّهَابِيَّة .

ثم ملك بعده (لُوغُوس) من بيت الملك، وتلقب (بَطْلِيمُوس) فصار ذلك عاما على كل من ملك منهم . وقيل : هو بَطْلِيمُوس بن لاوي صاحب عسكر الإسكندرية، وهلك لأربعين سنة من ملكه .

وملك بعده أبنته (فلديفش) فأقام ثمانيا وثلاثين سنة؛ وترجمت له التوراة من العبرانيَّة إلى الروميَّة .

ثم ملك بعده أبنته (أنطوطش)^(١) فأقام سنا وعشرين سنة وهلك .

فلك بعده أخوه (قلوباظر)^(٢) فأقام سبع عشرة سنة وهلك .

فلك بعده أبنته (أيفاش)^(٣) فأقام أربعين سنة .

(١) في "البرج ٢ ص ١٨٩" أنطريس .

(٢) في "البرج ٢ ص ١٨٩" قلوباني .

وملك بعده أبنه (قلوماظر) فأقام نحساً وثلاثين سنة . وكان مقره الإسكندرية
وهلك .

فملك بعده أبنه (إبرياطش) فأقام سبعا وعشرين سنة . وعلى عهده استفصل
ملك رومة، وملكوا الأندلس وأفريقية وهلك .

فملك بعده أبنه (شوظا) ^(١) فأقام سبع عشرة سنة، وهلك .

فملك بعده أخوه (الإسكندر) فأقام عشر سنين وهلك .

فملك بعده (دوثشيش) بن شوظا، فأقام ثمانياً وثلاثين سنة، وفي أيامه ملك
الروم بيت المقدس وأطليكة، وهلك .

فملك بعده بنه (كلاطرة) فأقامت ستين، وكان سكنها الإسكندرية . وكان
الملك على الروم يومئذ أغشطش قيصر ملك الروم، فقصدتها، فاحتالت بأن اتخدت
حيةً توجد بين الحجاز والشام، فلمست الحية فيست مكانها، وبقيت الحية
في رياحين حولها، وحضر أغشطش فوجدتها جالسة ولم يشعر بموتها، فتناول من
الرياحين ليشمها ففسعته الحية ^(٢) فمات . وزالت دولة اليونان بزوالها .

هكذا رتبهم (هر وشيوش مؤرخ الروم) وسبب ذلك أن الروم واليونان كانوا
متجاورين متلاصقين لعلامة النسب فقد نقل ابن مسعيد عن البيهقي أن الروم
من ولد رومي بن يونان المقدم ذكره . وقيل هم بنو لطين بن يونان أنحى رومي
المذكور، ولذلك يقال لهم اللطينيون . وقيل هم من بنى كيثم بن ياثان وهو يونان .
وقيل بل هم من بنى عيصو بن إصحاق بن إبراهيم عليه السلام .

(١) في "المعراج" ص ١٩٠ "شوظار" .

(٢) في القطعة الأثرية لإصلاح على هذا الوجه [فيل شقه ولم يمت إذ كانت الحية قد أفرقت منها
في كلاطرة قبله] .

قال صاحب حاة في تاريخه : وكان أوَّل ظهورهم في سنة ستِّ وتسعين وثلاثمائة لوفاة موسى عليه السلام . قال : وهم يعرفون بنى الأصقر ، والأصفر هو رؤيم ابن العيص . قال في "العبر" : وذلك أنه لما خرج يوسف عليه السلام من مصر بأبيه يعقوب ليُدْفِنَه بالشَّام عند الخليل عليه السلام ، أعرضه بنو عيصو فخار بهم وهزَّهم ، وأسر منهم صفوا بن اليفار بن عيصو ، وبعت به إلى أفرقيّة ، فأقام بها واتصل بملكها واشتهر بالشجاعة ، ثم هرب من أفرقيّة إلى أسيانيّة ، فزوجه وملكوه عليهم ، فأقام في الملك نحسا ونحسين سنة ، وبقي الملك في عقبه إلى أن كان منهم ملك اسمه (رؤيميش) فبنى مدينة روميّة وسكنها فعرفت به . وبالجملة فإنهم كانوا مجاورين لهم : الروم في المغرب ، واليونان في المشرق ، ف وقعت الحرب بينهم ، وكانت القلبة للروم على اليونان مرة بعد أخرى إلى أن كانت ظلة أعشطس على قلوبطرا على ما تقدّم ذكره .

ثم ملوك الروم على طبقات :

الطبقة الأولى

(مَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ قَبْلَ الْقِيَامَةِ)

قال "هرودشوش" مؤرخ الروم : وأوّل من ملك منهم (بيقش) بن شطونش^(١) ابن يوب ، في آخر الألف الرابع من أوّل العالم على زمن تيه بنى إسرائيل . ثم ملك بعده أبنته (برامش) واتصل الملك في عقب بيقش المذكور وإخوته إلى أن كان منهم كرمش بن مرمسية بن شيين بن مُزركة ، بعد أربعة آلاف ونحسين

(١) في المبرج ٢ ص ١٤٦ "الفتش" .

لأول العالم في زمن بار بن كلعاد من ملوك بني إسرائيل ، وهو الذي ألف حروف
اللسان اللطيني ولم تكن قبله .

ثم كان منهم (أناش) من عجب بريامش بن بيقش المتقدم ذكره لأربعة آلاف^(١)
ومائة وعشرين للعالم .

وفي أيامه حرب الأغرقيون مدينة طروبة المتقدم ذكرها في قواعد مملكتهم .

ثم ملك بعده أبنة (أشكانيش) وهو الذي بنى مدينة ألبا ، ثم اتصل الملك فيهم
إلى أن أفرق أمرهم ، ثم كان من أعقابهم برقاش على عهد عزربا بن أمصيا من ملوك
بني إسرائيل . وأتصل الملك لأبنة ثم لحافديه روملش وراملش لأربعة آلاف
ونعمائة سنة للعالم . وهما اللذان اختطتا مدينة رومية ، وكان الروم بعد روملش
وراملش وأقراض عقبهم قد سيموا ولاية الملوك عليهم ، فصيروا أمرهم شورى بين
سبعين وزيرا . وقال ابن العميد : كانوا يقدّمون شيئا بعد شيخ ، ولم يزل أمرهم
على ذلك مدة سبعمائة سنة ، تهتزع الوزراء في كل سنة ، فيخرج قائد منهم إلى كل
ناحية على ما توجب القرعة ، فيحاربون الأثم والطوائف ، ويفتحون الممالك حتى
ملكوا الأندلس وأمنخوا في الجلالة ، وملكوا سمورية مدينة القوط ، وأستولوا^(٢)
على الشام وأرض الحجاز ، وأقتصوا بيت المقدس وأمروا ملكها ، وكانت الحرب
بينهم وبين الفرس سجالا إلى أن كانت القنصرة كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

(١) في المبرج ٢ ص ١٤٦ "الفنش" .

(٢) في القاموس والمعجم سمورة أى يحدن ياء ظلمها من التامع .

الطبقة الثانية

(القيصرية قبل ظهور دين النصرانية فيهم)

• قال ابن السكيت: لم يزل تدير المشايخ الذين رتبهم نافذاً فيهم، إلى أن كان آخرهم أغانيوش فدبرهم أربع سنين ونسئ قيصر، وهو أول من تسمى بذلك من ملوكهم، ثم صار سمة لمن بعده. وسيأتي الكلام على معنى هذه اللفظة.

ثم ملك بعده (بوليوش قيصر) ثلاث سنين.

ثم ملك بعده (أوغشطش قيصر) بن مونوخس، وهو وشيوش يسميه (أكتيان قيصر) وهو الثاني من القياصرة، وهو الذي سلب ملك كلابطرا آخر ملوك اليونان المقدم ذكرها. وأستولى على مصر والإسكندرية ومصارم ملك اليونان الروم. ويقال: إنه كان آخر قواد الشيخ مدبر رومة، وإنه توجه بالساكر لفتح الأندلس ففتحها ثم عاد إلى رومة فلحقها وطرد الشيخ عنها، وواقه الناس على ذلك؛ ثم قتل نائبه بناحية المشرق وأستولى عليها لتتقى عشرة سنة من ملكه [ولتنتين وأربعين سنة من ملك أغشطش وولد المسيح بعد مولد يحيى بثلاثة أشهر وذلك] تمام خمسة آلاف وخمسمائة سنة شمسية للعالم.

ثم ملك من بعده ابنه (طباريش قيصر) فاستولى على النواحي، وفي أيامه كان رفع المسيح عليه السلام وأقرأ الحواريين في الآفاق لإقامة الدين وحمل الأثم على عبادة الله تعالى. ومات ثلاث وعشرين سنة من ملكه بعد أن جدد مدينة طبرية وأشتق اسمها من اسمه.

(١) هنا انتهت القطعة الأثرية وتوحد الأصل والله المستعان.

(٢) الزيادة من "المبرج ٢ ص ٢٠٠" ليم الكلام وفيه في بعض أسماء الملوك مغايرة لما في الأصل.

ثم ملك من بعده (غايش قيصر) وهو الرابع من القياصرة . وتال هروشيوش : وهو أخو طباريش ، وسماه غايش خليفة بن أكتيان . قال ابن العديم : ووقعت في أيامه شدة على النصارى ، وقتل يعقوب أخاه يوحنا من الحواريين ، وحبس بطرس رأسهم ؛ ثم وثب عليه بعض قواده فقتله .

وبلغ من بعده (فلوديش قيصر) وهو الخامس من القياصرة . قال هروشيوش : هو ابن طباريش المتقدم ذكره فيكون أخ غايش^(١) ، وعلى عهده كتب متى الحوارى إنجيله في بيت المقدس بالبرانية ، وقبلة يوحنا بن زندي إلى الرومية ، وكتب بطرس رأس الحواريين إنجيله بالرومية وبعث به إلى بعض أكابر الروم ، وهلك فلوديش قيصر لأربع عشرة سنة من ملكه .

وملك بعده أبنته (نيرون قيصر) وهو السادس من القياصرة ، وكان غشوما فاسقا ، فانكر على من أخذ بدين المسيح وقتلهم ؛ وقتل بطرس وبولس الحواريين ، وقتل مرقس الإنجيلي : بطرك الإسكندرية لثقي عشرة سنة من ملكه . وفي أيامه هدم اليهود كنيسة النصارى بالقدس ، ودفنوا خشبي الصليب برصهم في الزباله . قال هروشيوش : وقتله جماعة من قواده لأربع عشرة سنة من ملكه ؛ وأقطع ملك آل يوليوش قيصر مائة وست عشرة سنة من أول ملكهم . قال هروشيوش : وكان نيرون قيصر قد وجه قائدا إلى جهة الأندلس فافتتحها وباد إلى رومة بعد مهلك نيرون قيصر فلعله الروم عليهم . وكان لنيرون قيصر صهر على أخته يسمى (نيسيان) وابن العميد يسميه (إشبا شيانس) وكان نيرون قيصر قد وجه لفتح بيت المقدس ففتحه وباد قتل ذلك القائد الذي استولى على المملكة بعد نيرون

(٢) لل صواب فيكون ابن أخى غايش .

قيصر، ومَلِك مكانه، وتسعى قيصر كن كان قبله وأستقام له الملك، هكنا ذكره هر وشيوش .

والذى ذكره ابن العميد أنه لما هلك نيرون قيصر وإشباشيانس الذى سماه هر وشيوش يشبشيان [محاصر للقديس^(١)] مَلِك الروم عليهم غلبا قيصر، فأقام تسعة أشهر وكان ردىء السيرة فقتله بعضُ خَلَمه .

ثم ملَكُوا عَوْضَه (أنون) ثلاثة أشهر، وملَكُوا (بطالس) ثمانية أشهر، وسار إليه اشباشيانس الذى يسميه هر وشيوش يشبشيان فقتله ، وهلك اشباشيانس المذكور لتسع سنين من مُلكه .

وملك بعده ابنه (طيطش قيصر) لأربعائة سنة من مُلك الإسكندر، فأقام فيهم سنين وقيل ثلاثا وقيل أربعا ، وكان حسن السيرة متفتنا فى العلوم .

ثم ملك بعده أخوه (دومريان قيصر) وقيل اسمه دوسطيانوس ، وقيل دوماطيانوس ، فأقام خمس عشرة سنة ، وقيل ست عشرة سنة ، وقيل تسع سنين ؛ وهو ابن أخت نيرون قيصر المتقنم ذكره ؛ وكان ظلوما غاشما فحبس يوحنا الحواري ؛ وأمر بقتل النصاري وقبضهم ؛ وقتل اليهود من نسل داود حذار أن يملكوا، وهلك فى حرب الفرنج .

وملك بعده (نربا) ابن أخيه طيطش ، وقيل اسمه تاوداس ، وقيل قارون ، وقيل : برسطوس ، فأقام نحواً من سنين أو سنة ونصفا ، فأحسن السيرة وأمر برء من بقي من النصاري وخلّاهم ودينهم ، ولم يكن له ولد .

(١) الزيادة من المبرج ٢ ص ٢٠٢ ليستقيم الكلام .

فَمَهَّدَ بِالْمُلْكِ إِلَى (طريائش) من عظماء قُوَّاده . وقيل : اسمه أُنْدِيَانُوش ، وقيل
طرينوس ، فلك بعده وتسمى قيصر ، فأقام تسع عشرة سنة ، ولحق النصارى
في أيامه شدة وتبع أمتهم بالقتل واستعبد عاظمهم . وفي زمنه كتب يوحنا إنجيله
برومة في بعض الجزائر ، وهلك طريائش المذكور لتسع عشرة سنة من ولايته .

وملك بعده (أندريانوس) ^(١) فأقام إحدى وعشرين سنة ، وقيل عشرين سنة
وهو الذي بنى مدينة القدس وسماها إيليا ، وكان شديدا على النصارى وقتل منهم
خلقا كثيرا ، وأخذ الناس بعبادة الأوثان ، وألزم أهل مصر خبز خليج من النيل
إلى القلزم خفروه وأجروا فيه ماء النيل ثم أرتكم بعد ذلك .

ولما جاء الفتح الإسلامي ألزمهم عمرو بن العاص رضي الله عنه خفروه
وجرى فيه الماء ثم أرتكم أيضا ، وبقي على ذلك مرهوبا إلى زماننا . ومات
أندريانوس لأحدى وعشرين سنة من ملكه .

فلك بعده أبنة (أنطونيش) وتسمى (قيصر الرحيم) فأقام ثنتين وعشرين سنة ،
وقيل إحدى وعشرين سنة وهلك .

فلك بعده أخوه (أوراليانس) وقيل اسمه أورالش ، وقيل اسمه أنطونيش
الأصغر ، وأصاب الأرض في زمنه قحط ووباء عظيم ، وأصاب النصارى في أيامه
شدة عظيمة ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وهلك لتسع عشرة سنة من ملكه .

وملك من بعده أبنة (كودة) ويقال بأقناف بدل الكاف ، فأقام ثلاث عشرة
سنة ، وقيل ثلث عشرة سنة . وفي حاشية ملكه ظهر « أردشير بن بابك » أول

(١) في الأصل إحدى عشرة والصحيح من المراجع ٢ ص ٢٠٤ .

ملوك الساسانية من الفرس . وفي زمنه كان «جالينوس» اليوناني المشهور بالطب ، و«بقراطس» الحكيم ، ومات كمودة المذكور .

فلما بعده (ورمتيلوش قيصر) وقيل اسمه برطونش ، وقيل اسمه فرطيوخوس ، وقيل برطانوس ، وقيل أليش بن طنجيش فأقام ثلاثة أشهر ، وقيل شهرين ، وقيل سنة ، وقتله بعض قواده .

فلما بعده (يوليانوس قيصر) فأقام شهرين ومات .

فلما بعده (سوريانوس قيصر) وقيل اسمه سورس ، وقيل طباريش ، فأقام تسع عشرة سنة ، وقيل ثمان عشرة ، وقيل ست عشرة ، وقيل ثلاث عشرة ، وقيل ست سنين ، واشتد على النصارى وقتل فيهم وسار إلى مصر والإسكندرية فقتلهم ، وهدم كنائسهم وشردهم في البلاد ، وهلك .

فلما من بعده (أنطونيش قيصر) وقيل أنطونيش قسطنس ثلثين وعشرين سنة ونعمياته لقلبة الإسكندر ، فأقام ست سنين ، وقيل سبع سنين ، وضعف عن مقاومة الفرس فغلبوا على أكثر مدن الشام ونواح أرمينية ، وهلك في حروبهم .

فلما بعده (مقرين قيصر) بن منكة ، وقيل اسمه مقرونيوس ، وقيل مرقيانوس ، فأقام سنة وقتله قواد رومة .

ثم ملك من بعده (أنطونيش) قيل ثلاث سنين ، وقيل أربع سنين ، وفي أول سنة من ملكه بنيت مدينة عمواس^(١) بأرض فلسطين من الشام وملك سابور ابن أردشير ملكا كثيرة من الشام ، ومات .

(١) وقع في المبرج ٢ ص ٢٠٦ عمان والصواب ما في الأصل لان عمواس هي التي من أرض فلسطين أنظر ص ٢٠٧ .

فلك بعده (اسكندروس) فأقام ثلاث عشرة سنة ، وقيل عشرين سنة ، وكانت أمه نصرانية ، فكانت النصراني معه في سنة من أمرهم . قال هرودشوش : ولعشر من ملكه غزا فارس وقتل سابور بن أردشير ملك الفرس ، وثار عليه أهل رومة فقتلوه .

وملك بعده (غشميان) بن لوجيه ، وقيل اسمه تميموس ، فأقام ثلاث سنين ولفي النصراني منه سنة عظيمة . قال ابن العميد : . وفي ثالثة ملكه مات سابور ابن أردشير ، وهو خلاف ما تقدم من كلام هرودشوش أنه قتله [اسكندروس] في العاشرة من ملكه ، وهلك .

فلك بعده (يونشوش) وقيل اسمه لوكوش قيصر ، وقيل بليناوس ، فأقام ثلاثة أشهر وقيل .

ثم ملك بعده (غرديانوس قيصر) وقيل اسمه فودينوس ، وقيل فرطانوس وقيل غرديان بن بلنسيان ، فأقام ست سنين ، وقيل سبع سنين ، وطالت حروبه مع الفرس ، وقتله أصحابه على نهر الفرات .

وملك بعده (فلقش قيصر) بن أوليان بن أنطونيش ، فأقام سبع سنين ، وقيل ست سنين ، وقيل تسع سنين ، ودان يدين النصرانية . وهو أول من تنصر من ملوك الروم ، وقتله قائد من تواده .

وملك ذلك القائد الذي قتله مكانه ، وكان من أولاد الملوك . واسمه داجية ابن غشميان فأقام خمس سنين ، وقيل ستين سنة ، وكان يعبد الأصنام ولفي النصراني منه سنة ، قيل وفي أيامه كانت قصة أهل الكهف مع ملكهم ، وهلك .

فلك من بعده (غالش قيصر) فأقام ستين، وقيل ثلاث سنين، واستبج في قتل
النصارى . وكان في أيامه وباءٌ عظيم أقفرت منه المدن، ومات .

فلك بعده (والاريانس) لسبعين وخمسة لثبة الإسكندر، وقيل اسمه غالوش،
وقيل أقيوس وغاليوش ابنه، وقيل أورليوس، وقيل غليوش، وقيل أدرياليانوس،
فأقام إحدى عشرة سنة، وقيل خمس عشرة سنة، وقيل أربع عشرة سنة، وقيل
خمس سنين، وكان يعبد الأصنام فلقى النصارى منه شدة عظيمة، ووقع في أيامه
وباءٌ عظيم فرغ الطلب عن النصارى بسببه . وفي أيامه خرج القوط من بلادهم
وتغلبوا على بلاد مقلونية وبلاد الببط وأقتلوا منه، وقتله بعض قواد رومة .

وملك بعده (افلوديوس قيصر) ثمانين وخمسة للإسكندر، فأقام سنة
واحدة، وقيل سنة وتسعة أشهر، وقيل هو فلوديش بن بلاريان ولم يكن من بيت
الملك وأقام ستين، وقيل ملك [بعده أخوه^(١)] قتل فأقام سبعة عشر يوماً؛ ودفع
القوط عن مقلونية وأرمينية، وقتله بعض قواده .

ثم ملك (أوريانوس) وقيل اسمه أوراليوس، وقيل أورينوس، وقيل أورليوس،
وقيل أوراليان بن بلنسيان، فأقام ست سنين، وقيل خمس سنين؛ وأشدت على
النصارى وجحد بناء رومة؛ وفي سادسة ملكه ولد قسطنطين، ثم قتل .

وملك بعده (طافيش بن اليش) وقيل اسمه طافسيوس، وقيل طافساس،
فأقام نحو سنة، وقيل تسعة أشهر، وقيل سنة أشهر .

ثم ملك بعده (فروفس قيصر) وقيل اسمه فرويس ، وقيل برويش ، وقيل
ولا كيوش ، وقيل ارفيون ، فأقام خمس سنين ، وقيل ست سنين ، وقيل سبع
سنين ، وقتله قواد رومة .

ثم ملك بعده (قاريوش قيصر) وقيل اسمه قوروش ، وقيل قاروش الخمائة
وثنتين وتسعين للإسكندر في زمن سابور ذى الأكتاف : أحد ملوك الساسانية
من الفرس ، فأقام ستين ، وقيل ثلاث سنين ؛ وتقلب على كثير من بلاد الفرس ،
وأشتد على النصارى وقتل منهم خلقا كثيرا وهلك في الحرب .

فلك بعده أبنة (ماتاريان) وقيل لوقتته .

ثم ملك من بعده (ديفلايانوس) الخمائة وخميس وتسعين سنة للإسكندر ،
وقيل اسمه دقلطيانوس ، وقيل غرينطا ، فأقام إحدى وعشرين سنة ، وقيل عشرين
سنة ، وقيل ثمان عشرة ، ولقي النصارى منه شدة وأمر بقتل الكائس ، وقتل جملة
من أحيان النصارى ، وهلك .

فلك بعده أبنة (مقسيانوس قيصر) فأقام سبع سنين ، وقيل سنة واحدة .

وكان شريكه في الملك (مفلوس) وهو أشد كفرا منه ، ولقي النصارى منهما شدة
عظيمة وقتل منهم خلقا كثيرا ، ووقع في كلام هر و شيوش ما يخالف هذا الترتيب ،
ولا حاجة بنا إلى ذكره .

الطبقة الثالثة

(القيصرية المنتصرة إلى الفتح الإسلامي)

وكانوا يدينون أولاً بدين الصابئة ، ثم دأبوا بدين المجوسية ؛ ثم بعد ظهور الحواريين وتسأطهم عليهم مرةً بعد أخرى أخذوا بدين الصرائية . وكان أول من أخذ منهم به قسطنطين بن قسطنس بن ولينوس ؛ وكان قد خرج على مقيسيانوس قيصر: آخر القياصرة من الطبقة الثانية ، فهزمه ورجع مقيسيانوس إلى رومة ، فازدحم صكره على البحر ففرق فيمن غرق ؛ ودخل قسطنطين رومة وملكها فبسط العدل ، ورفع الجور ، وتصر لثلاثي عشرة سنة من ملكه ؛ وهدم بيوت الأصنام ، وتوجهت أمه (هلانة)^(١) إلى القدس واستخرجت خشبة الصليبات بزعمهم من تحت القمامات ، وبنت مكانها كنيسة ثمانية ، وذلك لثلاثمائة وثمان وعشرين سنة من مولد المسيح عليه السلام . وفي السنة التاسعة عشرة من ملكه كان مجمع الأساقفة بيقية . ولما تصر قسطنطين وخرج عن دين المجوسية ، خاف من قومه فارتحل من رومة إلى مدينة بوزطية بحددها وزاد فيها وسمّاها القسطنطينية باسمه ، وأقام في الملك خمسين سنة : منها بوزطية ست وعشرون سنة قبل غلبة مقيسيانوس ، وأربع وعشرون بعد استيلائه على الروم ، وهلك لستائة وخمسين للإسكندر .

وملك بعده أبنته (قسطنطين الأصغر) بن قسطنطين ، بن قسطنطين^(٢) فأقام أرمياً وعشرين سنة ومات .

(١) القى في تاريخ أبي القدا. أن اسمها "هيلاني" .

(٢) لعل هذا القفل زائد من قلم النسخ .

فلك بعده أبْنُ عمه (يوليانس) فأقام سنةً واحدةً، وقيل سنتين، فكان على غير دين النصرانية : فقتل النصراني وعزَّله عن الكأس وأطرحهم من الديوان، وسار لقتال الفرس فمات من سبهم أصابه، وقيل ضلَّ في مفازة فقتله أعداؤه .

وملك بعده (يليان) بن قسطنطين سنةً واحدة وهلك .

فلك بعده (بوشانوش) فأقام سنةً واحدةً، وقيل إنما هو بلفسيان بن قسطنطين، وقيل واليطينوش، وأنه ملك ثقی عشرة سنة أو خمس عشرة سنة ثم هلك بالفالج .

وملك بعده أخوه (واليش) وقيل اسمه والآش فأقام أربع سنين، وقيل ثلاث سنين، وقيل سنتين، وقيل إنه كان شريك واليطينوش المتقدم ذكره في المُلَّا ؛ ثم خرج على واليش خارجٌ من العرب وقُتل في حربه .

وملك بعده (اغراديانوس قيصر) وهو أخو واليش، ويقال إن ولنطيانس ويقال والنطوش بن واليش كان شريكاً له في الملك فأقام سنة واحدة، وقيل سنتين، وقيل ثلاث سنين، ومات اغراديانوس وأبن أخيه في سنة واحدة .

وملك بعدهما (تاوداسيوس) ويقال إنه طودوشوش لستائة وتسعين من مُلك الإسكندر، فأقام سبع عشرة سنة، وفي الخامسة عشرة من مُلكه ظهر أهل الكهف وأفانوا من نوبهم، فأرسل في طلبهم فوجدهم قد ماتوا فأمر أن تبنى عليهم كنيسة ويُتخذ يومُ ظهورهم عيداً . وفي أيامه كان المجمع بفسططينية ليمائتين وخمسين سنة من [مجمع] نيقية .

ثم ملك (اركاديش) بن تاوداسيوس، فأقام ثلاث عشرة سنة، ووُلِدَ له ولد سماه طودوشوش، فلما كبر هرب إلى مصر ورتَّهَّب، وأقام في مغارة في الجبل المُقَطَّم ومات ؛ فبنى الملك على قبره كنيسة وديراً يسمى دير القُصير، وهو دير البغل، وهلك .

فلك بعده ابنه (طودوشيش قيصر) الأصغر، فأقام ثنتين وأربعين سنة .
وفي أيامه كان المجمع الثالث للنصارى بمدينة أفسس، وولى أخاه أنوريش على رومة
وأقسما الملك بينهما، وقيل إن أركاديش بن طودوشيش ولى أخاه أنوريش على
رومة وأقسما الملك وإنه لما هلك أركاديش استبد أخوه أنوريش قيصر بالملك
نحس عشرة سنة؛ وإنه لما هلك ملك من بعده طودوشيش المقدم ذكره .

ثم ملك (مريقان قيصر) ويقال بالكاف بدل القاف، فأقام ست سنين .
وفي أيامه كان المجمع الرابع بخلقثونية وأقنم النصارى إلى يعقوبية وملكية،
وتسطورية . وفي أيامه سكن شمعون الحنيس الصومعة بأنطاكية وترهب فيها
وهو أول من فعل ذلك من النصارى؛ ثم مات مريقان .

وملك بعده (لاون قيصر) ويعرف بلاون الكبير لسبعمائة وسبعين سنة من ملك
الإسكندر، وقيل اسمه ليون بن شميخلة، وكان ملكاً فأقام ست عشرة سنة ومات .
وملك بعده (لاون قيصر) ويعرف بلاون الصغير، وكان يعقوبياً فأقام سنة
واحدة وهلك .

فلك بعده (زينون قيصر) وقيل اسمه سينون بالسين المهملة بدل الزاي، وكان
يعقوبياً فأقام سبع عشرة سنة وهلك .

فلك بعده (نسطاش قيصر) ثمانمائة وثلاث سنين للإسكندر، فأقام سبعا
وعشرين سنة، وكان يعقوبياً، وسكن حماة من الشام، وأمر أن تُشاد وتُحصن
فبليت في ستين؛ وأمر بقتل كل امرأة فارسية كاثية؛ وهلك .

(١) تخدم أن اسمه "نارداسيوس" .

فلك بعده (يشطيانس قيصر) ثمانمائة وثلاثين للإسكندر ، وكان ملكاً فأقام تسع سنين ، وقيل سبع سنين ، وقال إنه كان معه شريك في ملكه يقال له يشطيان ، وهلك .

فلك بعده (يشطيانس قيصر) ثمانمائة وأربعين للإسكندر ، وكان ملكاً وهو ابن عم يشطيانس الملك قبله ، وقيل كان شريكه فأقام أربعين سنة ، وقيل ثلاثاً وثلاثين سنة ، وأمر بأن يُتخذ عيد الميلاد في الرابع والعشرين من كانون ، والفيطاس في ست منه ، وكانا قبل ذلك جميعاً في سادسه ، وكانت كنيسة بيت لحم بالقدس صغيرة فزاد فيها ووسّعها حتى صارت على ما هي عليه الآن . وفي أيامه كان المجمع الخامس للنصارى بالقسطنطينية ؛ وهلك .

فلك بعده (يوشطونش قيصر) ثمانمائة وثمانين سنة للإسكندر في زمن كسرى أنوشروان فأقام ثلاث عشرة سنة ، وقيل إحدى عشرة سنة ؛ وهلك .

فلك بعده (طباريش قيصر) ثمانمائة وثمانين وتسعين للإسكندر ، فأقام ثلاث سنين ، وقيل أربع سنين ؛ وهلك .

فلك بعده (موريكش قيصر) ثمانمائة ونمسين وتسعين للإسكندر ، فأقام عشرين سنة ، وكان حسن السيرة ؛ ووثب عليه بعض مماليكه فقتله .

وملك بعده (قوقاص قيصر) قريب موريكش الملك قبله ، وكان هو الذي بعث مملوكه على قتله . وفي أيامه تاركسرى أبرويز على بلاد الروم ، وملك الشام ومصر ، فأقاما في مملكة القرس عشر سنين ، وحاصر القسطنطينية طلباً لنار موريكش لمصاهرة كانت بينهما ، فنار الروم على قوقاص فقتلته بسبب ما جابهه إليهم من الفتنة .

وملك بعده (هرقل) بن أنطونيوس، وقيل هرقل بن هرقل بن أنطونيوس
 لستائة وإحدى عشرة من تاريخ المسيح، ولألف ومائة من بناء رومة، ولستمائة
 وثلثين وعشرين سنة للإسكندر، ولأول سنة من الهجرة، وقيل لإحدى عشرة
 سنة منها، وقيل تسع سنين. فارتحل أبرويز عن القسطنطينية راجعا إلى بلاده؛
 وأقام هرقل في الملك إحدى وثلاثين سنة ونصفا، وقيل ثنتين وثلاثين سنة، وثار
 على بلاد الفرس غربها في حية كسرى، وضعت مملكة الفرس بسبب ذلك،
 وأستولى هرقل على ما كان كسرى أستولى عليه من بلاده : وهو مصر والشام،
 وأعاد بناء ما كان تراب من الخائنات فيهما، وكتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم
 يدعو للإسلام.

قال المسعودي، وقيل إن مولد النبي صلى الله عليه وسلم كان في أيام يوشطيانس،
 وإن ملكه كان عشرين سنة. ثم ملك (هرقل بن قوستيونس) خمس عشرة سنة،
 وإليه تنسب الدراهم الهرقلية. ثم ملك بعده (مورق بن هرقل). قال : والمشهور
 بين الناس أن الهجرة وأيام الشينين كان ملك الروم لهرقل. قال : وفي كتب السير
 أن الهجرة كانت على عهد قيصرين مورق، ثم كان بعده قيصرين قيصر [أيام أبي بكر
 ثم هرقل بن قيصر^(١) أيام عمر، وعليه كان الفتح وهو المخرج من الشام.

الطبقة الرابعة

(ملوك الروم بعد الفتح الإسلامى إلى زماننا)

قد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث هاجر وهرقل ملك الروم؛ وكتب إليه يدعو إلى الإسلام . وبقي هرقل إلى أن افتتح المسلمون الشام في خلافة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه . فلما ظلب المسلمون على أكثر بلاد الشام ، خرج إلى الرها ، ثم علا على تميز من الأرض وألقت إلى الشام وقال : « السلام عليك يا سوريا سلام لا اجتماع بعده ، ولا يعود إليك رومي بعدها إلا خائفا » وسار حتى بلغ القسطنطينية فأقام بها ؛ وأستولى المسلمون على الشام ومصر والإسكندرية وأفريقية والاندلس ؛ وأستولوا على جزائر البحر الرومى : مثل صقلية ، ودانية ، وميوزنة وغيرها مما كان بيد الروم . وأقام في الملك إحدى وثلاثين سنة ، وهلك لإحدى وعشرين سنة من الهجرة .

وملك بعده على الروم قسطنطينة ابنه (قسطنطين) بن هرقل فأقام ستة أشهر وقته بعض نساء أبيه .

وملك بعده أخوه (هرقل) بن هرقل ، قشام به الروم فغلبوه وقتلوه . وملكوا عليهم (قسطنطين بن قسطنطين) فأقام ست عشرة سنة . وفي أيامه غزا معاوية ابن أبي سفيان بلاد الروم وهو أمير على الشام من قبل عمر بن الخطاب في سنة أربع وعشرين من الهجرة فدخل البلاد وفتح منها مدنا كثيرة ؛ ثم أغزى عساكر المسلمين إلى قبرص في البحر في سنة سبع وعشرين ؛ ففتح منها حصونا ، وضرب الجزية على أهلها . ومات قسطنطين سنة سبع وثلاثين من الهجرة .

فلك بعده أبنة (يوطيانس) فأقام اثنتي عشرة سنة ، ومات سنة ثمان وأربعين من الهجرة .

(١١) وملك بعده أبنة (لاون) فأقام ثلاث سنين ، ومات سنة خمسين من الهجرة .
فلك بعده (طيار يوس قيصر) فكث سبع سنين . وفي أيامه غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية في عساكر المسلمين وحاصرها مدة ، ثم أفرج عنها واستشهد أبو أيوب الأنصاري في حصارها ودفن في ساحتها ، وقيل طيار يوس المذكور سنة ثمان وخمسين من الهجرة .

وملك بعده (أغسطس قيصر) فنجحه بعض عيده .

وملك بعده أبنة (إصطفانيوس) في أيام عبد الملك بن مروان ثم خلع .

وملك بعده (لاون) ومات سنة ثمان وسبعين من الهجرة .

وملك بعده (طيار يوس) سبع سنين ، ومات سنة ست وثمانين من الهجرة .

وملك بعده (مطيانوس) في أيام الوليد بن عبد الملك باني الجامع الأموي بدمشق .

ثم ملك بعده (تداوس) في سنة إحدى ومائة من الهجرة ، فأقام سنة ونصفا .

ثم ملك بعده (لاون) فأقام أربعاً وعشرين سنة .

وملك بعده أبنة (قسطنطين) . وفي أيامه غزا هشام بن عبد الملك الصائفة اليسرى من بلاد الروم ، وأخوه سليمان الصائفة اليمنى في سنة ثلاث عشرة ومائة ، فلقبهم قسطنطين المذكور في مجموع الروم فانهزم وأخذ أسيراً ثم أطلق .

(١) كذا في العرب أيضاً لأنه يسه تاريخاً لوقاة يوطيانس وأسقط لاون من الدين .

ثم ملك بعده رجل اسمه (جرحس) من غير بيت الملك فيق أيام السَّفاح،
والمُتصور وأمره مضطرب ثم مات .

وملك بعده (قسطنطين) بن لاون، وبني المَدَن وأسكنها أهل أرمينية وغيرهم،
ثم مات .

وملك بعده أبنته (لاون) وهلك .

فلك بعده (قففور) وهلك في خلافة الأيمن بن الرِّشيد .

وملك بعده أبنته (استيراق قيصر) وأقام إلى خلافة المأمون . وفي أيام المأمون
غلب قسطنطين [بن قلفط^(١)] على مملكة الروم، وطرد ابن ققفور، هكذا ربه ابن
العميد . وفي كلام المسعودي ما يخالفه .

قال المسعودي : ثم ملك بعد قسطنطين (نوفيل) أيام المعتصم .

ثم ملك من بعده (ميخائيل) بن نوفيل أيام الواثق ، والمتوكل ، والمتنصر ،
والمستعين .

ثم تنازع الروم وملوكها عليهم (نوفيل بن ميخائيل) أيام المعتز، والمهتدي، وبعض
أيام المعتضد .

ثم ملك من بعده أبنته (أليون) بن نوفيل [بقية] أيام المعتضد وصَدْرًا من أيام
المعتضد .

ثم ملك من بعده (الإسكندروس) بن أليون، فتَقَمَّوا سيرته، فخلَّعوه .

وملَّكوا عليهم أخاه [لاوى^(١)] بن أليون، فأقام [بقية] أيام المعتضد والمكشفي،
وصدرا من أيام المقتدر ثم هلك .

(١) الزيادة عن "البرج ٢ ص ٢٣٩ قلا عن المسعودي" قم الفائدة .

وملك أبنته (قسطنطين) صغيراً ؛ وقام بتدبير دولته أرمونوس وطريق البحر، وزوجه أبنته وتسمى بالدمستق، والدمستق هو الذي إلى شرق الخليج القسطنطيني وأنصل ذلك أيام المقتدر، والقاهر، والراضى، والمتقى . ثم أفرق أمر الروم .

ثم ظاهر كلام ابن الأثير أن أرمونوس المتقدم ذكره صار إليه الملك بعد قسطنطين . قال : وكان التمسق على عهده قوقاس فملك مملكة من يد المسامين بالأمان في سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وولى تقفور دمسقا ؛ وهلك أرمونوس وترك ولدين صغيرين وكان تقفور الدمستق غائباً ببلاد المسامين فلما رجع اجتمع إليه زعماء الروم وقدموه لتدبير أمر الصغيرين وألبسوه التاج ، ثم دسّت عليه (١) أم زوجة أرمونوس أم الصغيرين، فقتلته في سنة ستين وثلاثمائة .

وقام أبنا الأكبر وهو (بسيل بن أرمونوس) بتدبير ملكه فطالت مدته ، وأقام في الملك ثيقاً وسبعين سنة ، وهلك بسيل سنة عشر وأربعمائة .

وملك بعده أخوه (قسطنطين) فأقام تسع سنين ؛ ثم هلك عن ثلاث بنات .

فلما كان الروم عليهم الكبرى منهم ، وقام بأمرها ابن خالها (أرمونوس) وتزوجت به فاستولى على مملكة الروم ؛ ثم مالت زوجته إلى المتحكم في دولته ، وأسمه ميخائيل فدسّته عليه فقتله وأستولى على الأمر ، ثم أصابه الصرع ودام به .

فعمد لابن أخت له أسمه (ميخائيل) فأحسن السيرة وطلب من زوجة خاله أن تخلع نفسها عن الملك فأبّت فنفاها إلى بعض الجزر ، وأستولى على المملكة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ؛ وأنكر عليه البطرك خلع المرأة فهم بقتله ، فتدعى البطرك

(١) لعل فقط أم زائد ، أنظر السير .

في النصارى بخلعه نخلوه، وأستدعى الملكة التي خلعتها وأعادها إلى الملك، ونقث ميخائيل كما فاعاها، ثم أتهق البطرك والروم على خلعتها فخلعت.

وملكوا عليهم أختها (ندورة) وسملوا ميخائيل فوق الخلف بسبب ذلك، فأقرعوا بين المترشحين للملك منهم نفرجت على رجل منهم اسمه (قسطنطين) فللكوه عليهم وزوجوه بندورة الملكة في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، ثم توفى قسطنطين المذكور سنة ست وأربعين وأربعمائة.

وملك على الروم (أرمانوس) وذلك لأول دولة السلجوقية، ونرج بلاد الإسلام [فزحف إليه ألب أرسلان من أذربيجان^(١) فهزمه وحصل في أسره، ثم فاداه على مال يعطيه وأجروه عليه وعقد معه صلحا] .

فوثب (ميخائيل) بعده على مملكة الروم. فلما أنطلق من الأسر وعاد إلى قسطنطينية، دفعه ميخائيل عن الملك، وألزم لألب أرسلان ما أنفق عليه الصلح. وترهب أرمانوس وترك الملك. إلى هنا انتهى كلام ابن الأثير.

ثم توالى عليها ملوك الروم واحداً بعد واحد إلى آخر المائة السادسة. وكان ملك القسطنطينية يومئذ قد تزوج أخت القرنسيس ملك الفرنجة، فولد له منها ابن ذكر.

ثم وثب بالملك أخوه فسمله وملك مكانه، ولحق الابن بخاله القرنسيس، فوجده قد جهز الأساطيل لارتجاع بيت المقدس وفيها ثلاثة من ملوك الفرنجة وهم كيدقليس : أحد ملوكهم، وهو أكبرهم، ودوقس البنادقة، والمركين مقدم القرنسيس. فأمرهم القرنسيس بالجواز على القسطنطينية ليصلحوا بين ابن أخيه

(١) الزيادة عن الهرج ٢ ص ١٢١ لينضج المقام .

وبين عمه ملك الروم . فلما وصلوا إلى مرسى القسطنطينية خرج إليهم عمه وحاربهم فهزموه ودخلوا البلد ، وأجلسوا الصبي على سرير الملك ، وساء أمرهم في البلد ، وصادروا أهل النعم ، وأخذوا أموال الكنائس ، وقُتِلَتْ وطأنهم على الرؤم ، فعقلوا الصبي وأخرجوه من البلد ، وأعادوا عم الصبي إلى الملك . ثم هجم الفرنج البلد واستباحوها ثمانية أيام حتى أفترت ، وقتلوا من بها من القسيسين والرهبان والأساقفة ، وخلعوا الصبي ، وأقترع ملوك الفرنج الثلاثة على الملك ، فخرجت القرعة على كينقليس كبيرهم فلكوه على القسطنطينية وما يحاورها . وجعلوا لدوقس البنادقة الجزائر البحرية : مثل أقریطش ورودس وغيرهما ، وللكين البلاد التي في شرق الخليج : مثل أرسوا ولارتو في جوار سليمان بن قليج أرسلان ، فلم يحصل لأحد منهم شيء من ذلك إلا لمن أخذ شرق الخليج . ثم تغلب على القسطنطينية وطريق من بطارقة الروم شهرته لشكري واسمه (ميخائيل) فدفع عنها الفرنج وملكها وقتل الذي كان ملكا قبله ، وعقد معه الصلح الملك المنصور « قلاوون الصالح » صاحب مصر والشام ، وتوفي سنة إحدى وثمانين وسبعمائة .

وملك بعده ابنه (ياندر) وتلقب الدوقس ، وشهرتهم جميعا للشكري ، وبقي بنوه في ملكها إلى الآن . ولم أقف على تفاصيل أخبارهم غير أنه لم يبقَ بيدهم سوى قسطنطينية وبعض أعمالها المجاورة لها . وقد آستولى الفرنج على جهاتها الغربية ، وآستولى المسلمون على ما هو شرق الخليج القسطنطيني وعلى أعمال كثيرة من غربيته إلى ما يقارب خليج البنادقة على ما تقدم بيانه في الكلام على القسم الأول من هذا المقصد ، مع تسلط صاحب السراي ملك تر الشمال من بني جنكخان عليه بالبعوث والسرايا قبل ذلك ، حتى إن « القان أربك » صاحب هذه المملكة قرر عليه إتاة تجمل إليه في كل سنة ليكف عنه ، كما أشار إليه في « التعريف » في الكلام على

مكتبة صاحب القسطنطينية . قال ابن سعيد : ومنتهى حكم الشكرى صاحب القسطنطينية الآن إلى إيشية . قال في "تقويم البلدان" : بالهمزة والياء المثناة التحتية والياء المثناة ونون ثم ياء مثناة تحتيه ثانية وهاء في الآخر . قال ابن سعيد : وهى غربى الخليج القسطنطينى بشمال . قال ابن حوقل : وهى مدينة بها جمع النصارى بقرب البحر ، وهى دار حكمة اليونان فى القديم ، وبها تحفظ علومهم ، وحكمهم .

ولصاحب القسطنطينية المستقر بها مكتبة تخصه من الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، على ما يأتى بيانه فى الكلام على مكاتب ملوك الكفر فى المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

الملكمة الثانية

(ملكة الألمان)

قال المؤيد صاحب حمة فى تاريخه : وهم من أكبر أمم النصارى ، يسكنون فى غربى القسطنطينية إلى الشمال ، وملئهم كثير الجنود . قال : وهو الذى سار إلى الشام فى زمن السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» فى سنة ست وثمانين وخمسمائة ، فهلك قبل وصوله إلى الشام . وكان قد خرج بمائة ألف مقاتل فسلط الله عليهم الغلاء والوباء فمات أكثرهم فى الطريق ، ولما وصل إلى بلاد الأرمن نزل ينفسل فى نهر هناك فغرق فيه ، وبقي من عسكره قدر ألف مقاتل لا غير فعادوا إلى بلادهم . (ورد الله الذين كفروا فيبطئهم لم ينالوا خيرا) .

وقاعدتهم فيما ذكر ابن سعيد (ملينة بُرْشان) . قال في "تقويم البلدان" : بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الشين المعجمة ثم ألف ونون في الآخر . قال : ويقال لها أيضا (بُرْجان) بالجميم وذكر ابن سعيد : أنه كان بها الأمة المسماة بُرْجان في قديم الزمان فاستولت عليهم الأمايئة وأبادوهم حتى لم يبق منهم أحد ، ولم يبق لهم أثر . وهؤلاء البرجان هم الذين كان يقاتلهم قُسْطَنْطِين ورأى في منامه أعلاما عليها صُلبان فتبصر .

المملكة الثالثة

(مملكة البنادقة)

وهي طائفة مشهورة من الفرنج ، وبلادهم شرق بلاد (الأندلس) الآتي ذكرهم . وقاعدة مملكتهم (البُنْدُقيَّة) . قال في "تقويم البلدان" : بضم الباء الموحدة وسكون النون ثم دال مهملة وقاف ومثناة تحتيه وهاء في الآخر . وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ اثنتان وثلاثون درجة ، والعرضُ أربع وأربعون درجة . قال ابن سعيد : وهي على طرف الخليج المعروف بِجَمُونِ البَنَادِقة ، وقد هُتِمَ الكلام عليه عند ذكره في الكلام على بحر الروم . قال : وعمارتها في البحر ، وتحترق المراكب أكثرها ، تتردد بين السور ، ومركب الإنسان على باب داره ، وليس لهم مكان يتمشون فيه إلا الساباط الذي فيه سوق الصُرف ، صنعوه لراحتهم إذا أرادوا التمشي ، وملِكهم من أغصمهم يقال له السُوكُ ، يعنى بضم الدال المهملة وسكون الواو وكاف في الآخر . ودنايرهم أفضل دناير الفرنجة ، وقد هُتِمَ في الكلام على معاملة الديار المصرية في أول هذه المقالة أن دينارهم

يقال له (سُوكَات) نسبة الى الدوك الذى هو ملكهم ، واليهما يُنسَب الجُوخُ البُنْدُقِـةُ
الغائِق لكل نوع من الجُوخ .

قال السلطان عمادُ الدين صاحب حماة فى تاريخه : وهى قرية من جَنوة
فى البر ، وبينهما نحو ثمانية أيام . أما فى البحر فينبهما أمدٌ بعيدٌ أكثر من شهرين ،
وفلك أنهم يخرجون الى بحر الروم فى جهة الشرق ثم يسرون فى بحر الروم الى
جهة الغرب .

قال فى "تقويم البلدان" : ومن أعمال البُنْدُقِـة (جزائر التَّقْرِبَت) بفتح النون
وسكون القاف والراء المهملَة وفتح الباء الموحدة وسكون النون وتاء مشاة فوقية
فى الآخر . قال : وكثيرا مايكُن بين تلك الجزائر شوانى الحَرَامِـة .

ثم قال : وفى شمالى هذه الجزائر مملكة (أَسْتِيب) بفتح الهمة وسكون السين
المهملَة وكسر المشاة فوقية وسكون المشاة التحتية وباء موحدة فى الآخر . وفى مملكة
أَسْتِيب هذه يُعمَل الأطلس المعدنى .

المملكة الرابعة

(مملكة الجَنَوِين)

وهى طائفة من الفرنج مشهورة أيضا .

وقاعدة مملكتهم (مدينة جَنوة) . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الجيم والنون
والواو ثم هاء فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد :
حيثُ الطولُ إحدى وثلاثون درجةً ، والعرضُ إحدى وأربعون درجةً وعشرون
دقيقة . قال : وهى على غربى جَنوة عظيم من البحر الرومى ، والبحر فيما بينها وبين

الأندلس يدخل في الشمال . وهي غربي (بلاد البازنة) . قال الشريف الإدريسي :
وبها جَنَات وأودية ؛ وبها مَرْمَى جِدِّ مأمون ، ومَدخله من الغرب . قال
في "تقويم البلدان" : وعن بعض أهلها أنها في ذيل جبل عظيم ، وهي على حافة
البحر ، ومينائها عليها سور ، وأنها مدينة كبيرة إلى الغاية ، وفيها أنواع الفواكه ،
ودور أهلها عظيمة ، كل دار بمنزلة قلعة ، ولذلك آغتنوا عن عمل سور عليها ، ولها
عيون ماء ، منها شربهم وشرب بساكنيهم . قال المؤيد صاحب حماة في تاريخه :
ولها بلاد كثيرة .

المملكة الخامسة

(بلاد رومية)

بضم الراء المهملة وسكون الواو وكسر الميم وفتح الياء المثناة تحت المشددة وهاء
في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها أيضا رُومَة (يعني بضم الراء وسكون
الواو وفتح الميم وهاء في الآخر) . وهي مدينة عظيمة واقعة في الإقليم الخامس من
الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيث الطول خمس وثلاثون درجة وعشرون
دقيقة ، والعرض أربعون درجة وخمسون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي مدينة
مشهورة في جنوبي جَوْن البنادقة على جانبي نهر يعرف بنهر الصُفَر .

وقد ذكر « هرشيوش » مؤرخ الروم أنها بُنيت لأربعة آلاف وخمسمائة سنة
من أول العالم ، على زمن حزقيا بن احاز رابع عشر ملوك بني إسرائيل . وذكر ابن
كربون : أنها بُنيت في زمن داود عليه السلام ، وبينهما تفاوت كثير في المدة . قال

(١) ضبطها ياقوت بخطيف الياء ونقل عن الاصمعي أنها مثل أطلاكية وأقانية إلى أن قال وهو كثير

في "الروض المعطار" : وهي من أعظم المدن وأحفظها . يقال : إنه كان طولها من الشمال إلى الجنوب عشرين ميلا ، وعرضها من الشرق إلى الغرب اثني عشر ميلا . وقيل : دورها أربعون ميلا ، وقطرها اثنا عشر ميلا ، وأرتفاع سورها ثمانية وأربعون ذراعا . وقيل اثناث ومبعون ذراعا ، في عرض اثني عشر شهرا مبنى بالحجر ، وهي في سهل من الأرض تحيط بها الجبال على بُعد ، وبينها وبين البحر الرومي اثنا عشر ميلا ، ويسقيها نهر ينقسم داخلها قسمين ثم يلتقيان آحرها ، وأرضه مفروشة بالنحاس الأصفر مسافة عشرين ميلا ، وفي وسطها صحن في حفرة مرتفعة لم يظفر به علقوط .

وفي داخلها كنيسة طولها ثلثائة ذراع وارتفاعها مائتا ذراع ، لها أربعة ابواب من فضة سبكاً واحداً ، مسقفة بالنحاس الأصفر المُلصق بالقصدير ، وحيطانها ملبسة بصفايح النحاس ، وبها كنيسة أخرى بها برج طوله في الهواء مائة ذراع ، وعلى رأس ذلك البرج قبة مبنية بالرصاص ، وعلى رأس القبة زُرُور من نحاس إذا أدرك الزيتون انحسرت إليه الزرازير من الأقطار البعيدة ، في منقار كل زُرُور زيتونة وفي رجليه زيتونتان ، فيطرحها على ذلك البرج فيعصر ويؤخذ زيتته ، فيستصبح به في الكنيسة جميع السنة . قال : وأهل رومية أجبن خلق الله تعالى ، ومن سبهم أنهم لا يدفنون موتاهم ، وإنما يدخلونهم في مغائر ويتركهم فيها فيستوي^(١) هواؤهم ويقع الذباب على الموتى ، ثم يقع على ثمارهم فيفسدها ، ولذلك هم أكثر بلاد الله تعالى طواغين ، حتى إن الطاعون يقع فيها ولا يتعلأها إلى غيرها فوق عشرين ميلا ، وجميع أهلها يتحلقون لحاهم ، ويؤمنون أن كل من لا يتحلق لحيته

(١) لعل الصواب "مغارات" أو "مغاور" فإن زيتها مفعلة لا ضالة حتى تجمع هذا الجمع ولم ينبه عليها القاريون في الشواذ .

فليس نصرانياً كاملاً ، زاعمين أن سبب ذلك أن يسمعون الصفا والحواريين جاءهم
وهم قوم مساكين ليس مع كل واحد منهم إلا عصا وجراب ، فدعّوهم إلى النصرانية
فلم يجيبوهم ، وأخذوهم فعدّبوهم وحَقّقوا رؤوسهم ولحاهم . فلما ظهر لهم صِدْق قولهم
واسّوهم بأن فعلوا بأنفسهم مثل ذلك .

ولم تزل رومية هي القاعدة العظمى للروم حتى بنيت القُسطنطينيّة وتحوّل إليها
قُسطنطين ، وصارت قُسطنطينيّة هي دار ملك الروم على ما تقدّم ذكره في الكلام
عليها ، مع بقاء رومية عندهم على رفة المحلّ وعِظَم الشأن إلى أن ظب عليها الفرنج
وأترعوها من أيديهم ، ورفضوا منها قواعدهم واستولّوا على ما ورامها من النواحي
والبلدان والجزائر : بكنوة ، والبندقيّة ، وأفريطش ، وروديس ، وأسترجعوا كثيراً
مما كان المسلمون استولّوا عليه من بلاد الروم كغالب الأندلس . ثم حدثت الفتن
بينهم وبين الروم بالقُسطنطينيّة ، وعظمت الفتن بينهم ودامت نحو من مائة سنة
«وملك الروم بالقُسطنطينيّة معهم في تناقص» حتى إن رجلاً صاحب جزيرة صقلية
صار يغزو القُسطنطينيّة بأساطيله ويأخذ ما يحسد في ميناها من سُفن التجار وشوأي
المدينة ، وأتته أمره أن جرجا بن ميخائيل صاحب أساطيله دخل إلى مينا
القُسطنطينيّة في سنة أربع وأربعين وخمسمائة ورمى قصر الملك بالشهاب ، فكان ذلك
أنكى على الروم من كلّ نكابة . ثم تزايد الحال إلى أن استولّى الفرنج على القُسطنطينيّة
ففيها في آخر المائة السادسة ، وأوقعوا بأهلها وقتلوا ونهبوا على ما تقدّم بيانه
في الكلام على ملوك القُسطنطينيّة . وبالجملة فرومية اليوم من قواعد الفرنج ،
وهي مقرّ (بابهم) الذي هو خليفة النصارى المملكانية وإليه مرجعهم في التحليل
والتحريم .

ولهذا الباب مكتبة تخصه عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، كما سيأتى ذكره فى الكلام على المكتبات فى المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .



وأما الممالك الصغار فسبح ممالك :

الأولى

(مملكة المرأ)

قال فى "تهويم البلدان" : بفتح الميم والراء المهملة وألف . وهى مملكة تبندى من الخليج القسطنطينى من الغرب على ساحل بحر الروم وتمتد مغرباً [وتشتمل على ^(١) قطعة من] ساحل بحر الروم وعلى بلاد وجبال خارجة عن البحر . قال : وهذه المملكة مناصفة بين صاحب قسطنطينية وبين جنس من القرعج يقال لهم (القيتلان) بالقاف والياء الساكنة آخر الحروف والمثناة القوية ولام ألف ونون ، ويقال (الكيتلان) بإبدال القاف كافاً، وهذا هو الجارى على ألسنة الناس فى النطق بهم .

الثانية

(بلاد الملقجوط)

قال فى "تهويم البلدان" : بفتح الميم وسكون اللام وفتح الفاء وضم الجيم وسكون الواو وطاء مهملة فى الآخر . وهم جنس من الروم لهم لسان ينفردون به ، وبلادهم من أعمال قسطنطينية على ساحل بحر الروم مما إلى مملكة المرأ المقدم ذكرها من جهة الغرب فى مقابلة مشارق برقة من البر الآخر ، على ما تقدم ذكره فى الكلام على بحر الروم فى أول هذه المقالة .

(١) الزيادة من تهويم ص ١٩٨ ليعقيم الكلام .

الثالثة

(بلاد إقيليرس)

قال في "تقويم البلدان": بكسر الهمزة وسكون القاف وكسر اللام والراء المهملة وسكون النون وسين مهملة في الآخر . وهي بلاد على ساحل بحر الروم غربي بلاد الملقجوط المقسم ذكرها وشرقي بلاد الباسليسة الآتي ذكرها ، وهم في مملكة الباسليسة المذكورة .

الرابعة

(مملكة بولية)

بضم الباء الموحدة وسكون الواو ولام وياء آخر الحروف وهاء . قال : ويقال لها أنبولية أيضا يعني زيادة همزة في أولها ونون ساكنة بعدها . وهي مملكة على بحر الروم عند فم جون البنادقة من غربيته ، في مقابل مملكة الباسليسة من برالجون المذكور من الجهة الشرقية ، وببولية هذه يعرف الزيت المعروف بالبولية . قال في "تقويم البلدان" : وملك بولية هذه في زماننا يقال له الريدشار .

الخامسة

(بلاد قلقرية)

قال في "تقويم البلدان" : بفتح القاف واللام وسكون الفاء وكسر الراء المهملة وفتح المثناة تحت وهاء في الآخر . قال : ويقال لها قلقرية أيضا بإبدال الفاء واوا . وهي من جملة بولية المقسمة الذكر ، واقعة في غربيها وشرقي مملكة رومية المتقدمة الذكر ، وقد تهدم في الكلام على بحر الروم أنه يقابلها طرابلس الغرب من البر الآخر .

السادسة

(بلاد التَّنْقَان)

قال في "تقويم البلدان" : بضم المثناة فوقية ونكون السين المهملة وقاف وألف ونون . قال : وهم جنس من الفَرَنْج ليس لهم ملكٌ بعينه يحكم عليهم بل لهم أكابرٌ يحكمون بينهم ، ثم قال : وبذلك البلاد يكون نَبَاتُ الرِّعْفَان ، وقد تقدم في الكلام على البحر الرومي أنه يقابلها مدينة تُونُس من البر الآخِر .

السابعة

(بلاد الِيَّازِنَة)

بفتح الباء الموحدة والياء المثناة تحت وألف ثم زاي معجمة مكسورة ونون مفتوحة وهاء في الآخِر . وهم فرقة من الفَرَنْج .

وقاعدة مُلكهم (مدينة يَزَنَة) . قال في "تقويم البلدان" : بياء موحدة مكسورة وياء آخر الحروف ساكنة وزاي معجمة يعنى وهاء في الآخِر . قال : وقد تُبدل الزاي شينا معجمة ، وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال : والقياس أنها حيثُ الطولُ اثنتان وثلاثون درجةً ، والعرضُ ستُّ وأربعون درجةً وسبعٌ وعشرون دقيقةً . وقد ذكر في "تقويم البلدان" أنها على الركن الشمالي من بلاد الأندلس في مقابل جزيرة سِرْدَانِيَّة المقدِّمة الذِكر . وهى غربي بلاد رُومِيَّة ؛ وليس لهم ملك وإنما مرجعهم إلى الباب : خليفة النصارى ؛ وإلى يَزَنَة هذه تُنسب الفَرَنْج الِيَّازِنَة والحديد الِيَّازِنِي . وقد تقدم في الكلام على البحر الرومي أنه يقابلها من البر الآخِر مَرْمِي الخَرْز .

القطر الثاني

(مما غربي الخليج القسطنطيني الأرض الكبيرة)

قال صاحب حماة : وهي أرض متسعة في شمالي الأندلس ، بها ألسن كثيرة مختلفة . وقد ذكر في " التعريف " أنها في شرق الأندلس ، ولا يصح ذلك إلا أن يريد منها ما هو شرق شمالي الأندلس .
ويتعلق الغرض منها بثلاث ممالك :

المملكة الأولى

(مملكة الفَرَنْج القديمة)

وقاعدتها (مدينة فَرَنْجَة) بالفاء والراء المهملة المفتوحين وسكون النون وفتح الجيم وهاء في الآخر، وقد بُدِّلَ الجيم منها سينا مهمللة فيقال فَرَنْسَة . ويقال للمكهم ريدافَرَنْس ، ومعناه ملك إفرَنْس ، والعامة تقول الفَرَنْسِيْس . وهو الذي قصد ديار مصر وأخذ دِمياط وأسرهُ المسلمون ثم أطلقوه . يشير بذلك إلى قِضية تاريخية ، وهي أن الفَرَنْج في سنة خمس عشرة وِسْمِئَة وهم مستولون على سواحل الشام يومئذ سار منهم نحو عشرين مَلِكًا من عَمَّا وقصدوا دِمياط في أيام الملك العادل «أبي بكر بن أيوب» رحمه الله ، وسار العادل من مِصرَ إليهم فقتل مَقَابِلَهُمْ ؛ وأقاموا على ذلك أربعة أشهر ، ومات العادل في أَسْءِ ذلك ، وأستقر بعده في المُلْك ابنه الملك الكامل محمد فوقع في عسكره اختلافٌ تشاغَلَ به ؛ فهجم الفَرَنْج دِمياط وملكوها عتوة في سنة ست عشرة وِسْمِئَة ، وطَمِعُوا بذلك في مملكة الديار المصرية ، فبنى الملك الكامل بلدةً عند مَفْرَقِ النيل : الفَرَقَة الذاهبة إلى دِمياط ، والفرقة الذاهبة إلى أَثْمُوم طَنَاح ، وسماها (المنصورة) ونزلها بعساكره ؛ ولم يزل الأمر على ذلك إلى

أن دخلت سنة ثمان عشرة وسبعمائة، وقد اشتد طمع الفرنج في الديار المصرية، وتمدوا عن دِمياط إلى المنصورة وضايقوا المسلمين إلى أن سألهم الملك الكامل في الصلح على أن يكون لهم القدس، وعسقلان، وطبرية، واللاذقية، وجبلة، وسائر ما فتحه السلطان صلاح الدين من سواحل الشام، خلا الكرك والشوبك؛ فأبوا إلا أن يكون لهم الكرك والشوبك أيضا، وأن يُعطوا مع ذلك ثلثمائة ألف دينار في نظير ما تربوه من سور القدس؛ فاعمل المسلمون حينئذ الحيلة في إرسال قرع من النيل في إبان زيادته، حال بين الفرنج وبين دِمياط، أحطع بسببه الميرة عنهم، وأشرفوا على الملأ؛ وكان آخر أمرهم أن أعرضوا عن جميع ما كانوا مسئولا به من الأمان المتقدمة الذكر ونزلوا عن دِمياط للمسلمين، وتسلمها الملك الكامل منهم؛ ثم عاد إلى مصر وبقيت دِمياط بيد المسلمين إلى أن فصلها الفرنجيس في خمسين ألف مقاتل، ومعه الأذقونس صاحب طليطلة في أيام الملك «الصلاح أيوب» بن الكامل محمد، بن العادل أبي بكر، بن أيوب في سنة سبع وأربعين وسبعمائة، وهم دِمياط وملوكها عنوة؛ وسار الملك الصالح قتل بالمنصورة، وسار الفرنج قتلوا مقابله؛ ثم فصلوا دِمياط فنبعهم المسلمون وبنلوا فيهم السيف، فقتلوا منهم نحو ثلاثين ألفا، وأسر الفرنجيس وجُيس بالمنصورة بدار الصاحب «نحر الدين إبراهيم بن نُقَّان» صاحب ديوان الإنشاء، ووكل به الطواشي صبيح «المعظمي» ومات الصالح في أثناء ذلك، واستقر أبنة الملك المعظم مكانه في الملك؛ ثم قُتل عن قريب، وفوض الأمر إلى «شجرة الدر» زوجة الملك الصالح، وقام بتدبير المملكة معها «أيك الترُّكاني» ثم تسلم المسلمون دِمياط من الفرنجيس وأطلقوه فسار إلى بلاده فبمن بقي معه من جماعته . وفي ذلك يقول جمال الدين يحيى بن مطروح الشاعر :

قُلْ لِلرَّسَائِسِ إِذَا جِئْتَهُ * مَقَالَ صِدْقٍ مِنْ قَوْلِ نَصُوح:^(١)
 أَتَيْتَ مِصْرًا تَبْنِي مَلَكُهَا * تَحَسَّبُ أَنْ الزَّمَرِ يَاطِلُ رِيحُ
 وَكُلُّ أَصْحَابِكَ أَوْدَعَتْهُمْ * بِحُسْنِ تَدْوِيرِكَ بَطْنُ الضَّرِيحِ!
 خَمْسِينَ أَلْفًا لَا تَرَى مِنْهُمْ * غَيْرَ قَتِيلٍ أَوْ أُسِيرٍ جَرِيحِ!
 وَفَقَّكَ اللَّهُ لِأَمْثَالِهَا * لَعَلَّ عَيْنِي مِنْكُمْ يَسْتَرِيحُ
 أَجْرَكَ اللَّهُ عَلَى مَا جَرَى * أَقْنَيْتَ عِبَادَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ
 قَوْلُ لَمْ يَنْ أَصْمَرُوا عَوْدَةً، * لِأَخْذِ نَارٍ أَوْ لِقْصِدِ صَحِيحِ!
 دَارُ «أَبْنِ قُتَيْبَانَ» عَلَى حَالِهَا * وَالْقَيْدِ بَاقِي، وَالطَّوْأَشِيِّ صَبِيحِ!

وقد تعرض في "التعريف" للإشارة لهذه الواقعة في الكلام على مكتبة الأدفونس صاحب طليطلة من الأندلس، واقتصر من هذه الأبيات على الأول والأخير فقط.

المملكة الثانية

(مملكة الجلائقة)

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه: وهم أمة كالبهايم، يغلب عليهم الجهل والحقاء. ومن زعيمهم أنهم لا يفضلون ثيابهم، بل يتركونها عليهم إلى أن تتلى، ويدخل أحدهم دار الآخر غير إذن. قال: وهم أشد من القرصع، ولهم بلاد كثيرة شمالي الأندلس، ونسبتهم إلى مدينة لهم قديمة تسمى جليقية. قال في "اللباب": بكسر الجيم واللام المشددة وبعدها ياء آخر الحروف وقاف. قال في "تهويم البلدان": [ثم ياء ثانية^(٢)] وهاء.

(١) في تاريخ أبي الفداء وخطب القرطبي "قول نصيح وفي ابن أبياس نصيح".

(٢) الزيادة عن تهويم البلدان.

وقاصلتها (مدينة سُمُورَة) بسين مهحلة وميم مشتدة مضمومة وراء مهحلة مفتوحة وهاء في الآخر . وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ عشرُ درَج ، والعرضُ ستُّ وأربعون درجة . قال في "اللباب" : وهى من بلاد الروم المتاخمة للأندلس ؛ وكأنه يريد أنها كانت للروم أولاً . قال في "تقويم البلدان" : وعن بعضهم أنها مدينةٌ جليلةٌ معظمةٌ عندهم . قال ابن سعيد : وهى قاصدةٌ جَلِيَّةٌ ، أكبرُ مُلْكُ الفُش ، فى جزيرة بين فرعين من نهر يُعرف بها . قال : وكان المسلمون قد ملكوها ثم أسترجمها الجَلالَةُ زمن الفتنه ، ونهرها يُصبُّ فى البحر المحيط الغربى حيثُ الطولُ خمسُ درج وثلاثون دقيقةً من الجزائر الخالدات ، والعرضُ ستُّ وأربعون درجة .

المملكة الثالثة

(مملكة التُّبريدية)

قال فى "تقويم البلدان" : باللام المشتدة المضمومة والنون الساكنة والياء الموحدة المفتوحة والراء المهمله الساكنة والذال المهمله والياء المثناة التحتية والهاء . قال : ويقال لها التُّبريدية ، والأُبريدية . وموقعها فى أوّل الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ ثلاثون درجةً وسبعٌ وثلاثون دقيقةً ، والعرضُ ثلاث وأربعون درجةً وخمسون دقيقةً . قال فى "تقويم البلدان" : وهى ناحية من الأرض الكيرة ، وبلادها تُحيط بها جبالٌ إلى حدِّ جَنَوَة . قال : وملكها فى زماننا صاحبُ القُسطنطينية ، ورثها من خاله المريكش .

ثم قال : وغربي هذه البلاد (الرِّدْرَاقُون) بكسر الراء المهملة وسكون المثناة التحتية ثم دال مهملة وراء مهملة [وألف^(١)] وقاف مضمومة وواو ونون في الآخر . ومعناه ملك راقون ، وقد تُبدل القاف غينا معجمة . فيقال ريدراغون وهو الموجود في مكاتبات أهل الأتليُس وهُنَهم .

الجهة الثانية

(ماشمالاً مدينة القسطنطينية وبحر نيطش وما نيطش إلى نهاية المعمور في الشمال)
ويشتمل على ستة ممالك وبلاد :

منها (بلاد اِجْرَاس) : قال السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه :
وهم على بحر نيطش من شريقه ، وهم في شَطَفٍ من العيش . قال : والغالب عليهم دينُ النصرانية .

قلت : وقد جلب منهم « الظاهر برقوق » صاحب الديار المصرية من الممالك أيام سلطته ما يروى على العَدَدِ حتى صار منهم معظمُ جُنْدِ الديار المصرية ، وصار بهم جَمَالٌ مواكبها ، والمُلْكُ باقٍ فيهم بالديار المصرية إلى الآن .

ومنها (بلادُ الآص) : بفتح الحَمْزة الأولى والثانية وصاد مهملة في الآخر . وهم طائفة ، وبلادهم على بحر نيطش .

وقاعنهم (مدينة قِرْقَر) . قال في «تقويم البلدان» : بكسر القاف وسكون الراء المهملة وسكون القاف الثانية وكسر الراء المهملة في الآخر . وموقعها في الشمال

(١) الزيادة من التقويم .

(٢) تقدم له ضبطه بعد الحمزة وبالصاد وهو الصواب .

عن الإقليم السابع أوفى آخره . قال : والقياس أنها حيثُ الطولُ خمس وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، والعرضُ خمسون درجة . وهي قلعة عاصبةٌ منيعة في جبل لا يُقدَّر أحد على الطلوع إليه، وفي وسط الجبل وطاءة تُسَمَّى [أهل] تلك البلاد؛^(١) وعندها جبل عظيم شاهق يقال له (جاطر طاغ) يظهر لأهل السفن من بحر القرم . وهي في شمالي صاري كُزمان على نحو يوم منها .

ومنها (بلاد البرغال) بضم الموحدة وسكون الراء وفتح النين المعجمة وألف ثم لام في الآخر . ويقال لهم أولاً أيضاً بقاف في الآخر .

وقاعدتهم (مدينة طرتو) . قال في "تقويم البلدان" : بالطاء المكسورة والراء الساكنة المهملتين والنون المفتوحة وواو في الآخر . وموقعها في الإقليم السابع . قال : والقياس أنها حيثُ الطولُ ست وأربعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمسون درجة . وهي غربي صقجي على ثلاثة أيام وأهلها كُفار . قال بعض المسافرين وهي على خور البرغال .

ومنها (بلاد البلغار والسرب) . وهما طائفتان على بحر نيطنش .

فأما البلغار فبضم الباء الموحدة وسكون اللام وفتح النين المعجمة وألف ثم راء مهملة . قال المؤيد صاحب حماة في تاريخه : وهم منسوبون إلى المدينة التي يسكنونها . وقد سماها في كتابه "تقويم البلدان" بلاد بضم الباء وفتح اللام وألف وراء مهملة في الآخر . ثم قال : ويقال لها بالعربية (بُلغار) .

وأما السرب فبفتح السين وسكون الراء المهملتين وباء موحدة في الآخر . وهم في مملكة صاحب البلغار . وقاعدة ملكهم مدينة بلغار المذكورة، وموقعها في الشمال

(١) يباين بالاصول والتصحيح عن تقويم البلدان .

عن الإقليم السابع من الاقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيثُ الطول ثمانون درجة ، والعرضُ نحسون درجة وثلاثون دقيقة . قال : وهي بلدة في نهاية العِارة الشمالية قريئةً من شط إبل من الجانب الشمالى الشرقى ، وهي وصراًى في بر واحد ، وبينهما فوق عشرين مَرحلةً ؛ وهي في وطاة ، والجبل عنها أقل من يوم ؛ وبها ثلاثُ حَمَامات ، ولا يكون بها شئ من الفَوَاكه ولا أشجار الفَوَاكه من العنب وغيره لشتة بردها ؛ وبها الثَّجَل الأسود في غاية الكِبَر . قال المؤيد صاحبُ حماة : وحكى لى بعضُ أهلها أنَّ في أول فصل الصيف لا يغيب الشَّقَق عنها ويكون لبُها في غاية القِصَر . ثم قال : وهذا الذى حكاه صحيحٌ موافق لما يظهر بالأعمال الفلكية ، لأن من عَرَض ثمانية وأربعين ونصف يتبدى [عدم] غُيُوبَةِ الشَّقَق في أول فصل الصيف ، وعرضها أكثر من ذلك ، فصَحَّ ذلك على كل تقدير .

وقد حكى في "مسالك الأبصار" عن حَسَنِ الرومى عن مسعود الموقَّت بها : أن أقصر ليها أربع ساعات ونصف تحريراً ، وأنهم جرَّوه بالآلات الرصدية فوجدوه كذلك . قال صاحب حماة في تاريخه : وكان الغالب طليهم النصرانية ثم أسلم منهم جماعة . وذكر في "تقويم البلدان" أن أهلها مسلمون حنيفة . وذكر المسعودى في "مروج الذهب" أنه كان بالسَّرب والبُلغار دارُ إسلام من قديم . قال في "مسالك الأبصار" : أما الآن فقد تبدلت بِلَانُهَا كُفْراً ، وتداولها طائفةٌ من عبَاد الصَّليب ، ووصلت منهم رُسُلٌ إلى صاحب مصر سنة إحدى وثلاثين وسبع مائة بكتاب من صاحب السَّرب والبُلغار ، يرض نفسه على موَدَّته ويسأله سيفاً يتقلَّده ، وستَجَقاً يَقهَر أعداءه به ؛ فأكرم رسوله ، وأحسن رُزْله ، وجَهَّز له معه خِلمةً كاملة :

طَرْدَ وَحْشٍ بَقَصَبٍ بِسَجَابٍ مُقَدَّسٍ ، عَلَى مَفْرَجِ إِسْكَنْدَرِي ، وَكُلُّوهُ زَرْكَش ،
وَشَاشَ بَطْرَقِينَ رَقَمَ ، وَمِنْطَقَةَ ذَهَبَ ، وَكَلَالِيْبَ كَذَكَ ، وَسَيْفَ مَحَلِّي ، وَسَجَّحِي
سُلْطَانِي أَصْفَرٍ مُنْهَبَ . قَالَ فِي "التَّعْرِيفِ" : وَجَهْزَلُهُ أَيْضًا الْخَيْلُ الْمُسْرَجَةُ الْمَلْجَمَةُ .
وَرَبَّمَا أَنَّهُ يُظْهِرُ لِمَصْحَابِ السَّرَايِ الْأَقْيَادَ وَالطَّاعَةَ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" :
وَذَلِكَ لِعَظَمَةِ سُلْطَانِهِ عَلَيْهِمْ ، وَأَخَذَهُ بِخَنَاقِهِمْ لِقَرِيبِهِمْ مِنْهُ .

وَلِمَصْحَابِ السَّرْبِ وَالْبُلْغَارِ مَكَاتِبَةٌ تَخْصُهُ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ بِالْأَبْصَارِ الْمَصْرِيَّةِ .
وَمِنْهَا (بِلَادُ أَتْكُونُ) بِالْفِ وَفَاءُ وَتَاءُ مَثَنَاءُ ثُمَّ كَافٌ وَوَاوٌ وَنُونٌ . وَهِيَ بِلَادُ
تَلِي بِلَادِ الْبُلْغَارِ فِي جِهَةِ الشَّمَالِ .

وَقَاعَدَتِهِمْ مَدِينَةٌ تَسْمَى (قَصَبَةُ أَتْكُونُ) . وَالْقَصَبَةُ فِي مَصْطَلَحِهِمُ الْمَدِينَةُ الصَّغِيرَةُ .
قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبُلْغَارِ مَسَافَةٌ عَشْرِينَ يَوْمًا بِالسَّيْرِ الْمَعْتَادِ .
وَحُكِيَ عَنْ مَسْعُودِ الْمَوْقِفِ بِالْبُلْغَارِ أَنَّهُ حَرَّرَ لَيْلَهَا فَوَجَدَ أَقْصَرَ لَيْلَهَا ثَلَاثَ سَاعَاتٍ
وَنَصْفَ ، أَقْصَرُ مِنْ لَيْلِ الْبُلْغَارِ بِسَاعَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَمِنْهَا (بِلَادُ الصَّقَالِيَّةِ) بِفَتْحِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ وَالْقَافِ وَالْفِ وَكسْرُ اللَّامِ وَفَتْحُ الْيَاءِ
الْمُوَحَّدَةِ وَهَاءُ فِي الْآخِرِ . وَيُقَالُ لِبَعْضِ بِلَادِهَا بِلَادُ سَبْرَاوِيرَ . وَهِيَ تَلِي بِلَادِ أَتْكُونُ
فِي جِهَةِ الشَّمَالِ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَهِيَ بِلَادٌ شَدِيدَةُ الْبَرْدِ ، لَا يَفَارِقُهَا
التَّلْجُ مَدَّةَ سَنَةٍ أَشْهُرَ لَا يَزَالُ يَسْقُطُ عَلَى جِبَالِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ ، وَلِهَذَا تَقُلُّ الْمَوَاشِي عَنْهُمْ .
وَحُكِيَ عَنِ الْفَاضِلِ شِجَاعِ الدِّينِ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْخَوَارِزْمِيُّ التَّرْجَمَانُ أَنَّ مِنْهَا يُجَلَّبُ
السَّمُورُ وَالسَّجَابُ . ثُمَّ قَالَ : وَلَيْسَ بَعْدَهُمْ فِي الْعِمَارَةِ شَيْءٌ . وَذَكَرَ أَنَّهُ جَاءَ جَدُّهُ
قُتَيْبًا مِنْ بَعْضِ أَهْلِهَا يُسْأَلُ فِيهَا كَيْفَ تَكُونُ صَلَاةُ أَهْلِ بِلَادِهِ لَا يَغِيبُ عَنْهُمْ الشَّقِيُّ

حتى يطلع الصبح ؟ لسرعة انقضاء الليل وهذا ظاهر في أن هنم البلاد مسلمون
او فيهم المسلمون .

ومنها (بلاد جُولَان) بجم وواو ولام ثم ميم وألف ونون . وهى تلى بلاد
سبراور المقدمة الذكر فى جهة الشمال . وهى على مثل حال بلاد سبراور فى شتة
البرد وكثرة الطلج وأشد من ذلك . قال فى "مسالك الأبصار" قال حسن الرومى :
وهؤلاء هم سُكَّان قلب الشمال ، والواصل إليهم من الناس قليل ، والأقوات عندهم
قليلة حتى يحكى عنهم أن الإنسان منهم يجمع عظام أى حيوان كان ، ثم يغلى
عليه بقدر كفايته ثم يتركها ، وبعد سبع مرات لا يبقى فيها شئ من الودك .
قال : وهم مع ضيق العيش ليس فى اجناس الرقيق أنتم من أجسامهم ، ولا أحسن
من بياضهم ؛ وصورتهم تامة الخلقة فى حسن وبياض ونعمه عجيبه ، ولكنهم
زرق العيون . وإذا سافر المسافر من جُولَان إلى جهة الشرق ، وصل إلى مدينة
قرأقوم قاعدة القان الكبير القديمة . قال : وهى من بلاد الصين ، وإذا سافر منها
إلى جهة الغرب وصل إلى بلاد الروس ، ثم إلى بلاد القرم .

ومنها (بلاد الروس) بضم الراء المهملة وسكون الواو وسين مهملة فى الآخر .
قال فى "مسالك الأبصار" : وهى بلاد واطلة فى الشمال ، فى غربى بلاد جُولَان
المقدمة الذكر . قال صاحب حماة فى تاريخه : ولم يجرأ أيضا فى بحر نيطنش .

ومنها (بلاد الباشقرد) . قال صاحب حماة فى تاريخه : وهم أمة كبيرة ما بين
بلاد الباب وبلاد قرمجة . قال : وغالبهم نصارى وفيهم مسلمون ، وهم شرسو
الأخلاق . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مُصَاقِبَة لبلاد جُولَان . ثم قال :
وفى باشقرد قاض مسلم معتبر .

ومنها (بلاد البُرْجان) بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الجيم وألف ونون، وقد تبدل الجيم شينا . قال صاحب حماة في تاريخه : وهم أُم كثيرة طاغية قد فشا فيهم التلثُ . قال : وبلادهم وأغلة في الشمال، وأخبارهم وسير ملوكهم منقطعة عَنَّا لبعدهم وجفاء طباعهم . وقد تهلَّم أن البُرْجان غلب على مكانهم الألمانية، فيحتمل أنهم هؤلاء، ويحتمل أنهم طائفة أخرى منهم غير هؤلاء .

ومنها (بلاد بَمَخ) بياء موحدة وميم ثم خاء معجمة . قال في "مسالك الأبصار" : وهي بلاد مشتركة بين بلاد الروس والقرنج .

ومنها (بلاد بُوغَزَة) بياء موحدة ثم واو وضيم وزاى ثم هاء في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : قال الشيخ علاء الدين بن التَّهَّان الخوارزمي : وهي بلاد في أقصى الشمال ، وليس بعدها عَمَّارة غير بُرج عظيم من بناء الإسكندر على هيئة المَنارة العالية، ليس وراءه مذهب إلا الظلمات؛ وهي صَخَّار وجبال لا يفارقها الثلج والبرد، ولا تَطْلُع عليها الشمس ، ولا يَنْبُت فيها نَبَات ، ولا يعيش فيها حيوان أصلا، متصلةٌ ببحر أسود لا يزال يُمَطَّر والغم منعقد عليه، ولا تَطْلُع عليه الشمس أبدا . قال ابن التَّهَّان : ويقال إن الإسكندر مرَّ بأطراف أوائل جبال الظلمات الغريبة من العِارة فرأى فيه أناسا من جنس التُّرك أشبه شيء بالوحوش لا يعرف أحدٌ بلغتهم، وإذا أمسكهم أحد فرؤا من يده، يأكلون من نبات الجبال المجاورة لهم فإذا أَصْحَطُوا أَكَل بعضهم بعضا؛ فزبهم ولم يعترضهم .

وأعلم أنه قد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ علاء الدين بن التَّهَّان أن التُّجَّار المترددين إلى بلاد الديار المصرية لا يتعلَّون في سفرهم بلاد البُلغار، ثم يرجعون من هناك؛ ثم تُجَّار بُلغار يُسافرون منها إلى بلاد جُولان، وتُجَّار جُولان

يسافرون إلى بلاد بُوغَزَة التي ليس بعدها عمارة . وقد ذكر في "تقويم البلدان" أن شمالي بلاد الرُّوس مما هو متصل بالبحر المحيط الشمالي قوماً يُدْعَوْنَ مُغَايِيَّةً . وذكر عن بعض من سافر إلى تلك البلاد أنه إذا وصل التجار إلى مُخُومِهِمْ ، أقاموا حتى يعلموا بهم ، ثم يتقدمون إلى مكانٍ معروفٍ عندهم بالبيع والشراء ، فيضع كلُّ تاجر بضاعته ، ويعلمها بعلامة ، ثم يرجعون إلى منازلهم ، ثم يحضرون أولئك القوم ويضعون مُقَابِلَ تلك البضائع السُّمُور ، والوشق ، والتعلب ، وما شاكل ذلك ؛ ويدعونهم ويمنضون ، ثم يحضرون التجار من الغد فمن أعجبه ذلك أخذه وإلا تركه ، حتى يتفصلوا على الرضا . وقد تقدم ذكر مثل ذلك عن قوم بالهند وعن قوم ببلاد السودان في الكلام على مملكة مالي .

قلت : وقد تقدم في الكلام على مملكة خوارزم والقبچاق من مملكة التورانيين في القسم الثاني منها أن الجركس والرُّوس والآص أهل مُدُنٍ عاصريةٍ أهليةٍ ، وجبال مُشجرةٍ مُثمرةٍ ؛ ينبتُ عندهم الزرع ، ويدُرُ الضرع ، وتجري الأنهار ، ويُجنى الثمار ؛ ولا طاقة لهم بسلطان تلك البلاد . وإن كان فيهم ملوك فهم كالأرمايا لصاحب السراي إن داروه بالطاعة والتَّخَفِ والطَّرْفِ كَفَّ عنهم والاشنَّ عليهم الغارات وضايقتهم وحاصروهم .

المقالة الثالثة

(في ذكر أمور تشترك فيها أنواع المكتبات ، والولايات ، وغيرهما من
الاسماء ، والكُنى ، والألقاب ، ومقادير قطع الورق ، وما يناسب كل مقدار منها من
الأقلام ؛ ومقادير البياض في أول الدّرج وحاشيته ، ومقدار بُعد ما بين السطور
في الكتابات ، وبيان المستندات التي يصدر عنها ما يكتب من ديوان الإنشاء بهذه
المملكة : من مكاتبات ، وولايات ، وكتابة المخصصات ، وكيفية تعيين صاحب
الديوان لها ، وبيان القواع ، والخواتم . وفيه أربعة أبواب) .

الباب الأول

(في الأسماء والكُنى والألقاب ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في الأسماء والكُنى ، وفيه طرّقان)

الطرّف الأول

(في الأسماء)

والأسم عند النّحاة مادلّ على مسمى دلالة إشارة ، واشتقاقه من السّمة وهي
العلامة لأنّه يصير علامة على المسمى يميزه عن غيره ؛ أو من السّمؤل لأنّ الاسم يمثّل
المسمى باعتبار وضعه عليه .

ثم المراد هنا بالاسم أحد أقسام العلم وهو ما ليس بكُنية ولالقب ؛ وفيه جملتان :

الجملة الأولى

(في أصل التسمية والمقصود منها ، وتوزيع الأسماء ،
وما يُستحسن منها ، وما يُستقبح)

أما أصل التسمية فهي لاتخرج عن أمرين :

أحدهما أن يكون الاسم مُرتجلاً : بأن يضعه الواضع على المسمى ابتداءً ، كدَد اسم رجل ، وسَعَادَ اسم امرأة ، فإنهما ليسا بمسبوقين بالوضع على غيرهما . والرجوع في معرفة ذلك إلى النقل والاستقراء .

والثاني أن يكون الاسم منقولاً عن معنى آخر ، كاسد إذا سمي به الرجل قلاً عن الحيوان المفترس ، وزيد إذا سمي به قلاً عن معنى الزيادة وما أشبه ذلك . وهذا هو أكثر الأسماء الأعلام وقوياً ، والرجوع في معرفته إلى النقل والاستقراء أيضاً كما تقدم في المرتجل .



وأما المقصود من التسمية ، فتمييز المسمى عن غيره بالاسم الموضوع عليه ليتعرف .



وأما توزيع الأسماء ، فيختلف باختلاف المسمين وما يدور في خزان خيالهم مما يلقونه ويخاورونه ويخالطونه .

فالعرب - أكثر أسمائهم منقولة عما لستهم مما يدور في خزان خيالهم إما من أسماء الحيوان كَبْكُر : وهو ولد الناقة ، وأسد : وهو الحيوان المفترس المعروف ، وإما من

أسماء النبات كَحَنْظَلَة : وهو اسم لواحدة الحنظل الذي هو النبات المعروف من نبات البادية ، وطلحة : وهو اسم لشجرة من شجر الغضى ، وعويجة : وهو اسم لشجرة من شجر البادية . وإما من أجزاء الأرض كحزن : وهو الغليظ من الأرض ، وصخر : وهو الصلد من الحجارة . وإما من أسماء الزمان كربيع : وهو أحد فصول السنة الأربعة . وإما من أسماء النجوم كسيك : اسم لنجم معروف . وإما من أسماء الفاعلين : كحارث فاعل من الحرث ، وهمام فاعل من همَّ أن يفعل كذا ، إلى غير ذلك من المقولات التي لا تحصى .

وكان من عادتهم أن يختاروا لأبنائهم من الأسماء ما فيه البأس والشدة ونحو ذلك : كعارب ، ومقاتل ، وعزاجم ، ومذافع ونحو ذلك ؛ ولوالهم ما فيه معنى التفاؤل : كفلح ، ونجاح ، وسالم ، ومبارك ، وما أشبهها ؛ ويقولون : أسماء أبنائنا لأعدائنا ، وأسماء موالينا لنا ؛ وذلك أن الإنسان أكثر ما يدعو في ليله ونهاره مواليه للاستخدام دون أبنائه فإنه إنما يحتاج إليهم في وقت القتال ونحوه .

والترك - راعوا في أسمائهم ما يدل على الجلالة والقوة مما يلقونه ويخاؤونه ، وغالب ما يسمون باسم بقاء ومعناه بلغتهم الفضل : إما مفردا كما تقدم وهو قليل ، وإما موصوفاً بحیوان من الحيوانات ، مقدمين الصفة على الموصوف على قاعدة لُغَتهم في ذلك ، كطيغا بمعنى خيل مهير . وإما بمعدين من المعادن : كالطينغا بمعنى خيل ذهب ، وكشيبغا بمعنى خيل فضية ، وتمر بقا بمعنى خيل حديد . وربما أبدل اسم الفضل باسم الحديد ، واسمه بلغتهم دُمر كحي دُمر بمعنى أمير حديد ، وطي دُمر بمعنى مهر حديد . وربما أفردوا الاسم بالوصف كدُمر بمعنى حديد ، وأرسلان بمعنى أسد ، وتُسُكر بمعنى بحر ، ونحو ذلك إلى غير ذلك من المفردات والمركبات التي لا يأخذها

حصر . وكذلك كل أمة من أمم الأعاجم تُراعى في التسمية ما يدور في خزانة خيالها مما يخاطبونه ويخاورونه .

وأما الأمم المتدينة فلهم راعوا في أسمائهم التسمية بأسماء أنبيائهم وصحابهم .

فالمسلمون — تسموا باسمي النبي صلى الله عليه وسلم الواردين في القرآن وما " محمد " و " أحمد " إذ يقول صلى الله عليه وسلم ، تسموا باسمي . وكذلك تسموا باسم غيره من الأنبياء عليهم السلام : إما بكثرة : إبراهيم ، وموسى ، وهارون ، وإما بقلة : كآدم ، ونوح ، ولوط . وأخذوا يوافر حظ من أسماء الصحابة رضوان الله عليهم : كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وحسن ، وحسين ، وما أشبه ذلك .

والنصارى — تسموا باسم عيسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام ممن يعتقدون نبوته : إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وموسى ، وكذلك أسماء الحوارين : بطرس ، ويوحنا ، وتوما ، ومثي ، ولوقا ، وسمعان ، وبرتلوما ، وأندراوس ، ونحويها : كرقص ، وبولص ، وغيرها .

واليهود — تسموا باسم موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء الذين يعتقدون نبوتهم : إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، ولم يتسموا باسم عيسى عليه السلام لإنكارهم نبوته .



وأما ما يستحسن من الأسماء فما وردت الشريعة بالنسب إلى التسمية به : كأسماء الأنبياء عليهم السلام ، وعبد الله ، وعبد الرحمن ، ففي سنن أبي داود والترمذي من

رواية أبي وهب الجُشمي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ ، وَهَمَامٌ ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ ، وَمُرَّةٌ » .



وأما ما يُسْتَفْهِجُ فما وردت الشريعة بالنهاى عنه : إما لكَرَاهَةِ لَفْظِهِ كحَرْبٍ وَمُرَّةٍ ، وإما للتطير به كَرَبَاحٍ ، وَأَفْلَحَ ، وَنَجَّحَ ، وَرَاجِحَ ، وَرَافِعَ ، وَنَحْوَهَا . ففى صحيح مسلم وغيره النهى عن التسمية بمثل ذلك معللاً بأنك تقول : أَيْمٌ هُوَ ؟ فَيُقَالُ لَا ، وَإِذَا لَعَنَ فِيهِ : كالتسمية بِشَاهِدِشَاهٍ ، ومعناه بالفارسية مَلِكُ الْأَمْلاَكِ . ففى الصحيحين من رواية أبي هريرة أنه أَخْنَعَ أَسْمَ . وقد ورد فى جامع الترمذى من حديث عائشة رضى الله عنها ، « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُغَيِّرُ الْإِسْمَ الْقَبِيحَ » .

الجملة الثانية

(فى مواضع ذكر الأسماء فى المَكْتَبَاتِ وَالْوِلَايَاتِ)

أما المَكْتَبَاتُ ، فالأسماء التى تذكر فيها على أربعة أنواع :

النوع الأول

(أَسْمُ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ)

وذكره إنما يقع فى المَكْتَبَاتِ فى موضع الخُضُوعِ وَالتَّوَاضُّعِ ، إِذْ مِنْ شَأْنِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ ذَلِكَ ؛ وَلَهُ مَحَلَّانِ :

المحل الأول — فى نفس المَكْتَبَةِ وَفِيهَا إِذَا كَانَتْ الْمَكْتَبَةُ بِصُورَةٍ « مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ » كَمَا كَانَ يُكْتَبُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى

فلان، وكما كان يُكْتَب عن الخلفاء : من عبد الله فلان أمير المؤمنين إلى فلان، وكما يُكْتَب الآن في المكاتبات السلطانية إلى ملوك المغرب، وما يكتب عنهم إلى الأبواب السلطانية ونحو ذلك .

المحل الثاني — العلامة في المكاتبات كما يكتب المملوك فلان، أو أخوه فلان، أو شاكركه فلان، أو فلان فقط، ونحو ذلك على اختلاف المراتب الآتية على ماسياقي الكلام عليه إن شاء الله تعالى .

النوع الثاني

(أسمُ المكتوب إليه، وله محلان)

المحل الأول — ابتداء المكتوبة كما يُكْتَب في بعض المكاتبات «من فلان إلى فلان، أو إلى فلان من فلان» ونحو ذلك؛ وكما يكتب في مكاتبات القانات، فلان خان؛ وكما يذكر أسم ملوك الكُفَر في مكاتباتهم عن الأبواب السلطانية ونحو ذلك . وفيما عدا ذلك من المكاتبات المصدرة بالثقل والدعاء وغيرهما من المصطلح عليه في زماننا وما قاربه لا يَصْرَح باسم المكتوب إليه غالبا تعظيما له عن التفوه بذكره، إذ ترك التصريح بالأسم دليل التعظيم والتوقير والتبجيل، بخلاف الكنية واللقب، فإنهما بصدد التعظيم للقب أو المكنى على ماسياقي بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى ولذلك لم يخاطب الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في كتابه العزيز باسمه تشريفا لمقامه، ورفعة لمحلّه، فلم يقل يا محمدُ ويا أحمد كما قال يا آدم، يا نوح، يا إبراهيم، ياموسى، يا عيسى . بل قال ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ وقد صرح أصحابنا الشافعية وغيرهم أنه لا يجوز ندأؤه صلى الله عليه وسلم باسمه احتجاجا بالآية الكريمة .

وفي كتاب ابن السني عن أبي هريرة رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً معه غلام فقال للغلام : مَنْ هذا ؟ - قال أبي - قال : فلا تمش أمامه ولا تستسب له ، ولا تجلس قبله ، ولا تدعه باسمه . »

المحل الثاني - العنوان من الأدنى إلى الأعلى . كما يكتب في عنوان بعض المكاتبات « مطالعة المملوك فلان » على ماسياتي في الكلام على العنوان . وإذا كان من تعظيم المخاطب أن لا يُخاطب باسمه فكذلك في مكاتبتة : لأن المكاتبه الصادرة إلى الشخص قائمة مقام خطابه ، بل المكاتبه أجدر بالتعظيم لاصطلاحهم في القديم والحديث على ذلك .

النوع الثالث

(أسم المكتوب بسببه)

وهو مما لا قص فيه بسبب ذكره ، إذ لا بُد من التصريح باسمه ليُعرف ، اللهم إلا أن يشتهر حتى تغني شهرته عن ذكر اسمه ؛ وله محلان :

المحل الأول - في العترة بأن يقال « هذا ماعهد به فلان » إما الخليفة في عهده بالخلافة أو السلطنة ، أو السلطان في عهده بالسلطنة على ماسياتي بيانه . وفي معنى ذلك البيعات بأن يقال « مبايعة شريفة لفلان » ونحو ذلك .

المحل الثاني - صدر الولاية حيث يقال : هذا ماعهد عبد الله ووليّه فلان ، أو من عبد الله ووليّه فلان ، ونحو ذلك على اختلاف المذاهب في الابتداء على ماسياتي .

النوع الرابع

(أسم من تصدُر إليه الولاية، وله محلان)

المحل الأول — في الطَّزَّة إما في العهود حيث يقال : هذا ماعهد فلان^١ إلى فلان .
وإما في التقاليد والتواقيع والمَراسيم ، حيث يقال : أن يُقَوَّضَ إلى فلان ، أو أن
يستقَرَّ فلان ، أو أن يَرْتَبَ فلان^٢ .

المحل الثاني — أثناء الولاية حيث يقال : أن يُقَوَّضَ إلى فلان ، أو أن يستقَرَّ
فلان ، أو أن يَرْتَبَ فلان ، على نظير ما في الطَّزَّة ؛ أما المولى عليه فقل أن يُذَكَّرَ كما
في التحدث على شخص معين ونحوه .

الطَّرَف الثاني

(في الكُنَى)

والكُنْيَة عند النحاة أحد أقسام العلم أيضا ، والمراد بها ما صُدِّرَ بِأَيِّ أو أم ، مثل
أبي القاسم ، وأم كُتُوم وما أشبه ذلك . وقد كان للعرب بالكُنَى أتمُّ العناية ، حتى
إنهم كنُوا جملةً من الحيوان بِكُنَى مختلفة : فكنُوا الأسدَ بِأَبِي الحارث ، والثعلبَ
بِأَبِي الحَصِين ، والدَّيْلَكَ بِأَبِي سُلَيْمَانَ ؛ وكنُوا الضَّبَّ بِأَمِّ طامِرٍ ، والدَّجاجةَ بِأَمِّ حَفْصَةَ ،
والجرادةَ بِأَمِّ عَوْفٍ ونحو ذلك . وفيه ثلاثُ جمل :

الجملة الأولى

(في جواز الكنية ، وهي على نوعين)

النوع الأول

(كُنَى المسابن)

قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله في كتابه "الأذكار" : وجواز التكني أشهر من أن يذكر فيه شيئاً متقولاً ، فإن دلالته يشترك فيها الخواص والعوام . قال : والأدب أن يُخاطب أهل الفضل ومن قاربهم بالكنية ، وكذلك إن كتب إليه رسالة ، أو روى عنه رواية . فيقال : حدثنا الشيخ أو الإمام أبو فلان فلان بن فلان وما أشبهه .

وأعلم أن الأولين أكثر ما كانوا يَظْمَنون بعضهم بعضاً في المخاطبات ونحوها بالكُنَى ، ويرون ذلك في غاية الرقة ونهاية التعظيم حتى في الخلفاء والملوك : فيقال : أبو فلان فلان ، وبالنوا في ذلك حتى كنوا من أسمه في الأصل كنية فقالوا في أبي بكر «أبو المنّاب» اعتناءً بشأن الكنية ؛ وربما وقف الأمر في الزمن القديم في تكتية خاصبة الخليفة وأمرائه على ما يكتنيه به الخليفة ، فيكون له في الرقة منتهى ينتهي إليه ؛ ثم رجع أمرهم بعد ذلك إلى التعظيم بالانقباب . على أن التعظيم بالكُنَى باقٍ في الخلفاء والملوك فمن دُونهم إلى الآن على ما ستقف عليه في مواضعه إن شاء الله تعالى ؛ وكذلك القضاة والعلماء ، بخلاف الأمراء والجُند والكتاب ، فإنه لا عناية لهم بالكُنَى .

ثم لافرق في جواز التَّكْنِي بين الرجال والنساء، فقد كانت «عائشة» أم المؤمنين رضى الله عنها تَكْنِي «بِأَمِّ عَبْدِ اللَّهِ» وكذلك غيرها من نساء الصحابة والتابعين كان لمن كُنِيَ يَكْنِيَنَّ بها .

النوع الثاني

(كُنِيَ أَهْلُ الْكُفْرِ وَالْفَسَقَةِ وَالْمُبْتَدِعِينَ)

قال النووي : والكافر والفاسق والمبتدعُ إن كان لا يُعْرَفُ إلا بالكُنية جاز تَكْنِيَّتُهُ . قال تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ وأسمه عبدُ المُنزِي ، قيل : إنه ذكر تَكْنِيَّتُهُ لكونه كان لا يُعْرَفُ إلا بها ، وقيل : كراهةُ لاسمه حيثُ جُعِلَ عبدًا للصَّغْمِ ، وقد تكرر في الحديث ذكرُ أَبِي طَالِبٍ بِكُنْيَتِهِ ، وأسمه عبدُ مَنَافٍ . وفي الصحيح أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَمَّا مَرَّ بِأَرْضِ الْيَمَنِ مِنَ الشَّامِ ، قَالَ هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ» لعاقِرِ النَّاقَةِ مِنْ قَوْمِ مُؤَدٍّ . قال : وكذلك إِذَا خِيفَ مِنْ ذِكْرِهِ بِاسْمِهِ فَتَنَّهُ ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ لِيُعَوِّدَ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَتَرَفَى طَرِيقَهُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَرْزَةَ بْنِ سُلُوكٍ الْمَنَافِقِي ، وَمَا كَانَ مِنْ بَنَاءَتِهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ مَرَّ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ - فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ ؟ (يَرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْزَةَ بْنِ سُلُوكٍ) قَالَ كَذَا وَكَذَا . وَذَكَرَ الْحَدِيثَ . قَالَ : فَإِنْ كَانَ يُعْرَفُ بِغَيْرِ الْكُنْيَةِ وَلَمْ يُخَفَّ فَتَنَّهُ لَمْ يُزِدْ عَلَى الْأَسْمِ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ «مَنْ مَجَّدَ عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ إِلَى

هَرَقْلَ « فسماه باسمه فلم يكنه ولا لقبه بملك الروم . قال : ونظائر هذا كثيرة ، وقد أمرنا بالإغلاظ عليهم ، ولا ينبغي لنا أن نكثيهم ، ولا نرتقي بهم ، ولا نلين لهم قولا ، ولا نظهر لهم ودنا ولا مؤالفة .

الجملة الثانية

(فيما يُكنى به ، وهو على نوصيف)

النوع الأول

(كُنَى الرجال ، ولها حالان)

الحال الأول — أن يكون للرجل ولد أو أولاد . قال النووي : فإن كان له ولد يُكنى به ، ولا فرق في ذلك بين أن يكون الولد ذكرا أو أنثى ، فيجوز تسمية الرجل بأبي فلانة كما يجوز بأبي فلان . فقد تسمى جماعة من أفاضل السلف من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم بأبي فلانة ، فمن الصحابة أبو ليلى : والد عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وأبو فاطمة الليثي ، وأبو مريم الأزدي ، وأبو رقية تميم الداري ، وأبو زرعة المقداد بن معدى كرب . ومن التابعين أبو عائشة مشروق بن الأجدع وخلائق لا يحصون . وإن كان له أولاد يُكنى بأكرمهم : فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُكنى بأبي القاسم ، وكان القاسم أكبر بيته .

وفي سنن أبي داود والنسائي عن ثمر بن الحارث أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه فسميهم يُكنونه بأبي الحكم ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله هو الحكم وإليه الحكم ! فلم تُكنى أبا الحكم ؟ - فقال : إن قومي

اختلفوا في شيء فاتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحسن هذا ! فالك من الولد ؟ - قال : مُرِجٌ ، ومسلمٌ ، وعبدُ الله - قال : فمن أكبرهم ؟ - قال - مُرِجٌ - قال : فانت أبو مُرِجٍ »
فلو تكفى بنير أولاده فلا بأس به قاله النووي . ثم قال : وهذا الباب واسع لا يحصى من يتصف به .

وقد اختلف في جواز التكني بأبي القاسم : فنص الشافعي رضي الله عنه على أنه لا يجوز التكني بذلك مطلقاً ، لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال « تسموا بأبني ولا تكتنوا بكنيتي » . وذهب زاهبون إلى تخصيص ذلك بحياته صلى الله عليه وسلم احتجاجاً بأن المنع فيه كان ليللة : وهي أن اليهود كانوا يتأدون بأبأ القاسم ! فإذا التفت النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : لم تنك ، قصداً لإيذائه صلى الله عليه وسلم وقد زالت هذه العلة بوفاته صلى الله عليه وسلم ، واختاره النووي من أصحاب الشافعية . وذهب آخرون إلى تخصيص المنع بما إذا جمع لواحد بين الاسم والكنية ، بأن يتسمى محمداً ويتكنى بأبي القاسم ، بخلاف ما إذا لم يكن اسمه محمداً فإنه يجوز وهو وجه قوي .

الحال الثاني - أن لا يكون للرجل ولدٌ بأن لم يؤلد له ولدٌ أصلاً ، قال النووي : فيجوز تكنيته حتى الصغير . ففى الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ، وكان لي أخٌ يُقال له أبو عميرٍ (قال الراوى) : أحسبه فطياً ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذ اجاء يقول يا أبا عمير ، ما فعل النغير ؟ لنغير كان يلعب به » . قال النووي : وكان من الصحابة رضوان الله عليهم جماعاتٌ لهم كُنْي قبل ان يؤلد لهم ،

كأبي هريرة وخلائق لا يُحصَوْنَ من التابعين فمن بعدهم . قال : ولا كراهة فيه بل هو محبوب بشرطه .

وأعلم أن الرجل قد يكون له كُنتانٍ فأكثُرُ ، فقد كان لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ثلاثُ كُنى : أبو عمرو ، وأبو عبد الله ، وأبو ليلى .

النوع الثاني

(كُنى النساء)

والحال فيه أنه إن كان للراة ولدٌ تكتت به ذكرا أو أنثى ، كما تقدم في الرجل . وإن كان لها أولاد تكتت بأكبرهم مع جواز الكنية بغير أولادها كما في الرجل أيضا . قال النووي : ويجوز تكتيتها ولو لم يولد لها ، ففى سنن أبي داود وغيره بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : « يا رسول الله كُلُّ صَوَاحِبِي لهنَّ كُنى ؛ قال : فاكُتْنِي بِأَيْتِكَ عَبْدُ اللَّهِ - يعنى عبد الله بن الزبير ، وهو ابن أختها أسماء ، وكانت عائشة رضي الله عنها تكتنى أم عبد الله » قال : هذا هو الصحيح المعروف . وما رواه ابن السني عن عائشة أنها قالت « أَسْقَطْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِقْطًا فسماهُ عَبْدُ اللَّهِ » الحديث ضعيف . ثم كما تجوز كنية الرجل بأبي فلانة ، يجوز كنية المرأة بأم فلانة من باب أولى .

الجملة الثالثة

(في الكنى في المكتبات والولايات)

فأما الكنية في المكتبات فهي ثلاثة أنواع :

النوع الأول

(تكنى المكتوب عنه)

قال محمد بن عمر المدايني في كتاب "القلم والدواة" : أول من أكنى في كُتبه «الوليد بن عبد الملك» . قال النووي في "الأذكار" : والأدب أن لا يذكر الرجل كنيته في كتابه ولا في غيره إلا أن لا يعرف إلا بكنيته، أو كانت الكنية أشهر من اسمه . وقال أبو جعفر النحاس : إذا كانت الكنية أشهر، يكتفى على نظيره ويسمى لمن فوقه ثم يلحق «المعروف أبا فلان، أو بابي فلان» .

ثم الكنية من المكتوب عنه قد تكون في صدر الكتاب كما يكتب عن الخلفاء «من عبد الله ووليه أبي فلان فلان أمير المؤمنين» أو في موضع العلامة كما يكتب في الطغراء من السلطان للملك الكفر بعد سياقة ألقاب السلطان «أبو فلان فلان» أو في العنوان كما كان يكتب في المصطلح القديم «من أبي فلان فلان إلى فلان» .

النوع الثاني

(تَكْنِيَةُ المَكْتُوبِ إِلَيْهِ)

وبه كان الاعتناء في الزمن المتقدم لاسمياً إذا كان المکتوب إليه ممن يَسْتَحِقُّ التعظيم بالكِنية . وكنية المکتوب إليه تارة تكون في عنوان الكتاب كما يُكْتَبُ « إلى أبي فلان فلان » وتارة تكون في صدر الكتاب كما كان يكتب « من فلان إلى أبي فلان فلان » .

النوع الثالث

(تَكْنِيَةُ المَكْتُوبِ بِسَبَبِهِ)

وهي تارة تذكر في طرّة الكتاب فيقال فيمن قُصِدَ تعظيمه « بما قصده أبو فلان فلان » وأستعمله قليل . وتارة تذكر في أثناء الكتاب حيث يجري ذكره .



وأما الكنية في الولايات فلها إعلان :

أحدهما - في طرّة الولاية، حيث يقال : « عهد شريف [لأبي فلان^(١) فلان » أو « تقليد شريف بأن يؤوض إلى [أبي فلان^(٢) فلان » .

والثاني - في أثناء الولايات حيث يجري ذكره على ما سياتى بيانه إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل عه، وهو غير مناسب، والتصحيح عن الضوء المؤلف .

(٢) الزيادة عن الضوء .

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة الثالثة

(في الألقاب ، وفيه طرفان)

الطَّرَفُ الأول

(في أصول الألقاب ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في معنى اللَّقَبِ والنِّعَةِ ، وما يجوز منه ويَتَّبَعُ)

أما اللَّقَبُ فاصِلُهُ في اللغة النَّبَرُ - بفتح الباء . قال ابن حبيب النعمان في " ذخيرة الكُتَّاب " : والنَّبَرُ ما يَخاطَبُ به الرجلُ الرجلَ من ذكر صوبه وما ستره عنده أحبُّ إليه من كَشْفِهِ ، وليس من باب الشَّمِّ والقَبْفِ .



وأما النِّعَةُ فاصِلُهُ في اللغة الصُّفَةُ . يقال : نَعَتَهُ يَنْعِتُهُ نَعْتًا إذا وَصَفَهُ . قال في " ذخيرة الكُتَّاب " : وهو مُتَّفَقٌ على أنه ما يختاره الرجل ويؤثره ويزيد في إجلاله ونباهته ، بخلاف اللَّقَبِ . قال : لكن العامة استعملت اللَّقَبَ في موضع النِّعَةِ الحسن ، وأوقعوه مَوْقِعَهُ لكثرة استعمالهم لَوَاقِحِهِ ، حتى وقع الاتِّخاُفُ والاصْطِلَاحُ على استعماله في التشريف والإجلال والتعظيم والزيادة في النِّبَاهَةِ والتَّكْرِيمَةِ .

قلت : والتَّحْقِيقُ في ذلك أن اللَّقَبَ والنِّعَةَ يُستعملان في المَدْحِ والذَّمِّ جميعاً : فمن الألقاب والتَّعْوِثُ ما هو صفةٌ مديحٌ ومنها ما هو صفةٌ ذمٌّ . وقد عرِّفَ النِّعَةُ اللَّقَبَ بأنه ما أدَّى إلى مَدْحٍ أو ذَمٍّ ، فالْمُؤَدِّيُّ إلى المدح كأمير المؤمنين ،

وَزَيْنَ الْعَابِدِينَ ؛ وَالْمَوْذَى إِلَى النَّفْسِ كَانْفِ النَّاقَةِ وَسَعِيدُ كُرْزٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .
وَالنَّعْتُ تَارَةً يَكُونُ صِفَةً مَدْحٍ ، وَتَارَةً يَكُونُ صِفَةً ذَمٍّ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُرَادَ هُنَا
مِنَ الْقَلْبِ وَالنَّعْتُ مَا أَدَّى إِلَى الْمَدْحِ دُونَ الذَّمِّ . وَقَدْ أَصْطَلَحَ الْكُتَّابُ عَلَى أَنْ يَمُنُّوا
بِصِفَاتِ الْمَدْحِ الَّتِي يُورِدُونَهَا فِي صُدُورِ الْمُكَاتِبَاتِ وَنَحْوِهَا بِصِیْغَةِ الْإِفْرَادِ كَالْأَمِيرِ
وَالْأَمِيرِيِّ وَالْأَجَلِّ وَالْأَجَلِّ وَالْكَبِيرِ وَالْكَبِيرِيِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ أَقْبَابًا ؛ وَبِصِفَاتِ الْمَدْحِ
الَّتِي يُورِدُونَهَا عَلَى صُورَةِ التَّرَكِيبِ كَسَيِّفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَظَهِيرِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ
وَنَحْوِ ذَلِكَ نَحْوَتًا ؛ وَلَا مَعْنَى لِتَخْصِیْصِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْأَسْمِ الَّذِي يَمُنُّ بِهِ إِلَّا بِمَجْزُودِ
الْأَصْطِلَاحِ ؛ وَلَا نِزَاجَ فِي إِطْلَاقِ الْقَلْبِ وَالنَّعْتِ عَلَيْهِمَا بِاعْتِبَارَيْنِ : فَمِنْ حَيْثُ إِنَّهَا
صِفَاتٌ مُؤَدِّيَةٌ إِلَى الْمَدْحِ يُطْلَقُ عَلَيْهَا أَسْمُ الْقَلْبِ ، وَمِنْ حَيْثُ إِنَّهَا صِفَاتٌ لِنَوَاتٍ
قَائِمَةٌ بِهَا يُطْلَقُ عَلَيْهَا أَسْمُ النَّعْتِ .



وَأَمَّا مَا يَجُوزُ مِنْ ذَلِكَ وَيَمْتَنِعُ ، فَالْحَاظُ مِنْهُ مَا أَدَّى إِلَى الْمَنْحِ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ
وَيُؤْتَرُهُ ، بَلْ رُبَّمَا اسْتَحَبَّ ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ النَّوَوِيُّ فِي «الْأَذْكَارِ» لِلْإِطْلَاقِ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ
قَدِيمًا وَحَدِيثًا . وَالْمَنْتَنِعُ مِنْهُ مَا أَدَّى إِلَى الذَّمِّ وَالنَّقِیْبَةِ بِمَا يَكْرَهُهُ الْإِنْسَانُ وَلَا يُجِبُّ
نَسِبَتَهُ إِلَيْهِ . قَالَ النَّوَوِيُّ : وَهُوَ حَرَامٌ بِالْإِتِّفَاقِ ، سِوَاهُ كَانَ صِفَةً لَهُ : كَالْأَعْمَشِ ،
وَالْأَجْلَحِ ، وَالْأَعْمَى ، وَالْأَحْوَلِ ، وَالْأَبْرَصِ ، وَالْأَتَمِّ ، وَالْأَصْفَرِ ، وَالْأَحْدَبِ ،
وَالْأَصْمَ ، وَالْأَزْرَقَ ، وَالْأَشْرَقَ ، وَالْأَثَرَمَ ، وَالْأَقْطَعَ ، وَالزَّيْنِ ، وَالْمُقْعَدَ ، وَالْأَشْلَلَ ،
وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . أَوْ كَانَ صِفَةً لِأَيِّهِ : كَابْنِ الْأَعْمَى ، أَوْ لَأَمَةٍ : كَابْنِ الصُّورَاءِ وَنَحْوِ
ذَلِكَ بِمَا يَكْرَهُهُ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْقُسُوفُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾

قال: وآخفوا على جواز ذكره بذلك على جهة التعريف لمن لا يعرفه إلا بذلك؛ ودلائل ذكره كثيرة مشهورة، وهو أحد المواضع التي تجوز فيها الغيبة.

المجلة الثانية

(في أصل وضع الألقاب والتعوت المؤدية إلى المنح)

وأعلم أن ألقاب المنح ونعوتها لم تزل واقعة على أشرف الناس وجلة الخلق في القديم والحديث؛ فقد ثبت تلقب إبراهيم عليه السلام بـ«الحليل» وتلقب موسى عليه السلام بـ«الكليم» وتلقب عيسى عليه السلام بـ«المسيح» وتلقب يوسف عليه السلام بـ«ذي النون» وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلقب قبل البعثة بـ«الأمين» ووردت التواريخ بذكر ألقاب جماعة من العرب في الجاهلية: كـ«ذي يزن» و«ذي المنار» و«ذي نواس» و«ذي رعين» و«ذي جدن» وغيرهم مما هو مشهور شائع. وكذلك وقعت ألقاب المنح على كثير من عظماء الإسلام وأشرفه كالصحابية رضوان الله عليهم فمن بعثهم من الخلفاء والوزراء وغيرهم: فكان لقب أبي بكر «عتيقا» ثم لقب بـ«الصديق» بعد ذلك، ولقب عمر «الفاروق» ولقب عثمان «ذا النورين» ولقب علي «حيدر» ولقب حمزة بن عبدالمطلب «أسد الله» ولقب خالد بن الوليد «سيف الله» ولقب عمرو بن عمرو^(١) «ذا اليتيم» ولقب مالك بن النيران الأنصاري «ذا السيفين» ولقب خزيمه بن ثابت الأنصاري «ذا الشهادتين» ولقب جعفر بن أبي طالب بعد استشهاده «ذا الجناحين».

وأما الخلفاء، فخلفاء بني أمية لم يتلقب أحد منهم، فلما صارت الخلافة إلى بني العباس وأخذت البيعة لإبراهيم بن محمد، لقب بـ«الإمام» ثم تلقب من بعده من

(١) في كتب اللغة والحديث أن اسمه الحرياق فقل فيه خلافا.

خلفائهم : فلقب محمد بن علي به السَّفاح « لكثرة ما سَفَح من دماء بني أُمَيَّة »
وأُخْتَلِف في لقبه بالخِلَافَة : فُقيل « القائم » وقيل « المهتدي » وقيل « المرتضى »
واللقابُ الخلفاء بعده وإلى زماننا معروفة مشهورة على ما مرّ ذكره في المقالة الثانية .
وعلى ذلك كانت ألقابُ خلفاء بني أُمَيَّة بالأندلس إلى حين إقراضهم على ما هو
مذكور في مكتبة صاحب الأندلس ، على ما سيأتي في المكتبات في المقالة الرابعة
إن شاء الله تعالى .

ثم تملت ألقاب الخِلافَةِ إلى كثير من ملوك القُرْب بعد ذلك ، وتلا الخلفاء
في الألقاب الوزراء لاستقبال الدولة العباسية وما بعد ذلك : فلقب أبو سلمة الخلال
وزير السَّفاح به « وزير آل محمد » ولقب المهدي وزيره يعقوب بن داود بن طهمان
« الأخ في الله » ولقب المأمون الفضل بن سهل حين أسوّزه « ذا الكفايتين »
ولقب أخاه الحسن بن سهل « ذا الرّاستين » ولقب المعتد على الله وزيره صاعد
أبن مخلد « ذا الوزارتين » إشارة إلى وزارة المعتد والموفق ، وكان لقب إسماعيل
أبن بليل الشكور « الناصر لدين الله » كألقاب الخلفاء .

وكذلك وقع التلقب لجماعة من أرباب السيوف وقواد الجيوش : فلقب
أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة به « أمير آل محمد » . وقيل « سيف آل محمد »
ولقب أبو الطيب طاهر بن الحسين به « ذي اليميتين » ولقب المعتصم بالله حيدر
أبن كاووس به « الآشين » لأنه أشروسنى ، والأفشين لقب على الملك بأشروسنة
ولقب إسحاق بن كيداح أيام المعتد به « ذي السيفين » ولقب مؤنس في أيام
المقتدر به « المظفر » ولقب سلامة أخو نوح أيام القاهر به « المؤمن » ولقب أبو بكر
أبن محمد بن طنج الراضي بالله به « الأخشيد » والأخشيد لقب على الملك بقرغانة .

(١) منى طنج عبد الرحمن كما في ابن خلكان .

ثم وقع التلقيب بالإضافة إلى الدولة في أيام المكتفي بالله : فلقب المكتفي^(١) أبا الحسين بن القاسم بن عبيد الله « ولي الدولة » ، وهو أول من لقب بالإضافة إلى الدولة ، ولقب المقتدر بالله علي بن أبي الحسين المتقدم ذكره « عميد الدولة » .

ووافقت الدولة البويهيّة أيام المطيع لله والأمر جار على التلقيب بالإضافة للدولة ، فانضحت ألقاب الملوك بالإضافة إلى الدولة ، فكان أول من لقب بذلك من الملوك بنو بويه الثلاثة : فلقب أبو الحسن علي بن بويه بـ « حماد الدولة » ولقب أخوه أبو علي الحسن بـ « ركن الدولة » وأخوهما أبو الحسين أحمد بـ « معز الدولة » ثم وافى « عضد الدولة » من بعدهم فاقترح أن يلقب بـ « نجاد الدولة » فلم يحب إليه وصلى به إلى « عضد الدولة » ؛ فلما بذل نفسه للعاونة على الأتراك ، اختار له أبو إسحاق الصابي صاحب ديوان الإنشاء « تاج الملة » مضافا إلى عضد الدولة ؛ فكان يقال « عضد الدولة وتاج الملة » ولقب أبو محمد الحسن بن حمدان أيام المتقي لله « ناصر الدولة » ولقب أخوه أبو الحسن علي بن حمدان « سيف الدولة » .

وبقي الأمر على التلقيب بالإضافة إلى الدولة إلى أيام القادر بالله فافتتح التلقيب بالإضافة إلى الدين . وكان أول من لقب بالإضافة إليه أبو نصر بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ، زيد على لقبه بهاء الدولة « نظام الدين » فكان يقال « بهاء الدولة ونظام الدين » قال ابن حاجب النعمان : ثم تزايد التلقيب به وأقرب ، حتى دخل فيه الكلب والجنند والأعراب والأكراد ، وسائر من طلب وأراد ، وكره (؟) حتى صار لقباً على الأصل . ولا شك أنه في زماننا قد نرجع عن الحد

(١) لم يذكر في النص فقط الاب في المحلين .

حتى تعاطاه أهل الأسواق ومن في معانهم ، ولم تصر به مِيزةٌ لكبير على صغير ،
حتى قال قائلهم :

طَلَعَ الدِّينُ مُسْتَفِيتًا إِلَى اللَّهِ وَقَالَ : الْعِبَادُ قَدْ ظَلَمُونِي !
يَسْتَمُونَ بِي ، وَحَقَّكَ لَا أَعْرِفُ مِنْهُمْ خَفْصًا وَلَا يَعْرِفُونِي !

أما الديار المصرية فكان جريم في الألقاب على ما يتتبع اليهم خبره من ألقاب
الدولة العباسية ببغداد ، فتلقب خلفاء الفاطميين بها بنحو ألقاب خلفاء بني العباس
ببغداد ، فكان لقب أول خلفائهم بها « المعز لدين الله » وثانيهم بها « العزيز بالله »
وعلى ذلك إلى أن كان لقب آخرهم « العاضد لدين الله » على ما تقدم في المقالة الثانية
في الكلام على ملوك الديار المصرية .

وتلقب وزرائهم وكُتِّبَهم بالإضافة إلى الدولة ، ومن لقب بذلك في دولتهم
« ولي الدولة » بن أبي كدينة وزير المستنصر ، وأيضاً « ولي الدولة » بن خيران
كاتب الإنشاء المشهور . ولما صارت الوزارة لبدر الجمالي تلقب بـ « أمير الجيوش » .
ثم تلقب الوزراء بعده بنحو « الأفضل » و « المأمون » . ثم تلقبوا بالملك الفلاني ،
كـ « الملك الأفضل » و « الملك الصالح » ونحو ذلك على ما سيأتي بيانه إن شاء
الله تعالى .

وكان الكُتَّاب في أواخر الدولة الفاطمية إلى إنشاء الدولة الأيوبية يلقَّبون
بـ « الفاضل » و « الرشيد » و « العباد » وما أشبه ذلك ، ثم دخلوا في عموم التلقب
بالإضافة إلى الدين ، وأختص التلقب بالإضافة إلى الدولة ككولي الدولة بكُتَّاب
النصارى ، والأمُر على ذلك إلى الآن .

الطرف الثاني

(في بيان معاني الألقاب، وفيه تسع جمل)

المجلة الأولى

(في الألقاب الخاصة بأرباب الوظائف المعتمدة التي بها انتظام أمور المملكة وقوامها، وهي صبيان)

القسم الأول

(الألقاب الإسلامية، وهي نوطان)

النوع الأول

(الألقاب القديمة المتداولة الحكم إلى زماننا، وهي صنفان)

الصنف الأول

(ألقاب أرباب السيوف، وهي سبعة ألقاب)

الأول — الخليفة . وهو لقب على الزعيم الأعظم القائم بأمور الأمة، وقد اختلف في معناه، فقيل : إنه قيل بمعنى مفعول، بخرّيج بمعنى مجروح، وقيل بمعنى مقتول ويكون المعنى أنه يتخلّف من بعده، وعليه حمل قوله تعالى : (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) على قول من قال : إن آدم عليه السلام أول من عمّر الأرض وخلقه بنوه من بعده. وقيل : قيل بمعنى فاعل، ويكون المراد أنه يتخلّف من بعده، وعليه حمل الآية من قال إنه كان قبله في الأرض الخ^(١). وإنه خلقهم فيها، واختاره النعمان

(١) كما في الضم. أيضا وفي نسخة أخرى والأظهر من قبله .

في "صناعة الكتاب" : وعليه أقصر البغوي في "شرح السنة" والمأثور في "الأحكام السلطانية" . قال النحاس : وعليه حوَّط أبو بكر الصديق رضي الله عنه بخليفة رسول الله .

وقد أجازوا أن يُقال في الخليفة « خَلِيفَةُ رسول الله » لأنه خَلَفَهُ في أمته . وأخلفُوا هل يجوز أن يُقال فيه خَلِيفَةُ الله : يفوز بعضهم ذلك لقيامه بحقوقه في خلقه محتجين بقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ) وامتنع جمهور الفقهاء من ذلك محتجين بأنه إنما يَسْتَخْلِفُ من يَنْبِئُ أو يموت والله تعالى باقٍ موجود إلى الأبد لا يَنْبِئُ ولا يموت . ويؤيد ما نقل عن الجمهور بما روي أنه قيل لأبي بكر رضي الله عنه : يا خليفة الله - فقال : لَسْتُ بِخَلِيفَةِ اللهِ وَلَكِنِّي خَلِيفَةُ رسولِ اللهِ ، وقال رجل لعمر بن عبد العزيز : يا خليفة الله - فقال : وَيَلَاكَ ! لقد تَنَاوَلْتُ مُتَنَافِئًا بَعِيدًا ! إِنَّ أُمَّيَّ مَمْنَنِي عُمَرُ ، فَلو دَعَوْتَنِي بِهَذَا الْإِسْمِ قِيلْتُ ، ثُمَّ كَرِهْتُ فَكُنَيْتُ أَبَاحْفِصَ ، فَلو دَعَوْتَنِي بِهِ قِيلْتُ ؛ ثُمَّ وَلَيْسْتُ بِأَمْرِكُمْ فَسَمِيتُمُونِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلو دَعَوْتَنِي بِهِ كَفَاكَ . وخصَّ البغوي جواز إطلاق ذلك بآدم وداود عليهما السلام ، محتجًا بقوله تعالى في حق آدم : (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) وقوله في حق داود : (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) ثم قال : ولا يسمى أحد خليفة الله بعدهما . قال في "شرح السنة" : ويسمى خليفة وإن كان مخالفًا لسيرة أئمة العدل .

ثم قد كره جماعة من الفقهاء منهم « أحمد بن حنبل » إطلاق اسم الخليفة على ما بعد خلافة « الحسين بن علي » رضي الله عنهما فيما حكاه النحاس وغيره ، محتجين بحديث « الخِلافةُ بعدى ثلاثون » يعني ثلاثين سنة ، وكان آتيةً الثلاثين باقتضاء

خِلافةِ الحَسَنِ ، ولَمَّا أَهَضَّتِ الْخِلَافَةُ صَارَتْ مُلْكًا . قَالَ الْمَعَاذُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ : وَقَدْ رُئِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَكُتَيْبًا وَسَلْمَانَ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَالْمَلِكِ - فَقَالَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ لَا تَدْرِي - فَقَالَ سَلْمَانُ : الْخَلِيفَةُ الَّذِي يَسْلُكُ فِي الرَّعِيَّةِ ، وَيُقَسِّمُ بَيْنَهُم بِالسُّوْيَةِ ، وَيُسْفِقُ عَلَيْهِمْ شَفَقَةَ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ وَالْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ ، وَيَقْضِي بَيْنَهُمْ بِكَلْبِ اللَّهِ تَعَالَى - فَقَالَ كُتَيْبٌ : مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ فِي هَذَا الْجُلُوسِ مَنْ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَالْمَلِكِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَهْمُ سَلْمَانَ حُكْمًا وَعِلْمًا .

وَأُخْتَلِفَ فِي الْمَاءِ فِي آخِرِهِ : فَقِيلَ أُدْخِلْتُ فِيهِ لِلْبَالِغَةِ كَمَا أُدْخِلْتُ فِي رَجُلٍ دَاهِيَةٍ وَبَاوِيَّةٍ وَعَلَّامَةٍ وَسَّابَةٍ وَهُوَ قَوْلُ الْفَرَّاءِ ، وَأَسْتَحْسِنُهُ النَّحْسُ نَاقِلًا لَهُ عَنْ أَكْثَرِ النُّحَوِيِّينَ وَخَطَّاهُ عَلَى بَنِي سُلَيْمَانَ مَحْتَجًّا بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ التَّائِيثُ فِيهِ حَقِيقًا . وَقِيلَ : الْمَاءُ فِيهِ لَتَائِيثُ الصَّبِيغَةِ . قَالَ النَّحْسُ : وَرَبَّمَا أَسْقَعُوا الْمَاءَ مِنْهُ وَأَضَافُوهُ فَقَالُوا «فَلَانٌ خَلِيفٌ فَلَانٌ» يَعْنُونَ خَلِيفَتَهُ .

ثُمَّ الْأَصْلُ فِيهِ التَّذْكِيرُ نَظَرًا لِلْعَنَى لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْخَلِيفَةِ رَجُلٌ وَهُوَ مَذَكَّرٌ ، فَيَقَالُ أَمْرُ الْخَلِيفَةِ بِكَذَا عَلَى التَّذْكِيرِ ، وَأَجَازَ الْكُوفِيُّونَ فِيهِ التَّائِيثَ عَلَى لَفْظِ خَلِيفَةٍ فَيَقَالُ أَمَرْتُ الْخَلِيفَةَ بِكَذَا ، وَأَنشَدَ الْفَرَّاءُ .

* أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتْهُ أُخْرَى *

وَمَنْعَهُ الْبَصَرِيُّونَ مَحْتَجِينَ بِأَنَّهُ لَوْ جَازَ ذَلِكَ لَجَازَ قَالَتْ طَلْحَةُ فِي رَجُلٍ اسْمُهُ طَلْحَةُ وَهُوَ مَمْتَنِعٌ . فَإِنَّ ظَهَرَ أَسْمُ الْخَلِيفَةِ تَعْيِينَ التَّذْكِيرُ بِاتِّفَاقٍ فَتَقُولُ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْخَلِيفَةُ أَوْ قَالَ الرَّاضِي الْخَلِيفَةُ وَنَحْوُ ذَلِكَ . وَيَجْعَلُ عَلَى خُلَفَاءِ كَكْرِيمٍ وَكُرَّمَاءَ ، وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ وَعَلَى خَلَائِفٍ كَصَحِيفَةٍ

وَصَحَائِفَ، وعليه جاء قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ والنسبة إليه خلقى كما ينسب إلى حنيفة حنفى . وقول العامة درهم خَلِيفَتِي ونحوه خطأ ، إذ قاعدة النسب أن يحذف من المنسوب إليه الياء وهاء التأنيث على ما هو مقدر في علم النحو . وعن وهم في ذلك المقر الشهابي بن فضل الله رحمه الله في كتابه " التعريف " حيث قال : وأول ما نبداً بالمكانة إلى الأبواب الشريفة الخليفة ، ولعله سبق قلم منه ، وإلا فالمسألة أظهر من أن يجهلها أو تخفى عليه .

الثاني — المَلِك . وهو الزعيم الأعظم من لم يُطلق عليه اسمُ الخِلافة ، وقد نطق القراءُ بذكره في غير موضع كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ (وقال المَلِكُ اسْتُونِي بِهِ) إلى غير ذلك من الآيات . ويقال فيه مَلِكٌ بكسر اللام ومَلَكٌ بإسكانها ومَلِكٌ بزيادة ياء ، ومنه قوله تعالى : ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ قال الجوهري : والمَلِكُ مقصورٌ من مالِك أو مَلِكٌ ؛ ويجمع على مُلُوك وأَمَلَك . ويقال لموضع المَلِكِ المَمْلَكَة .

الثالث — السُّلْطَان . وهو اسمٌ خاصٌ في العُرف العامِّ بالملوك . ويقال : إن أوَّلَ من لُقِّبَ به « خَالِدُ بْنُ بَرْمَك » وزيرُ الرشيد ، لقَّبه به الرشيدُ تعظيماً له ، ثم أقطع التقيب به إلى أيام بني بويه فتلقب به مُلُوكُهم فمن بعدهم من الملوك السَّلاجقة وغيرهم وهُم جراً إلى زماننا .

وأصله في اللغة الحُجَّة قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ يعنى من حُجَّة . ومضى السلطان بذلك لأنه حُجَّة على الرعية يجب عليهم الاتقيادُ إليه .

وأختلف في اشتقاقه : ف قيل إنه مشتقٌ من السَّلاطَة وهى القهَر والظَلَمَة : لقهره الرعية وأتقيادهم له ، وقيل مشتقٌ من السَّليط : وهو الشَّيرجُ في لغة أهل اليمن

لأنه يُستضاء به في خلاص الحقوق ، وقيل من قولهم لسانٌ مَّليط أى حاد ماضٍ لمضى أمره وقُبُوه . وقال محمد بن يزيد البصري : السُّلطانُ جمعٌ واحد سُلَيط كَقَفِيرٍ وَقَفْرَانٍ ، وبَيْرٍ وبَيْرَانٍ .

وحكى صاحب " ذخيرة الكُتُب " : أنه يكون واحداً ويكون جمعاً ، ثم هو يذكّر على معنى الرجل ، ويؤنث على معنى الحجة . وحكى الكسائي والفرأء على التأنيث عن بعض العرب قَصَّمتْ به عليك السلطانُ . قال العسكري في كتابه " الفُرُوق " في اللغاة : والفرق بينه وبين المَلِكِ أن المَلِكَ يَخْتَصُّ بِالرَّعِيْمِ الأعظم ، والسُّلطانُ يُطْلَقُ عليه وعلى غيره . وعلى ما ذكره العسكري عُرِفَ الفقهاء في كتبهم ، إذ يُطْلَقُونَهُ عَلَى الحاكم من حيث هو حتى على القاضي فيقولون فيمن ليس لها وَلِيٌّ خاصٌّ يَرْجُئُهَا السُّلطانُ ونحو ذلك . ومن حيث إن السلطان أُمٌّ من المَلِكِ يُقَدِّمُ عليه في قولهم السلطانُ المَلِكُ الفلاني : ليقع السلطانُ أولاً على المَلِكِ وعلى غيره ثم يخرج غيرُ المَلِكِ بعد ذلك بذكر المَلِكِ .

الرابع — الوزير . وهو المتحدث للمَلِكِ في أمر مملكته . وأختِلف في اشتقاقه : فقيل مشتق من الوَزَر بفتح الواو والزاي وهو المَلْعَا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾ سُمِّيَ بذلك لأن الرعية يَلْجَأُونَ إليه في حوائجهم ، وقيل مشتق من الأَوْزَار وهي الأثمنة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّا حُمَلَاءُ أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾ سُمِّيَ بذلك لأنه متقلدٌ بجزائن المَلِكِ وأمتعته ، وقيل مشتق من الوِزْد بكسر الواو وإسكان الزاي وهو الثَّقَلُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ سُمِّيَ بذلك لأنه يتحمل أثقال المَلِكِ ، وقيل مشتق من الأَزْد : وهو الظَّهْر ، سُمِّيَ بذلك لأن المَلِكِ يَقْوَى بوزيره كقوة البدن بالظَّهْر ، وتكون الواو فيه على هذا التقدير متقلبةً عن همزة . وقد

أوضحت القول في ذلك في "النصائح النثرية في الوزارة البدرية" . قال القضاعي في "عيون المعارف في أخبار الخلائف" : وأول من لُقّب بالوزارة في الإسلام أبو سامة : حصّ بن سلمان الخلال وزير السقّاح . قال : وإنما كانوا قبل ذلك يقولون كاتب . ثم هو إما وزير تفويض : وهو الذى يُفوض الإمام إليه تدبير الأمور برأيه وامضاءها على أجهاده كما كانت الوزراء بالديار المصرية من لدن وزارة بدر الجبالى وإلى حين اتقاضها، وإما وزير تنفيذ : وهو الذى يكون وميطا بين الإمام والرعابا معتمدا على رأى الإمام وتديره . وهذه هى التى كان أهل الدولة الفاطمية يعبّرون عنها بالوساطة . أما الوزارة في زماننا فقد تهاصرت عن ذلك كلّ حتى لم يبق منها إلا الاسم دون الرسم ؛ ولم تزل الوزارة في الدول تتدرج بين أرباب السيوف والأقلام تارة وتارة إلا أنها في زماننا في أرباب الأقلام .

الخامس — الأمير . وهو زعيم الجيش أو الناحية ونحو ذلك ممن يولّيه الإمام . وأصله في اللغة ذو الأمر وهو فعيل بمعنى فاعل فيكون أمير بمعنى آمر ، سمي بذلك لامتنال قومه أمره . يقال : أمر فلان إذا صار أميرا ، والمصدر الإمرة والإمارة بالكسر فهما ، والتأمر تولية الأمير؛ وهى وظيفة قديمة .

السادس — الحاجب . وهو في أصل الوضع عبارة عن يبلغ الأخبار من الرعية إلى الإمام ويأخذ لم الإذن منه ؛ وهى وظيفة قديمة الوضع كانت لا ابتداء الخلافة فقد ذكر القضاعى في "عيون المعارف" لكل خليفة حاجبا من ابتداء الأمور وإلى زمانه : فذكر أنه كان حاجب أبي بكر الصديق رضى الله عنه « شديدا » مولاه ، وحاجب عمر « يرقا » مولاه ، وحاجب عثمان « حمران » مولاه ، وحاجب علي « قنبرا » مولاه ، وعلى ذلك في كل خليفة ، ماعدا الحسن بن علي رضى الله عنهما فإنه لم يذكر له حاجبا . وسُمى الحاجب بذلك لأنه يجب الخليفة أو الملك عن

يَدْخُلُ إِلَيْهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ . قَالَ زِيَادٌ لِحَاجَتِهِ : « وَلَيْتَكَ حِجَابِي وَعَزَمْتُكَ عَنْ أَرْبَعٍ : هَذَا الْمُنَادِي إِلَى اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ وَالْفَلَاحِ فَلَا تُعَوِّجَنَّهُ عَنِّي وَلَا سُلْطَانٌ لَكَ عَلَيْهِ ، وَطَارِقُ اللَّيْلِ فَلَا تَحْجُبْهُ فَشَرٌّ مَا جَاءَ بِهِ وَلَوْ كَانَ خَيْرًا مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ السَّاعَةِ ، وَرَسُولُ الثَّقَفِ فَإِنَّهُ إِنْ أَبْطَأَ سَاعَةً أَفْسَدَ عَمَلَ سَنَةٍ فَأَدْخِلْهُ عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُ فِي الْحَافِي ، وَصَاحِبُ الطَّعَامِ فَإِنَّ الطَّعَامَ إِذَا أُعِيدَ تَسَخَّرَ فَسَدَ » .

ثم تصرّف الناس في هذا اللَّقَبِ ووضعوه في غير موضعه ، حتّى كان في أعقابِ خلافةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ رَبِّمَا أَطْلُقُ عَلَى مَنْ قَامَ مَقَامَ الْخَلِيفَةِ فِي الْأَمْرِ ، وَكَانُوا فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيَّةِ يَعْبُرُونَ عَنْهُ بِصَاحِبِ الْبَابِ كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ دَوْلَتِهِمْ . أَمَا فِي زَمَانِنَا فَإِنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ يَقِفَ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ وَنَحْوِهِ فِي الْمَوَاقِبِ ، لِيَبْلُغَ ضَرُورَاتِ الرِّعْيَةِ إِلَيْهِ ، وَيَرْكَبَ أَمَامَهُ بِصَبْرٍ فِي يَدِهِ ، وَيَتَصَدَّقَ لِقَبْلِ الْمَقَالِمِ بَيْنَ الْمُتَدَاعِيَيْنِ خُصُوصًا فِيمَا لَا تَسُوغُ الدَّعْوَى فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الدِّيَوَانِيَّةِ وَنَحْوِهَا . وَلَهُ بِلَادُ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ أَوْضَاعٌ تَخْصُصُهُ فِي الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ ، عَلَى مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَكَاتِبَتِهِمْ فِي الْمَقَالَةِ الرَّابِعَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

السَّامِعُ — صَاحِبُ الشَّرْطَةِ . بَضْمُ الشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَإِسْكَانُ الرَّاءِ : وَهُوَ الْمَعْبَرُ عَنْهُ فِي زَمَانِنَا بِالْوَالِي ، وَتَجْمَعُ الشَّرْطَةُ عَلَى شَرْطٍ بَضْمُ الشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَفَتْحُ الرَّاءِ . وَفِي أَشْتِقَاقِهِ قَوْلَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الشَّرْطِ بِفَتْحِ الشَّيْنِ وَالرَّاءِ وَهِيَ الْعَلَامَةُ ، لِأَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لِأَتَقَسِمُ عِلَامَاتٍ يُعْرَفُونَ بِهَا ؛ وَمِنْهُ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ بِعَنَى عِلَامَاتِهَا ، وَقِيلَ مِنَ الشَّرْطِ بِالْفَتْحِ أَيْضًا : وَهُوَ رُذَالُ الْمَالِ ، لِأَنَّهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِي أَرَاذِلِ النَّاسِ وَيَسْتَفْتَهُمْ مِنْ لَامَالٍ لَهُ مِنَ الْأَلْصُوصِ وَنَحْوِهِمْ .

الصنف الثاني

(ألقابُ أربابِ الأقاليم، وفيه ثلاثة ألقاب)

الأول — القاضي . وهو عبارةٌ عن يتولى فصلَ الأمور بين المتلذعين في الأحكام الشرعية . وهي وظيفةٌ قديمة كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم . فقد ذكر القضاة أنه صلى الله عليه وسلم ولي القضاء بايمن علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري ؛ وأن أبا بكر رضى الله عنه ولي القضاء عُمر ابن الخطاب رضى الله عنه .

ثم هو مشتق من القضاء ؛ واختُلف في معناه فقال أبو عبيد : هو إحكامُ الشيء والفرأغ منه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْتَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ أى أخبرناهم بذلك وفرغنا لهم منه . قال أبو جعفر النحاس : وسُمي القاض قاضياً لأنه يقال قَضَى بين الخصمين إذا فصل بينهما وفرغ ؛ وقيل معناه القطع ، يقال قضى الشيء إذا قطعه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ وسُمي القاضي بذلك لأنه يقطع الخصومة بين الخصمين بالحكم . على أن كتاب الزمان يُطلقون هذا اللقب والألقاب المنفردة منه كالقضائي والقاضوي على أرباب الأقاليم في الجملة ، سواء كان صاحبُ اللقب متصدياً لهذه الوظيفة أو غيرها ، كسائر العلماء والكتّاب ومن في معانهم ، وعلى ذلك عُرِف العامة أيضاً .

الثاني — المحتسب . وهو عبارةٌ عن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحدث في أمر المكاييل والموازين ونحوهما . قال الماوردي في " الأحكام السلطانية " : وهو مشتق من قولهم حسبك بمعنى اكف ، سُمي بذلك لأنه يكنى

(١) عبارة الضوء قلا عن الماوردي هكذا (وهو مشتق من قولهم حسبك بمعنى اكف لأنه يكف عن الظلم وقال النحاس من قولهم أحسبه إذا كفاه لأنه يكنى الخ) وبه تعلم ما في الاصل .

النَّاسَ مُؤَنَّةً مِنْ يَخْنُصُهُمْ حَقُوقُهُمْ . قال النحاس : وحقيقته في اللغة المجتهد في كفاية المسلمين ومغفرتهم إذ حقيقة أفتل عند الخليل وسيبويه بمعنى أجتهد . وأقول مَنْ قام بهذا الأمر وصنَّ الدِّرةَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه في خلافته . وقد كانوا في الأيام الفاطمية بالديار المصرية يُضيفونها إلى الشرطة في بعض الأحيان ، كما هو موجود في تهاليد الحسبة في زمانهم .

الثالث - الكاتب . وقد تقدّم اشتقاقه ومعناه في مقدّمة الكتاب ، وأنه كان في الزمن الأوّل عند الإطلاق إمّا يُراد به كاتبُ الإنشاء ثم تغيّر الحال بعد ذلك إلى أن صار في العُرف العامّ بالديار المصرية عند الإطلاق يراد به كاتبُ المال ومن في معناه . وهو من الألقاب القديمة فقد تقدّم في الكلام على الوِزارة من كلام القضاة أنهم قبل الطقيب بالوِزارة في الدولة العباسية في خلافة السفّاح إمّا كانوا يقولون كاتب .

قلت : ووراء ما تقدّم من الألقاب القديمة المتداولة ألقابٌ أخرى كانت مستعملة في الأيام الفاطمية ثم رُفِضت الآن وتُرِكَت .

كـ «صاحب المظالم» وهو المتحدّث في فصل انحصومات .

وصاحب الصلّة : وهو المتحدّث في أمر المساجد والصلوات .

وكلّما تحدّث في الوساطة ، وهي القيام بوظيفة الوِزارة ممن لم يؤهّل لإطلاق اسم الوِزارة عليه .

وصاحب الباب كنحو الحاجب .

وداعى الدّعاة للشيعة ونحو ذلك .

النسوع الثاني

(الألقاب المحدثه)

وهي إما عَرَبِيَّة ، وإما عَجَمِيَّة . والحجيمية منها إما فارسية ، وإما تركية ، وأكثرها الفارسية . والسبب في استعمال الفارسية منها وإن كانت الفرس لم تليها في الإسلام أن الخلافة كانت ببلاد وُغَاب كَلَام أهلها الفارسية ، والوظائف منقولة عنها إلى هذه المملكة ، إما مُضَاهَاة كما في الدولة الفاطمية على قِلَّة ، كما في الاسفَهْسلَار ، وإما تبعا كما في الدولة الأيوبية فإبعدها .
وهي أربعة أصناف :

الصف الأول

(المفردة ، وهي ضريان)

الضرب الأول

(مالفظه عَرَبِيَّة ، وهو ثلاثة ألقاب)

الأول — النائب : وهو لقب على القائم مقام السلطان في طامة أموره أو غاليها ، والألف فيه منقلبة عن واو . يقال : نَاب فلان عن فلان يَنْتَوِب نَوْبًا وَمَنَابًا إذا قام مقامه فهو نَائِبٌ . ويطلق هذا اللقب في العرف العام على كل نائب عن السلطان أو غيره بحضرته أو خارجا عنها في قُرب أو بُعد ، إلا أن النائب عن السلطان بالحضرة يُوصَف في عُرف الكُتَّاب بالكافِل : فيقال « النائب الكافِل » وفي حال الإضافة « كافِل المالك الإسلامية » على ماسيأتي ذكره في التعموت إن شاء الله تعالى ،

والنائب عنه يَمْشَقُ يقال فيه « كَأْفُلُ السُّلْطَنَةِ » وَمَنْ دُونَهُ مِنْ أَكْبَرِ التُّوَابِ :
 كَاتِبَ حَلَبَ وَنَائِبَ طَرَابُلُسَ وَنَائِبَ حَمَاةَ وَنَائِبَ صَفَدَ وَنَائِبَ الكَرْكَ مِنَ الْمَمَالِكِ
 الشَّامِيَةِ ، وَنَائِبَ الإسْكَندَرِيَّةَ وَنَائِبَ الوُجْهَيْنِ : القِبْلَى وَالبَحْرَيْنِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ .
 [يَقَالُ فِيهِ نَائِبُ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِكُنَا لَيْسَ إِلَّا^(١)] وَيُقَالُ فِيمَنْ دُونَهُمْ مِنَ التُّوَابِ
 بِالْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ نَائِبَ خُصَّ وَنَائِبَ الرَّجَّةِ وَغَيْرَهُمَا «النَّائِبُ بِلَانَةٍ» .

الثاني — السَّاقِ . وَهُوَ لَقَبٌ عَلَى الَّذِي يَتَوَلَّى مَدَّ السَّمَاطِ وَتَقْطِيعَ اللَّحْمِ وَسَقَى
 الْمَشْرُوبَ بَعْدَ رَفْعِ السَّمَاطِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَكَأَنَّهُ وُضِعَ فِي الْأَوَّلِ لِسَقَى الْمَشْرُوبِ فَقَطَّ
 ثُمَّ اسْتُخْدِمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمُورُ الْأُخْرَى تَبَعًا . وَيُحْزَرُ أَنْ يَكُونَ لُقَبٌ بِذَلِكَ لِأَنَّ سَقَى
 الْمَشْرُوبِ أَنْزَعُ عَمَلِهِ الَّذِي يَحْتَمُّ بِهِ وَظِيفَتُهُ .

الثالث — الْمُشْرِفُ . وَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى أَمْرَ الْمَطْبَخِ وَيَقِفُ عَلَى مُشَارَفَةِ
 الْأَطْبَاطِ فِي خِدْمَةِ إِسْتَادَارِ الصُّحْبَةِ الْآتِي ذِكْرُهُ ، وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ .

الضرب الثاني

(مَا لَفْظُهُ عَجْمِي وَهُوَ لَقَبٌ وَاحِدٌ)

وهو «الأَوْجَاقِي» وَهُوَ لَقَبٌ عَلَى الَّذِي يَتَوَلَّى رُكُوبَ الْخَيْلِ لِلتَّنْسِيرِ وَالرِّيَاضَةِ ،
 وَلَمْ أَقِفْ عَلَى مَعْنَاهُ .

(١) الزيادة من الضوء ص ٣٤٢ لَيْمَ الْكَلَامِ .

الصف الثاني

(المرتببة، وهي ثلاثة اضرب)

الضرب الأول

(ما تحض تركيه من اللفظ العربي، وفيه سبعة ألقاب)

الأول — ملك الأمراء . وهو من الألقاب التي أصطلح عليها لكفالة الممالك من ثواب السلطنة، كأكابر الثواب بالممالك الشامية ومن في معناهم . وذلك أنه قام فيهم مقام الملك في التصرف والتفويض، والأمراء في خدمته بخدمة السلطان . وأكثر ما يخاطب به الثواب في المكتبات ، وذلك مختص بنير المخاطبات السلطانية ، أما السلطان فلا يخاطب عنه أحد منهم بذلك .

الثاني — رأس نوبة . وهو لقب على الذي يتحدث على ممالك السلطان أو الأمير ، وتنفيذ أمره فيهم ، ويجمع على رؤوس نوب . والمراد بالرأس هنا الأعلى أخذاً من رأس الإنسان لأنه أعلاه . والنوبة واحدة النوب وهي المرة بعد الأخرى ، والعامة تقول لأعلام في خدمة السلطان . « رأس نوبة النوب » وهو خطأ لأن المقصود طو صاحب النوبة لا النوبة نفسها ، والصواب فيه أن يقال : « رأس رؤوس النوب » أي أعلام .

الثالث — أمير مجلس . وهو لقب على من يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير في الترتيب وغيره ، ويجمع على أمراء ، ومعناه ظاهر ، والأحسن فيه أن يقال أمير المجلس بتعريف المضاف إليه ، وتكون الألف واللام فيه للمعهد النحوي ، إما مجلس السلطان أو غيره .

الرابع - أمير سلاح . وهو لقبٌ على الذى يتولى أمر سلاح السلطان أو الأمير . ويجمع على أمراء سلاح ، والسلاح آلة القتال . قال الجوهري : وهو مدكر ويجوز تأنيثه .

الخامس - مُقَدِّم الممالك . وهو لقبٌ على الذى يتولى أمر الممالك للسلطان أو الأمير . من الخُدام الخِصيان المعروفين الآن بالطواشيَّة . ومقامه فيهم نحو مقام رأس النوبة ، ولفظ المُقَدِّم والممالك معروف .

السادس - أمير علم . وهو لقبٌ على الذى يتولى أمر الأعلام السلطانية والطبليخاناه وما يجري مجرى ذلك . والعلم فى اللغة يطلق بإزاء معاني أحدها ^(١) الراية ، وهو المراد هنا .

السابع - هَيْب الجيش . وهو الذى يتكفل بإحضار مَنْ يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الخلفه ونحوهم ، والتقيب فى اللغة العريف الذى هو ضمير القوم وفى التزليل حكاية عن بنى اسرائيل : (وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا) ويقال : نَقِب على قومه يَنْقُب نقبا مثل كَتَب يكتب كَتَبًا . والجيش العسكر ويجمع على جُيُوش . أما بالممالك الشامية فإنه يقال فى مثله نَقِيب النقباء .

الضرب الثانى

(ما تحض تركبهُ من اللفظ العجمي)

وقاعدة اللغات العجمية تقديم المضاف إليه على المضاف ، والصَّغْفَة على الموصوف ،^(٢)
بخلاف اللغة العربية . ولهذا الضرب حالتان :

(١) فى الأصول التروية ، والصحيح عن الضوء .

(٢) فى الامول " المضاف على المضاف اليه " وهو سبق قلم .

الحالة الأولى

(أن تكون الإضافة إلى لفظ دار)

وهي لفظة فارسية معناها تُمسِكُ فاعل من الإمساك . وكثير من كُتّاب الزمان أو أكثرهم بل كلُّهم يظنون أن لفظ دار في ذلك عربي بمعنى الحلة ، كدار السلطان أو الأمير ونحو ذلك ، وهو خطأ كما سيأتي بيانه في الكلام على إستاندار ، ونيرتدار وغيرهما .

والمضاف إلى لفظ دار من وظائف أرباب السيوف تسعة ألقاب :

الأوّل — الإستاندار . بكسر الهمزة وهو لقب على الذي يتولّى قبضَ مال السلطان أو الأمير وصرفه ، ويمثّل أو امره فيه . وهو مركّب من لفظتين فارسيتين : أحدهما استد ، بهمزة مكسورة وسين مهملة ساكنة بعدها تاء مثناة من فوق ثم ذال معجمة ساكنة ، ومعناها الأخذ . والثانية دار ، ومعناها التمسك كما تقدّم ، فادغمت الذال الأولى وهي المعجمة في الثانية وهي المهملة فصار إستاندار . والمعنى المتولّى للأخذ ، سمى بذلك لما تقدّم من أنه يتولّى قبضَ المال . ويقال فيه أيضا : ستدار بإسقاط الألف من أوله وكسر السين ، والمتشبهون من الكُتّاب يضمّون الهمزة في أوله ويُلحِقُون فيه ألفاً بعد التاء ، فيقولون : «أستادار» وربما قالوا : «أستاذ الدار» بادخال الألف واللام على لفظ الدار ظناً منهم أن المراد حقيقة الدار في اللفظ العربي ، وأن أستاذ بمعنى السيد أو الكبير ، ولذلك يقولون «أستاذار العالية» : أو «أستاذ التار العالية» وهو خطأ صريح لما تقدّم بيانه . على أن العامة تنطق به على الصواب ، من كسر الهمزة وحذف الألف بعد التاء . ثم قد يُزاد في هذا اللقب لفظ الصُحبة ، فيصير «إستاندار الصُحبة» ويكون لقباً على متولّى أمر العطّيح ، وكأنه لقب بذلك للملازمة الباب سقراً وحَضراً .

الثاني — الجُوكُنْدَار . وهو لقبٌ على الذي يحمل الجُوكُنْ مع السلطان في لعب الكُرَّة ، ويجمع على جُوكُنْ دَارِيَّة ، وهو مرَّكَّب من لفظتين فارسيَّتين أيضا : إحداهما جوكان ، وهو المَحْجَن الذي تُضْرَب به الكُرَّة ، ويعبر عنه بالصُّوْلِحَان أيضا : والثانية دار ، ومعناه مُمَسِّك كما تَقْدَم . فيكون المعنى 'ممسك الجُوكُنْ' . والعامة تقول : « جُكُنْدَار » بحذف الواو بعد الجيم والألف بعد الكاف .

الثالث — الطَّبَرْدَار . وهو الذي يحمل الطَّبَر حَوْلَ السلطان عند ركوبه في المَوَاكِب وغيرها . وهو مرَّكَّب من لفظتين فارسيَّتين : أحدهما طَبَر ومعناه القَاس ، ولذلك يقولون في السَّكْر الصُّلْب الشديد الصَّلابة طَبَرْدَز بمعنى 'يكسر بالقَاس' . والثاني دار ومعناه ممسك كما تَقْدَم ، فيكون المعنى 'مُمَسِّك الطَّبَر' .

الرابع — السَّنَجَقْدَار . وهو الذي يحمل السَّنَجَق خلف السلطان . وهو مرَّكَّب من لفظتين : أحدهما تُرْكِيٌّ وهو سَنَجَق ، ومعناه الرُّمْح وهو في لغتهم مصدر طَعَن ، فُيَبَّر به عن الرُّمْح الذي يُطَعَن به . والثاني دار ومعناه ممسك كما تَقْدَم ، ويكون المعنى 'مُمَسِّك السَّنَجَق وهو الرُّمْح' . والمراد هنا العَلَم الذي هو الراية كما تَقْدَم ، إلا أنه لما كانت الراية إنما تُجَمَّل في أعلى الرُّمْح فُيَبَّر بالرُّمْح فسيه عنها .

الخامس — البُنْدُقْدَار . وهو الذي يحمل ^(١) جِراوة البُنْدُق خلف السلطان أو الأمير . وهو مرَّكَّب من لفظتين فارسيَّتين إحداهما بُنْدُق ، وإن كان الجوهرى قد أطلق ذكره في الصباح من غير تَعَرُّض لأنه معرَّب فقال : والبُنْدُق الذي يُرْمَى به . ثم هو متقولٌ عن البُنْدُق الذي يُؤْكَل وهو الحَلْوَز بكسر الجيم والزاي المعجمة في آخره .

(١) كذا في الأصل ولله مصحف عن غرارة أو نحوه .

فقد قال أبو حنيفة في كتاب "النبات" الخلّوز عربي وهو البُنْدُق والبُنْدُق فارسي .
اللفظة الثانية دار ومعناها ممسك كما تقدّم ، ويكون المعنى 'ممسك البُنْدُق' .

السادس — الجَمْدَار . وهو الذى يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه .
وأصله جاماً دار فُجِدَتْ الألف بعد الجيم وبعد الميم استقلاً وقيل جَمْدَار .
وهو فى الأصل مركب من لفظين فارسيين أحدهما جاما، ومعناه الثوب . والثانى دار،
ومعناه ممسك كما تقدّم فيكون المعنى 'ممسك الثوب' .

السابع — البَشْمَقْدَار . وهو الذى يعمل نعل السلطان أو الأمير ، وهو مُرْكَب
من لفظين : أحدهما من اللغة التركية وهو بَشْمَق ومعناه النعل . والثانى من
اللغة الفارسية وهو دار ومعناه مُسِكَ عَلَى ما تقدّم . ويكون المعنى 'ممسك النعل' .
على أن صاحب « الأنوار الضوئية فى إظهار غلط الدرّة المضية فى اللغة التركية »
قد ذكر أن الصواب فى النعل بصمق بالصاد المهملة بدل الشين المعجمة ، ويحتذ
فيكون صوابه على ما ذكر بَشْمَقْدَار . والمعروف فى السنة الترك بالديار المصرية
ما تقدّم .

الثامن — المَهْمَنْدَار . وهو الذى يتصدى لتلقى الرُّسُل والعُرَبان الواردين على
السلطان ويُرْزَلَم دَار الضيافة ويحتث فى القيام بأمرهم . وهو مركب من لفظين
فارسيين : أحدهما مَهْمَنْ بفتح الميمين ومعناه الضيف ، والثانى دار ومعناه ممسك
كما تقدّم ، ويكون معناه ممسك الضيف ، والمراد المتصدى لأمره .

التاسع — الزَّنَان دار المعرّضة « بالزّيم دار » . وهو لقب على الذى يحتث
على باب ستارة السلطان أو الأمير من الخُدّام الخَصِيان . وهو مُرْكَب من لفظين
فارسيين : أحدهما زَنَان بفتح الزاى ونونين بينهما ألف ، ومعناه النساء .

والثاني دار، ومعناه ممسك كما تَهْتَم فيكون معناه ممسك النساء، بمعنى أنه الموكَّل بحفظ الحريم إلا أن العامة والخاصة قد قبلوا التوئين فيه بيمين فَعَبَرُوا عنه بِالزَّام دار كما تَهْتَم، ظناً أن الدار على معناها العربي والزَّام بمعنى القائد، أخذنا من زَمَام البعير الذي يُقَاد به .

الحالة الثانية

(أن تكون الإضافة إلى غير لفظ دار، وفيها لقبان)

الأول — الْجَاشَنَكِير . وهو الذي يَتَصَدَّى لَدَوَّانَ^(١) المأْكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفاً من أن يُدَسَّ عليه فيه سُمٌ ونحوه . وهو مرَكَّب من لفظين فارسيين : أحدهما جاشنا بجم في أوله قرينة في اللفظ من الشين ، ومعناه اللُّدُوْق ، ولذلك يقولون في الذي يذوقُ الطعام والشرابَ الشَّيشَنِي . والثاني كِير وهو بمعنى المتعاطى لذلك، ويكون المعنى الذي يذوقُ .

الثاني — السَّرَاخُور . وهو الذي يَتَحَدَّثُ على عَلفِ الدَّوَابِّ من الخيل وغيرها . وهو مرَكَّب من لفظين فارسيين : أحدهما سَرَا ومعناه الكِيرُ^(٢) . والثاني خُور، ومعناه العَلف، ويكون المعنى كِيرُ العَلفِ والمراد كبير الجماعة الذين يتولَّون عَلفَ الدَّوَابِّ . والعامة يقولون سَرَاخُورِي بآثبات ياء النسب في آخره ولا وجه له . ومتشدقو الحُكَّاب يَدِّلُون الرأى فيه لآما فيقولون سَلَاخُورِي وهو خطأ .

(١) مصدر ذاق الذوق والمذاق والذوق لما في الأصل جارى فيه لغة العامة .

(٢) خالف في هذا قاعدة اللغة العجمية من تقدم المضاف اليه على المضاف . ووجد بهامش بعض النسخ " السراخور مركب من سرا فارسي بمعنى الرأس واخور بمعنى اصطلح فمتاهما رأس الاصطبل السلطاني " .

الضرب الثالث

(ما ترُكَّب من لفظ عربي ولفظ عجمي، وله حالتان)

الحالة الأولى

(أن يصتر بلفظ أمير وهو لفظ عربي كما تعتم

في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف، وفيها أربعة ألقاب)

الأول - أمير آخور . وهو الذي يتخلى على إصطبل السلطان أو الأمير، ويتولى أمر ما فيه من الخيل والإبل وغيرهما مما هو داخل في حكم الإصطبلات، وهو مرُكَّب من لفظين : أحدهما عربي وهو أمير، والثاني فارسي وهو آخور بهزة مفتوحة ممدودة بعدها خاء معجمة ثم واو وراء مهمل ومعه المَعْلَف، والمعنى أمير المَعْلَف : لأنه التولى لأمر النواب على ما تقدم وأهم أموره المَعْلَف .

الثاني - أمير جائن دار . وهو لقب على الذي يستأذن على الأمراء وغيرهم في أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل . وهو مرُكَّب من ثلاثة ألفاظ : أحدها عربي وهو أمير وقد تقدم معناه . والثاني جان يجيم وألف ونون، ومعناه الروح بالفارسية والتركية جميعا . والثالث دار، ومعناه ممسك كما تقدم، فيكون المعنى « الأمير الممسك للروح » ولم يظهر لي وجه ذلك إلا أن يكون المراد أنه الحافظ لأم السلطان فلا يأذن عليه إلا لمن يأمن عاقبته .

الثالث - أمير شكار . وهو لقب على الذي يتخلى على الجوارح من الطيور وغيرها ومائر أمور الصيد . وهو مرُكَّب من لفظين : أحدهما عربي وهو أمير، والثاني فارسي وهو شكار بكسر الشين المعجمة وكاف وألف ثم راء مهمل في الآخر، ومعناه الصيد فيكون المراد « أمير الصيد » .

الرابع — أمير طَبَر . وهو لَقَب على الذى يتَحَث على الطَّبَرْدَارِيَّة الذين يحملون الأَطْبَارَ حَوْلَ السُّلْطَان فى المَوَاقِب ونحوها . وهو مرَكَّب من لفظين : أحدهما عربى وهو أمير ، والثانى طَبَر وهو بالفارسية الفَاسُ كما تَقَسَّم فى الكلام على الطَّبَرْدَار .

الحالة الثانية

(أن لا يُصَدَّر اللَّقَبُ بلفظ أمير، وفيها خمسة ألقاب)

الأول — الدَّوَادَار . وهو لقب على الذى يحمل دَوَاةَ السُّلْطَان أو الأمير أو غيرهما ، ويتولَّى أمرها مع ما ينضمُّ إلى ذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى من حُكْمٍ وتنفيذٍ أمور وغير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال . وهو مرَكَّب من لفظين : أحدهما عربى وهو الدَّوَاة ، والمراد التى يُكْتَبَب منها . والثانى فارسيّ وهو دار ، ومعناه ممسك كما تقدّم . ويكون المعنى « مُمَسِّك الدَّوَاة » وحُذِفَت الهاء من آخر الدَّوَاة استتقالا . أما فى اللغة العربية فإنه يقال لحامل الدَّوَاة « دَاوٍ » على وزن قَاوِض ، فنُثِبَت الياء فيه مع الألف واللام فتقول جاء الدَّاوِى ورأيت الدَّاوِى ومررت بالدَّاوِى ، ويجوز حذفها كما فى سائر الأسماء المقصورة .

الثانى — السِّلَاح دَار . وهو لقب على الذى يحملُ مسلَاحَ السُّلْطَان أو الأمير ويتولَّى أمر السِّلَاح حَتَّى أَنَّهُ وما هو من توابع ذلك . وهو مرَكَّب من لفظين : أحدهما عربى وهو السِّلَاح ، وقد تقدّم معناه فى الكلام على أميرِ سِلَاح . والثانى فارسيّ وهو دار ومعناه مُمَسِّك كما تقدّم ، ويكون المعنى « مُمَسِّك السِّلَاح » .

الثالث — الخَزَنَة دَار بكسر الخاء وفتح الزاى المعجمتين . وهو لَقَب على الذى يتَحَث على خِزَانَةِ السُّلْطَان أو الأمير أو غيرهما . وهو مرَكَّب من لفظين : أحدهما

عربيّ وهو خزانة : وهى ما يُخزَن فيه المسأل . والثالث فارسيّ وهو دار، ومعناه مُمسك كما تَهْدَم فُخِذَت الألف والهاء من خزانة استقلا فصار خزانة دار ويكون المعنى «مُمسك الخزانة» والمراد المتوَلَّى لأمرها ، ومتشققو الكتاب يُسْقِطُونَ الألف والهاء من خزانة على ما تَهْدَم وَيُحَقِّقُونَ بعد انحاء ألفا فيَتَقَلُّونَ لفظ خزانة إلى خازن فاعِل من الخزن وَيُضَيِّفُونَهُ إلى دار، ظلُّنا منهم أن الدار على معناها العربيّ كما تَهْدَم في الإستتار والزَّان دار ، وهو خطأ كما تَهْدَم ببيانه هناك . على أن العامة تنطبق بحروفه على الصواب إلا أنهم يَكْسِرُونَ الزاى بعد انحاء والصواب فتحها .

الرابع — العَلَم دار . وهو لَقَبٌ على الذى يحمل العَلَم مع السلطان في المواكب . وهو مرَّكَّب من لفظين : أحدهما عربيّ وهو العَلَم ، وقد تَهْدَم أن معناه الزاية . والثاني فارسيّ وهو دار ومعناه ممسك كما تَهْدَم ، ويكون المعنى «ممسك العَلَم» .

الصف الثاني^(١)

(ألقابُ أربابِ الأعلام، وهى على خمسة أضرب)

الضرب الأول

(ألقابُ أربابِ الوظائف من العلماء، وفيه خمسة ألقاب)

الأول — الخطيب . وهو الذى يَخْطُبُ النَّاسَ وَيَدْعُوهُمْ في الجمع والأعياد ونحوهما . وقد كان ذلك في الزَّمن المتقدم مَحْصُصًا بِالْخُلَفَاءِ والأُمراءِ بالنَّوَاجِي على ما تَهْدَم في الكلام على ترتيب الخِلَافَةِ في المقالة الثانية .

(١) كذا في الأصل ولعله الثالث ومع ذلك لم يذكر الصف الرابع وقد جعل في الفصول هذا القسم من نوع ألقاب أرباب الوظائف الدينية وهو المواقي .

الثاني — المُقَرِّئ . وهو الذي يُقَرِّئُ القُرَّاءَ العَظِيمَ، وقد غلبَ اِختصاصُهُ في العُرفِ على مشايخِ القِرَاءَةِ من قُرَّاءِ السبعة المُجَيِّدين المتصدين لتعليمِ عِلْمِ القِرَاءَةِ .

الثالث — المُحَدِّث . والمراد به مَنْ يَتَعَاطَى عِلْمَ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطريقِ الرِّوَايَةِ والدِّرَايَةِ، والعِلْمِ بِأَسْمَاءِ الرِّجَالِ وطُرُقِ الْأَحَادِيثِ، والمَعْرِفَةِ بِالْأَسَانِيدِ ونحو ذلك .

الرابع — المُدَرِّس . وهو الذي يَتَصَدَّى لِتَدْرِيسِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ : من التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والتصريف ونحو ذلك . وهو مأخوذ من دَرَسْتُ الْكِتَابَ دِرَاسَةً إِذَا كَرَّرْتَهُ لِلْحِفْظِ .

الخامس — المُعِيد . وهو ثَانِي رُتْبَةِ الْمُدَرِّسِ فِيمَا تَقَدَّمَ، وَأَصْلُ مَوْضُوعِهِ أَنَّهُ إِذَا أَلْقَى الْمُدَرِّسُ الدَّرْسَ وَأَنْصَرَفَ أُمَادَ لِلطَّلِبَةِ مَا أَلْقَاهُ الْمُدَرِّسُ إِلَيْهِمْ لِيَفْهَمُوهُ وَيُحَسِّنُوهُ .

الضرب الثاني

(ألقابُ الكُتَّابِ، وهي تَمَطُّانُ)

التمط الأول

(ألقابُ أربابِ الوظائفِ من كُتَّابِ الْإِنْشَاءِ . وفيه ثلاثة ألقاب)

الأول — كَاتِبُ السَّرِّ . وهو صَاحِبُ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ وقد تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ مُسْتَوْفًى عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْكِتَابَةِ وَالْكُتَّابِ فِي مَقَدِّمَةِ الْكِتَابِ .

الثاني — كَاتِبُ الدَّسْتِ . وهو الذي يَجْلِسُ مَعَ كَاتِبِ السَّرِّ بِدَارِ الْعَدْلِ أَمَامَ السُّلْطَانِ أَوِ النَّائِبِ بِمَمْلَكَةٍ مِنَ الْمَمَالِكِ ، وَيُوقِّعُ عَلَى الْقِصَصِ . وهم جماعة وقد تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَقَدِّمَةِ أَيْضًا .

الثالث — كاتب الدرج . وهو الذى يكتب المكاتبات والولايات وغيرها فى الغالب وربما شاركه فى ذلك كُتّاب الدست ، ويعبر الآن عنه بالموقع ، وقد تقدم الكلام عليه هناك أيضا .^(١)

الضرب الثالث

(ألقاب أرباب الوظائف من كُتّاب الأموال ونحوها ، وفيه تسعة ألقاب)
الأول — الوزير إذا كان من أرباب الأعلام ، وقد تقدم الكلام عليه فى ألقاب أرباب السيوف فى الصنف الأول .^(٢)

الثانى — الناظر . وهو من ينظر فى الأموال وينفذ تصرفاتها ويرفع إليه حسابها لينظر فيه ويتأمله فيمضى ما يمضى ويرد ما رد . وهو مأخوذ إما من النظر الذى هو رأى العين : لأنه يُدير نظره فى أمور ما ينظر فيه ، وإما من النظر الذى هو معنى الفكر : لأنه يفكر فيما فيه المصلحة من ذلك ، ثم هو يختلف باختلاف ما يُضاف إليه كـ (ناظر الخيش) وهو الذى يتحدث فى أمر الجيوش وضبطها . أو (ناظر الخاص) وهو الذى ينظر فى خاص أموال السلطان ، أو (ناظر الدواوين) وهو الذى يعبر عنه بناظر الدولة ويُشارك الوزير فى التصرف . أو (ناظر النظار يدمشق) وهو الذى يقوم بها مقام الوزير بالديار المصرية . أو (ناظر المملكة) بحلب ، أو طرابلس ، أو حماة ونحوها . أو (ناظر أوقاف أوجهات بر) وما يجرى بجرى ذلك .

(١) لم يذكر النمط الثانى من هذا الضرب ولعله مبهوم من النسخ . وهو كذلك فى نسخة أخرى .

(٢) أى من الألقاب الإسلامية القديمة وقد تقدم فى ص ٤٤٨ من هذا الجزء .

الثالث - صاحب الديوان . وكانوا في الزمن الأول يعبرون عنه بمتولي الديوان ، وهو ثاني رتبة الناظر في المراجعة . وله أمور تخصه لترتيب الدرج ونحو ذلك .

الرابع - الشاهد . وهو الذي يشهد بتعلقات الديوان قنيا وإثباتا .

الخامس - المستوفي . وهو الذي يضبط الديوان ، ويبلغه على ما فيه مصلحته من استخراج امواله ونحو ذلك . ولعظم موقعه أشار اليه الحريري في مقاماته بقوله : « منهم المستوفي الذي هو قطب الديوان » إلى آخره . ثم في بعض المباشرات قد ينقسم إلى مستوفي أصل ومستوفي مباشرة ؛ ولكل منهما أعمال تخصه .

السادس - العامل . وهو الذي ينظم الحسابات ويكتبها . وقد كان هذا اللقب في الاصل إنما يقع على الأمير المتولي العمل ثم نقله العرف إلى هذا الكاتب وخصه به دون غيره .

السابع - المساح . وهو الذي يتصدى لقياس أرض الزراعة ، وهو فاعل من مسح الأرض بمسحها مساحا إذا ذرعا .

الثامن - المعين . وهو الذي يتصدى للكتابة إعانة لاجد من المباشرين المذكورين ، ومعناه واشتقاقه ظاهر .

التاسع - الصيرفي . وهو الذي يتولى قبض الاموال وصرفها . وهو مأخوذ من الصرف : وهو صرف الذهب والفضة في الميزان . وكان يقال له فيما تقدم الجيهدي .

الضرب الرابع

(ألقابُ أربابِ الوظائفِ من أهلِ الصَّناعاتِ ، وفيه خمسةُ ألقابِ)

الأول — مهندسُ العائرِ . وهو الذى يتولى ترتيبَ العائرِ وتقديرَها ويحكمُ على أربابِ صناعاتِها . والمهندسةُ عِلْمٌ معروفٌ فيه كتبٌ مفردةٌ بالتصنيفِ .

الثانى — رئيسُ الأطباءِ . وهو الذى يحكمُ على طائفةِ الأطباءِ ويأذنُ لهم فى التطبيبِ ونحو ذلك . وسبأى الكلامُ على صَبْطِ ذلك ومعناه فى الكلامِ على الرئيسِ فى الألقابِ المفردة فى حرفِ الراء فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

الثالث — (رئيسُ الكهانِ) . وحكمه فى الكلامِ على طائفةِ الكهانِ حكمُ رئيسِ الأطباءِ فى طائفةِ الأطباءِ .

الرابع — رئيسُ الجرائمِ . وحكمه فى الكلامِ على طائفةِ الجرائمِ والمجبرين كالرئيسين المتقدمين .

الخامس — رئيسُ الحِرَاقَةِ . وهو الذى يحكمُ على رجالِ الحِرَاقَةِ السلطانيةِ ويتولى أمرَها . وكان فى الزمنِ المتقدمِ يقالُ له رئيسُ الخِلافةِ جَرِيماً على ما كان الأمرُ عليه فى الخِلافةِ الفاطمية بالديارِ المصريةِ .

الضرب الخامس

(ألقاب أرباب الوظائف من الأتباع والحواشى والخم، وهم طائفتان)

الطائفة الأولى

(الأعوان، وهم نمطان)

النمط الأول

(ما تحضت ألقاؤه عربية، وفيه ثلاثة ألقاب)

الأول — مُقَدِّمُ النُّوْلَةِ . وهو الذى يتحدث على الأعوان والمتصرفين لخدمة الوزير . والمراد المقدم على الدولة، والدولة لفظ قد خصه العرف بمثلقات الوزارة . كما يقال لناظر الدواوين ناظر الدولة على ما ختم ذكره .

الثانى — مُقَدِّمُ الخَاصِّ . وهو المتحدث على الأعوان والمتصرفين بديوان الخاص المختص بالسلطان، كمقدم الدولة بالنسبة إلى أعوان الوزارة .

الثالث — مُقَدِّمُ التُّرُكَّانِ . ويكون بالبلاد الشامية والحلبية متحدثاً على طوائف التُّرُكَّانِ الذين يُقَدِّمُ عليهم .

النمط الثانى

(ما تحض لفظه عجمياً، وفيه لقب واحد)

وهو (البرددار) . وهو الذى يكون فى خدمة مباشرى الديوان فى الجملة متحدثاً على أعوانه والمتصرفين فيه، كما فى مقدم الدولة والخاص المقدم ذكرهما . وأصله

(فَرْدَادَار) بقاء في أوله وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما فَرْدَا ، ومعناه الستارة . والثاني دار ، ومعناه ممسك ، والمراد «ممسك الستارة» وكأنه في أول الوضع كان يقف بباب الستارة ثم هُل إلى الديوان .

الطائفة الثانية

(أرباب الخيم ، وهم تَطَان)

المسقط الأول

(ما يضاف إلى لفظ الدار كما تَقَم في أرباب السُيوف ، وهي سبعة ألقاب)
الأول — الشَرَبْدَار . وهو لقبٌ على الذي يتصدى للخِزْمَة بالشرابِ خاناه ، التي هي أحد البيوت . وهو مركب من لفظين : أحدهما شَرَاب وهو ما يُشْرَب من ماء وغيره ، فخذوا الألف فيه استعقلا . والثاني دار ، ومعناه ممسك على ما تَقَم ، والمعنى «ممسك الشراب» .

الثاني — الطُسْت دَار . وهو لقبٌ على بعض رجال الطُسْت خاناه . وهو مركب من لفظين أحدهما طُسْتُ بفتح الطاء وإسكان السين المهملة في اللغة العربية ، وهو الذي يُتَسَل فيه ، ويجمع على طُسُوس بسينين من غير تاء ، ويقال فيه أيضا طُسُ بإسقاط التاء ، إلا أن العامة أبدلوا السين المهملة فيه بشين معجمة . والثاني دار ومعناه ممسكٌ على ما تَقَم ، فيكون معناه «ممسك الطُسْت» .

الثالث — البَارْدَار . وهو الذي يحمل الطيور الجوارح المَعْتَة للصيد على يده . وخص بضافته إلى الباز الذي هو أحد أنواع الجوارح دون غيره لأنه هو المتعارف بين الملوك في الزمن القديم ، على ما سيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

الرابع — الحَوْدَار . وهو الذى يتصدى لخِدمة طُيور الصيد من الكَرَاكِيّ والْبَلْشُونات ونحوها ، ويحملها إلى موضع تعليم الجَوَارِح . وأصله « حَيَوَان دَار » أطلق الحيوان فى عرفهم على هذا النوع من الطيور، كما أطلق على مَنْ يتعانى معامل القُرُوج الحَيَوَانِيّ .

الخامس — المَرَقْدَار . وهو الذى يتصدى لخِدمة ما يجوز المطبخ وحفظه . سُمي بذلك لكثرة معاناته لمرق الطعام عند رفع الحيوان ونحو ذلك .

السادس — المِحْفَدَار بكسر الميم . وهو الذى يتصدى لخِدمة المِحْفَةِ . وهو مركب من لفظين . أحدهما مِحْفَةٌ خُذفت التاء منها استقلا ، والثانى دار ، ومعناه ممسك على ما هتتم ، فيكون معنى « ممسك المِحْفَةِ » .

المقطع الثانى

(مالا يتقيد بالإضافة إلى دار ولا غيرها ، وفيه خمسة ألقاب)

الأول — المِهْتَار . وهو لقب واقع على كبير كل طائفة من غلمان البيوت ، كِمِهْتَار الشراب خاناه ، ومِهْتَار الطست خاناه ، ومِهْتَار الرّكّاب خاناه . ومِه بكسر الميم معناه بالفارسية الكبير ، وتار بمعنى أفضل التفضيل ، فيكون معنى المِهْتَار الأكبر .

الثانى — أَلْبَابَا . وهو لقب طام لجميع رجال الطست خاناه من يتعاطى الغسل والصّقل وغير ذلك . وهو لفظ رومى ، ومعناه أبو الآباء على ماسياى بيانه فى لقب الباب فى الكلام على ألقاب أهل الكُفَر . وكأنه لُقّب بذلك لأنه لما تعاطى ما فيه ترفيه خدمه : من تنظيف ثيابه وتحسين هيئته أشبه الأب الشفيق فلقب بذلك .

الثالث - الرُّخْوَان . وهو لقبٌ لبعض رجال الطُّسْت خاناه يتعاطى العُشَّاش ،
والرُّخْت بالفارسية اسمٌ للقماش ، والواو والألف والنون بمعنى ياء النسب ، ومعناه
«المتولَّى لأمير القماش» .

الرابع - انخِوان سَلار . وهو لقبٌ مخصَّصٌ بكبير رجال المَطْبِخ السلطاني ،
القائم مقام الخِثاري في المَطْبِخ من البيوت . وهو مركَّب من لفظين : أحدهما
خِوان ، وهو الذي يؤكَّل عليه . قال الجوهري : وهو معرَّب . والثاني سَلار ، وهي
فارسية ومعناها المقدم وكأنه يقول مقمَّم انخِوان . والعامة تقول : «إنخوان سَلار»
بالف في أوَّله وهو الخن .

الخامس - المهْمَرْد . وهو الذي يتصدَّى لحفظ قماش الجبال أو قماش
الإصطبل والسقائين ونحو ذلك . ومعناه باللغة الفارسية « الرجل الكبير » . فله اسمٌ
للكبير ، ومرد اسمٌ للرجل .

السادس - (الغَلَام) . وهو الذي يتصدَّى لخدمة الخيل ، ويجمع على غُلَّامين
وغلَّمة بكسر النين وسكون اللام . وهو في أصل اللغة مخصوصٌ بالصبي الصغير
والمملوك ثم غلب على هذا النوع من أرباب الخدم ، وكأنهم سمَّوه بذلك ليصغروه
في النفوس . وربما أطلق على غيره من رجال الطُّسْت خاناه ونحوهم .

القسم الثاني

(من ألقاب أرباب الوظائف ألقابُ أرباب الوظائف من أهل الكُفْرِ،
والمشهور منهم طائفتان)

الطائفة الأولى النصارى

(والمشهور من ألقاب أرباب وظائفهم ثمانية ألقاب)

الأول — الباب — بياين موحدين مفخمين في اللفظ . وهو لقب على القائم
بأمور دين النصارى المَلِكانيَّة بمدينة رومية . وما ذكره في "التتيف" من أنه عندهم
بمنابة القان عند التار نطقاً ظاهر : لأن الباب قائم في النصارى مقام الخليفة،
بل به عندهم يناط التحليل والتحرير، وإليه مرجعهم في أمر دياناتهم بخلاف القان
فإن أمره قاصر على أمر الملك، وأصله البابا بزيادة ألف في آخره، والغائب يُثْبِتُونَهَا
في بعض المواضع ويحذفونها في بعض، وربما قيل فيه البابا ببدل الألف هاء .
وهي لفظة رومية معناها أبو الآباء . وأول ما وضع هذا اللقب عندهم على بطرك
الإسكندرية الآتى ذكره فيما بعد، وذلك أن صاحب كل وظيفة من وظائفهم
الآتى ذكرها كان يخاطب مَنْ فوقه منهم بالأب، فالتبس ذلك عليهم فاختَرَعُوا
لبطرك الإسكندرية الباباً دفْعاً للاشتراك في اسم الباب، وجعلوه أباً لكلِّ ؛ ثم رأوا
أن بطرك رومية أحقُّ بهذا اللقب : لأنه صاحب كرسي بطرس كبير الحواريين
ورسول المسيح عليه السلام إلى رومية؛ وبطرك الإسكندرية صاحب كرسي
مَرْقُس الإنجيلي تلميذ بطرس الحواري المقسم ذكره فنقلوا اسم البابا إلى بطرك
رومية، وأبقوا اسم البطرك على بطرك الإسكندرية .

الثانى - البَطْرُك - بىء موحدة مفتوحة ثم طاء مهملة ساكنة وبعدها راء مهملة مفتوحة ثم كاف فى الآخر . وهو لقب على القائم بأمر دين النصارى . وكرايسُ البَطَارِكَة عندهم أربعة : كرسى برومية وهو مقرّ الباب المقّم ذكره، وكرسى بأنطاكية من بلاد العواصم ، وكرسى بالقدس ، [وكرسى بالإسكندرية] ^(١) وقد غلب الآن بالديار المصرية على رئيس النصارى اليَعْقُوبِيَّة بالديار المصرية وهو المعبر عنه فى الزمن القديم ببطرك الإسكندرية ، ومقرّه الآن بالكنيسة المعلقة بالقُسْطَاط على ماسيأتى ذكره فى موضعه ان شاء الله تعالى .

وأصله البَطْرِيْك بزيادة ياء مشناة تحت مفتوحة بعدها راء ساكنة وهو لفظ رومى معناه ورأيت فى ترسل العلاء بن موصلاً كاتب القائم بأمر الله العباسى فى تهليله أنشأه "الفَطْرُك" بإبدال الباء الموحدة ذاء . وقد تقدّم أن هذا البطرك هو الذى كان يدعى أولاً بالبايا ثم قُبل ذلك إلى بابا رومية ، على أن بطرك الإسكندرية لم يكن فى الزمن المتقدم مختصاً ببطرك يعقوبية بل كان تارة يكون يعقوبياً وتارة يكون مِلْكَانِيَا وإنما حدث اختصاصه باليعقوبية فى الدولة الإسلامية على ما سيأتى بيانه فى موضعه إن شاء الله تعالى .

الثالث - الأَشْقَف - بضم الحَمْزة والقاف . وهو عندهم عبارة عن نائب البَطْرُك .

الرابع - المِطْرَان - بكسر الميم . وهو عبارة عن القاضى الذى يفصل الخصومات بينهم .

الخامس - القِسَّيسُ - بكسر القاف . وهو القارئ الذى يقرأ عليهم الإنجيل والمزامير وغيرها .

(١) الزيادة من الضوء .

(٢) يباح بالاصول .

السادس — الجَائِقُ — يحيم بعد ألف ثم ثاء مشناة فوق ولام ثم ياء مشناة تحت^(١) وقاف في الآخر . وهو عندهم عبارة عن صاحب الصلاة .

السابع — الشَّامِس — بشين معجمة في الأول وسين مهملة في الآخر وميم مشددة . وهو عبارة عندهم عن قِيمِ الكَنيسة .

الثامن — الرَّاهِبُ . وهو عبارة عن الذي حَسَّ نفسه على العبادة في الخلوة .

الطائفة الثانية اليهود

(والمشهور من ألقاب أرباب وظائفهم ثلاثة ألقاب)

الأول — الرئيس . وهو القائم فيهم مَقَامَ البَطْرِك في النصارى ، وقد تقدم الكلام على لفظ الرئيس وأنه يقال بالهمز وبتشديد الياء .

الثاني — الحَزَّان — بحاء مهملة وزاى معجمة مشددة وبعد الألف نون . وهو فيهم بمثابة الخَطِيب يصعد المنبر ويَعْظُمهم .

الثالث — الشَّالِيحَصُّور — بكسر الشين المعجمة واللام وفتح الياء المشناة تحت وبعدها حاء مهملة ساكنة ثم صاد مهملة مفتوحة وباء موحدة مشددة مضمومة بعدها راء مهملة . وهو الإمام الذي يصلى بهم .

(١) نص في التمام على جواز الفتح والكسرة وأورده بالشاء الخفيفة ظلم ما أتجه في الأصل تصحيف أوله .

الجملة الثانية

(في ذكر الألقاب المرتبة على الأصول العظام من ألقاب أرباب
الوظائف المتقدمة، وهي نوعان)

النوع الأول

(ألقاب الخلفاء المرتبة على لقب الخليفة، وهي صنفان)

الصنف الأول

(مابرجئ منها تجرى العموم، وهو لقبان)

الأول — أمير المؤمنين . وهو لقب عام للخلفاء . وأول من لقب به منهم عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه في أثناء خلافته، وكانوا قبل ذلك يدعون أبا بكر الصديق
رضي الله عنه بخليفة رسول الله، ثم دعوا عمر بعده لابتداء خلافته بخليفة
رسول الله .

وأكثف في أصل تقييده بأمر المؤمنين فروى أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب"
بسندته إلى أبي وبرة، أن أصل تقييده بذلك أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا
يخلفان في الشراب أربعين، قال فبعثني خالد إلى عمر في خلافته أسأله عن الخلد
في الشراب بختته، فقلت : يا أمير المؤمنين إن خالدًا بعثني إليك - قال فيم ؟ قلت :
إن الناس قد تخافوا العقوبة وأنهكوا في الخمر فما ترى في ذلك فقال عمر إن حوله
ما ترون في ذلك فقال علي بن أبي طالب يا أمير المؤمنين ثمانين جلدًا فتقول ذلك عمر فكان
أبو وبرة ثم علي بن أبي طالب أول من لقبه بذلك .

وذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" أن أصل ذلك أن عمر رضي الله عنه بعث إلى عامله بالعراق أن يرسل إليه رجلين عارفين بأمور العراق يسألهما عما يريد فأنفذ إليه أليد بن ربيعة وعدى بن هشام فلما وصلا المدينة دخلا المسجد فوجدوا عمرو بن العاص فقالا له : استأذن لنا على أمير المؤمنين - فقال لهما عمرو : أنتما أصبنا أسمة ! ثم دخل على عمر فقال السلام على « أمير المؤمنين » - فقال : ما بدا لك يا ابن العاص ؟ لتخرجين من هذا القول ! فقص عليه القصة فأقره على ذلك ، فكان ذلك أول تلقيبه بأمر المؤمنين ، ثم استقر ذلك لقباً على كل من ولي الخلافة بعده أو أدعاهم خلا خلفاء بني أمية بالأنكس فإنهم كانوا يناطبون بالإمارة فقط إلى أن ولي منهم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، بن عبد الرحمن ، وهو الثالث عشر من خلفائهم إلى زماننا .

الثاني - عبد الله ووليه . وهو لقب عام للخلفاء أيضا ، إذ يكتب في نعت الخليفة في المكتوبات ونحوها « من عبد الله ووليه أبي فلان فلان أمير المؤمنين » فأما عبد الله فأول من تلقب به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضا ، فكان يكتب في مكاتباته « من عبد الله عمر » ولزم ذلك من بعده من الخلفاء حتى إن المأمون كان اسمه عبد الله فكان يكتب من « عبد الله عبد الله بن هارون » مكرراً لعبد الله على الأكمس النخاس واللقب السام ، وأما إردافها بقوله « ووليه » فأحدث بعد ذلك .

(١) كذا في الأصول ومثله في الضوء وفي مروج الذهب على بن حاتم وهو الصواب .

الصفحة الثاني (ألقابُ الخلافة الخاصةُ بكل خليفة)

والمتلقبون بألقاب الخلافة خمس طوائف :

الطائفة الأولى

(خلفاء بني العباس)

قد تقدم في الجملة الثانية من الطرف الأول من هذا الفصل في الكلام على أصل وضع الألقاب والنوع أن خلفاء بني أمية لم يتلقب أحد منهم بألقاب الخلافة ، وأن ذلك ابتدئ بابتداء الدولة العباسية فلقب إبراهيم بن محمد حين أخذت له البيعة بـ «الإمام» وأن الخلف وقع في لقب السفاح : فقيل «القائم» وقيل «المهتدي» وقيل «المرتضى» ، ثم لقب أخوه بعده بـ «المنصور» واستمرت الألقاب جارية على خلفائهم كذلك إلى أن ولي الخلافة أبو إسحاق إبراهيم بن الرشيد بعد أخيه المأمون فلقب بـ «المعتصم بالله» فكان أول من أضيف في لقبه من الخلفاء اسم الله . وجرى الأمر على ذلك فيما بعده من الخلفاء ، كـ «الواثق بالله» و «المتوكل على الله» و «الطائع لله» و «القائم بأمر الله» و «الناصر لدين الله» وما أشبه ذلك من الألقاب المتقدمة في الكلام على ترتيب الخلافة في المقالة الثانية .

وكان من عاداتهم أنه لا يتلقب خليفة بلقب خليفة قبله إلى أن صارت الخلافة إلى الديار المصرية فترادفوا على الألقاب السابقة ، واستعملوا ألقاب من سلف من الخلفاء على ما تقدمت الإشارة إليه في الكلام على ترتيب الخلفاء ، إلى أن تلقب أمير المؤمنين محمد بن أبي بكر خليفة العصر بـ «المتوكل على الله» وهو من أوائل ألقاب الخلافة العباسية .

الطائفة الثانية

(خلفاء بني أمية بالأندلس)

(حين غلب بنو العباس على الأمر بالعراق، وأتبعوا الخلافة منهم)

وأول من ولي الخلافة منهم بالأندلس «عبد الرحمن» بن معاوية، بن هشام،
 ابن عبد الملك، بن مروان، المعروف (بالداخل) لدخوله الأندلس في سنة تسع وثلاثين
 ومائة على ماسياتي ذكره في مكتبة صاحب الأندلس . ولم يتلقب بقلب من
 ألقاب الخلافة جريا على قاعدتهم الأولى في الخلافة . وجرى على ذلك من بعده من
 خلفائهم إلى أن ولي منهم «عبد الرحمن» بن محمد، المعروف بـ«المقبول» فلقب
 بـ«الناصر» بعد أن مضى من خلافته تسع وعشرون سنة، وتبعه من بعده منهم
 على ذلك إلى أن ولي عبد الرحمن بن محمد، بن عبد الملك، بن الناصر عبد الرحمن
 المقدم ذكره، فلقب بـ«المرتضى بالله» وهو أول من أضيف في لقبه بالخلافة منهم
 اسم الله، مضاهاة لبني العباس، وذلك في حدود الأربعمائة . وبقي الأمر على ذلك
 في خلفائهم إلى أن كان آخرهم هشام بن محمد فلقب بـ«المعتمد بالله» وأقرضت
 خلافتهم من الاندلس بعد ذلك باقراضه في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة .

الطائفة الثالثة

(الخلفاء الفاطميون ببلاد الغرب ثم بالديار المصرية)

وأول تاجم نجم منهم ببلاد الغرب (أبو محمد عبيد الله) في سنة ست وتسعين
 ومائتين من الهجرة، وتلقب بـ«المهدي» ثم تلقب بنوه من بعده بألقاب الخلافة
 المضاف فيها اسم الله كما تضاف بأمر الله و«المنصور بالله» إلى ابنه كان منهم

المعز لدين الله أبو تميم معذ، وهو الذي ارتفع الديار المصرية من أيدي الأَخشيديَّة، وصار إليها في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة . وتداول خلفاؤهم بها مثل هذه الانقلاب إلى أن كان آخرهم العاضد لدين الله عبد الله وأقرضت خلافتهم بالدولة الأيوبية على ما تقدم ذكره في المقالة الثانية في الكلام على ملوك الديار المصرية .

الطائفة الرابعة

(الخلفاء الموحدون الذين ملوك أفريقيا بتونس الآن من بقاياهم)

وأولهم في التلقيب بألقاب الخلافة إمامهم محمد بن تومرت البربري، القائم ببلاد الغرب في أعقاب الفاطميين المتكسّم ذكرهم، تلقب بـ«المهدي» وآل الأمر من جماعته إلى الشيخ أبي حفص أحد أصحابه، ومن عقبه ملوك تونس المتكسّم ذكرهم فلم يتلقب أحد منهم بألقاب الخلافة إلى أن ولي منهم أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا يحيى فتلقب بـ«المستنصر بالله» وتبعه من بعده من ملوكها على التلقيب بألقاب الخلافة إلى زماننا . ولذلك قال المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه «التعريف» في الكلام على مكتبة صاحب تونس «لا يدعى إلا الخلافة» وشبهتهم في ذلك أنهم يدعون أنسابهم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهو من صميم قریش .

الطائفة الخامسة

(جماعة من ملوك الغرب ممن لا شبهة لهم في دعوى الخلافة)

كلوك الطوائف القائمة بالأندلس بعد إقراض الدولة الأموية منها : من بنى عباد وبنى هود وغيرهم حيث كانوا يقبّون بـ«المعتمد» وغيره .

النوع الثاني

(ألقاب الملوك المختصة بالملك ، وهي صنفان)

الصنف الأول

(الألقاب العامة ، وهي التي تقع بالعموم على ملوك ممالك مخصوصة
تصنق على كل واحد منهم ، وهي ضربان)

الضرب الأول

(الألقاب القديمة ، والمشهور منها ألقاب ست طوائف)

الطائفة الأولى

(التبابعة ملوك اليمن)

كان يقال لكل منهم « تبع » . قال السهيلي في « الروض الأنف » : سُموا بذلك
لأن الناس يتبعونهم ، وواقعه الزمخشري على ذلك . وقال ابن سيده في « المحكم » :
سُموا بذلك لأنهم يتبع بعضهم بعضا . قال المسعودي في « مروج الذهب » :
ولم يكونوا يُسَمُّوا أحدا منهم تبعا حتى يملك اليمن والشَّحَر وحضرموت . وقيل :
حتى يتبعه بنو جُشَم بن عبد شمس ، أما إذا لم يكن كذلك فإنما يسمى ملكا . وأول
من لقَّب منهم بذلك « الحارث بن ذى شمر » وهو الرائي . ولم يزل هذا اللقب واقعا
على ملوكهم إلى أن زالت مملكتهم بملك الحبشة اليمن .

الطائفة الثانية

(ملوك القُرس، وهم على أربع طبقات)

الطبقة الأولى — القيشدانية . كان يقال لكل من ملك منهم قيشداد ، ومعناه « سيرة العدل » وأولهم كُيُومَرْت ، والقُرس كلهم مطبقون على أنه مبدأ تَسْل البَشَر، وكأنهم يريدون به آدم عليه السلام .

وحكى النزالى فى "نصيحة الملوك" : أن كيومرث أبْنُ آدم لُصْبُه ، وأن آدم عهد إلى شِيث بأمر الدين وإلى كُيُومَرْت بأمر الملك . وبعضهم يقول إنه كاهنُ أبْنُ يافث بن نوح عليه السلام .

الطبقة الثانية — (الكَيَانِيَّة) . سُمُّوا بذلك لأن فى أول أسم كل واحد منهم لفظ كِي ، وأولهم (كِيقباز) .

الطبقة الثالثة — (الأشغانيَّة) . كان يقال لكل منهم «أشغان» . قال المسعودى :
بالعين المعجمة ويقال بالكاف .

الطبقة الرابعة — (الأكاسِرة) . كان يقال لكل منهم «كسرى» بكسر الكاف .
وفتحها ، وربما قيل فيهم « السامانيَّة » نسبةً إلى جدِّهم ساسان بن أردشِير بن كِي بَهْمَن . وأولهم أردشِير بن بابك وأنعمهم يَزْدَجَرْد الذى أنهض ملكهم باقرع الساسين الملك من يديه فى خلافة عثمان رضى الله عنه .

(١) فى العبرج ٢ ص ١٥٩ "الكينية" .

(٢) فى الامول بدون نون والصحيح من المسعودى .

الطائفة الثالثة

(ملوك مصر من بعد الطوفان من القبط)

كان كل من ملكها منهم يسمى « فرعون » قال إبراهيم بن وصيف شاه في « كتاب العجائب » : والقبط يزعم أن الفراعنة من ملكها من العالقة دون القبط ، كالوليد بن دوميغ ونحوه . ويقال : إن أول من تسمى بهذا الاسم منهم (فرعان) آخر ملوكها قبل الطوفان ثم تسمى من بعده بـ « فرعون » . قال المؤيد صاحب حماة في تاريخه : ولم أدر لآي معنى سمي بذلك . والمذكور في القران منهم هو الذي بحث موسى عليه السلام في زمانه .

الطائفة الرابعة

(ملوك الروم ، وهم طبقتان)

الطبقة الأولى منهما ليس لهم لقب يعم كل ملك ، بل لكل ملك منهم اسم يخصه .

الطبقة الثانية — القيصرية . كان يقال لكل من ملك منهم قيصر . وأصل هذه اللفظة في اللغة الرومية جاشريجيم وشين معجمة فترتها العرب قيصر ولها في لغتهم معنيان : أحدهما الشعر ، والثاني الشيء المشقوق .

وأختر في أول من تلقب بهذا اللقب منهم : قنيل أغانيوش أول ملوك الطبقة الثانية منهم . سمي بذلك لأن أمه ماتت وهو حمل في بطنها فشق جوفها وأخرج فأطلق عليه هذا اللفظ أخذًا من معنى الشق ، ثم صار علمًا على كل من ملكهم بعده ، وقيل أول من لقب بذلك يوليوش الذي ملك بعد أغانيوش المذكور ، وقيل

أول من لُقِّب به أُنْشَطَش ، واختلف في سبب تسميته بذلك : فقيل لأن أمه ماتت وهو في جوفها فشُقَّ عنه وأُتْرِج كما تقدم القول في أغانيوش ، وقيل لأنه وليد وله شعر تام فلُقِّب بذلك أخذاً من معنى الشعر كما تقدم . ولم يزل هذا اللقب جارياً على ملوكهم إلى أن كان منهم هِرَقْل الذي كَتَبَ إليه النبي صلى الله عليه وسلم .

وزعم القاضي شهاب الدين بن فضل الله في كتابه " التعريف " في الكلام على مكتبة الأدفونش أن هِرَقْل لم يكن المَلِكَ نَفْسَه وإنما كان متسلماً للشام لقيصر ، وقِصْرُ القسطنطينية لم يَرَمْ ؛ وإنما كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هِرَقْل لقربه من جزيرة العرب وبقي هذا اللقب عليهم بعد الإسلام إلى أن كان آخر من تَلَقَّبَ به منهم (استيراق قيصر) ملك القسطنطينية في خلافة المأمون بن الرشيد .

الطائفة الخامسة

(ملوك الكنعانيين بالشام)

كان كلٌّ من ملك منهم لُقِّب « بِجَالُوت » إلى أن كان آخرهم جالوت الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ .

الطائفة السادسة

(ملوك الحبشة)

كان كلٌّ من ملك منهم يَلْقَبُ بـ « النَّجَاشِي » ولم يزل ذلك لقباً على ملوكهم إلى أن كان منهم النجاشي الذي كَتَبَ إليه النبي صلى الله عليه وسلم وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته . وهو الذي هاجر إليه من هاجر من الصحابة رضوان الله عليهم الهجرة الأولى . وأسمه صَحْمَة ويقال أَصْحَمَة ، ومعناه بالعربية عَطِيَّة .

الضرب الثاني

(الألقاب المستحدثة، والمشهور منها ألقاب ست طوائف)

الطائفة الأولى

(ملوك قَرَغانة)

كان كلُّ مَنْ ملك منهم يلقَّب « الأَخْشِيد » ولذلك لَقَّبَ الراضى بالله العباسىُّ محمد بن طُغْج صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية بـ «الأَخْشِيد» لأنه كان قَرَغانياً.

الطائفة الثانية

(ملوك أَشْرُوسَة)

كان كلُّ مَنْ ملكها يقال له « الأَفْشِين » . قال في « ذخيرة الكُتُب » :
وبه لَقَّبَ المعتصم بالله حيدر بن كلوس بـ «الأَفْشِين» لأنه أَشْرُوسِيٌّ .

الطائفة الثالثة

(ملوك الجَلَالِيَّة من الفَرَنْج)

الذين قاعدة مُلْكِهِم طَلَيْطَلَة وَبَرْشَلُونَة من الأَنْدَلُس . يقال لكلِّ مَنْ ملك منهم « أَدْفُونَس » بدل مهملة ثم فاء بعدها واو ثم نون مفتوحة وشين معجمة في آخره . وهذا اللقب جاري على ملوكهم إلى زماننا ، وهو الذي تُسمِّيه العامة « الفُنش » .

الطائفة الرابعة

(ملوك فرّسة ، ويقال فرّيجة بالجم)

وهو ملك الأرض الكبيرة بظاهر الأندلس . يقال لكل من ملكها «ريدأفرنس» ومعنى ريد بلغتهم الملك ، والأفرنس اسم الجنس الذين يملك عليهم . والمعنى ملك الأفرنس . وهو الذى تسميه العامة «الفرّسيس» وهذا اللقب جار على ملوكهم إلى الآن .

الطائفة الخامسة

(ملوك البندقية من بلاد الفرج)

كل من ملك منهم يسمونه «دوك» بالكاف المشوبة بالجم فيقال : «دوك البندقية» . وهذا اللقب جار على ملوكهم إلى آخر وقت .

الطائفة السادسة

(ملوك الحبشية فى زماننا)

كل من ملك منهم يقال له «حطى» بفتح الحاء المهملة وكسر الطاء المهملة المشددة . وهذا اللقب يدكر فى مكاتباتهم عن الأبواب السلطانية على ماسياتى ذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى .

الصنف الثاني

(من النوع الثاني الألقاب الخاصة)

وهي التي يُخَصُّ كُلُّ ملكٍ من ملوك الإسلام منها بلقبٍ ، وهو المعبَّر عنه عند الكُتَّاب باللقب المُلوَكِي . ويختلف الحالُّ فيه باختلاف البلاد والزمان .

فأما بلاد المشرق فأقول أفتتاح تليقب مُلوَكهم بالإضافة إلى الدولة ، وكان أوَّل من تلقَّب منهم بذلك بنو حَمْدَانَ ملوكُ حَلَبَ ، فتلقَّب أبو محمد الحسنُ بْنُ حَمْدَانَ في أيام المتقي لله « نَاصِر الدولة » وتلقَّب أخوه أبو الحسن على « سيف الدولة » وطلَّ ذلك جرى الحال في ملوك بني بُوَيْه على ما تقدَّم ذكره في الكلام على أصول الألقاب ، وتوالى ذلك فيهم إلى آقراض دولتهم . ثم وقع التليقب بالسلطان فيما بعدهم من الدُول كدولة بني مُبَشَّكِيكِينَ ، وبني سَاسَانَ ، وبني سَلْجُوق ، إلى أن غلبت التَّارُ على بلاد المشرق فخرَّت ملوكُهم في التليقب باللقاب على عادة ملوكهم .

وأما بلاد المغرب : فأوائل ملوكهم على عموم ملوكهم لجميعها وخصوصه ببعضها ما بين مدَّج للخلافة ، كبنى أُمَيَّةَ بالأندلس ، وأتباع المهديِّ بن تُوَمَرْت ، فيدور أمر أحدهم بين التليقب بالقباب الخلافة والاقتصار على أسمه أو كنيته ، وما بين غير مدَّج للخلافة ، فيقتصر على أسمه أو كنيته فقط إلى أن غلب يوسفُ بْنُ تَاشْفِين في أوائل دولة المُرَاطِيين من المُلُكِيين من البربر على بلاد المغرب والأندلس ، ودانَ بطاعة الخلافة العباسية ببغداد ، فتلقَّب بـ « أمير المسلمين » خضوعاً عن أن يتلقَّب بـ « أمير المؤمنين » الذي هو من خصائص الخلافة ؛ وتبعه على ذلك مَنْ جاء بعده من ملوك الغرب من البربر : فتلقَّب به بنو حَمْرِيين : ملوكُ فاس ، وبنو عَيْد الواد ملوك تلمسان ، وبقَى الأمر على ذلك إلى أن ملك فاس وما معها من بلاد المغرب

أبو عَيَّان من أحفاد السلطان أبي الحسن، فلقب بـ «أمير المؤمنين» وصارت مكاتبته ترد إلى الديار المصرية بذلك، وتبعه من بعده من ملوكهم على ذلك .

أما ملوك تونس من بقايا الموحدين، فلم يزالوا يلقَّبون بالقباب الخلفاء على ما سبق ذكره في الكلام على ألقاب الخلفاء .

وأما الديار المصرية، ففضي الأمر فيها على نواب الخلفاء من حين الفتح الإسلامي وإلى آخره من الدولة الأُخشيديَّة ولم يتلقَّب أحد منهم بلقب من الألقاب الملوكية . ثم كانت دولة الفاطميين فتلقَّبوا بألقاب الخلفاء على ما مر ذكره . ولم يتلقَّب أحد من وزرائهم أرباب السيوف لأبتداء أمرهم بالألقاب الملوكية إلى أن ولي الوزارة المستنصر بدر الجبالي وعظم أمر الوزارة، وصارت قائمة مقام السلطنة الآن فلقب بـ «أمير الجيوش» وتلقَّب أبنته في وزارته بـ «الأفضل» وتلقَّب ابن السلاسل بـ ذلك بـ «العاذل» وتلقَّب ابن البطاحي وزير الأمر بـ «المأمون» ثم وُزِّر بعد ذلك الحافظ بهرام الأرميُّ النصراني فتلقَّب بـ «تاج الدولة» ثم وُزِّر بعده وزير اسمه رضوان، فلقبه بـ «الملك الأفضل» . قال المؤيد صاحب حماة : وهو أوَّل من لقَّب من وزرائهم بالملك، وجرى الأمر على ذلك في وزارتهم حتى كان منهم الملك الصالح طلائع بن زريك وزير الفائر ثم العاضد ؛ ثم وُزِّر للعاضد أخو أسد الدين شيركوه ثم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وتلقَّب بـ «الملك المنصور» ثم وُزِّر له بعده ابن أخيه صلاح الدين، فلقَّب بـ «الملك الناصر» ثم استقلَّ بالملك بعد ذلك ، وبقى في السلطنة على لقبه الأوَّل . وتداول ملوك الدولة الأيوبية بعده مثل هذه الألقاب : كالملك العزيز بن السلطان صلاح الدين، والملك العادل أبي بكر بن أيوب ، والملك الكامل محمد ابنه، والأفضل صاحب دمشق، والمعظم صاحب الكرك، وغيرهم إلى حين آخره من دولتهم ودخول الدولة التركيَّة . فتلقَّب أيك التركمان أوَّل ملوكهم

بـ«الملك المُعَزَّ» وأستمر التقييب بمثل ذلك في الدولة التركية إلى أن صارت المملكة آخرًا إلى الظاهر بَرْقُوق، ثم آتته الناصر قَرَج، وهم على ذلك . وعلى نحو ذلك ملوك البلاد المجاورة لهذه المملكة : كجَارِدِينَ، وَحِصِينَ كَيْفًا ونحوهما .

الجملة الثالثة

(في الألقاب المقررة على الأسماء، على ما أمتقر عليه الحال من التقييب
بالإضافة إلى الدين، وهي على أربعة أنواع)

النوع الأول

(ألقاب أرباب السيف، وهم صفات)

الصنف الأول

(ألقاب الجُند من التُّرك وَمِنْ في معنهم)

وَأَعْلَمُ أَنَّ الغالب في ألقاب التُّرك من الجُند التقييب بـ«سيف الدين» لما فيه من
مناسبة حالم وانتسابهم إلى القوة والشَّيْء : كَيْلْبَا، وَمَنْكَلِي بفا، وبِي نجا،
وَأَسْن نجا، وقُغْرِي بَرْدِي، وقُغْرِي بَرْمَش، ونحو ذلك . وقد يخرج ذلك في بعض
الأسماء فيلقَّب بألقاب خاصة، كما يلقَّبون طيغنا، والطنينا، وقراينا «علاء الدين»
وأيُدْمَر ويُدْمَر «عز الدين» ولاجِين «حُسام الدين» وأرسلان «بهاء الدين»
وأقوش «جمال الدين» وسَنْجَر «علم الدين» ونحو ذلك . وفي المولدين يقولون
في لقب محمد : «ناصر الدين» ولَقَبِ أَبِي بَكْر «سيف الدين» ولقب عُمر
«رُكن الدين» ولقب علي «علاء الدين» ولقب إبراهيم «صارم الدين» ولقب
إسماعيل «تاج الدين» ولقب حسن وحسين «حُسام الدين» ولقب خالد
«شجاع الدين» ونحو ذلك .

الصف الثاني

(ألقاب الخُصَّبانِ المعبر عنهم الآن بالطواشيّة،

وفي زمن الفاطميين بالأمثاذين)

ولهم ألقابٌ تخصهم : فيقولون في هلال ومرجان « زَيْنُ الدِّين » وفي دينار
« عِزُّ الدِّين » وفي بشير « سَعْدُ الدِّين » وفي شاهين « فارسُ الدِّين » وفي جَوْهَر
« صَفِيُّ الدِّين » وفي مثقال « سابقُ الدِّين » وفي عنبر « شُجاعُ الدِّين » وفي زُؤُلُو
« بَدْرُ الدِّين » وفي صَوَّاب « شمسُ الدِّين » وفي مُحْسِن « جمالُ الدِّين » ونحو ذلك .

النوع الثاني

(ألقاب أرباب الأعلام، وهي على صنفين)

الصف الأول

(ألقاب القضاة والعلماء)

قد كان في الزمن الأول لغالب أسمائهم ألقابٌ لا يتعلّقونها ، كقولهم في محمد :
« شمسُ الدِّين » وفي أحمد « شهابُ الدِّين » وفي أبي بكر « زَيْنُ الدِّين » وفي عمر
« سراجُ الدِّين » وفي عثمان « نَخْرُ الدِّين » وفي علي « نُورُ الدِّين » وفي يوسف
« جمالُ الدِّين » وفي عبد الرحمن « زَيْنُ الدِّين » وفي إبراهيم « بُرْهانُ الدِّين » ونحو ذلك .
ثم ترك أعيانهم ذلك لابتذاله بكثرة الاستعمال ، وعلّقوا إلى ألقابٍ أُخرَ ابتدعوها على
حَسَبِ أغراضهم فقالوا في محمد « بَدْرُ الدِّين » و « صَدْرُ الدِّين » و « عِزُّ الدِّين »
ونحوها ، وفي أحمد « بهاءُ الدِّين » و « صدرُ الدِّين » و « صلاحُ الدِّين » وفي علي
« تقيُ الدِّين » وفي عبد الرحمن « جلالُ الدِّين » ونحو ذلك ، ولم يتوقّفوا في ذلك على
لقب مخصوص ، بل صاروا يَصْنُدُون المخالفة لما عليه جادّة من تهتمهم في ذلك .

الصف الثاني

(ألقاب الكُتّاب من القِبط)

ولهم ألقاب تخصهم أيضا : فيقولون في عبد الله « شمس الدين » وفي عبد الرزاق « تاج الدين » وربما قالوا « سعد الدين » وفي إبراهيم « علم الدين » وفي ماجد « مجد الدين » وفي وهبة « قتي الدين » ونحو ذلك .

النوع الثالث

(ألقاب عامة الناس من التجار والغائبان السلطانية ونحوهم)

وهم على سَنَن الفقهاء في ألقابهم ، وربما مَالَ مَنْ هو منهم في الخِلْم السلطانية إلى التلقيب بألقاب الجُنْد .

النوع الرابع

(ألقاب أهل الذمة من الكُتّاب والصيَّاف

وَمَنْ فِي مِثْلِهِم مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى)

وقد آصطلحوا على ألقاب يتلقبون بها غالبا مصدرية بالشيخ ؛ ثم منهم مَنْ يجرى على الرسم الأوَّل في التلقيب بالإضافة إلى الدولة فيتلقب بولي الدولة ونحوه ؛ ومنهم من يحنف المضاف إليه في الجملة ويعترف اللقب بالألف واللام فيقولون

(١) لعل هذا بعد اسلامهم كما يدل عليه ما بعد في النوع الرابع .

« الشيخ الشمسى » و « الشيخ الصفى » و « الشيخ الموقى » وما أشبه ذلك . فإذا أسلم أحدهم أسقطت الألف واللام من أول لقبه ذلك ، وأضيف إلى لفظ الدين . فيقال فى الشيخ الشمسى « شمس الدين » وفى الصفى « صفى الدين » وفى ولى الدولة « ولى الدين » وما أشبه ذلك . وربما كان لقب الذى ليس له موافقة فى شىء مما يضاف إلى الدين من ألقاب المسلمين ، فبراعى فيه إذا أسلم أقرب الألقاب إليه ، مثل أن يقال فى الشيخ السعيد مثلاً إذا أسلم « سعد الدين » ونحو ذلك .

الجملة الرابعة

(فى أصل وضع الألقاب الجارية بين الكُتَّاب ، ثم انتهائها إلى غاية التعظيم
ومجاورتها الحدَّ فى التكثير)

أما أصل وضعها ثم انتهؤها إلى غاية التعظيم فإنَّ ألقاب الخلافة فى آبئنا
الأمر - على جلاله قدرها وعظم شأنها - كانت فى المكتبات الصادرة عن ديوان
الخلافة وإليه ، والولايات الناشئة عنه « عبده ووليه الإمام القلائى أمير المؤمنين »
ولم يزل الأمر على هذا الحدَّ فى الألقاب إلى أن استولى بنو بويه من الديلم على
الأمر ، وغلبوا على الخلفاء ، واستبدوا عليهم أحجبت الخلفاء ولم يبق إليهم فيما
يُكتب عنهم غالباً سوى الولايات ، وفُوض الأمر فى غالب المكتبات إلى وزراءهم ،
وصارت الحال إذا اقتضت ذكر الخليفة كفى عنه به « المواقف المقتضية »
و « المقامات الشريفة » و « السرة النبوية » و « الدار العزیزة » و « المحل المجید » يعنون
« بالمواقف » الأماكن التى يقف فيها الخليفة ، وكذلك المقامات ، وبالسرة الأمانات
التي يجلس عليها الخليفة ، و « بالدار » دار الخلافة ، و « بالمحل » محل الخليفة . قال
فى « ذخيرة الكُتَّاب » : « وليت شعرى أى شىء قصد من كنى عن أمير المؤمنين

(١) كذا هو بالاء المهمة فى الأصول وهو اصطلاح لهم .

بهذه الكايات ، وبقل نموت وصفاته المعظمة المكرمة بهذه الألفاظ المحقرات ؟
 وإذا استُجِيزَ ذلك ورُضِيَ به وأُغضِيَ عنه كان لآثر أن يقول «المجالس الطاهرة»
 و«المقاعد المقدسة» و«المرآكب المعظمة» و«الأسرة المجدة» وما يجرى هذا الجري
 مما ينبو عنه السمع وينكره لاستحداثه واستجداده ، على أنه لو توالى على الاستماع
 كتوالى تلك الألفاظ لم تنكره بعد إذ لا فرق . قال : ولم يستسنه النبي صلى الله
 عليه وسلم ولا اختاره لنفسه ، ولا استحدثه الخلفاء بعده . فإوجه العمل
 بموضعه والاقتضائه لآخره ؟ وكيف يجوز أن يكنى عن الجادات ، بما يكنى به
 عن الإنسان الحى الناطق الكامل الصفات . ولما آتتهى الحال بالخلفاء إلى التعظيم
 بهذه الألقاب والنعوت المستمرة ، تداعى الأمر إلى تعظيم الملوك والوزراء بالتلقب
 بـ«المجلس العالى» و«الحضرة السامية» وما أشبه ذلك . قال : وهذا مما لم يكن
 فى زمان ، ولا جرى فى وقت ، ولا كتب به النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا استعمله
 الخلفاء بعده . ثم تزايد الحال فى ذلك إلى أن كنوا بـ«المقام» و«المقر»
 و«الجناب» و«المجلس» ونحو ذلك على ما سياتى ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .



وأما مجاوزتها الحد فى الكثرة ، فقد تقدم أن اللقب الواحد كان يُلقب به الشخص
 دون تعدد ألقاب ، إلى أن وافى أيام القادر بالله والتلقب بالإنضافة إلى الدولة
 فزيد فى لقب عضد الدولة بن بويه (تاج الملة) فكان يقال «عضد الدولة وتاج الملة»
 وكان أول من زيد فى لقبه على الأفراد ، وإن أبنته «بهاء الدولة» زيد فى لقبه
 فى الأيام القادرية أيضا «نظام الدين» فكان يقال : «بهاء الدولة ونظام الدين»

ويقال : إنه زاده من بعده بهاء الدولة لفظاً « في الأمة » فكان يقال : « بهاء الدولة في الأمة ونظام الدين » ثم لُقّب محمود بن سُبُكْتِكِين في الأيام القادرية أيضاً « بيمين الدولة ، وأمين الملة ، وكهف الإسلام والمسلمين ، ولي أمير المؤمنين » وتزايد الأمر بعد ذلك في تكثير الألقاب حتى جاوز الحد وبلغ النهاية ، وصارت الكُتُوب في كل زمن يفتريحون ألقاباً زيادة على ما سبق إلى أن صارت من الكثرة في زماننا على ما ستقف عليه إن شاء الله تعالى فيما بعد .

المجلد الخامسة

(في بيان الألقاب الأصول وذكر معانيها وأشتقاقها ؛ وهي صفتان)

الصف الأول

(ما يقع في المكتبات والولايات ، وهي ثمانية ألقاب)

الأول — الجانب . وهو من ألقاب ولاية العهد بالخلافة ومن في معناه : كإمام الزيدية باليمن في مكابته عن الأبواب السلطانية . وربما وقع في الخطاب في أثناء الكتابة : فيقال « الجانب الأعلى » و « الجانب الشريف العالي » [والجانب الكريم العالي ^(١)] و « الجانب العالي » مجزأ عنهما ، رتبة بعد رتبة .

ثم الجانب في أصل اللغة اسمٌ للناحية ، والمراد الناحية التي صاحبُ اللقب فيها ، كُنِيَ بها عنه تعظيماً له عن أن يُنْفَوْه بذكره ، وكذا في غيره مما يجري ههنا المجرى من الألقاب المكتنية : كالمقام والمقر ونحوهما .

الثاني — المقام بفتح الميم . وهو من الألقاب الخاصة بالملوك . وأصل المقام في اللغة اسمٌ لموضع القيام ، أخذاً من قام يقوم مقاماً . وقد ورد [في] التثنية بمعنى موضع القيام في قوله تعالى : (فِيهِ آيَاتٌ يَتَذَكَّرُ مِنْهَا إِبْرَاهِيمَ) يريد موضع قدميه

(١) الزيادة ساقطة من النسخ يحتاج إليها الكلام .

في الصخرة التي كانت يقوم عليها لبناء البيت ؛ ثم تَوَسَّع فيه فَأُطْلِقَ على ما هو أمُّ من موضع القيام من حَمَلَةِ الرجل أو مَدِينَتِهِ ونحو ذلك ، ومن ثمَّ قال الزمخشري في الكلام على قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ إنه خَاصٌّ اسْتَعْمِلَ في معنى العموم ، يعني أنه يُسْتَعْمَلُ في موضع الإقامة في الجملة . أما الْمَقَامُ بالضم فاسمٌ لموضع الإقامة أخذًا من أَقامَ يَقِمْ ، إذ الفعل مقى جاوزَ الثلاثةَ فالموضع منه مضموم كقولهم في المكان الذي يُدْرَجُ فيه مُنْجَرَجٌ كما نَبَّه عليه الجوهري وغيره . وقد قرئ قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ بالفتح والضم جميعا على المعنيين . قال الجوهري : وقد يكون الْمَقَامُ بالفتح بمعنى الإقامة والمَقَامُ بالضم بمعنى موضع القيام . وجعل من الثاني قوله تعالى : ﴿ حَسُلْتُ مُسْتَقَرًّا وَمَقَامًا ﴾ أى موضعا . وبالجملة فالذي يستعمله الحُكَّابُ في الْمَقَامِ الْفَتْحُ خاصةً ، يكونون بذلك عن السلطان تعظيماً له عن التَّقْوَةَ باسمه . قال المَقَرُّ الشَّهَابِيُّ بنُ فضل الله في "عُرْفِ التعريف" : ويقال فيه « الْمَقَامُ الْأَشْرَفُ » و « الْمَقَامُ الشَّرِيفُ الْعَالِي » ورُبَّمَا قيل فيه « الْمَقَامُ الْعَالِي » ولم يتعزَّضْ لذكر « الْمَقَامِ الْكَرِيمِ » ولو عَمِلَ عليه تَأْسِيًّا بلفظ القرءان الكريم حيث قال تعالى : ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ لكان حَسَنًا .

الثالث — الْمَقَرُّ — بفتح الميم والقاف . قال في "عُرْفِ التعريف" : ويختص بكِبَارِ الْأُمَرَاءِ ، وَأَعْيَانِ الْوُزَرَاءِ ، وَكُتَّابِ السَّرُومِنِ يَحْمِيهِمْ تَجَرَاهِمُ : كناظر الخِطَّاءِ ، وناظر الجَيْشِ ، وناظر الْحَوْلَةِ ، وَكُتَّابِ الدَّسْتِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ . قال : ولا يُكْتَبُ لأحد من العلماء والقضاة ؛ وكأنه يريد العُرف العام . والتحقيق في ذلك أن الحال فيه يختلف بحسب المكتوب عنه ، فلا يقال فيما يُكْتَبُ عن السلطان إلا لأكابر الأمراء وبعض الملوك المكاتبين عن هذه المملكة : كهاسب ما يَرِدُنْ ونحوه .

بل قد ذكر ابنُ شيثٍ في "معالم الكتابة" أن المقرَّ من أجل ألقاب السلطان . وقد رأيت ذلك في الهدد المكتتب بالسلطنة للنصور قلاوون من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر . أما عمن عدا السلطان كالتَّوَاب ونحوهم فإنه يُكتب به لا كابر أرباب السيوف والأقلام : من القضاة والعلماء والكتاب . على أن ابنُ شيثٍ في "معالم الكتابة" قد جعله من الألقاب الملوكة كالمقام ، بل جعلهما على حدٍّ واحدٍ في ذلك . قال في "عرف التعريف" : ويقال فيه « المقرَّ الأشرف » و« المقرَّ الشريف العالى » و« المقرَّ الكريم العالى » و« المقرَّ العالى » مجزدا عن ذلك . وأصله في اللغة لموضع الاستقرار ، والمرادُ الموضع الذى يستقرُّ فيه صاحبُ ذلك اللقب . ولا يخفى أنه من الخاصِّ الذى استعمل في العموم كما هُدم في لفظ المقام عن الزمخشري . إذ يجوز أن يقال فلان مقرّه محلة كذا وبُدة كذا ، كما يقال مقامه محلة كذا وبُدة كذا .

الرابع — الجَنَاب . وهو من ألقاب أرباب السيوف والأقلام جميعا فيما يكتب به عن السلطان وغيره من التَّوَاب ومن في معنهم . قال في "عرف التعريف" : وهو أعلى ما يكتب للقضاة والعلماء من الألقاب . قال : ويُكتب لمن لأوَّهَل للقر من الأمراء وغيرهم من يجرى مجرى الوزراء ، ويزيد على ما قد ذكره أنه يكتب به لبعض الملوك المكاتبين عن الأبواب السلطانية . قال في "عرف التعريف" : ويقال فيه « الجَنَاب الشريف العالى » و« الجَنَاب الكريم العالى » و« الجَنَاب العالى » مجزدا عنهما . وأصل الجَنَاب في اللغة الفناء أو ما قرب من محلة القوم ، ومنه قولهم : لئنا يجناب قُبلانٍ وفلانٌ خَصِيب الجَنَاب ، فعبّر عن الرجل هِنَاتَه وما قرب من محلته تعظيما له ، ويجمع على أجنبيّة ككائن وأمكنة وعلى جنابات بحماد وجمادات .

الخامس — المجلس . وهو من ألقاب أرباب السيوف والأقلام أيضا من لم يُؤهل لرتبة الجنّاب ؛ وربما لُقّب به بعض الملوك في المكتبات السلطانية . على أنه كان في الدولة الأيوبية لا يُلقّب به إلا الملوك ومن في مناصبهم . ومكتبات القاضي الفاضل والعماد الأصفّهاني وغيرهما من كُتّاب الدولة الأيوبية ومن عاصرها مشحونة بذلك ، حتى قال صاحب "معالم الكتابة" : وقد كانوا لا يكتبون المجلس إلا للسلطان خاصّة . قال : ولم يكن السلطان يُكتب به أحدًا من الداخلين تحت حكمه والمنسحب عليهم أمره . ثم ذكر أنه كان يُكتب به في زمانه إلى كبار الأمراء والوزراء وولاء المهدي بالسلطنة .

أما في زماننا فقد صار في أدنى الرتب وجعل الجنّاب والمقرّ فوقه على ما تقدم . ويقال فيه : « المجلس العالي » و« المجلس السامي » رتبة بعد رتبة . ويقال في المجلس السامي السامي بالياء ، والسامي بغيرياء ، رتبة بعد رتبة .

وأعلم أن العالي والسامي اسمان متقوصات كالقاضي والوالي وقد تقرر في علم النحو أنه إذا دخلت الألف واللام على الاسم المنقوص جاز فيه إثبات الياء وحذفها فيقال القاض والقاضي ونحو ذلك ، وحينئذ فيجوز في العالي والسامي إثبات الياء وحذفها ولكن الكُتّاب لا يستعملونها إلا بالياء .

فأما في العالي فيجوز أن تكون الياء التي تُثبتها الكُتّاب في آخره هي الياء اللاحقة للاسم المنقوص على ما تقدم وتكون حينئذ ساكنة ، ويجوز أن تكون ياء النسب نسبة إلى العالي وتكون مشددة ، وكذلك في السامي بالياء .

أما السامي بغيرياء فيجوز أن يكون المراد حذف ياء النسب لا الياء اللاحقة للاسم المنقوص ، لما تقدم من أن الكُتّاب لم يستعملوها إلا بإثبات الياء ، وحينئذ

تُحذف الياء من الألقاب التي تُشتمُّ بها . ويحتمل أن يكون المرادُ حذفُ الياء
اللاحقة للآم المقوص وهو بعيد .

وأصلُ المجلس في اللغة لموضع الجلوس ، ويشار بذلك إلى الموضع الذي يجلس
فيه تعظيماً له على ما هُتِمَ في غيره . ولا يخفى أنه ليس للمجلس ما للمقر والمقام
من المُموم حتى يتم ما فوق موضع الجلوس ، إذ لا يحسن أن يقال يجلس فلان محلة
كذا ولا بلد كذا كما يحسن أن يقال : مقره أو مقامه محلة كذا أو بلد كذا .

السادس - مجلس - مجزأ عن الألف واللام مضافاً إلى ما بعده ؛ وله
في الاصطلاح أربع حالات :

الأولى أن يُضاف إلى الأمير : فيقال « مجلس الأمير » وهو مختصُّ بأرباب
السيوف على اختلاف أنواعهم من الترك والعرب وغيرهم .

الثانية أن يُضاف إلى القاضي : فيقال « مجلس القاضي » وهو مختصُّ بأرباب
الأقلام من القضاة والعلماء والكُتّاب ومن في معانهم .

الثالثة أن يُضاف إلى الشيخ : فيقال « مجلس الشيخ » ويختصُّ ذلك بالصوفيَّة
وأهل الصلاح ومن في معانهم .

الرابعة أن يُضاف إلى الصدر : فيقال « مجلس الصدر » وهو مختصُّ بالتجار
وأرباب الصنائع ومن في معانهم ، وربما كُتِبَ به في الدولة الناصرية « محمد بن
قلاوون » وما قاربها لكُتِبَ الدرَج ومن في معانهم . والمراد بالصدر صدر المجلس
الذي هو أعلى أماكنته وأرفعها ، والمضاف والمضاف إليه فيه كلُّنا كسين ، والتقدير
صدر المجلس .

السابع — أن يُقتصر على المضاف إليه من مجلس الأمير، أو مجلس القاضي، أو مجلس الشيخ، أو مجلس الصدر ويقال فيه : « الأمير الأجل » و « القاضي الأجل » و « الشيخ الصالح » و « الصدر الأجل » .

الثامن — الحاضرة . والمراد بها حضرة صاحب القلب . قال الجوهرى : وحضرة الرجل قُربه وفِئأوه . قال ابن قتيبة في « أدب الكاتب » : ويقال بفتح الحاء وكسرهما وضمتها وأكثر ما تستعمل في المكتبات . وهى من الألقاب القديمة التى كانت تستعمل في مكتبات الخلفاء . وكان يقال فيها « الحضرة العالية » و « الحضرة السامية » ، وتستعمل الآن في المكتبات الصادرة عن الأبواب السلطانية إلى بعض الملوك . ويقال فيها : « الحضرة الشريفة العالية » و « الحضرة الكريمة العالية » و « الحضرة العلية » بحسب ما تقتضيه الحال . قال ابن شيث في « معالم الكتّابة » : وكانت مما يكتب بها لأعيان الدولة من الوزراء وغيرهم ، ولم يكن السلطان يكتب بها أحدا من الداخلين تحت حكمه والمسحوب عليهم أمره . وتُستعمل أيضا في مكتبات ملوك الكُفر ، ويقال فيه بعد الدماء للحضرة : « حضرة الملك الخليل » ونحو ذلك على ما سياتى بيانه في موضعه . وقد تُستعمل في الولايات في نحو ما يكتب للبَطرك . فيقال : « حضرة الشيخ » أو « حضرة البَطرك » ونحو ذلك . قلت : وكثير من كتّاب الزمان يظنون أن هذه الألقاب الأصول أو أكثرها أحدثها القاضي شهاب الدين بن فضل الله وليس كذلك ، بل المجلس المذكور في مكتبات القاضي الفاضل ومن عاصره بكثرة بل لا تكاد مكتبة من مكتباته الملوكة تخلو عن ذلك . ومقتضى كلام ابن حاجب الثمان في « ذخيرة الكتّاب » أنه أول ما ابتدع في أيام بنى بويه ملوك الدَّيلم . والجناب موجود في مكتبات القاضي الفاضل أيضا بقلة .

وقد ذكره ابن شيث في مصطلح كتابة الدولة الأيوبية . والمقر موجود في كلام القاضي محي الدين بن عبد الظاهر . والمقام موجود في مكاتبات من قبل القاضي شهاب الدين المذكور؛ نعم هذا الترتيب الخاص : وهو جعل أعلاها المقام ، ثم المقر ، ثم الجَنَاب ، ثم المجلس ، ثم مجلس الأمير أو القاضي أو الشيخ ، لم أره إلا في كلام المقر الشهابي المشار إليه ومتابعيه ، ولا أدري أهو المقترح لهذا أم سبقه إليه غيره ؟ وقد أولع الفضلاء بالسؤال عن وجه هذا الترتيب ، بل أخذوا في إنكاره على مرتبة من حيث إن هذه الألقاب متقاربة المعاني في اللغة ، فلا يتجه تقديم بعضها على بعض في الرتبة ، ولا ينبغي أن واضح ذلك من المقر الشهابي أو غيره لم يضعه عن جهل على سبيل التشبيهي إذ لا يليق ذلك بمن عنده أدنى مُسَكَّة من العلم . وقد ظهر لي عن ذلك أجوبة يستحسنها الذهن السليم إذا تُلِّقَت بالإنصاف . ولا بد من تقديم مقسمة على ذلك : وهي أن تعلم أن الخطاب في المكاتبات ، والوصف في الولايات ، مبنى على التفضيم والتعظيم ، على ما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى . ومن ثم أتى فيهما بالألقاب المؤدية إلى الرُفعة كما تقدمت الإشارة إليه في أول الكلام على الألقاب . ثم أثبتوا هذه الألقاب بمعنى الأماكن كناية عن أصحابها من باب مجاز الجأورة ، وجعلوها رتبة بعد رتبة بحسب ما تقتضيه معانيها اللائحة منها على ما سيأتي بيانه ، فجعلوا أَدَنًا رتبة الأمير والقاضي والشيخ ، التي وقع فيها التصريح بذكر الشخص ؛ وجعلوا فوق ذلك المجلس لتجرده عن الإضافة إلى ما هو في معنى القريب من التصريح ، وجعلوا فوق ذلك الجَنَاب الذي هو الفناء من حيث إن فناء الرجل أوسع من مجلسه ضرورة ، بل ربما أشتمل على المجلس وأستضافه إليه ؛ وجعلوا فوق ذلك المقر الذي هو موضع الاستقرار مع ما يقتضيه من شمول جميع المحلة أو البلد الذي هو مُقيم فيه ، من حيث إنه يسوغ أن يقال مقره محلة كذا أو بلد كذا ، وتضمنه

معنى القرار الذى هو ضد الزوال على ما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ وجعلوا فوق ذلك المقام لاستعماله فى المعنى العام، الذى هو أعم من موضع القيام كما أشار إليه الزمخشري، مع ما فى معنى القيام من التهبه والشهامة الزائدة على معنى الاستقرار، من حيث إن القعود دليل العجز والقصور . قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا ذَرْنَا نَعْمُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ وقال : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُوا مَا قُتِلُوا ﴾ فكان المقام باضمار ذلك على من المقر، ويوضح ما ذكرناه أنهم جعلوا المجلس أدنى المراتب والمقام أعلاها . أما تخصيصه خطاب بالخليفة بالديوان فبعد تعلقه، مع كونه عنه تصدر المخاطبات وعليه ترد، على ما سياتى فى موضعه إن شاء الله تعالى .

الصفحة الثانية

(من الانقلاب الأصوب ما يختص بالمكتبات ثون الولايات، وفيه تسعة ألقاب) الأول — الديوان . وقد تقدم الكلام على ضبطه ومعناه فى الكلام على ترتيب ديوان الإنشاء فى مقدمة الكتاب، ويصلى بالدعاء له فى المكتبة إلى أبواب الخلافة المقدسة؛ ويقال فيه «الديوان العزيز» على ما سياتى فى الكلام على المكتبات فيما بعد إن شاء الله تعالى . قال المقر الشهابى بن فضل الله فى كتابه «التعريف» : والمعنى به ديوان الإنشاء إذ الكتب وأنواع المخاطبات إليه واردة، وعنه صادرة . قال : وسبب الخطاب بالديوان العزيز الخضم أن خطاب الخليفة نفسه . ثم تكلم الزمان قد يستعملون ذلك فى غير المكتبات مثل أن يكتب عن السلطان منشور إقطاع الخليفة فيقال : « أن يجرى فى الديوان العزيز » ونحو ذلك على ما سياتى فى الكلام على المنشور فى موضعه إن شاء الله تعالى .

الثاني — الباسِطُ . وهو مما يُستعملُ في المكتبات بالتحليل على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى . وأصله في اللغة فاعِلٌ من البَسَط ، والمراد بَسَطَ الكَفِّ بالبَذل والعطاء . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ وهو من ألقاب اليد ، ويشتَرِك فيه أربابُ السيوف والأقلام وغيرهم . قال في "عرف التعريف" : ويقال فيه « الباسِطُ الشَّريفُ العالِي » و « الباسِطُ الكريمُ العالِي » .

الثالث — الباسِطةُ بلفظ التانيث . وهو بمعنى الباسِطِ إلا أن الباسِطة دُونَ الباسِط في الرتبة لِمِيزة التذكير على التانيث .

الرابع — اليَدُ . وهى فى معنى الباسِطةِ إلا أنها دُونُها لِقَوَات الوصف بالبَسَط فيها . قال فى "عرف التعريف" : ويقال فيها « اليَدُ الشَّريفةُ العالِيَّةُ » و « اليَدُ الكريمةُ العالِيَّةُ » واليدُ العالِيَّةُ مجرّدة عنهما .

الخامس — الدَّارُ . وهى معروفة . وتجمع على أدُر ، وديَارٍ ، ودُورٍ ، والمراد دار المكتوب إليه ، تزيئاً له عن التصريح بذكره كما فى الجَنَاب وغيره . وكانت مما يكتَب به فى الزمن القديم فى ألقاب الخُلَفَاء ويقال : « الدارُ العزيزة » وما أشبه ذلك ؛ وربما كُتِب بها فى القديم أيضاً لقَوَاتين من نساء الملوك وغيرهم . ومن كَتَب به لَمَنُ العلاء بن مُوصَلاباً صاحب ديوان الإنشاء فى أيام القائم العباسيِّ ، وعلى ذلك الأمرُ فى زماننا فى الكُتُب الصادرة إليهم من الأبواب السلطانية وغيرها ، وإنما كُتِب إليهم بذلك إشارةً إلى الصَّوْن لملازمتهم الدَّور ، وعدم البروز عنها .

السادس — السَّتارة . وكُتِب الزمان يستعملونها فى نحو ما تُستعملُ فيه الدَّارُ ، ويكنون بها عن المرأة الجليَّة القدر ، التى هى يصَد أن تُصَّب على بابها السَّتارةُ حجاباً .

السابع — الجهة . وهو مستعمل في معنى الدار والسّارة من المكتبات ، ويُعنى بها المرأة الجليّة القدر . وهى فى أصل اللغة اسمٌ للنّاحية ، فكُنُوا بها عن المرأة الجليّة ، كما كُنُوا عن الرجل الجليل بالجنّاب .

الثامن — الباب . وهو من الألقاب المختصة بالعنوان فى جليل المكتبات ؛ وأصل الباب فى اللغة لما يتوصّل منه إلى المقصود ، ويجمع على أبواب : كحال وأحوال ، وعلى بَيّان : بكارٍ وجيران ؛ والمراد بابُ دارِ المكتوبِ إليه ، وكأنّه أجلّ صاحب اللّقب عن الوصول إليه والقرب منه ، لعلّ مكانه ورفعة محلّه . ويقال فيه « البابُ الشريفُ العالى » و « البابُ الكريمُ العالى » و « البابُ العالى » مجزّدا عنهما ، واستعمله بلفظ الجمع على أبواب أعلى منه بلفظ الأفراد لما فى معنى الجمع من الشرف . أما الجمع على بَيّان فلا يستعمله الكُتّاب أصلاً .

التاسع — المخيم . وهو من الألقاب المختصة بالعنوان للسّافر ، والمراد المكان الذى تُضرب فيه خيامُ المكتوبِ إليه ، أخذنا من قولهم خيمَ بالمكان إذا أقام به . أَوْخِمْه إذا جعله كالخيمة . والخيمة فى أصل اللغة اسمٌ لبيتٍ تُنشئه العرب من عيدانٍ ثم تُوسّع فيه فاستعمل فيما يُخَنَّد من الجلود والقطن المنسوج ونحوه ؛ ويوصف بما يوصف به الباب : من الشريف ، والكريم ، والعالى .

قلت : وقد يستعمل بعضُ هذه الألقاب كالدار والسّارة والجهة فى غير المكتبات من الولايات وغيرها ولكن بقلّة ؛ والغالب استعمالها فى المكتبات ، فلذلك خصّصتها بها .

الجملة السادسة

(في بيان الألقاب المقررة على الأصول المتقدمة، وفيها مهيان)

المهيح الأول

(في بيان أقسامها، وهي على نوعين)

النوع الأول

(المفردة، وهي صنفان)

الصنف الأول

(المجردة عن ياء النسب)

كالسلطان، والملك، والأمير، والقاضي، والشيخ، والصنبر، والأجل،
والكبير، والعالم، والعايل، والأوحد، والأكل، وما أشبه ذلك .

الصنف الثاني

(الملحق بها ياء النسب)

كالسلطاني، والملكي، والأميري، والقضائي، والقاضي، والشيخ،
والصنبري، والأجلي، والكبيري، والمالي، والعايلي، والأوحد، والأكلي،
ونحو ذلك .

ثم الألقاب الملحق بها ياء النسب تارة يراد بالنسب فيها النسب الحقيقي على بابه :
كالقضائي، لأنه منسوب إلى القضاء الذي هو موضوع الوظيفة التي من أجلها فصل

الحُكومات الشرعية على ما هتَمَّ؛ وتارة يُراد به المبالغة كالقاضيوي، فإنه منسوب إلى القاضي نفسه مبالغة. وفي معناه الأُميرى نسبةً إلى الأمير، والوزيرى نسبةً إلى الوزير، والشيخى نسبةً إلى الشيخ، والكبيرى نسبةً إلى الكبير، والعالىى نسبةً إلى العالم، وما أشبه ذلك.

والأصل فيه أنَّ عادة العرب أنهم إذا أرادوا المبالغة في وصف شيء أدخلوا عليه ياء النسب في آخره للبالغة في وصفه فيقولون في الأحمر إذا قصدوا المبالغة في وصفه بالحمرة أحمري ونحو ذلك على ما هو مقرر في كتب النحو الميسرة كالتمهيد ونحوه. ثم منها ما يستعمل بالتجريد عن ياء النسب أو إثباتها: كالعالم، والعالىى، ومنها ما يستعمل مجزأ عنها فقط كالقُطْب والتَّوْتُ من ألقاب الصُّوفية؛ ومنها ما يستعمل بإثباتها فقط كالفياثي. وبكلِّ حال فالألقاب التي قد تثبت ياء النسب في آخرها وقد لا تثبت كالأمير والأُميرى إن كانت من ألقاب المجلس السامي بالياء فما فوقه من المجلس العالى والجناب العالى، والمقر والمقام على مراتبها تثبت الياء في آخرها، وإن كانت من ألقاب المجلس السامى بغير ياء لما دونه من مجلس الأمير ومجلس القاضي، ومجلس الشيخ، ومجلس الصدر، والأمير، والقاضي، والشيخ، والصدر، لم تثبت الياء في آخرها. والألقاب المضافة إلى الدين، مثل «ناصر الدين» و«شمس الدين» و«نور الدين» و«عز الدين» و«ولي الدين» و«سيف الدين» وما أشبه ذلك إن كانت في ألقاب من تثبت الياء في ألقابه من المجلس السامى بالياء فما فوقه حذفت المضاف إليه وأدخلت الألف واللام على المضاف وألحقته بياء النسب، فيقال في ناصر الدين «الناصري» وفي شمس الدين «الشمسي» وفي نور الدين «النوري» وفي عز الدين «العزي» وفي ولي الدين «الولي» وفي سيف الدين «السيفي» وما أشبه ذلك.

النوع الثاني

(المركبة)

وهي المعبر عنها بالنعوت . وأكثر ما يكون التركيب فيها بالإضافة ؛ ثم تارة تكون
 بإضافة واحدة نحو «تمهّد النول» وتارة تكون بإضافتين نحو «سيدّ أمراء العالمين»
 وتارة تكون بثلاث إضافات نحو «حاكم أمور ولّاة الزّمان» وربما زيد على ذلك ،
 وتارة تكون بوصف المضاف ، نحو «بقية السّلالة الطاهرة» وتارة تكون بالمعطف
 على المضاف إليه : إما بمعطف واحد ، نحو «سيدّ الملوك والسلاطين» وإما بأكثر ،
 نحو «فاتح الممالك والأقاليم والأقطار» وتارة تكون بجارٍّ ويجرور بعد المضاف إليه ،
 نحو «سيدّ الأمراء في العالمين» وربما توسط النعت بين المضاف إليه والجار
 والمجرور ، نحو «سيدّ الأمراء الأشراف في العالمين» . وقد يكون التركيب بغير
 الإضافة إما بالجار والمجرور ، نحو «المجاهد في سبيل ربّ العالمين» وإما بغير ذلك
 مثل المعنى آل ساسان وغير ذلك مما يجري هذا المجرى .

[وأعلم أنه إذا كان لقب الأصل مفردًا نحو المَقَرّ والجنّاب ، جاءت ألقابه ونعوته
 مفردة فيقال «المَقَرّ الشريف» و «الجنّاب الشريف» و «المَقَرّ الكريم» وفي نُعوته
 «سيدّ الأمراء في العالمين» ونحو ذلك .

ثم إن كان مدّكرًا جاء بصيغة التذكير ، كما تقدّم في ألقاب المَقَرّ ^(١١) .

وإذا كان لقب الأصل فيه مؤنثًا كالجهة في ألقاب النساء ، أتت ألقابه ونعوته
 مؤنثة تبعًا له ، فيقال في ألقاب الجهة «الجهة الشريفة أو الجهة الكريمة العالية»
 وفي النعوت «سيدة الخواتين في العالمين» ونحو ذلك .

(١) هذه الجهة التي بين القوسين غير موجودة في الأصول ، فقلناها عن الضمّ لولف لنم الفائدة .

وإن كان القلب في الأصل مجموعاً ، نحو « مجالس الأشراف » كما يكتب في المطلقات ، جاءت الألقاب والنعوت مجموعة فيقال في الألقاب الأجلاء الأكاره وما أشبه ذلك ، وفي النعوت إن كان ذلك القلب اسم جنس نحو « عضد الملوك والسلطين » أو مصدرًا ، نحو « عون الأمة » جاز إبقاؤه على الأفراد كذلك : لأن المصدر واسم الجنس لا يثنان ولا يجعلان ، وإن لوحظ فيه معنى التعدد ، جاز الجمع فيقال « أعوان الأمة » و « أعضاء الملوك والسلطين » ونحو ذلك . وقد أشار إلى ذلك المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه « التعريف » في الكلام على كتابة المطلقات فقال ونحو عضد وأعضاء .

تم الجزء الخامس . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء السادس

دأته المهيع الثاني

(في ذكر الألقاب والنعوت المستعملة عند تكلم الزمان ، وبيان معانيها ، ومن يقع عليه كل واحد منها من أرباب السيوف وغيرهم ، وهي نوطان)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

(२०००/१११३/०३११/१०१)

